

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

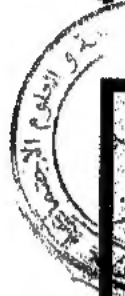
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - سجل تحت رقم 2715/10 تاريخ 19/09/10

كلية العلوم الاجتماعية

قسم: التاريخ و الآثار



مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي



مديونة تيمورثي الرستمينة

دراسة تاريخية حضارية

(القرن 2 - 3 - 8 - 9 هـ)

إشرافه الأستاذ:

أ. د. معروف بلحاج

إعداد الطالبة:

خطيمة مطمري

أعضاء لجنة المراقبة:

رئيسا	أ - جامعة تلمسان	أستاذ محاضر	د/ مبخوت بودواية
مشرفا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ معروف بلحاج
عضوا	أ - جامعة تلمسان	أستاذ محاضر	د/ عبدلي لخضر
عضوا	أ - جامعة معسكر	أستاذ محاضر	د/ ودان بوغفالة
عضوا	ب - جامعة تلمسان	أستاذ محاضر	د/ أوعاملري مصطفى



السنة الجامعية: 1430 - 1431 هـ / 2009 - 2010



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى أغلى ما أملك في هذا الوجود، أمي الغالية التي أدعو العلي القدير
لها بالشفاء العاجل و حلول العمر.

إلى والدي الكريم الذي له يبذل علي يوما براضه و دعواته.
إلى زوجي الذي أشكره على وقوفه إلي جانبي و تدعيمه لي ماديا
ومعنويا.

إلى ابني العزيزين "محمد آدم" و "أسامة" خاصة الذي سمر و تحمل عبء
كتابة و طبع هذا العمل.

إلى أفراد عائلتي الكريمين "بن طلحة" و "مطهرى" كل باسمه، و خاصة
أختي العزيزة "نواره".

إلى أسرة ثانوية "بحيرة قرار" بدءا بالسيد المدير "حمزة" و الأساتذة
و التلاميذ والعمال، كل باسمه.

إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل و كل من لم
أذكر اسمه لأن الورق عاجز عن حمل الجميع.

شكر وثناء

أحمد الله جل و علا و أشكره بكرة و أصيلا على ما أنعم علي و وفقني
لإنجاز هذا العمل.

و أتوجه بالشكر و العرفان إلى الأستاذ الدكتور معروف بلحاج
الذي تفصل بالإشرافه على هذا العمل و اعترفه بالجد الكبير الذي
بذله في تتبع كل خطوات إنجازه و توجيهاته و نصائحه القيمة في سبيل
إتمام هذا العمل.

و جزيل الشكر أتقدم به إلى كل معلم خير على هذه المعمورة، و أقف
بإجلال و تقدير بوجه خاص إلى كل من علمنا خلال مسارنا الدراسي خاصة
السنة النظرية، و أخص بالذكر الدكتور الأفاضل، الدكتور عبد الحميد
حاجيات و الذي أحسنو له الله أن يطيل في عمره و يجعله مطية للعلم
والعلماء و عبدلي لخضر، مبخوت بوحواية، و الأستاذ بن داود نصر الدين
الذي أتقدم له بأسمى عبارات الامتنان و الشكر على تقديمه لي يد
المساعدة و الذي لم يبخل علي بنصائحه السديدة.

و أتوجه بالشكر و التقدير إلى مسؤولي و عمال مكتبة التاريخ و جميع
مكتبات دائرة الرمشي.

و لا يفوتني أن أنوه بفضل جميع الذين ساعدوني و قدموا لي العون في
إخراج هذا البحث.

المقدمة

المقدمة

لقد عرف المغرب الإسلامي قيام العديد من الدول الإسلامية التي صنعت تاريخه و قادت إلى التطور و لعبت أدوارا سياسية و حضارية مختلفة في المنطقة و من بينها الدولة الرستمية، هذه الدولة الإسلامية العريقة التي نشأت في المغرب الأوسط سنة 160هـ، و استمرت أزيد من قرن و ثلاثين سنة، و قد اختار الرستميون مدينة تيهرت عاصمة لهم، فكانت من بين الحواضر الإسلامية التي بلغت شأوا عظيما آنذاك، و قد اخترنا هذه الحاضرة موضوعا لدراستنا.

لا شك أن الدراسة التاريخية و الحضارية لمدينة ما جدير بالبحث، خاصة إذا علمنا أن مدينة تيهرت تمثل عاصمة لأول دولة مستقلة في المغرب الإسلامي، و يرجع اختيارنا لدراسة مدينة تيهرت، دراسة تاريخية- حضارية خلال القرنين 2-3هـ/8-9م لسببين رئيسيين أحدهما ذاتي والآخر موضوعي:

فالسبب الذاتي يتمثل في تشوقنا لمعرفة أهم الإنجازات الحضارية لهذه المدينة. و مما شدني أكثر لهذه الدراسة فقرات ورد ذكرها في الميثاق الوطني سنة 1986: "...كانت الدولة الرستمية أول دولة في العهد الإسلامي في الجزائر، سجلت قيام حكم وطني منفصل إداريا عن الحكم المركزي الإسلام، و ما لبثت العاصمة تيهرت أن عرفت ازدهارا اقتصاديا معتبرا تتجاوز أهميته حدود الدولة... كما أن التسامح الذي كانت تنتهجه الدولة الرستمية في تعاملها مع المذاهب الأخرى كان سببا في جذب الكفاءات و الخيرات لهذه الدولة"

أما السبب الموضوعي فيتمثل في الرغبة في الوقوف على المستجدات الحضارية لتيهرت الرستمية بصفة خاصة، و كذا أن جل الدراسات اهتمت و ركزت على الجوانب التاريخية والسياسية للدولة الرستمية عموما أكثر من الجوانب الحضارية لعاصمتها.

إن أهمية الموضوع تكمن في كونه يسلط الضوء على جانب مهم من جوانب التاريخ السياسي و الحضاري لثاني دولة إباضية في المغرب الإسلامي، و من هنا تتحدد إشكالية هذا البحث حول المسار التاريخي لمدينة تيهرت الرستمية و حول منجزاتها الحضارية من منشآت

عمرانية و حركة فكرية و ثقافية و مظاهر اقتصادية و اجتماعية و كذا مدى تأثيرها و تأثيرها الحضاري فيمن يجاورها.

لا يختلف اثنان على أن الظروف التي سادت للمغرب الإسلامي خلال القرنين الثاني و الثالث الهجريين أسهمت بدور فعال في قيام الدول المستقلة و منها الدولة الرستمية. فيما تمثلت هذه الأوضاع التي شهدها المغرب الإسلامي قبل قيام هذه الدول؟ و ما هي التطورات التاريخية والسياسية للدولة الرستمية منذ قيامها حتى سقوطها؟

لا شك أن عدة عوامل تضافرت في تفعيل الحركة الثقافية و الحضارية لهذه المدينة، نذكر منها دور العلماء و الأئمة الرستميين في تفعيل المسار الثقافي والحضاري لهذه المدينة، فما هي المظاهر الحضارية و الاجتماعية التي سادت في مدينة تيهرت؟ و ما دور لأئمة الرستميين في ازدهار الحركة الثقافية؟ و كيف أثرت و تأثرت بالدول المجاورة؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات، اعتمدنا على المنهج التاريخي القائم على تتبع الأحداث والمراحل التاريخية و السياسية و عرض الأوضاع الحضارية من الفكرية و العمرانية و الاقتصادية، دون الاستغناء عن المنهج التحليلي الذي ساعدنا على تحليل و استنباط بعض الاستنتاجات التاريخية، كما اعتمدنا على المنهج الوصفي الذي تم من خلاله وصف المنجزات الحضارية. و قد وضعنا لهذا البحث خطة مكونة من مقدمة وفصل تمهيدي و ثلاثة فصول و خاتمة و ملاحق. استعرضنا في الفصل التمهيدي شرحا لمفاهيم و مصطلحات ذات صلة وثيقة بموضوع الدراسة.

تناولنا في الفصل الأول الأوضاع السياسية لبلاد المغرب قبل سنة 160هـ، و أهم التطورات والأحداث السياسية التي شهدتها المشرق و مدى تأثيرها على الحركة الإباضية خاصة والخوارج عامة، و لجوئهم نحو المغرب لنشر مذهبهم هروبا من بطش الأمويين و من ثم تأسيس دولتهم الرستمية و عن تطورها السياسي ودور مؤسسها عبد الرحمن بن رستم في ذلك، كما تتبعنا مستجدات أهم الأئمة الرستميين، وأنهيت هذا الفصل بإبراز مراحل الضعف و القوة حتى سقوطها سنة 296هـ.

و في الفصل الثاني تطرقنا إلى الحديث عن الأوضاع الاقتصادية و أثر الازدهار الاقتصادي الداخلي الكبير والإيجابي على التجارة الخارجية و مبادلات تيهرت التجارية مع الدول المجاورة، كما خصصنا مبحثاً عن الحياة الاجتماعية باستعراض لطبقات المجتمع التيهرتي و تأثيراتها على نمو تيهرت و تدهورها.

و في الفصل الثالث تناولنا فيه المظاهر العمرانية التي تجسدت في بناء حضارة تيهرت وكذا الاهتمام بالمنشآت و المرافق العمومية من مساكن و قصور و مساجد و حمامات وغيرها، كما تعرضنا للحياة الثقافية و الفكرية بإبراز دور و إسهام الأئمة الرستميين في ازدهارها، و أهم المؤسسات التعليمية و العلوم المتداصلة، دون أن ننسى العلاقات الثقافية مع باقي دول المغرب والأندلس والمشرق و أثر هذه العلاقات في تأثير تيهرت و تأثيرها الحضاري.

و في خاتمة البحث وصلنا إلى استنتاجات عامة عن أهم معالم حضارة تيهرت الرسمية وإنجازاتها عمرانيا وثقافيا واقتصاديا، و ما قدمته من نتاج حضاري راق للبلاد العربية والإسلامية، و قد أرفقنا البحث بمجموعة من الملاحق قصد توضيح الأفكار الواردة في متن المذكرة.

و لإنجاز هذا البحث اعتمدنا على جملة من المصادر من كتب التاريخ و الجغرافية و كتب الرحلة والطبقات إلى جانب الدراسات الحديثة، العربية و الأجنبية، و قد تفاوتت في قيمتها التاريخية، حيث أن بعضها لها علاقة مباشرة بموضوع الدراسة و كذلك من حيث قربها الزمني من الأحداث، و من أهم هذه المصادر:

* كتاب "أخبار الأئمة الرستميين" لصاحبه ابن الصغير، عاش في القرن 3هـ، و ترجح و داد القاضي أن ولادته كانت ما بين 265-270هـ/878-883م، كان في شبابه يملك دكانا في الرهادنة و كان يتردد على مسجد هذا الحي و هذا ما ذكره هو نفسه في كتابه: "أن لي في الرهادنة دكانا أبيع فيه و أشتري"، و يقال أنه كان وراقا أو نساخا، مما ساعده على توسيع مداركه اللغوية التي مكنته من القدرة على المناظرة و المجادلة مع الإباضيين.



و رغم أن ابن الصغير لم يكشف عن المذهب الذي ينتمي إليه لكنه نفى انتماءه للمذهب الإباضي، و يشير مثلاً سليمان الباروني إلى أنه مالكي، أما لويكي فيشير إلى أنه شيعي، و بغض النظر عن انتمائه و مذهبه، ما زال مؤلفه يعتبر إلى أيامنا هذه أقدم وثيقة وصلتنا عن إباضي شمال افريقية. و تأتي أهميته في أن ابن الصغير سكن بتيهت و عاصر بعض الأئمة الرستميين و عاش فترة من الزمن تحت حكم أبي اليقظان حيث يذكر: "قد لحقت أنا بعض أيامه... و حضرت مجلسه" كما عاش تحت حكم الإمام أبي حاتم و في عهده يرجع ليفتسكي أنه كتب مؤلفه أي حوالي العام 290هـ/902م.

* كتاب "سير الأئمة و أخبارهم" لأبي زكرياء ابن أبي بكر السدراي الوريثاني، (ت. سنة 471هـ/1078م)، و كان ينتمي بحسب الدرجيني إلى الطبقة العاشرة، تابع دروس الراوي الشهير و المؤرخ الإباضي أبي الربيع سليمان بن يخلق المزاني و من تلامذته من المؤرخين و كتابي السير البارزين كأبي الربيع عبد السلام الرسياني و أبي نوح و غيرهما، و يعتبر مؤلف أبي زكرياء عملاً تاريخياً و سيرياً في الوقت نفسه يزودنا هذا الكتاب الذي هو من أقدم المستندات الخاصة بتاريخ الإباضيين في المغرب بمعلومات هامة عن دخول الإباضية إلى المغرب و تطورها فيه، و عن تاريخ الرستميين و سقوطهم، و عن مقاومة الإباضيين للفاطميين و ثورة أبي مخلد بن كيداد من جهة، كما يزودنا من جهة أخرى بسير عدد من الأعلام الإباضية، إذن ينقسم هذا العمل إلى قسمين أولهما ذو محتوى تاريخي، بينما يحتوي القسم الثاني على تراجم عدد من الإباضيين البارزين من المغرب، أضف إلى ذلك أن هذا الكتاب هو أحد المصادر الرئيسية لكتاب طبقات المشائخ للدرجيني كما يذكره الشماخي في عشرات المواضع.

اعتمد أبو زكرياء في كتابه هذا على عدد من المؤرخين الإباضيين غير عنهم بقوله: "ذكر بعض أصحابنا" و على غيرهم من المؤرخين مثل ابن الصغير، و الرقيق القيرواني في حادثة دخول الإباضيين القيروان و مغامرة ابن طولون، كما نقل البكري ما يتعلق ببناء مدينة تيهت.

و من كتب الطبقات و التراجم التي تعتبر مكمله للمصادر التاريخية، اعتمدنا على:

* كتاب "سير المشائخ" للإمام أبي العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي (ت. سنة 928هـ/1522م)، و يعتبر الشماخي كاتب سير و مؤرخ و فقيه بارز يعود أصله إلى جبل نفوسة و ينتمي لعائلة أنجبت الكثير من المشاهير و العلماء، كان يسكن يفرن و لهذا نجد في اسمه الشماخي نسباً و الإفريقي بلداً.

و قد ترك أبو العباس مصنفات كثيرة أشهرها هذا الكتاب "سير المشائخ" و هو عمل ضخم في سير أعلام الإباضية البارزين و ذلك منذ تأسيس الفرقة و حتى نهاية القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) كما نجد فيه بالإضافة إلى التراجم و المعطيات السيرية، روايات تاريخية طويلة تتعلق بأصول الفرقة الإباضية و الحركات الإباضية في شمال إفريقيا و نجد فيه أيضاً تفاصيل كثيرة عن حياة البربر الاجتماعية و عاداتهم.

و مهما يكن فقد أفادني كتاب السير للشماخي في تراجم و سير الأئمة و أعلام الإباضية و كذا في الناحية الثقافية.

* كتاب "طبقات المشائخ في المغرب" لأبي العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يثلف الدرجمي، فقيه و شاعر و مؤرخ إباضي، عاش في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، والمتوفي سنة 670هـ/1272م، و يتألف هذا الكتاب من قسمين، القسم الأول هو مجرد إعادة نقل و سبك كتاب السير و أخبار الأئمة لأبي زكرياء يحيى، أما القسم الثاني، فهو أكثر أهمية من القسم الأول كونه العمل الأصلي للدرجمي و يشمل مجموعة سير حكماء و علماء إباضيين مشهورين مقسمة إلى اثني عشر طبقة، تغطي كل طبقة حقبة ذات خمسين سنة.

تضم الطبقات الأربع الأولى من المؤلف تراجم علماء الإباضية بالشرق في القرنين الأول و الثاني الهجريين، و تقتصر على ما أورده أبو زكرياء فيما يخص تراجم أعلام المغرب مثل عبد الرحمن بن رستم و بقية الأئمة، لهذا اعتمدت أكثر على الجزء الأول منه.

* كتاب "طبقات علماء إفريقية و تونس" لأبي العرب (ت. سنة 333هـ/944م) يعتبر من أقدم الكتب التي وصلتنا، يشتمل على قائمة من العلماء و فقهاء المالكية في المغرب و منهم بكر بن حماد

التيهري، و تكمن أهميته في كون مؤلفه عاش فترة من حياته معاصرا للدولة الرستمية رغم أنه اقتصر على ذكر علماء افريقية و تونس المالكيين و تجاهل علماء الإباضية، هناك و مع ذلك ظل مصدرا لمن جاء بعده، و كذلك الشأن في كتب الطبقات الأخرى مثل: "رياض النفوس" للمالكي و كتاب "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" للدباغ، فذكرهم مثلا لبكر بن حماد كان من باب اعتباره علما و شاعرا مالكيا سكن القيروان و ليس من باب اهتمامهم بالرستميين.

أما المصادر المغربية أو السنية فهي كثيرة و متنوعة رغم ضياع العديد منها، لكنها كما ذكر جودت عبد الكريم و كذا إبراهيم بحاز: "لم تتعرض للرستميين إلا ببعض العبارات القليلة رغم معاصرة بعضها لهم، و منهم مثلا: كتاب "فتوح مصر و المغرب و الأندلس" لابن عبد الحكم (ت. سنة 257هـ/871م) و "فتوح البلدان للبلاذري" (ت. سنة 279هـ/892م) و الذي يعتبر أول من أشار إلى حادثة العباسية و عنه أخذها المؤرخون كابن الأثير و ابن خلدون وغيرهم. و من أهم المصادر المغربية:

* كتاب "تاريخ افريقية و المغرب" لابن إبراهيم بن القاسم المشهور بالريق القيرواني (ت. ما بعد 417هـ/1026م) يحتوي مؤلفه أحداث أواخر القرن الأول الهجري و ينتهي أواخر القرن الثاني الهجري أي فترة الفتح الإسلامي إلى بداية ثورات الخوارج، و يتناول عهد الولاة ابتداء من ولاية عقبة بن نافع إلى ولاية أبي العباس عبد الله الأغلبي، فهو أقدم مؤلف تعرض لحادثة طينة و أول من أشار إلى معاهدة السلم و حسن الحوار المبرمة بين الإمام عبد الوهاب و الأمير روح بن حاتم، كما أنه يذكر أخبار دخول الإباضية إلى طرابلس و القيروان بقيادة أبي الخطاب و قد اعتمد القيرواني على مصادر معاصرة للرستميين مما جعله أيضا مصدرا لمن جاء بعده، كابن عذاري المراكشي و ابن خلدون...

* كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب" لأبي العباس أحمد بن عذاري المراكشي (712هـ/1312م) تناول فيه تاريخ المغرب و الأندلس منذ الفتح، و الدول التي نشأت في هذه الفترة كالمرابطين و الموحدين و المرينيين و رغم أن الدولة الرستمية لم تخط بالتفعيل الواسع الذي خطيت به دول المغرب السنية المعاصرة لها إلا أن هذا المؤلف وصف مدينة تيهرت و ذكر أئمتها

ابتداءً من مؤسسها عبد الرحمن بن رستم حتى سقوطها بشكل موجز، كما تضمن هذا الكتاب بعض العبارات في مجال العلاقات الخارجية، فذكر نزول جيش هرثة بن أعين تيهرت، و صلة النسب بين تيهرت و سحلماسة و كذا نزول شخصيات رستمية بالأندلس و مكانتهم هناك.

* كتاب "الملل و النحل" للشهرستاني (ت. سنة 548هـ) يعتبر هذا المؤلف من أهم المصادر التي درست نشأة الفرق و المذاهب الإسلامية و تطوراتها و كذا الأفكار و المبادئ التي قامت عليها هذه المذاهب، و قد اعتمدت على الجزء الثاني منه الذي تناول تاريخ ظهور الفرق الإسلامية والتي انتشرت في المغرب الإسلامي.

* كتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (630هـ/1231م)، و يصنف هذا الكتاب ضمن المصادر التاريخية العامة، تناول تاريخ المشرق الإسلامي، و قد خصص جانباً منها لبعض الأحداث التاريخية في المغرب لكن بشكل نادر، و قد اعتمدت خاصة على الأجزاء الرابع و الخامس والسادس.

إضافة إلى مصادر أخرى الذين يجمعون على موقف واحد من الدولة الرستمية القائم على ذكرها ببعض العبارات القليلة و منهم:

* كتاب "المغرب في حلى المغرب" لابن سعيد المغربي (ت. 673هـ/1274م) و الذي ضاع معظمه و لم يبق منه إلا أجزاء بسيطة تضمنت تراجم لبعض الشخصيات البارزة في الأندلس في العصر الأموي و عن تيهرت رغم أنه لم يهتم بعلاقات قرطبة معها إلا أنه ينفرد بذكر قدوم أبناء الإمام عبد الوهاب إلى البلاط القرطبي و الإحتفال بهم و اتفاق ألف دينار.

* كتاب "تاريخ افتتاح الأندلس" لابن القوطية (ت. 367هـ/927م) حيث أشار إلى وجود مذهب الخارجية في الأندلس، و ذكر ظهور عمر بن حفصون في تيهرت و شخصيات رستمية في قرطبة.

* كتاب "الحلة السراء في شعر الأمراء" لابن الإبار (ت. 658هـ/1260م) حيث احتفظ بأبيات الشاعر بكر بن حماد التيهرتي التي قالها في مدح الأمير الأغلي ابراهيم الثاني و أشار أيضا إلى وجود شخصيات رستمية في الأندلس.

* كتاب "العبر و ديوان المبتدأ و الخير في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لعبد الرحمن بن خلدون (808هـ/1406م) و هو من المؤرخين الذين يشهد لهم بالموضوعية إلا أنه ضرب صفحا عن الدولة الرستمية ذكرها بإشارات عابرة فقط و لم يول لها اهتمامه مثل اهتمامه بدول المغرب السنية كالأغالبة و الأدارسة و أمويي الأندلس، و رغم ذلك كانت تلك الإشارات العابرة على قلتها مفيدة لنا، فقد انفرد بتقديم معاهدة السلم بين تيهرت و القيروان إلى عهد عبد الرحمن بن رستم و يكاد ينفرد أيضا بذكر وقوع عمل عسكري بين الرستميين و الأدارسة. و مع ذلك يظل كتاب "العبر و ديوان المبتدأ و الخير" مصدرا هاما لكل باحث في تاريخ المغرب الإسلامي، كما تعد المقدمة و هي الجزء الأول لكتاب العبر من المصادر الهامة لهذه الدراسة لكونها تضم الجانب الثقافي و العلمي و كل ما يتصل بال عمران البشري من فنون و صنائع و علوم في الدول الإسلامية عموما و هذا ما أفادنا كثيرا خاصة في شرح المفاهيم و المصطلحات الحضارية و العلمية.

و من كتب الجغرافيين و الرحالة اعتمدنا على:

* كتاب "البلدان" لليعقوبي (ت. 284هـ/897م) و هو أول من أفسح المجال للمغرب الإسلامي بذكر مدن المغرب و وصفها كما ضمنها بعض المعلومات التاريخية الهامة و أشار إلى اتصال بلاد المغرب بالسودان الغربي و تكمن أهميته في كونه معاصرا للرستميين و مروره بتيهert عندما وصل إلى المغرب حسب ما ذكره لقبال موسى.

* كتاب "المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب" و هو جزء من كتاب "المسالك و الممالك" لأبي عبيد البكري (ت. 487هـ/1094م) فقد ذكر بناء تيهert و وصفها، و تكمن أهميته في كونه وضع كتابه هذا معتمدا على كتاب محمد الوراق و على ملاحظات و أقوال التجار و المسافرين الذين زاروا بلاد المغرب و الأندلس و في كونه أيضا أصبح مصدرا لغيره فتأثر به الحموي و ابن خلدون و ابن عذارى و ابن الخطيب في ذكره دولة بني مدرار.

* كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لأبي عبيد الله الشريف الإدريسي (ت. 548هـ/1154م) في جزئه الخاص بافريقيا و الأندلس و الذي حققه اسماعيل العربي، و يعتبر هذا الكتاب من أمهات

الموسوعات الوصفية في العهود الوسطى لما تضمنته من تعريفات و مصطلحات و اشتمل عليه من أماكن و أعلام.

* كتاب "صورة الأرض" لابن حوقل (ت. 367هـ/ 977م) و الذي وضع وصفا لمدينة تيهرت و الفرق التي تربطها بغيرها كما قدم عبارات مفيدة في علاقات تيهرت الخارجية و تأثير به الإدريسي و القلقشندي و غيرهما.

* كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت. 626هـ/ 1229م) اعتمد و تأثر بكتاب "المسالك و الممالك" لابن خرداذبة (ت. 272هـ/ 885م) و قد أفادني في التعريف بالمواقع الجغرافية من مدن و أقاليم في المغرب خاصة الأجزاء 1- 2- 3- 4.

اعتمدت أيضا على نتائج الحفريات التي قام بها مجموعة من المستشرقين أمثال جورج مارسيه و دوسوس لامار و غيرهم و ستطرق إليها في الدراسة، لكن نتائجها في هذا الموضوع تبقى محدودة و غير كافية كما يرى الدكتور معروف بلحاج.

و تكملة لما أوردته المصادر حول الموضوع، استعنا بمجموعة من المراجع و الدراسات الحديثة المنشورة و غير المنشورة المتخصصة في تاريخ حضارة مدينة تيهرت و منها:

* كتاب "الدولة الرستمية: دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية" لآبراهيم بحاز، رصد فيه تاريخ الدولة الرستمية و الجوانب الاقتصادية و الفكرية، كما تعرض للعوامل التي ساعدت على النهضة الفكرية و أهم العلوم و النشاطات الاقتصادية و كذا العلاقات الخارجية وهو ما أفادني كثيرا في هذا البحث، إضافة إلى كتابه "عبد الرحمن بن رستم" و الذي يستعرض و يترجم فيه سيرة الإمام عبد الرحمن بن رستم من نشأة و ثقافة و جهوده في تأسيس الدولة الرستمية.

* كتاب "العلاقات الخارجية للدولة الرستمية" لجودت عبد الكريم يوسف، اختصر هذا الكتاب في مكانة الدولة الرستمية في المغرب الإسلامي، و علاقتها بالدول المجاورة و دورها في تنشيط الحركة الفكرية في المغرب الأوسط، لاسيما العلاقات المذهبية، و كذا كتابه "الأوضاع الاقتصادية

و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3-4هـ / 9-10م" و الذي استفدت منه في رصد بعض المظاهر الاقتصادية و الاجتماعية.

* كتاب "المغرب العربي الكبير" لسعد زغلول عبد الحميد خاصة الجزء الثالث الذي خصصه للتاريخ السياسي و الفكري لدول المغرب الإسلامي بالتفصيل، و قد اعتمدت عليه في انتقاء المعلومات المتعلقة بثورات الخوارج و كذا الإفتراق الذي حدث في الإباضية، خاصة في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم.

* كتاب "تاريخ المغرب العربي الكبير، تاريخه و ثقافته" لرابح بونار، و الذي يتميز بغزارة المادة في الجانب الثقافي للمغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى عهد المرابطين، و قد أفادني في انتقاء المعلومات الخاصة بسير الفقهاء و العلماء في الدولة الرستمية.

* كتاب "الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ - 296هـ" لمحمد عيسى الحريري، اعتمدت عليه في انتقاء المادة العلمية المتعلقة بالجوانب السياسية و التاريخية حيث تعرض لمختلف الأحداث و التطورات قبل نشأة الدولة الرستمية، و أعمال أئمتها و كذا علاقاتها الخارجية.

اعتمدت أيضا على مجموعة من المجلات و الدوريات و المتضمنة لمقالات تاريخية و آراء فكرية لمجموعة من الإساتذة المؤرخين على رأسها "مجلة الأصالة" خاصة الأعداد 1- 41- 45، ومحاضرات الملتقى الخامس و الحادي عشر و الثالث عشر للفكر الإسلامي.

و بما أن موضوع الدراسة موضوع حضاري، فقد استعنت ببعض المعاجم لشرح المفاهيم، أهمها: * "لسان العرب" لابن منظور، خاصة المجلد 2- 3- 4.

* "المعجم العربي الأساسي" لمجموعة من المؤلفين من طبع المنظمة العربية للثقافة و العلوم. و استعنت أيضا بمراجع باللغة الأجنبية منها:

Chikh Bekri: Le royaume rostemide le premier Etat Algerien.

تحدث فيه عن بداية ظهور الخوارج في المغرب و عن قيام الدولة الإباضية في تيهرت عاصمة المغرب الأوسط و يستعرض كذلك حكم الائمة الرستميين و الحياة الثقافية و علاقة الرستميين بالدول المجاورة.

Gautier.Emil.Felix: Le passée de l'afrique de nord.

و الذي تميز بعرض للظروف السياسية التي أحاطت بتأسيس الدول المستقلة في المغرب الإسلامي. كما أشار فيه إلى انتشار المذاهب و الفرق الدينية منذ القرن 2هـ/8م.

Abdallah Laraoui: L'histoire du magreb.

جاء في هذا الكتاب دراسة نقدية تحليلية لتاريخ المغرب الإسلامي في مختلف عصوره. و قد اعترضتنا بعض الصعوبات التي هي سمة من سمات أي بحث تاريخي تتمثل أساسا في مشكل الاطلاع على كل المصادر التي تناولت تاريخ بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وكذا صعوبة استنباط الحقيقة التاريخية و المادة العلمية من بعض الكتابات التي طغت عليها النزعة المذهبية، خاصة تجاه الدولة الرستمية الإباضية، إضافة إلى فقدان و ضياع الكثير من الوثائق والمصادر الخاصة بالدولة الرستمية و صعوبة الوصول إلى ما بقي منها. و من واجب الاعتراف بالجميل و الفضل لا يفوتني أن أجدد شكري الجزيل و امتناني العظيم للمشرف الأستاذ الفاضل الدكتور بلحاج معروف الذي تتبع خطوات هذه الدراسة بكل إمعان و تدقيق و منحني الكثير من وقته و توجيهاته و تحمل عناء قراءة كل الفصول و تصحيحها، فجزاه الله عني خير الجزاء.

الرمشي يوم 14 يناير 2010

فطيمة مطهري



الفصل التمهيدى

مفاهيم ومصطلحات عامة

- | | |
|------------|------------|
| 1- الحضارة | 4- الثقافة |
| 2- العمران | 5- الفكر |
| 3- العمارة | 6- الخوارج |

إن موضوع الدراسة التاريخية و الحضارية لأي أمة أو مجتمع، أو مدينة خصب و واسع، وغزير المادة، و كثير و متشعب النواحي، فحضارة الأمة تتبع من عقائدها و مزاجها، هذا المزاج هو بدوره وليد البيئة الطبيعية، و الثقافة، و الاختلاط بالشعوب. و تيهرت خصوصا و الدولة الرسمية عموما تشبثت بدينها وخلقها و علمها، و الدين و العلم و الخلق، هذه الخصال تمثل رأس الحضارة في كل أمة، فإذا عرفناها، عرفنا درجة رقيها في كل نواحي الحياة المادية و المعنوية. و ظهور هذه الدولة الفتية دشن عهدا جديدا لأبناء المغرب الإسلامي، و سمح لهم بإقامة صرح الحضارة، و دخول معترك العلوم و البناء، كانت نتيجة بروز كفاءات فنية و علمية و اقتصادية، أنارت بقدراتها و علمها أرض المغرب في القرنين الثاني و الثالث الهجريين، حتى أصبحت مدينة تيهرت تضاهي حواضر المشرق الإسلامي.

و دراسة هذه المدينة تاريخيا و حضاريا يقتضي منا تحديد مفاهيم ذات العلاقة بالحضارة و الثقافة و الدين، منها: الحضارة، العمران، العمارة، الثقافة، الفكر و الخوارج.

1 - مفهوم الحضارة:

إن مفهوم الحضارة شامل و متشعب التعريفات منها:

أ - لغة:

اشتقت من الحضر أي الإقامة في المدن¹، أو الاستمرار في الاستقرار في المدن و القرى بخلاف البدو²، و في لسان العرب: الحضر و الحاضرة هي خلاف البادية و هي المدن و القرى، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار و مساكن الديار التي كان لهم بها قرار³، و بهذا المعنى ورد اللفظ في القرآن الكريم، فأصل الحضارة إذا هو الاستقرار و المشتق من "قر يقر قرارا" لقوله

1- سليمان الخطيب: أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ، ص 25. و ينظر

أيضا، عبد الرحمن علي الحجي: أصواء على الحضارة و التراث، شركة الشهاب للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت، ص 67.

2- محمد هشور: سنن القرآن في قيام الحضارات و سقوطها، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، ط 1، سنة 1991، ص 61.

3- ابن منظور: لسان العرب، المجلد 4، دار صادر للطباعة و النشر، ط 1، بيروت، لبنان، د.ت، ص - ص 148 - 149.

سبحانه و تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾¹، أي مستقراً².

و استعمل لفظ الحضارة بمعنى التطور و التقدم في الكل الميادين ، فالحضارة ليست منجزات مادية أو كثرة علمية، أو كتلا بشرية مكدسة في المدن دون ترابط داخلي، و إنما هي روح سام من الفضائل و الخصال الطيبة التي تزين و تقوم سلوكات أبناء الأمة و سائر نشاطاتهم، كما تتجسد في النظم السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية، حتى تشمل جميع جوانب الحياة³، و بفضل التعاون و التعاضد وصلت الأمم إلى أعلى مستويات التحضر⁴.

ب- اصطلاحاً:

لفظ الحضارة مشتق من الكلمة اللاتينية CIVIS، بمعنى المدينة، أو CIVILIS، بمعنى مدني أو متعلق بالمدينة⁵.

و معانيها الاصطلاحية فهي عديدة و لها علاقة متشابكة ببعض المصطلحات الأخرى كالثقافة و المدنية و العمران، نورد بعض آراء المفكرين في تصوراتهم لفهوم الحضارة، و منهم:

عبد الرحمن بن خلدون (732هـ - 808هـ / 1332م - 1406م)

نظر ابن خلدون إلى الناس في زمانه فوجدهم مستقطين في فتيين، هما: أهل البدو و الحضر، و رأى صفات إحداهما مخالفة للأخرى، فتساءل عن سر هذا الاختلاف، و راح يستنبط قوانين التطور التحول في الأمم و الدول⁶. و يرى أن الحضارة غاية البداوة⁷، فطور الدولة من أولها بدواة، ثم إذا حصل المال تبعه الرفه و اتساع الأحوال و الحضارة، و الحضارة إنما تنمو في الترف⁸، و تعني الحضارة عند بن خلدون: "و الحضارة إنما هي تفنن في الترف و إحكام الصنائع المستعملة في وجوهه

1- سورة غافر : الآية 64.

2- أبو القاسم الزمخشري : الكشف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص 64.

3- زريق قسطنطين : معركة الحضارة، دار العلم للملايين، بيروت، 1964، ص 40.

4- نفسه، ص 42.

5- محمد بن عبد الكريم الجزائري : الثقافة و مآسي رحلتها، شركة الشهاب، الجزائر، د.ت، ص 67. و ينظر أيضا الموقع الإلكتروني <http://fr.wikipedia.org/wiki/civilisation>

6- علي الوردي : مطلق بن خلدون في حضارته و شخصيته، مطبعة جامعة الدول العربية - معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1992، ص 77.

7- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2007، ص - ص 275 - 276.

8- الصغير بن عمار : الفكر العلمي عند بن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، الجزائر، 1984، ص 48.

و مذاهبه من المطابخ و الملابس و الملباي و الفرش و سائر عوائد المنزل و أحواله¹. و من مفسد الحضارة، الانهماك في الشهوات و الاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفنن في شهوات البطن من المأكول و الملاذ و المشارب و طيها².

و من هذه النصوص نستنتج آراء ابن خلدون في الحضارة، و منها أن الأمم تمر بثلاث مراحل و أطوار³:

ففي الطور الأول: تعيش عيشة البدو في الصحاري و القفار و لا تعرف قانونا و لا تحكمها سوى حاجات و عادات⁴، و هو ما يعبر عنه بالجيل الأول.

و في الطور الثاني: تصل الأمة إلى تأسيس الدولة حيث الانتقال إلى الجيل الثاني الذي يشيد الملك و يؤسس الدولة و يسن القوانين.

و في الطور الثالث: تنحرف الأمة أو الدولة إلى حالة الخضر، و تنغمس في الترف و الملاهي، فتنهار الدولة إذ يفقد الجيل الثالث العصبية.

و هكذا يرى ابن خلدون أن لكل حضارة حدا تقف عنده، وذلك هو انتهاء عمرها، و من هذا الحد يستأنف السير مجتمع أو أمة أخرى جديدة، و لعل هذا أهم ما جاء به ابن خلدون من جديد في عصره⁵.

مالك بن نبي (1325هـ - 1393هـ / 1905م - 1973م)

و يستند مالك بن نبي في دراسته لحضارة الأمم على دراسة حركة التاريخ التي تؤثر في ثلاثة عوامل: تأثير عامل الأشخاص و تأثير عامل الأفكار و تأثير عامل الأشياء⁶، في شكل متكامل

1- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص183، عبد الكريم الجزائري : المرجع السابق، ص38، محمد هيشور، المرجع السابق، ص100.

2- عبد الرحمن بن خلدون، نفسه، ص378، محمد هيشور، المرجع نفسه، ص101.

3- الصغير بن عمار : المرجع السابق، ص- ص 77- 78.

4- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص279.

5- طه حسين، فلسفة بن خلدون الاجتماعية، نقله إلى العربية محمد عبد الله عنان، مطبعة الإعمار، مصر، ط1، 1925، ص67.

6- آمة تشيكو : مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و آرنولد توينبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989، ص116.

ومترابط يجعل الإنسان محور التأثير و التأثير، و بهذا فإن حركة تطور الأمم و الشعوب مرهونة بالتغيرات النفسية للأشخاص و الاجتماعية للظروف المحيطة، و بما أن قواعد حركة التاريخ ثابتة لا تغيرها عوامل البيئة و لا الزمان، فإن انبعاث أية حضارة و تحديد لها لا يتم إلا في الظروف نفسها التي نشأت فيها أول مرة¹.

و الحضارة عند مالك بن نبي تقوم على الصيغة أو المعادلة التالية: إنسان + تراب + وقت = حضارة²، دون أن يغفل وجود عامل يؤثر في مزج هذه العناصر الثلاث و هو ما عبر عنه مالك بن نبي بالعقيدة أو الفكرة الدينية التي رافقت قيام الحضارات عبر التاريخ³.

و بعد امتزاج آثار هذه العوامل الثلاثة (الأشخاص - الأفكار - الأشياء) تتجسد العلاقات الاقتصادية و بقية العلاقات الحضارية بصفة عامة، و التي ظلت مشروطة بوجود علاقات شخصية، نفسية و اجتماعية، و هذا عكس المدرسة الماركسية التي ترجع الشبكة الاجتماعية و الحضارية بصفة عامة إلى المخطط الاقتصادي، و تجعل العلاقات المادية أساسا تقوم عليه كل النشاطات⁴. و يرى مالك بن نبي أن الحضارة تمر بثلاث مراحل :

1. مرحلة الروح أو نقطة البداية و الإنطلاقة في فجر كل حضارة مع ظهور فكرة دينية يكون فيها الإنسان ذا فعالية اجتماعية و طاقة حيوية كبيرة، و هذا هو العصر الذهبي للحضارة لأن الأمة تتمتع بقوة جماعية.
2. مرحلة بداية بعض المظاهر السلبية و الانحرافات بتغلب المصالح الفردية على المصالح الجماعية بحيث تتفكك القوى و تنقسم الحركة الاجتماعية إلى حركة مضادة و حركة تواصل رسالة التحضر و لعلها هي القلة.

1- مالك بن نبي : ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهي، دار الفكر، سوريا 1962، ص70.

2- أمانة تشيكو : المرجع السابق، ص118، و محمد هيشور: المرجع السابق، ص66.

3- مالك بن نبي : شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سوريا، 1976، ص53.

4- مالك بن نبي : ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص30.

3. مرحلة التفكك النفسي، و بالتالي السقوط و الإنهيار الحضاري، و من خصائص هذه المرحلة سيادة النزعة الفردية و تفكك العلاقات الاجتماعية، و هذا ما يعرف في تاريخ الحضارات بمرحلة الأفول¹.

و أما أبو الأعلى المودودي (1323هـ - 1399هـ / 1903م - 1979م) فقد جاء تصوره عن قيام الحضارة على أساس الغاية التي بعث الرسل و الأنبياء لتحقيقها في الحياة، و هذا يكون ضمن منهج أوله العقيدة، ثم الجماعة، ثم المجتمع، وبالتالي توسيع دائرة الإسلام و تقليص دائرة الجاهلية²، فعوامل قيام الحضارات و تكوينها عند المودودي هي تصور الحياة الدنيا، غاية الوجود، العقائد و الأفكار الأساسية، تربية الأفراد و إعداد الإنسان، النظام الاجتماعي³، و يعلن المودودي أسباب سقوط الحضارات و هلاك الأمم بفساد الأخلاق و البعد عن الله و انتشار حب الذات و المادة، و يعطي مثالا عن الهند التي ارتبطت بفساد القلة من أتباع التابعين حيث فتر لإيمانهم و غلب عليهم حب المغام المادية، و طالبوا الناس بطاعتهم بدل طاعة الله، فكانت النتيجة بقاء السواد الأعظم من أهل شبه جزيرة الهند على غير الإسلام رغم وجوده في البلاد قرونا عديدة⁴.

و المودودي من الذين يرون أن الحضارات تسقط بعوامل داخلية و أسباب ذاتية، و أن أية حضارة تنشأ تحمل بذور فنائها⁵، و من بين المفكرين الغربيين نذكر:

أرفالد شبنجلر (1888م - 1936م)

واكتفى أرفالد شبنجلر بتفسير الحضارة تفسيراً بيولوجياً⁶، و لما كانت الحضارة كالكائن البيولوجي عند شبنجلر، فإنها تمر بنفس الأدوار التي يمر بها الإنسان من طفولة و شباب و رشد و شيخوخة، ففي دور الشباب تتوفر القوة و الإبداع ثم تظهر عليها علامات الشيخوخة فتسقط

1- مالك ابن نبي : ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص- 71 - 72.

2- محمد عمارة : أبو الأعلى المودودي و الصحوة الإسلامية، دار الشروق، ط1، 1987، ص89.

3- أبو الأعلى المودودي : الحضارة الإسلامية، أسسها و مبادئها، دار الأنصار، القاهرة، دت، ص7.

4- أبو الاعلى المودودي : نحن و الحضارة الغربية، دار الفكر الحديث، لبنان، دت، ص27.

5- نفسه، ص28.

6- عبد الرحمن بدوي : شبنجلر، دار القلم، الكويت، 1982، ص34.

وتموت¹، فيغدوا حال الحضارة كحال غابة عملاقة جفة أغصانها و التوت أعناقها، و هذا ما نشاهده في بقايا وأطلال تلك الحضارات العملاقة كحضارة الفرس و الروم² و الهند³، و ليس معنى هذا فناء الحضارة فناءً نهائياً، بل تبقى قادرة على البقاء و الاستمرار، فتكون كالشجرة التي استنفذت أغصانها أوراقها، ثم لا زالت تدب داخل عروقها مياه الحياة⁴.

إن رؤية شبنجلر للحضارة، و التي تأثرت إلى حد بعيد بنظرية ابن خلدون في تطور الدولة، واجهت إنتقالات عدة خاصة في نقطتين أساسيتين:

1. فيما يخص نبوءته المتصلة بتدهور الغرب و سقوط حضارته التي دخلت مرحلة المدنية، و دور الاستمتاع المادي الذي لا ينتظر بعده إلا الفناء. و غضب المفكرون الفرنسيون على شبنجلر غضباً شديداً بسبب هذه النبوءة السوداء بمستقبل حضارتهم⁴.
2. في تشبيهه لدورة الحضارة بدورة الكائن الحي إلى مدى بعيد لا يتفق و المنهج العلمي، لأن الكائنات العفوية الحية تبدأ في الضعف و التدهور بعد أن تبلغ درجة معينة من النمو البدني، في حين أن الشعوب و الأمم يجددها شبابها و نشاطها مع تجدد و ميلاد الأجيال، و إن كانت للأمة شيخوخة الكائنات الحية، فإن شيخوخة الأمم الحضارية لها مفهوم آخر في الضعف و الفساد و بروز ظواهر اجتماعية و سياسية و ثقافية تحل بكيانها عندما يدب إليها الهوان نتيجة أسباب و عوامل عدة⁵.

1- نعمان عبد الرازق السامرائي : في التفسير الإسلامي للتاريخ، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د.ت، ص 123.

2- أرفالد شبنجلر : تدهور الحضارة الغربية، ترجمة أحمد الشيباني، ج 1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1964، ص 218.

3- عبد الرحمن بدوي : المرجع السابق، ص 103.

4- محمد عفت الشرقاوي : فلسفة الحضارة الإسلامية، دار النهضة، بيروت، ط 2، 1981، ص 198.

5- حسين مؤنس : التاريخ و المؤرخون، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص 174.

و يمكن تلخيص هذا النقد في رأي أحد تلامذة شبنجلر، عندما ذهب إلى أن هذه الرؤية "الشبنجلرية" تمكننا من الحكم على مستقبل أية حضارة بدراسة ما قطعت من أطوار حياتها، فنعرف ما بقي من عمرها¹.

و رغم هذا النقد الشديد لشبنجلر، إلا أن آراءه أثرت في مفكري الغرب بعد الحرب العالمية الثانية أمثال تويني و كولن ولسن، اللذين أصبح أكبر شغلهم مصر الحضارة الغربية خاصة و الحضارات الإنسانية عامة.

أرنولد تويني (1889م - 1975م)²

و قد اعتمد أرنولد تويني دراسة مقارنة للحضارات، حيث اختار من حضارات العالم إحدى وعشرين حضارة، فدرس كل واحدة دراسة شاملة و عميقة، تبين له بعد ذلك أن حضارة كل أمة إنما هي استجابة لتحدي الظروف التي وجدت فيها هذه الأمة، و رأى تويني أن أي مخلوق حي يجد نفسه بمجرد خلقه أمام عوامل تعمل على إفناؤه و أخرى تعمل على قوته و إبعاده³، و من هنا تولدت نظرية "التحدي و الإستجابة"⁴ لدى تويني، و اتضح له أن المجتمعات تقودها دائما الزمرة المختارة و أصحاب الرأي في الأمة نحو التحضر، استجابة للتحدي المضروب على الناس، و تكون الاستجابة هي الإبداع و الابتكار في الأفكار و الوسائل، و عندما تصل عملية ما إلى ذروة الإنتاج و الاختراع، تنصرف الصفوة المبدعة إلى انشغالات أخرى و تبدأ الحضارة في التدهور و الإنحطاط ثم الأفول و السقوط، و بالتالي ترتد المجموعات البشرية إلى مرحلة البداوة تحقيقا للمقولة الخلدونية القائلة "إن البداوة⁵ غاية للحضارة"⁶.

1- حسين مؤنس : المرجع السابق، 176.

2- أمنة تشيكو : المرجع السابق، ص 65.

3- حسين مؤنس : التاريخ و المؤرخون، المرجع السابق، ص 176، محمد هيشور: المرجع السابق، ص 91.

4- نعمان عبد الرزاق السامرائي : المرجع السابق، ص 114.

5- البداوة في مفهوم ابن خلدون تعني بداية الحياة أو العمران، و تكون في الصحراء أو الريف، ينظر : زيب الحصري: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1989، ص- ص 207- 208.

6- حسين مؤنس : التاريخ و المؤرخون، المرجع السابق، ص 178.

إن العامل الأساسي في نشوء الحضارات في نظر توينبي هو التحدي الخارجي و الإستجابة الداخلية، و قد استخلص توينبي هذه النظرية من خلال دراسته للحضارات و منها الحضارة الفرعونية. و ينكر توينبي التفسير البيولوجي للحضارات، كما ينكر تأثير عامل واحد في قيام الحضارة أو سقوطها، فيقول رداً على الذين يرون أن عامل البيئة الجغرافية هو الأساس في قيام الحضارة، بأن هناك جماعات بشرية أقامت حضارات استجابة لعامل الجفاف و الفقر، و شعوب أخرى نعمت في الشواء و لم تعرف أي ازدهار حضاري¹، أي أن عوامل قيام الحضارات تتمثل في التفاعل ما بين التحديات الخارجية، الطبيعية و البشرية، و الإحتياجات الداخلية من الفرد و المجتمع. و هنا يشترك توينبي مع مالك ابن نبي في هذا التصور، حيث هذا الأخير يعتقد بأن للاستعمار دوراً في إيقاظ الشعوب المستعمرة، فالاستعمار عامل خارجي حرك بتحديه قوى كامنة في الأمة، و بالتالي الاستجابة و ردود الفعل المقاومة له.

و يرى توينبي أن من أكبر التحديات البشرية، هي الصدمات الخارجية للاحتلال الأجنبي التي تثير الطاقات الإبداعية الكامنة في الأمة، فتقابل التحدي بنفس القوة المهاجمة أو أشد². و أحسن وضعيات الحضارة عندما تتكافأ قوى التحدي و الإستجابة، و إذا حدث اختلال في التوازن، أدى ذلك إلى اختلال في نمو الحضارة و استمرار رقيها. و يحمل توينبي عوامل سقوط الحضارات في ثلاثة أسباب: فشل القوة المبدعة - فتور إيمان الأغلبية - فقدان وحدة المجتمع في شمول علاقات أفراد و ترابط أسر.

إن إيمان توينبي بعملية تأثير و تأثير الحضارات فيما بينها بفضل تبادل و توارث الإنجازات الإنسانية في شتى الميادين، جعله يصنف الحضارات إلى قسمين:

1- أرنولد توينبي : مختصر دراسة التاريخ، ترجمة محمد فؤاد شبيب، ج1، طبعة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، القاهرة، 1961، ص105.

2- محمد فؤاد شبيب : منهج توينبي التاريخي، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، سلسلة الثقافة، العدد 209، 968، ص53.

1. الحضارة الأصلية: وهي الحضارات التي نشأت دون الإتصال بحضارات سابقة، لكن كانت قاعدة ارتكزت عليها و اقتبست منها الحضارات التي أعقبتها ممثلة في حضارة بلاد الرافدين و الحضارة المصرية.

2. الحضارة المشتقة¹: وهي التي أخذت و ارتكزت عن ما سبقها من حضارات. كما يرى كارل ماركس أن كل شيء أصله الأول المادة، و حتى الأفكار و المفاهيم و الوعي مرتبطة أولاً و بشكل مباشر بالنشاط المادي، و حاول أن يجد معياراً مادياً لتطور الحياة الإنسانية². إن آراء ماركس كانت وليدة العقيدة اليهودية التي كانت تنتظر مملكة أرضية تحقق فيها سيادتها المزعومة في قيادة الإنسانية، و تلك هي العدالة الاجتماعية المرجوة. إن فكرة الصراع الطبقي في بناء المجتمعات و تحقيق العدالة فكرة مرفوضة، لهذا لا يمكن تعميم آراء و نظريات الفكر الماركسي في تفسير الظواهر الاجتماعية و القضايا الحضارية³.

ألفريد نورث واتهيد

و يقدم ألفريد نورث واتهيد تعريفاً عاماً بسيطاً للحضارة، فالإنسان أو المجتمع المتحضر هو من سيطرت عليه المزايا التالية: الصدق، الجمال، الفن، السلام و المغامرة، على أن تتمثل هذه المزايا الخمس في كل جوانب الخبرة⁴.

و نستنتج من خلال هذه الآراء و التصورات أن الحضارة مصطلح أطلق على نتاج الإنسان و إنجازه، و نظمه و ما يحى به و ما يحتاجه لشؤونه، و هي أمور شاركت فيها أمم و أجناس خلال التاريخ حيثما تقيم⁵، أي هي ذلك الكل المتكامل مما أنتجه أو أنجزه الإنسان في جميع النواحي، الفكرية و الاجتماعية و العمرانية و الأخلاقية، أي كل ما يتعلق بحياة الإنسان في

1- أمة تشيكو : المرجع السابق، ص70.

2- هارترت : الحب و الحضارة، ترجمة مطاع صفدي، دار الآداب، بيروت، 1975، ص11.

3- محمد أبو القاسم : العالمية الإسلامية الثانية، دار المسيرة، لبنان، ط1، 1979، ص13.

4- أ.هـ. جونسون : فلسفة واتهيد في الحضارة، ترجمة عبد الرحمن ياضي، نشر بالإشتراك مع مؤسسة فرن كلين للطباعة

و النشر، بيروت، نيويورك، 1965، ص15.

5- عبد الرحمن علي حجي : المرجع السابق، ص68.

جانبيها المعنوي والمادي، أو كما عرفها محمد بن عبد الكريم الجزائري "أنها ظاهرة اجتماعية تتبلور في نظم محكمة و آثار ماثلة"¹، أي هي ظاهرة لمجتمع ما، تقوم في ظل نظم سياسية و اقتصادية وإدارية و قضائية و ثقافية محكمة و تتجسد في فن العمارة بجميع أنواعها، مثل تخطيط المدن وتشديد البنيان و الرسم و النحت و جميع الفنون الجميلة. و تعرف الحضارة أيضا بأنها محاولات الإنسان في الاستكشاف و الاختراع و التفكير و التنظيم و العمل على استغلال الطبيعة للوصول إلى مستوى حياة أفضل، و هي حصيلة جهود الأمم كلها على مر التاريخ. و في هذا الصدد يقول بول ديورنت: "ليس التاريخ إلا موكب الدول و الحضارات التي تنشأ و تزدهر ثم تضمحل و تفتن، و لكن كل منها تخلف وراءها تراثا من العادات و الأخلاق و الفنون تلقاها الحضارات التي تأتي من بعدها، فهي كالعنائين في سباق يسلم كلا منهم مصباح الحياة إلى غيره"².

و للحضارة مظاهر بارزة في كل النواحي و المجالات، و هي على الشكل التالي:

المظهر السياسي: و يتمثل في نظم الحكم و مؤسساته

المظهر الاقتصادي: و يضم وسائل الإنتاج و تكوين الثروة و تبادل المنتوجات

المظهر الاجتماعي: يتكون من المجتمع و نظمه و العلاقات الأسرية.

المظهر الفكري: يتمثل في الفلسفة و العلوم و الآداب

المظهر الديني: و يشمل المعتقدات الدينية و العبادات

المظهر الفني: و يعني الفن المعماري و النحت و الرسم و الموسيقى.³

2- مفهوم العمران:

لتحديد معاني مصطلح العمران علينا أن نستعرض معنييه اللغوي و الإصطلاحي:

1- محمد بن عبد الكريم الجزائري : المرجع السابق، ص 38 .

2- ول وويل ديورنت : قصة الحضارة، المجلد 1، ترجمة محمد بدران، ط 1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988، ص 9.

3- نفسه، ص 10.

أ - لغة:

العمران: العماثر: جمع عمارة أو عمارة، أي عمارة الأرض، و هي فوق البطن من القبائل أولها الشعب ثم القبيلة ثم البطن ثم الفخذ¹. و تعني أيضا السكن في موطن ما بصورة دائمة، و العمل على إقامة بنيان هذا السكن و تأهيله، و العمل على تقدمه و ازدهاره². و أصل كلمة عمران "عمر" التي تعني إما: أن يعيش أو يسكن أو يقطن أو يستقر فيبقى في مكان ما.

ب - أن يصبح مسكونا أو مستقرا أو مزروعا، أي عامرا بالناس و الحيوانات و النبات، فيصبح بحالة حسنة، و هو شيء يخالف الفقر و الضياع و الخراب. ج - الزراعة أو البناء أو الأشياء³.

ب - اصطلاحا:

أما مفهوم العمران الاصطلاحي، فسنركز على ما ذكره بن خلدون، فمحمد رعد يقول عن كتاب العبر:

"و إنما هو على الأكثر عنوانا لمحاولة جريئة علمية تضع العمران كعلم في مقدمة العلوم الطلائعية، فيجعل العالم في مسيرته التاريخية قائما عليه كنظام عالمي يستند في الأساس على الفكر و الحس السليم، و يقوم على التجربة و هي تجارب الأمم في غابر حياتها و حاضرها... إن تاريخ ابن خلدون الكبير مع "المقدمة"، يصلح أن يكون مدخلا للكتابة عن العمران، إذ استطاع أن يمهّد السبيل لنشر أفكاره و تعميمها عن طريق التاريخ⁴.

فعنوان المؤلف الذي ابتدأه بـ "العبر"، يعني ما استخلصه أو يجب أن يستخلصه كل من أراد أن يتابع آراءه في تحديد معاني العمران، و هو ما اصطلح على الرمز إليه بـ "المبتدأ" لأنه قدم قدم الخليفة، و بعد ذلك وجد أن ليس هناك فن اجل و أفضل من "التاريخ" الذي سماه "الخبر"،

1- ابن منظور : المصدر السابق، الجزء 4، ص 280

2- سعيد محمد رعد : العمران في مقدمة بن خلدون، دار طلائع للدراسات و الترجمات و النشر، ط 1، سوريا، دمشق، 1985، ص 27.

3- نفسه، ص 522.

4- نفسه، ص - ص 12 - 13.

وهو من ألصق الأمور بـ "المتدا"، فأصبح العنوان بذلك يعني ما يحصل عليه الإنسان و المجتمع البدوي و الحضري في أدوار ترقية عبر التاريخ، و هو ما اصطلح عليه ابن خلدون لكلمة "العمران"¹.

و يعرف ابن خلدون العمران بما يلي: "و هو التساكن و التنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشير و اقتضاء الحاجات، لما في طباعهم من التعاون على المعاش، و من هذا العمران ما يكون بدويا و هو الذي يكون في الضواحي و الجبال و القفار و أطراف الرمال، و منه ما يكون حضريا، و هو الذي بالأمصار و القرى و المدن..."².

و يجعل ابن خلدون للعمران عمرا محسوسا كالأشخاص بقوله: "و العمران كنه من بداوة و حضارة و ملك و سوقة "الرعية" له عمر محسوس، كما أن للشخص عمرا محسوسا، وتبين في المعقول و المنقول أن الأربعين سنة للإنسان غاية في تزايد قواه و نموها". كما يربط ابن خلدون العمران بـ "المدنية" في الباب الأول من "المقدمة": "...أن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: (الإنسان مدني بالطبع) أي لا بد له من الاجتماع الذي هو "المدنية" في اصطلاحهم وهو معنى العمران³. إلا أن المدنية عند اللغويين مشتقة من لفظ تمدن الرجل أي هي صفة اكتسابية تظهر في سلوك الشخص، و هي وليدة التربية و التهذيب، أي التخلق بسلوك مهذب و جميع ما هو ضد الوحشية و الممحية، أما العمران فهو وليد العلم و الاختراع و هو جزء من الحضارة يضم أنظمة جماعية و اختراعات مادية محسوسة⁴. و يعطي ابن خلدون الإنسان الدور الأول في مفهومه للنظرية العمرانية، حيث اعتبر العضو البشري أساس الاجتماع الإنساني، وبالتالي اعتمار و عمران العالم⁵.

1- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص58.

2- نفسه، ص56.

3- نفسه، ص57.

4- محمد بن عبد الكريم الجزائري : المرجع السابق، ص- ص 40- 41.

5- سعيد محمد وعد : المرجع السابق، ص57.

إن ابن خلدون استعمل مصطلح العمران للتعبير عن الاجتماع البشري ونتاجه، كما استعمل علم العمران مشيراً إلى دراسة ظواهر هذا الاجتماع¹.

يرتكز العمران على ثلاث قواعد أساسية أو أصول عامة وهي:

أولها: المكان الذي يتسنى للناس الإقامة فيه والاستقرار والسكنى.

ثانيها: الاجتماع الإنساني، أي اجتماع الإنسان وتعاونه مع غيره وهي من طبائع العمران، وهنا يقول ابن خلدون: "أعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الذي هو عمران العالم..."².

ثالثها: العمل الذي لا يتم إلا بمساهمة كل فرد قدر استطاعته، إذ أن مظاهر العمران أعمال من تدبير الإنسان، لهذا دعا ابن خلدون العمران بأوصاف منها: العمران البشري، العمران البدوي، والعمران الحضري. فنظريته تركز على أبعاد كثيرة أهمها النواحي الإنسانية الاجتماعية والمكانية والزمانية، أي (الإنسان - المكان - الزمان) وهي الركائز الثلاثة الأساسية لقيام العمران.

إن البيئة الجغرافية لها دور في لم شتات الجماعات البشرية وتوحيد نشاطها العمراني، ويستتبع من هذا سر تركز حل الأديان والبعثات النبوية في المنطقة المعتدلة من جزيرة العرب والشام ومصر³. وإن كان إنسان العصر الحديث قد تمكن بفضل الله والعلم والإرادة والعمل من جعل قلب الصحراء والجبال والأوعار بوادر حضارية ومنجزات مدنية عظيمة، وتمكن من الاستفادة من كل مكونات البيئة⁴.

لقد اختلف العلماء في تحديد معاني العمران بالضبط، فمنهم من سماه المدنية وآخرون سموه بالثقافة وكثيرون جعلوه مرادفاً لكلمة الاجتماع، لكن الحضارة والثقافة تختلفان عن العمران الذي يشمل كل شيء إنساني وحضاري وثقافي، فالحضارة والثقافة تبدآن حين ينتهي عمر العمران، أي أنه سابق الوجود عنهما.

1- عبد الرحمن علي حجي : المرجع السابق، ص 69.

2- سعيد محمد رعد : المرجع السابق، ص 208.

3- عماد الدين خليل : ابن خلدون اسلامياً، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، دمشق، 1985، ص 41.

4- توفيق محمد سيع : قيام حضارة في القرآن، ج1، دار المنار، ط2، القاهرة، 1984، ص 59.

و خلاصة القول أن العمران دور يقوم به الإنسان منذ الخليقة بالتساكن و الاستقرار في مكان ما، بقصد التعاون و التأنس للحصول على معاشه بالعمل و التفكير، و بالتالي تحصل العلوم والصنائع الكثيرة، و ذلك على مر الأيام و الأجيال.

3 - مفهوم العمارة:

يتقسم مفهوم العمارة إلى قسمين هما:

أ - لغة:

ما يعمر به المكان¹، فيقال لساكن الدار: "عامر" و الجمع "عمّار" لقوله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾²، أي بيت في السماء معمور بالملائكة³.

و قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾⁴، أي أذن لكم في عمارتها، وجعلكم عمارا تعمرونها و تستغلونها⁵، أي كلفكم بعمارها بالحق و العدل و العمل الصالح⁶. و المعمر: المنزل الواسع من جهة الماء و الكلاء، ذكر ابن الأثير أن الشجرة العمرية هي العظيمة القديمة التي أتى عليها عمر طويل⁷.

ب - اصطلاحاً:

العمارة منشأة مؤلفة من كتلة و فراغات تقوم باستيعاب نشاط إنساني كالإسكان والعبادة و العمل و الدفاع، و شروطها المتانة و الراحة⁸. بدأت العمارة في العصر الحجري، كان

1- ابن منظور : المصدر السابق، ص278.

2- سورة الطور : الآيتين 4، 5.

3- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، المجلد4، ط2، دار الكتب العلمية، عماد علي بيضون، بيروت، 2006، ص218.

4- سورة هود : الآية 61.

5- ابن كثير : المجلد3، المصدر السابق، ص425.

6- محمد سعيد رمضان البوطي : منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر، ط1، سوريا، 1984، ص26.

الزبحشري: الكشاف، المصدر السابق، هود، ص85.

7- ابن منظور : المصدر السابق، ص279.

8 عفيف البهتسي : العمارة و المعاصرة، دار الشرق للنشر، دمشق، 2005، ص7.

قوامها الحجر الضخم أو الخشب، و كان الهدف منها إيواء الساكنين و حمايتهم من العدوان، كما ظهرت مادة الطين اللين و المشوي "الآجر".

و مع بداية التاريخ أصبحت العمارة فنا و علما يتطلب دراسة هندسية و اهتماما جماليا، ظهر ذلك في العمارات الأولى في مصر القديمة و بلاد الرافدين¹. و مع منتصف القرن التاسع عشر تطورت صناعة الحديد و الصلب لتصبح المادة الإنشائية الأساسية في العمارة، حيث ساعد الحديد على إنشاء عمارات و أبراج مثل برج إيفل و ناطحات السحاب. استفاد المعمار أيضا من الزجاج في إقامة منشآت حديدية زجاجية تبدو في قصور البلور التي ظهرت خاصة في لندن، باريس و بيسطن، كما ساعد الكهرباء في تطور العمارة، حيث ساهم في تأمين التكييف و الإنارة الضرورية و التزيينية.

و ما يهمنا في هذه الدراسة هو العمارة الإسلامية لأن الدولة الرسمية تمسكت بشروط هذه العمارة في بناء و تخطيط و إعمار مدنها خاصة عاصمتها تهرت بسبب تمسكها بالدين الإسلامي و الحضارة الإسلامية عموما².

و العمارة الإسلامية اسم أطلق على الفن المعماري، الذي ساد المناطق التي مستها الحضارة العربية الإسلامية بعد الفتوحات، و يشمل البلاد الواقعة بين خليج البنغال شرقا و المحيط الأطلسي غربا، وينطوي هذا النطاق على ظروف طبيعية متقاربة، أنتجت وضع أسس متشابهة للحضارة معمارية تميزت منذ بدايتها، بصفتي الوحدة و التنوع³.

لقد ساهمت في نشأة و تطور العمارة الإسلامية عدة عوامل دينية و بيئية و اقتصادية و سياسية تكاد تكون متشابهة في جميع أقطار العالم الإسلامي، مما زاد في توثيق روابطها، و أفضى على الطراز

1- عفيف البهتسي : للرجع السابق، ص7.

2- محمد علي دبور : تاريخ المغرب الكبير، ج3، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، 1963، ص547.

3- G. Marcais. L'architecture Musulmane d'occident , Paris, 1955, p3.

الإسلامي طابعه العام الذي يتسم به، وهو طابع الوحدة الظاهرة التي لا مجال لإنكارها رغم احتفاظ كل قطر بطابع محلي مميز له و خاص به¹.

كانت العمارة الإسلامية و لا تزال تحتل مكانة مرموقة بين طراز العمارة التي عرفتها الحضارة الإنسانية العامة، فمن جهة، أضافت العمارة الإسلامية إلى التراث المعماري العالمي نظاما تخطيطية جديدة كالمساجد و المدارس و الزوايا، و من جهة أخرى أدخلت على نظم العمارة الجناثرية و المدنية و الحرية أنظمة جديدة جعلت لها طابعا فريدا مميزا، و ما "تاج محل" بالهند و "طوبقابي سرا" باسطنبول بتركيا و قصر "الحمراء" بغرناطة باسبانيا، إلا خير شواهد مادية حية باقية تكفي للتدليل على ذلك². و تنقسم العمارة الإسلامية تبعا للوظيفة التي تؤديها إلى عدة أنواع ومنها:

- العمارة الدينية: و التي تحتل المكانة الأولى و المقام الأسمى بين أنواع العمار الإسلامية الأخرى، ويرجع ذلك إلى العاطفة الدينية و الرغبة في التقرب إلى الله سبحانه و تعالى. وتشمل العمارة الدينية المساجد و الجوامع و المدارس و الزوايا، و تأتي عمارة المساجد على رأس النظم التخطيطية في العمارة الإسلامية عامة و العمارة الدينية خاصة، فالمسجد هو بيت الله، و تعميره من أفضل القربات إلى الله عز و جل، و أسس المسجد لتقام فيه الصلاة التي هي عماد الدين، و من ثم علت منزلة المسجد عند المسلمين، علما أنه لم تقتصر وظيفة المسجد في أول الأمر على الصلاة، بل كان مركزا للحكم و الإدارة و الدعوة و التشاور، كما كان محلا للقضاء والإفتاء و العلم و الإعلام و غير ذلك من أمور الدين و الدنيا. فقد ارتبطت الفنون الإسلامية على اختلافها بالمسجد و بعمارته و أثاثه و شعائره³.

1- شافعي فريد : العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، القاهرة، 1980، ص- ص 231 - 292، فكري أحمد : عوامل دراسات في الآثار الإسلامية، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، القاهرة 1979، ص- ص 7-1.

2- محمد حمزة اسماعيل الحناد : المجلد في الآثار و الحضارة الإسلامية، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006، ص485.

3- الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية، مطبعة القاهرة، ط2، 1990، ص- ص 25 - 26.

- العمارة الجنائزية: وتشمل المدافن و الترب و القباب و المشاهد و العتبات المقدسة، سواء كانت منفردة بذاتها، أو ملحقة بغيرها من العمائر الدينية غالبا و المدنية و الحربية أحيانا¹.

- العمارة المدنية: تشتمل على عدة أنواع من عمائر بحرية و صحية و سكنية و تجارية و غيرها. أما العمارة الحربية فتشمل القلاع و الحصون و القصبات و ما يربط بها من أسوار و بوابات وأبراج و مرافق أخرى متعددة².

و في كتب الرحالة³، وردت عدة مصطلحات، منها ما تعلق بالمدن الإسلامية و مرافقها المختلفة، و منها: الخطط، المحلات، الرحاب، الدروب، الشوارع، المربعات، الأزقة، المقابر، القرافة، المصليات، و غيرها من المصطلحات، كما وردت مصطلحات تتعلق بالعمارة الحربية، منها: الرباط، القلعة، الحصن، القصبة، المحرس، المرقب، الحصار، الخندق، البرج، السور⁴، و أخرى خاصة بالعمارة الدينية مثل المسجد، الجامع، الزاوية، المدرسة، الساحة، المتدنة، المقصورة، وغير ذلك، و أيضا مصطلحات خاصة بالعمارة المدنية، و منها: الدار، البيت، القصر، الديوان، الرواق، الجناح، المقصورة، الميزاب، القبة، و غيرها⁵، كما وردت مصطلحات تتعلق بالعناصر المعمارية و مواد البناء و الزخرفة مثل، العمود، القوس، القنطرة، الركن الأسطوان، الآجر، الطوب، الحجر، الرخام، و غيرها من المصطلحات، علما أن هذه المصطلحات كانت متطابقة ومتشابهة مع مثيلاتها

1- محمد حمزة اسماعيل الحنّاد : المحمل في الآثار و الحضارة، المرجع السابق، ص 488.

2- نفسه، ص نفسها، أما قبة الصخرة فكان بناؤها نموذجا معماريا نادرا في العمارة الإسلامية عامة، و في بلاد الشام خاصة، للمزيد عنها ينظر، بدر محمد عباس : قبة الصخرة، ضمن كتاب دراسات في الآثار الإعلامية، مطبعة القاهرة، 1979، ص- ص 75- 82، فان يرشم، مارجریت، واورى، سولانج: القلص الإسلامية في أعمال ماكس يرشم، ترجمة عطى الله دهمية و آخرين، دمشق، 1994، ص 41، و ينظر أيضا، عبد الله كامل: الأمويون و آثارهم المعمارية، مطبعة القاهرة، 2003، ص 54.

3- هم كثيرون منهم : القلصادي- رحلة القلصادي/الحسن الوزاني: وصف افريقية/الورثيلاني: الرحلة الورثيلية/ابن بطوطة: الرحلة/ابن جبير: الرحلة/المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب/المعديسي: أحسن التقاسيم/المقري: الخطط المقريريه و غيرهم كثير.

4- محمد حمزة اسماعيل الحنّاد : المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، ط 1، القاهرة، 2001، ص 18.

5- نفسه، ص 19.

التي وردت في كتاب المؤرخين المعاصرين، كان هؤلاء الرحالة يشيرون إلى المصطلح المتداول والشائع في بلدانهم، و ما يقابله في البلدان الأخرى التي يزورونها، مما سهل توحيد هذه المصطلحات بين الأقطار العربية والإسلامية، و مثالا على ذلك، ما أورده المقديسي عند حديثه عن أبنية غزنين¹ بقوله: "و بنيانهم عامته خشب، فيه شيء يقال له "غشك" يشبه فسيفساء مصر"². فالمقديسي يضيف مصطلحا جديدا غير معروف بين جمهوره الأثاريين و هو "غشك" أو فسيفساء، حيث توجد دولة أفغانستان كمرادف لمصطلح الفسيفساء و الذي كان متداولاً في مصر و الحجاز و الشام و غيرها من أقطار المشرق الإسلامى³، و هنالك مرادف آخر لهذين المصطلحين، كان شائعاً في المغرب الإسلامى و هو "الفص المذهب"⁴، أو المفصص المعروف في المشرق بالفسيفساء⁵، و منه ما أورده ابن بطوطة عند حديثه عن مدينة النخف بقوله: "و حيطانها بالقشاني، و هو شبه الزليج عندنا، لكنه لونه أشرق و شكله أحسن"⁶، و قد عرف أحيانا باسم القيشاني أو الكاشن (القاشي) و هو ما ذكره ياقوت الحموي في معجمه⁷، أي أن مصطلح القشاني يرادف مصطلح الزليج في المغرب، و من قول ابن بطوطة عن مصر "و أما الزوايا في مصر فهي كثيرة، و هم يسمونها الخوانق واحداً خائفة، و الأمراء في مصر يتنافسون في بناء الزوايا..."⁸،

1- غزنين : وصفها المقديسي بأنها: "قصة ليست بالكبيرة، إلا أنها رحيبة منعمة رفيعة الأسعار، كثيرة الدحوم، طيبة الفواكه مع كثرتها، و لها مدن جليلة، و المعاش بها حسنة، و هي أحد فرض خراسان و خزانة السند"، ينظر، المقديسي: أحسن التقاسيم، بيروت، 1987، ص239.

2- نفسه، ص239.

3- محمد حمزة اسماعيل الخنداد : المدخل، للرجع السابق، ص23.

4- ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تقدم محمد سويدي، الجزائر، 1989، ص63.

5- المقرئ : مع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1998، ص- ص 69- 70.

6- ابن بطوطة : المصدر السابق، ص119.

7- ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995، ص296.

8- ابن بطوطة : المصدر السابق، ص33.

أي أن مصطلح الخانقات بمصر يرادفه مصطلح الزاوية بالمغرب، و الذي كان يعرف أيضا بالرباط¹ قبل القرن 6هـ/12م. و بخصوص مواد البناء، أورد ياقوت الحموي عن الآجر بقوله "و هو بلغة أهل مصر "الطوب" و بلغة أهل الشام "القرميد"²، كما عرف الآجر عند العراقيين بـ "الطابوق"³.

و ذكر المقديسي اختلافا في مسميات المنشآت التجارية، فذكر مثلاً، فندق، خان، دار التجار⁴، و يقول ابن بطوطة: "و بكل مرحلة، و منها فندق، و هم يسمونه الخان، يتزله المسافرون بدواهم، و بخارج كل خان ساقية للسيل و حانوت يشتري منه المسافر ما يحتاج إليه لنفسه ولدابته⁵، أي أن مصطلح الفندق الذي ما زال متداولاً في المغرب، يرادفه في مصر لفظ الخان، حيث زارها ابن بطوطة عام 726هـ/1325م.

و بعد هذا الوصف للعمارة و مصطلحاتها و مقارنتها مع مصطلحي الحضارة والعمران، نستنتج أن العمارة هي الجانب التطبيقي و العلمي و الفني للعمران البشري و الذي ينتهي بمظهر من مظاهر الحضارة الإنسانية، فمن خلال العمارة و منجزاتها و فنونها، نتعرف على درجة و مستوى ما حققته و توصلت إليه في مسيرة حضارتها.

4 - مفهوم الثقافة:

مصطلح الثقافة له دلالات متعددة، و لاستنتاج مفهوم شامل يجب علينا معرفة مفهومها اللغوي و الاصطلاحي:

1- الرباط: الحصن أو المكان الذي يربط فيه الجيش، و الأنسب كلمة رباطات، و هي المعاهد الدينية و الموقوفة للمقراء، ينظر، ابن خلدون: المقدمة للمصدر السابق، ص 442.

2- ياقوت الحموي : المصدر السابق، ج 1، ص 51.

3- عباس التميمي: الطابوق، صناعته و أشكاله في العراق، مجلة سومر، العدد 1 - 2، بغداد، 1982، ص - ص 276 -

4- المقديسي : المصدر السابق، ص 39.

5- ابن بطوطة : للمصدر السابق، ص 43.

أ - لغة:

الثقافة من الثقف الذي له عدة معان في لغة العرب، فقد وردت بمعنى الخدق¹، ويقال ثقف الشيء بمعنى أسرع في التعلم، أي فهم العلم في وقت سريع²، كما تعني أيضا وجود الشيء والعثور عليه، وهذا ما تعبر عنه الآيتان الكريمتان: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾³، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا﴾⁴.

و تعني أيضا تسوية الشيء و تقويم اعوجاجه، كما تستعمل بمعنى التأديب و التهذيب⁵، وهناك من عرفها بمعنى الحبس و القيد، حيث قال ابن العربي: "و هو (الثقف) عندي بمعنى الحبس"⁶، و قال الدباغ: "و لما مرح عقبة من ثقافه و توجه إلى الشام..."⁷.

ب - اصطلاحا:

تطور مفهوم الثقافة عبر التاريخ، و لعل أول من استعمل المصطلح هم الألمان (Kultur) و تعني عندهم الحضارة، و أخذ اللفظ من كلمة (Cultura) في اللغة اللاتينية بالقرون الوسطى، وتعني اصلاح الشيء و تهذيبه و إعدادة للإستعمال، و من هنا قالوا⁸ (Agri- culture) أي اصلاح الأرض و زراعتها، و الشبه بين الفلاحة و الثقافة هو أن الفلاحة تصلح الأرض و تنميها

1- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص438.

2- مالك ابن نبي : مشكاة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة و النشر، دمشق، 1984، ص19.

3- سورة البقرة : الآية 191.

4- سورة آل عمران، الآية 112.

5- محمد بن عبد الكرم الجزائري : المرجع السابق، ص10.

6- محمد بن العربي : أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البحاوي، ج2، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1957، ص86.

7- الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أصل القيرون، ج1، تحقيق، محمد ماضور، و محمد الأحدي أبو النور، مكتبة الحنفي، مصر، المكتبة العتيقة، القاهرة، تونس، 1972، ص41.

8- سليمان الخطيب : أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص25، و يطر أيضا

<http://fr.wikipedia.org/wiki/civilisation>

الموقع الإلكتروني السابق:

مثمنا تذب الثقافة العقل، أي اصلا ح الشيء و تذيبه و استغلاله¹، حيث استعملت في الأدب اللاتيني المسيحي بمعنى تذيب الروح و العقل.

و لعل أشهر التعاريف المتداولة هو تعريف ادوارد تايلور، أحد رواد النظرية التطورية في الأنثروبولوجيا، حيث قدم في كتابه "الثقافة البدائية" عام 1871م تعريفا للثقافة: "هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعارف، و العقائد و الفنون، و الأخلاق و القوانين و العادات، و أية قدرات و خصال يكتسبها الإنسان، نتيجة وجوده كعضو في المجتمع"². و من هنا نستنتج أن الثقافة مرتبطة بوجود الإنسان أو لا وجوده³، بحيث أدرج تايلور في تصوره للثقافة جميع أنشطة الإنسان، مما جعل البعض يعرفها بهذه الصيغة: "الثقافة هي طريقة عيش الجماعة"⁴.

إن هذه الرؤيا هي وليدة مناخ فكري و حضاري غربي محض مما دفع أحد كبار المفكرين في العالم العربي و هو الجزائري مالك بن نبي إلى وضع كتاب أسماه "مشكلة الثقافة"، جاء فيه تعريف عام و شامل بقوله: "هي الجو العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معين و سلوك الفرد فيه بطابع خاص يختلف عن الطابع الذي نجده في مجتمع آخر"⁵. فالثقافة إذن هي كل ما يميز الإنسان عن غيره و يجعله مخلوقا بشريا، و هي كذلك ما يميز شعبا عن الشعوب الأخرى، لهذا استبعد العلماء و منهم "كلود ليفي شتراوس" أن يكون شعب ما بلا ثقافة، و لكن ما يحدث هو أن يتعرض للغزو فيصبح بدون ثقافة أصلية، و هذا ما حدث لكثير من الشعوب كالهنود الحمر في

1- محمد عيلى : الإشعاع الفكري في عهد الأغابية و الرسميين خلال القرنين 2-3هـ/8-9م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة تلمسان، 2007-2008، ص3.

2- مجموعة من الكتاب : نظرية الثقافة، ترجمة علي سيد الضاوي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب، الكويت، 1997، ص9، و ينظر أيضا: Edouard : primitive culture , ed, John Taylor Murray, London, 1971, p1.

3- علي كبريت : المرجع السابق، ص28.

4- ر. بودون و ف. بوريكو : المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حناد، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1986، ص486.

5- مالك بن نبي : تأملات، دار الفكر للطباعة و النشر، ط5، دمشق، سوريا، 1991، ص147.

أمريكا الشمالية، الذين أحبرهم الغزو العسكري الأنجلو سكسوني في الشمال، و الإسباني والبرتغالي في الجنوب على اعتناق المسيحية و حمل أسماء إسبانية.

بعدما ذكرنا مفهوم الثقافة عند العرب و الغرب فهي تعني في أوسع معانيها الإنسان نفسه، أو جوهر الإنسان، أو خلاصة نفس الإنسان، فهي داخلة في كل ما يتصل به الإنسان، فكريا وجسميا و أخلاقيا، و في هذا المعنى الواسع تشمل الثقافة كل ما يقوم به الإنسان من مجهود في سبيل تحسين حياته، و كسب خبرات و مهارات و معارف تجعل منه مخلوقا مثقفا. فالثقافة إذن هي أسلوب الشعب في الحياة، و الأسلوب هو الذي يميز الإنسان عن غيره، و هنا يقول الناقد الفرنسي "سانت بييف": "إن الإنسان هو الأسلوب" فلا عبرة بمكان و لا فرق بين حيل و آخر، فالإنسان هو الإنسان، و الحسن هو الحسن و القبيح هو القبيح¹.

5- مفهوم الفكر:

مما لا شك فيه أن كل حضارة ثمرة للفكر الإنساني الذي لا يمكن أن ينضب في تحدده وإبداعه، و ما الإنحطاط الحضاري إلا نتيجة إنحطاط ذلك الفكر²، و له مفهومان لغوي واصطلاحي:

أ- لغة:

معناه لغويا، أعمال الخاطر في الشيء، يقال رجل فكير أي كثير الفكر أو كثير التفكير والتأمل². استعمال العقل لإدراك العلوم و المعارف، و قد اختلف العلماء في تحديد العقل و مكانه في الإنسان، لكن الصواب و ما له دلائله في السنة و القرآن، هو أن العقل نور إلهي في القلب يهذي إلى التفكير و التأمل و التفريق بين الحق و الباطل.

كما وصف رب العزة عز و جل القلوب بالعقل في الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا أَقْلَمَ يُسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾³. و بما أن العقل متفاوت بين الأشخاص، غريزة

1- محمد بن عبد الكريم : المرجع السابق، ص20.

2- ابن منظور : المصدر السابق، المجلد2، ص1120.

3- سورة الحج : الآية 46.

واكتساباً، فإنه تعذر على الناس أن يتساووا في إدراك المعارف و العلوم، و هذا ما نستنتجه من قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾¹، أي إنما يعلم الفرق بين هذا و ذاك من له لب و هو العقل².

ب - اصطلاحاً:

أما معناه الاصطلاحي، فنستخلصه من خلال ما جاء به ابن خلدون في مقدمته، فهو يقول: "أن الفكر تميز به البشر عن الحيوانات، و اهتدى به لتحصيل معاشه و التعاون عليه مع أبناء جنسه، و النظر في معبوده، و ما جاء به الرسول من عنده، فصارت جميع الحيوانات في طاعته وملك قدرته، و فضله به على كثير من خلقه"³، ذلك أن الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانية م الحس و الحركة و الغذاء، و إنما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به،... فهو مفكر، لا يفتر عن الفكر طرفة عين، بل اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر، و عن هذا الفكر تنشأ العلوم والصنائع... يكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من إدراكات، فيرجع إلى من سبقه بعلم، أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك، أو أخذه ممن تقدمه من الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه، فيتقن ذلك عنهم و يحرص على أخذه و علمه⁴. لقد رد ابن خلدون على الفلاسفة السابقين الذين يعتبرون العقل بمثابة الميزان الصحيح لأن أحكامه لا كذب فيها⁵، بأنه لا ينكر ميزة العقل و فضله عند البشر، فهو يرى في العقل نعمة، و يرى له دورا هاما في الفكر الإنساني، و لكنه يحدد له مجاله وميدانه، فيقول: لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد و الآخرة و حقائق النبوة و حقائق الصفات الإلهية، و كل ما وراء صورته، فإن ذلك طمع في محال، و مثال ذلك، مثال رجل رأى الميزان الذي نوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال⁶، فابن خلدون جعل للعقل ميدانا و للشرع ميدانا آخر، فلا يمكن للعقل أن يتستقل بمطلق المعرفة أو يصل إلى طريق الهداية دون أن يهتدي بنور

1- سورة الرمر : الآية 9.

2- ابن كثير : تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، ص44.

3- عبد الرحمن بن خلدون : كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، جلد الأول، ط1، دار ابن حزم للطباعة و النشر، بيروت، 2003، ص329، و يطر أيضا المقدمة: المصدر السابق، ص437.

4- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص437.

5- الصعير بن عمار : المرجع السابق، ص- 17- 18.

6- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص439.

الشرع، بل هو عاجز أن يتمكن من الحقيقة، لا سيما حقيقة ما وراء الطبيعة إذا لم يستعن بوحى الله الذي هدى، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾¹. لقد فصل ابن خلدون بين تفكيرين أو بين علمين هما: العلوم العقلية، وأداة تحصيلها هي الحواس و العقل، أما العلوم النقلية، فسيبلها إلينا هو الوحي²، و هناك عرف الفكر الحكمة، و تمثل هذه الحكمة مثلاً في رأي سلمان الفارسي³، الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه و سلم بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، و بذلك سلم المسلمون. و يقول الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾⁴. ينقسم الفكر إلى ثلاثة مراتب و هي:

- الفكر العملي: و هو الذي يستعمله الإنسان للحصول على حاجاته اليومية، و هنا يقول ابن خلدون: "و منها السعي في المعاش و الاعتماد في تحصيله و اكتساب أسبابه فهداه الله إلى التماسه و طلبه"⁵، و قوله تعالى:

﴿الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾⁶.

- الفكر الاجتماعي: و هو الذي يتلقاه الإنسان من المجتمع، و ينظم علاقات الفرد بالمجتمع على شكل قوانين أخلاقية و سلوكية.

- الفكر النظري: هو الذي يستعمله الفرد في الحصول على العلوم و يميز الإنسان عن الحيوان⁷،

1- سورة النحل : الآية 78

2- الصغير بن عمار : المرجع السابق، ص- ص 15- 16.

3- سلمان الفارسي : صحابي جليل من ماجوس أصبهان، أسلم على يد الرسول صلى الله عليه و سلم و جعل أميراً على "المدائن"، فأقام بها إلى أن توفي سنة 36هـ/656م بعدما عمر طويلاً رضي الله عنه، ينظر، محمد عبد الكريم: المرجع السابق، ص 116

4- سورة البقرة : الآية 269.

5- عبد الرحمن بن خلدون : العبر، المصدر السابق، ص 33، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 55.

6- سورة طه : الآية 50.

7 - عبد الله شريط: الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2، الجزائر، 1981، ص- ص

وهذا ما توضحه الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾¹.

إذن نستنتج أن الفكر صفة سامية ميز بها الله بني البشر عن سائر الكائنات الحية، و أكرمه بها و سخر له ما في الكون و هيأ له أسباب الحياة، فيقول جلت قدرته: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُثْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾².

7 - مفهـوم الخـوارج:

عرف مصطلح الخوارج بتعريفات كثيرة نستعرض منها:

أ - لغة:

الخوارج: الحرورية، و الخارجية طائفة منهم، لازمهم هذا الاسم لخروجهم عن الناس، و في حديث ابن عباس أنه قال: "يتخارج الشريكان و أهل الميراث.

ب - اصطلاحاً:

عرف أهل الملل الخوارج بتعريفات منها ما بينه:

أبو الحسن الأشعري: بقوله: "و السبب الذي سموا له الخوارج، خروجهم عن علي³ رضي الله عنه لما أحكم"⁴.

1 - سورة الأعراف : الآية 179.

2 - سورة الإسراء : الآية 70.

3- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن رابع الخلفاء الراشدين، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم و صهره، ولد بمكة سنة 23 ق هـ/600م، توفي سنة 40هـ/661م، ينظر النسائي : خصائص من أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، تحقيق، أحمد مبرين البلوشي، مكتبة اخلا، الكويت، 1986، ص140، و ينظر أيضا، اليعقوبي: البلدان، منشورات محمد علي يعضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص- ص 104- 105، قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم (أنت مني و أنا منك)، البخاري: صحيح البخاري، ج3، ص1357، البخاري: فضائل الصحابة من فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق خالد عبد الفتاح شبل، الشركة العلمية للكتاب، بيروت، ط1، 1990، ص140.

4- أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، الجزء1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص207، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق، خليل مأمون شبيحة، ج1، دار معرفة للطباعة و النشر و التوزيع ط1، بيروت، لبنان، 1997، ص19.

ابن حزم: بين أن اسم الخارجي يتعدى إلى كل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا عن عبي بن أبي طالب كرم الله وجهه، و شاركهم في معتقدهم حيث قال: "و من وافق الخوارج من إنكار التحكيم و تكفير أصحاب الكيثر و القول بالخروج على أئمة الجور، و أن أصحاب الكيثر غلدون في النار، و أن الإمامة جائزة في غير قريش، فهو خارجي و إن خالفهم، فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون و خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجا"¹.

أما الشهرستاني: فقد عرف الخوارج بتعريف عام حيث قال: "كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، يسمى خارجيا، سواء كان هذا الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أم كان بعدهم على التابعين بإحسان و الأئمة في كل زمان..."².

ابن حجر: يعرفهم قائلا: "و الخوارج هم الذين أنكروا على علي كرم الله وجهه التحكيم و تبرؤوا منه، و من عثمان و ذريته و قاتلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة"³. و في تعريف آخر قال: أما الخوارج فهم جماعة خارجة أي طائفة، و هم قوم مبتدعون سمو بذلك لخروجهم عن الدين، و خروجهم على خيار المسلمين"⁴.

أما أبو الحسن المظني: فيرى أن أول الخوارج المحكمة الذين ينادون (لا حكم إلا لله) و يقولون: (علي كفر) فرقة الخوارج ممية لخروجهم على علي رضي الله عنه يوم الحكمين حين

1- ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل و الأهواء و النحل، الجزء 2، المطبعة الأدبية، مصر، 1320هـ، ص 113.

2- الشهرستاني: الملل و النحل، المجلد 1، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1980.

ص 114، المرد: لا لكامل، ج 3، علق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، مصر للطبع و النشر، د.ت، ص 76.

3- ابن حجر العسقلاني: هدى الساري في مقامة فتح الباري، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة، د.ت، ص 459، ينظر

أيضا، ابن خلدون: العبر، المصير السابق، ص 1087.

4- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج 2، المطبعة السلفية، ط 2، القاهرة، د.ت، ص 83.

كروهوا التحكيم و قالوا: (لا حكم إلا لله)¹. و هناك من قال: "الخوارج هم الذين يكفرون بالمعاصي، و يخرجون على أئمة الجور"².

و للخوارج ألقاب أخرى عرفوا بها، و من تلك الألقاب: الحرورية- الشراة- المحكمة- المارقة، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة، فغنهم ينكرون أن يكونوا مارقين من الدين كما يبرق السهم من الرمية³.

و من العلماء من يرى بأن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه⁴ باحداثهم الفتنة التي أدت إلى قتله و هو ابن اثنتين و ثمانين سنة⁵، ظلما و عدوان، و سميت تلك الفتنة بالفتنة الأولى⁶، و قال شارح الطحاوية: "الخوارج و الشيعة حدثوا في الفتنة الأولى"⁷، و قد أطلق ابن كثير على الغوغاء الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه و قتلوه، اسم الخوارج حيث قال: "وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال و كان فيه شيء كثير جدا"⁸.

1- أبو الحسن المنطقي : التنبيه و الرد على أهل الأهواء و البدع، مكتبة المنى، بغداد، 1968، ص47، الشهرستاني: المصدر السابق، ص- ص 114-138، علي جفال : الخوارج، تاريخهم و أدهم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1990، ص20.

2- ناصر العقل، الخوارج، دار الوطن، الرياض، ط1، 1995، ص28.

3- الخوارج سموا أولا بالمحكمة لقولهم عندما اعترضوا على التحكيم: (لا حكم إلا لله)، كما سموا أيضا بالحرورية نسبة إلى حروراء، و هي قرية قرب الكوفة خرجوا إليها أول الأمر، و من أسمائهم أيضا الشراة لقولهم: "شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بضاها بالجنة"، أما الاسم الذي غلب عليهم، فهو الخوارج لخروجهم على علي كرم الله وجهه، ينظر، أبو الحسن الأشعري: المصدر السابق، ج1، ص207، علي محمد الصلابي: فكر الخوارج و الشيعة في ميزان أهل السنة و الجماعة، مؤسسة اقرأ لنشر و التوزيع و الترجمة، ط1، الفسطاط، 2005، ص14.

4 - عثمان بن عفان: يكون بأبي عبد الله، و هو ذو النورين و أمير المؤمنين، أسلم في أول الإسلام و كان يقول: "إني لأربع أربعة في الإسلام"، ابن الأثير: أسد الغابة، المصدر السابق، ص215، قال النبي صلى الله عليه و سلم: 'من يحفر بئر رومة فه الجنة، فحفرها عثمان، و من جهز جيش العسرة فجهزه عثمان"، البخاري: المصدر السابق، ج3، ص1352.

5- المسعودي : مروج الذهب و معادن الجواهر، تحقيق مصطفى السيد بن أبي ليلي، ج2، المكتبة التوفيقية، د.ت، ص314.

6- ناصر علي عائص : عقيدة أهل السنة و الجماعة في الصحابة الكرام، ج3، مكتبة الرشد، ط1، 1999، ص1141.

7- محمد بن علي الأدرعي : شرح العقيدة الطحاوية، أخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، ج1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1391هـ، ص67.

8- ابن كثير : البداية و النهاية، دار الريان، ط1، 1988، ج7، ص202.

إن مصطلح الخوارج لا ينطبق إلا على الخارجين بسبب التحكيم، بحكم كونهم جماعة في شكل طائفة لها اتجاهها السياسى و آراؤها الخاصة، أحدثت أثرا فكريا عقائديا واضحا بعكس ما سبقها من حالات¹.

إن ما يهمنا في هذه الدراسة ليس مفهوم مصطلح الخوارج و بداية ظهورهم بقدر ما يهمنا كيفية وصولهم إلى المغرب و نشر أفكارهم و تأسيسهم كيانات سياسية خاصة بهم. فكيف تم لهم ذلك؟ و ما هي أفكارهم و آراؤهم؟

يعود ظهور الخوارج إلى أخطر شقاق في الإسلام، عقب معركة صفين²، التي دارت رخاها على شاطئ الفرات سنة 37هـ/657م³، بين الإمام علي كرم الله وجهه، و معاوية بن أبي سفيان⁴ رضي الله عنه، توقفت الحرب بسبب رفع جيش معاوية للمصاحف مناديا بتحكيم كتاب الله تعالى⁵، هذه الحادثة كانت سببا في انقسام صف علي كرم الله وجهه إلى مناصرين له وهم الشيعة، و رافدين للتحكيم و هم الخوارج الذين اعتزلوا عليا، و بقوا أعداء لمعاوية و أتباعه من الشاميين⁶، و نادوا بشعارهم "لا حكم إلا لله" و قد جاء في صحيح مسلم من حديث عبيد

1- علي محمد الصلابي : المرجع السابق، ص16.

2- صفين: موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجهة الغربية بين الرقة و بالس، ينظر، الطبري: تاريخ الأمم و الملوك، الجزء 6، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، د.ت، ص330، يعقوبي: تاريخ يعقوبي، دار صادر، بيروت، ص190،

Amar Dhina : Grands tournants de l'histoire de l'Islam de La Barbar a l'attaque d'Alger par Charles Quint , 2^{ème} edition , societe national d'edition et de diffusion , Alger , 1982 , p , 48 – 50

3- محمد بن عميرة : دور زناتة في الحركة المنهية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص47، أبو زكرياء يحيى : سر الأئمة و أخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979، ص1 و أيضا:

Robert Mantrant : L'expansion Musulmane vll-xl siecle , presses universitaires de France , 1^{ère} edition , p116 .

4 - ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، دراسة و تحقيق و تعليق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص120.

5- قاسم بن أحمد الشيخ يلحاج : الظروف السياسية لنشأة الفرقة الإباضية، المطبعة العربية، غرداية، 1998، ص9.

6- سيمان داود بن يوسف : الخوارج هم أنصار الإمام علي، ج1، مكتبة البحث للطباعة و النشر، قسنطينة، 1983، ص92.

الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الحرية لما خرجت و هو مع علي كرم الله وجهه قالوا لا حكم إلا لله، رد عليهم بقوله: "كلمة حق أريد بها باطل"¹.

لقد كان أمير المؤمنين علي حريصا على إرجاعهم إلى جماعة المسلمين حيث أبدى كثيرا من الحلم و سعة الصدر، حتى أنه بعث عبد الله بن عباس إليهم لمناظرتهم حيث استجاب له حوالي ألفين منهم، ثم خرج هو بنفسه لمناظرة بقية الخوارج²، لكن دون جدوى، حيث انفصل الخوارج في جماعة كبيرة قدر عددها ابن الكثير بثمانية آلاف³، وولوا عليهم عبد الله بن وهب الراسي⁴، الذي خطبهم خطبة بليغة، زهدهم في الدنيا و رغبهم في الآخرة و الجنة ، و حثهم على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و يذكر ابن كثير، أنه لما عرض الخوارج الإمارة على عبد الله بن وهب الراسي، قبلها و قال: "أما و الله لا أقبلها رغبة في الدنيا، و لا أدعها فرقا من الموت"⁵، و من اسمه أخذت الطائفة تسمية الزهوية، و انسحبوا بعد ذلك إلى قرية الحروراء و منها أخذ الخوارج اسم الحرورية⁶.

و لما اشتدت شوكتهم، و ذلك بالتحاق الكثير من أتباع علي كرم الله وجهه،
والتحاقهم بجيش عبد الله بن وهب الراسبي، الذي احتل موقعا استراتيجيا على الضفة اليسرى لنهر
دجلة، على طول ترعة هروان⁷، و نتيجة لشعورهم بالقوة، أخذت حركتهم تزداد تطرفا و تعصبا،

- 1- معناها: أن الكلمة أصلها صدق لقوله تعالى: "إن الحكم إلا لله" [سورة يوسف، الآية 40]، لكنهم أرادوا بها الإنكار على علي في تحكيمه، ينظر، الإمام مسلم: صحيح مسلم، بشرح النووي، المطبعة المصرية الأهرام، ط1، 1929، ج7، ص173.
- 2- النسائي: المصدر السابق، ص200، علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص- ص24-25.
- 3- ابن الكثير: البداية و النهاية، للمصدر السابق، ج7، ص- ص280-281.
- 4- عبد الله بن وهب الراسبي بن يدعان بن مالك، من قبيلة الأزد، كان من أنصار علي كرم الله وجهه في معركة صفين ثم أنكر التحكيم، بايعه المحكمة سنة 37هـ/ 657 م، قتل بين الخطاب الأرجوني و زياد بن حفص في معركة النهروان، ينظر فرحات الجعبري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج1، نشر جمعية التراث، القرارة، 1987، ص47، بلحاج معروف: العمارة الدينية الإباضية بوادي ميزاب، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2002، هامش ص23.
- 5- ابن الكثير: البداية و النهاية، المصدر السابق، ج7، ص312.
- 6- الحروراء: هي كورة واسعة بين بغداد و واسط غير بعيد من الكوفة، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، دار صادر بيروت، لبنان، 1995، ص- ص316-317.
- 7- نهروان: مدينة صغيرة ببغداد "العراق"، لها نهر جليل تجري فيه المراكب العظام، ينبعث من جبال أرمينيا بالجانب الغربي، لها مسجد جامع، و في الجانب الشرقي مسجد جامع أيضا و أسواق كثيرة، ينظر، محمد بن المنعم الحيمري: الروض المطعار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، ط1، بيروت، 1990، ص740، -

و اتصف عندهم بالكفر و الردة كل من لا يرى رأيهم¹، و لا يتبرأ من علي و عثمان رضي الله عنهما²، و لم يتورعوا عن قتل الصحابة و النساء كقتلهم عبد الله بن خباب³، و بالرغم مما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة، لم يبادر أمير المؤمنين إلى قتالهم، بل أرسل إليهم أن يسلموا القنلة لإقامة الحد عليهم فأجابوه: "كلنا قتلة"⁴.

و عقب ذلك و في 9 من سفر 38هـ/658م، كانت موقعة النهروان، حيث هزمهم علي كرم الله وجهه، و قتل عبد الله بن وهب الراسي و عدد كبير من أصحابه . ففرق بعد ذلك الخوارج و قروا قتل علي و عثمان و عمر بن العاص رضي الله عنهم، و فعلا كان لهم ذلك بقتل الأول سنة 40هـ/661م⁵.

استمرت حركة الخوارج في مهاجمة الدولة الجديدة في الكوفة و البصرة، لكنها باءت بالفشل هزيمتهم و قتل زعيمهم الثاني أبو بلال⁶، و ذلك سنة 61هـ/680م.

و بينما كان تعليم الناس دينهم الجديد يجري في المناطق الخاضعة فعلا لسلطة الدولة الأموية بصورة طبيعية، مع الإلحاح على ضرورة طاعة أولي الأمر، أي الخلفاء الأمويين و عمالهم بعد ثبوت شرعية تعينهم، فإن دعاة الفرق المعادية لهم كانوا يتوغلون في المناطق التي لم تكن خاضعة لهم، و ينشرون

=المعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص44.

1- ابن حجر : فتح الباري، المصدر السابق، ج12، ص301، حيث يقول: "إن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دماءهم، و تركوا أهل اللمة".

2- الشهرستاني : المصدر السابق، ج1، ص117.

3- ابن أبي شيبه : المصنف في الأحاديث و الآثار، طبع الدار السلفية، ط1، بومباي، الهند، 1403هـ ج15، ص- ص 310- 311.

4- نفسه، ج15، ص- ص 308- 309.

5- محمد بن عميرة : المرجع السابق، ص84، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد 1، ص1086.

6- أبو بلال مرداس بن حدير التميمي: شهد صفين و أنكر التحكيم، و شارك في معركة نهروان، ثم سجنه بن زياد، و لما أطلق سراحه، خرج في ثلاثين رجلا، استطاعوا أن يهزموا أسلم بن زرعة الذي أرسله إليهم بن زياد في ألفي رجل، لكن هذا الأخير بعث إليهم عباد بن الأخضر في أربعة آلاف، فهزمهم و قتل أبو بلال، ينظر: الميرد: الكامل، ج3، دار فضاء

مصر، د.ت ، ص217، فرحات الجعيري: المرجع السابق، ص49، و ينظر أيضا: Chikh Bekri : Le Royaume Rostemide, Le premier etat Algerien , Edition, ENAG, Alger, 2005, p60 .

فيها تعاليم الإسلام، مع شرح نظريتهم السياسية وإثبات شرعيتهم للأمويين، وكانت الأسبقية في ذلك بالمغرب للخوارج الصفرية الذين قدموا إليه في أوائل القرن الثاني الهجري¹.

و كانت الأوضاع السياسية آنذاك في سائر العالم الإسلامي تمتاز بتزايد سحق الشعوب المفتوحة على ولاية بني أمية، والسياسة الجائرة التي سرى عليه الخلفاء قد جعلتهم في نظر كثير من أتقياء المسلمين منحرفين عن تعاليم الإسلام ومبادئه القائمة على العدل والمساواة والشورى، فقد استبدوا بالخلافة ولم يطبقوا النظام الشوري في اختيار الخلفاء وحادوا عن الإنصاف الذي نادى به الإسلام والذي يقوم على اتفاق مال الدولة في مصالح المسلمين، حيث أصبحت الأموال في العصر الأموي تنفق على الشهوات والتروات².

و نتيجة لهذا، شعر زعماء الأحزاب المناهضة لبني أمية من شيعة وخوارج بتدهور الأوضاع في مختلف الأنحاء، فراحوا يثيرون دعوتهم فيها، ويألبون شعوبها ضد بني أمية، في هذا الإطار تندرج دعوة الخوارج في المغرب، وقد لقيت هذه الدعوة ميدانا خصبا في مناطق عدة من المغرب.

و ترجع بداية ظهور حركة الخوارج في المغرب إلى أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة، حيث انتقل من المشرق بواسطة الخوارج الهاربين من قمع الأمويين، ومنهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري، الداعية الإباضي اليمني الأصل³، ويقول بوزيان الدراجي: "أنه كان من أولئك الخوارج أيضا من كان مندسا في صفوف جيوش الخلافة الزاحفة إلى بلاد المغرب،

1 - رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ج3، ص62.

2- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص533.

3- ابن الصعير: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد الناصر و إبراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، 1986، ص57، الدرر جيني: المصدر السابق، ج1، ص22، ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، ص170، ذكره القيرواني بعبد العالي، القيرواني: المصدر السابق، ص141.

و منهم عكاشة بن أيوب الفزازي الذي كان ضمن جيش عبيد الله بن الحبحاب¹، إضافة إلى دور عكرم² بن عبد الله مولى بن عباس، حيث تذكر المصادر الإباضية أنه قدم من أرض البصرة و معه سلمة بن سعيد على بعير واحد، فسلمة يدعو إلى مذهب الإباضية، و عكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية³. و مما ساعد على انتشار مذهب الخوارج في المغرب، تقارب نظريته في مسألة الإمامة المبنية على مبدأ الاختيار و نظام تعيين أشياخ القبائل فيه. أضف إلى ذلك شروع ولاية بني أمية في تنفيذ مشروع توظيف الخراج على الرعايا المسلمين عن مبدأ المساواة بين سائر الفئات.

بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز، فقد سببا سخط و غضب الأهالي، فكان لتحريض دعاة الخوارج صدى كبير خصوصا في جبل نفوسة⁴، و ناحية قابس⁵، و بعض الجهات في مناطق أوراس و في المغرب الأوسط و الأقصى، و كان ظهور حركتهم و بداية نشاطها على يد الصفرية. انقسم و تفرق الخوارج إلى عدة فرق و مذاهب⁶، نذكر منها:

1- يقول الرقيق القيرواني: (و كان صفرية يعبد الله و هو الذي قدم على طليعة أهل الشام مع عبيد الله ابن الحبحاب)، ينظر، الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 114، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1979 ج 4، ص 223، بوزياتي الدراجي: المرجع السابق، ص 32.

2- قال المالكي: (دخل عكرمة إفريقية و أقام بالقيروان، و بث بها العلم، و كان مجلسه في مؤخر جامع القيروان في غرب الصومعة)، ينظر، المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص 146، و ذكره الشحرستاني بين رجال الخوارج دون أن يحدد أي فرقة منهم، ينظر، الشحرستاني: المصدر السابق، ج 1، ص 137، أما ابن خلكان، فقال فيه: (و قد تكلم الناس فيه لأنه يرى رأي الخوارج)، ينظر، ابن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970، ج 3، ص 265.

3- الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 11، صالح باحية: الإباضية بالجزيرة، دار بو سلامة للطباعة و النشر و التوزيع، ونس، د.ت، ص - ص 24 - 25، إبراهيم بنماز: الشخصيات لها تاريخ عبد الرحمن بن رستم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 11.

4- نفوسة: جبال في المغرب (ليبيا حاليا)، و فيها منيران في مدينته، أحدهما سروس في وسط الجبل، و بها حيز الشعير ألد من كل طعام، و الأخرى يقال لها جادو من ناحية نغزوة، ينظر، يعقوبي: المصدر السابق، ص 184.

5- مدينة بين طرابلس و صفاقس، ثم المهديّة على ساحل البحر، و هي مدينة جليّة عامرة، حفت بها من نواحيها غابات جنات متنوعة و حدائق مصطفة و فواكه عامة رخيصة، و بها من التمر و الزروع و الضياع ما ليس بغيرها من البلاد، الإدريسي: المغرب العربي، من كتاب نزهة المشتاق، حققه و نقله إلى الفرنسية، محمد بلحاج صادق، المؤسسة العامة للنشر والإشهار، حيدرة، الجزائر، 1983، ص 141.

6- مبارك ميلي: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، ج 2، ص 56، يقول ابن =

- الأزارقة:

هم أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق الحنفي¹ الذين خرجوا معه من البصرة إلى الأهواز²، فغلبوا عليها وعلى كورها و ما وراءها من بلدان فارس، و كرمان في أيام عبد الله بن الزبير و قتلوا عماله بهذه النواحي، و كان معه أمراء من الخوارج³، ثم بايعوا بعد موت نافع قطري بن الفجاءة المازني و سموه أمير المؤمنين⁴.

و تلخص آراءهم في:- كفروا عليا و المسلمين جميعا ما عدا الأزارقة. - علوا في الحكم على مخالفيه و قضوا بتكفيرهم، فاستحلوا قتالهم و استحلوا قتل أطفالهم و شيوخهم⁵. - رفضوا القعود أو التقية و كفروا المؤمن، و اعتبروا المناطق التي يمارسون فيها سلطتهم دار هجرة و باقي المناطق دار كفر⁶.

- النجدية:

أصحاب بنجدة بن عامر الحنفي⁷، و قبل عاصم خرج من اليمامة مع عسكره للحاق بالأزارقة، فاستقبله عطية بن الأسود الحنفي و أبو فديك و بايعوه و سموه أمير المؤمنين، ثم اختلفوا

= خلدون: (اشرقت الخوارج على أربع فرق: الأزرق، النجدية، الإباضية، الصفرية)، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد 1، ص 1090.

1- هو أبو راشد نافع ابن الأزرق بن قيس بن هار، أحد بني حنيفة، كان أول خروجه بالبصرة في عهد عبد الله بن الزبير و في سنة 65 هـ، اشتدت شوكته، فبعث إليه عبد الله بن الحرث مسلم بن عيسى بن كزير بن ربيعة على رأس جيش كثيف، فقتل نافع في جمادى الآخرة، ينظر، اليعقوبي: المصدر السابق، ص 68، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد 1، ص 1090.

2- الأهواز: جمع هوز، و أصله حوز، لكن الفرس غيروها إلى هوز، و كان اسمه أيام الفرس خوزستان و هو عشرة مواضع، ينظر، محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص 49.

3- منهم عطية بن الأسود الحنفي، عبد الله بن الحوز و اخواه عثمان و الزبير، عمر بن عميرة العنبري قطري بن الفجاءة المازني، عبدة ابن هلال اليشكري و أخوه بن هلال صخر بن حبيب التميمي... في زهاء 30 ألف فارس ممن يرى رأيهم، ينظر، الشهرستاني: المصدر السابق، ج 1، ص 96.

4- الشهرستاني: المصدر نفسه، ص- ص 95- 97.

5- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد 1، ص 1090.

6- Laoust henri: Les schismes dans l'islam, edition payot, paris, 1965, p45.

7- بنجدة بن عامر الحنفي: استولى على اليمامة و البحرين سنة 66 هـ و في سنة 69 هـ قتل أصحابه، ينظر البغدادى: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2005، ص 71.

عليه فكفره قوم منه لأمر نقموها عليه¹. يرون أن إقامة إمام ليست واجبا شرعيا، بل هي واجب وجوبا مصلحيا بمعنى أنه إذا أمكن المسلمين أن يتواصوا بالحق فيما بينهم و ينفذوه، لم يكونوا بحاجة إلى إقامة إمام²، كما يرون أن الناس معززون فيه إلى أن تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام، و قالوا: ومن جوز العذاب على المجتهد المخطئ في الأحكام قبل قيام الحجة عليه فهو كافر³، و هم يخالفون الأزارقة كلية و لا يكفرون مرتكب الذنب⁴.

- الصفورية: تنسب إلى زياد بن الأصفر⁵ أو عبد الله بن الصفار⁶، استعملوا كل الطرق لنشر آرائهم مثل التجارة و الرحلات، و كذا الدعوة باسم الدين، و هو ما يتفق مع مزاج البربر⁷، الذين اعتنقوا هذا المذهب لما فيه من مبادئ قائمة على المساواة. إن الصفورية أقرب في تعاليمها إلى الأزارقة، لكنهم خالفوهم في بعض المبادئ، فهم لم يكفروا القعدة عن القتال، و اعتمدوا على مبدأ التنقية والكتمان⁸. بدأت الدعوة الصفورية من طرابلس ثم تحولت إلى ثورات نجحت في تأسيس إمارات منها: إمارة بني قرة اليفريجي بتلمسان سنة 122-162هـ/740-780م، و إمارة سجلماسة سنة 140-366هـ/757-976م⁹.

- الإباضية: سنتطرق إليها بالتفصيل في الفصل الثالث.

إن هذه الآراء و الأفكار، و إن برزت فيها صفة التكامل و الشمولية بين هذه المفاهيم الفكرية و الحضارية

1- الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص99.

2- محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص71.

3- الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص- ص99-100.

4- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1090، محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص71.

5- أحمد شبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، الدولة الأموية و الحركات الثورية و الفكرية خلالها، ج2، مكتبة النهضة الإسلامية، ط9، ص278.

6- الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص134، يوجد اختلاف في سبب التسمية، فقد قيل أنهم سموا كذلك بسبب كثرة العبادة التي أمكنت وجوههم فجعلتها مصفرة، ينظر: المورد: المصدر السابق، ج3، ص275.

7- موسى لقسال: تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومة للنشر و التوزيع، ط4، الجزائر، 2001، ص176.

8- حنا فاحوري و خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، ج1، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص138، و ينظر أيضا:

Louis Gardet: Les hommes de L'islam, edition hachette, 1971, p213.

9 - ذكر البكري أن الشروع في بناء سجلماسة كان في 104هـ و هذا لا يتطابق مع ما أجمعت عليه بقيت المصادر، لهذا المرجح يكون ما ورد في مصدره، تحريفا في النسخ أو خطأ مطبعيا لا غير، ينظر، البكري: المصدر السابق، ص149، ابن خلدون: العبر، المجلد2، ص2406، علي يحيى معمر: المرجع السابق، ص133.

و الثقافية، إلا أنها أظهرت لنا أن الحضارة و الفكر و الثقافة و الفكر و العمران و العمارة، ليست مدلولاً واحداً، إنما تحمل عدة دلالات و مفاهيم مختلفة، فالحضارة أوسع و أعم من الفكر و العلم و الثقافة و العمران و العمارة، فهذه المفاهيم الأخيرة ما هي إلا عناصر و أجزاء من الحضارة، و مظاهر تطلعنا على درجة رقيها أو انحطاطها. كما نستنتج أن الفكر هو القاعدة الأساسية التي ترتكز عليها قيام الحضارات، لأن المنجزات الحضارية في مختلف الميادين ما هي إلا انعكاس لإبداع الفكر البشري في صوره المادية و المعنوية، و بذلك يكون الفكر جزءاً من الثقافة ثم الحضارة، و كذا العلم الذي يعبر عن مدى نمو هذا الفكر من خلال تنوع العلوم و المعارف العقلية و العقلية، و حتى الصنائع و العمران البشري عموماً. فبقدر ما تكون هذه العلوم والصنائع و العمران مزدهرة، بقدر ما تكون الحضارة متطورة هي الأخرى. و بهذا الشكل تصبح العلاقة بين هذه المفاهيم علاقة تأثير و تأثر و تكامل، أما مصطلح الخوارج، خاصة الإباضية، فهو رأس موضوع هذه الدراسة، لأن وجود الخوارج بالمغرب هو ما أوجد الدولة الإباضية الأولى في المغرب الأوسط، و هي الدولة الرسمية، لهذا أوردنا هذا المصطلح، و ما استعراضنا لهذه التعاريف و المفاهيم إلا بقصد استخلاص العلاقة بينها، حتى يسهل علينا تحديد مسار بحثنا بعيداً عن أي تداخل أو خلط في المفاهيم. و بما أن موضوعنا يتناول دراسة مدينة تيهرت الرسمية، دراسة تاريخية حضارية خلال القرنين 2-3 هـ/8-9 م، فإنه سينصب حول جوانب متعددة، تاريخية و حضارية لن نخرج عن جوانب الحضارة العربية الإسلامية في شكلها العام.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية بالمغرب الإسلامي

خلال 2-3هـ / 8-9م و قيام الدولة الرستمية

المبحث الأول: أحوال و أوضاع المغرب الأوسط العامة قبل قيام

الدولة الرستمية

المبحث الثاني: تأسيس و نشأة الدولة الرستمية

المبحث الثالث: توطد دعائم الحكم في الدولة الرستمية و تطورها

السياسي

المبحث الرابع: انهيار و سقوط الدولة الرستمية

المبحث الأول: أحوال و أوضاع المغرب الأوسط العامة قبل قيام الدولة الرستمية

أولاً- الجغرافيا الطبيعية للمغرب الأوسط:

قامت مدينة تيهرت في المغرب الأوسط الذي يمثل جزءاً من كلمة عامة هي المغرب¹، كما سمي بإفريقية² التي كانت تعني ممتلكات قرطاجة³ الفينيقية على الساحل التونسي، أطلقها العرب الفاتحون على بلاد المغرب، و بامتداد حركة الفتح الإسلامي إلى ساحل المحيط الأطلسي و منها إلى بلاد الأندلس⁴، أصبح لفظ إفريقية غير كاف لتحديد هذا المجال الواسع الذي انطلق فيه المسلمون، ثم تطورت كلمة إفريقية و اتسعت لتشمل كل النطاق الساحلي

1- المغرب: يطلق لفظ المغرب على البلاد العربية الممتدة من الحدود المصرية اللبية إلى المحيط الأطلسي، و قد كان يدخل تحت هذا النطاق أيضاً، صقلية أي جنوب إيطاليا، و البلاد الأندلسية بما فيها إسبانيا و البرتغال، و كل بقعة حلها المسلمون في أوروبا الغربية، ينظر، ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية و الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص37؛ ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط3، 1957، ص20، ابن أبي عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق ج.س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، الطبعة 2، 1980، ص5، البغدادي: البلدان، المصدر السابق، ص342، و يراد به كما ذكر حسين مؤنس: "البلاد الإسلامية الواقعة من حدود برقة شرقاً حتى ساحل المحيط الأطلسي غرباً"، حسين مؤنس: المغرب و الأندلس، مكتبة الأسرة، مصر 2003، ص24، أو كما عرفه عبد الله القيسي الغرناطي: "المغرب ضد المشرق على أحد التأويلات"، أبو عبد الله القيسي الغرناطي: تحفة الألباب، مخطوط، ورقة رقم3.

2- إفريقية: أو وسط بلاد المغرب، و عند أهل العلم تعني القيروان، و قيل سميت إفريقية لأنها فرقت بين المشرق و المغرب، أو باسم أهلها الأفارقة من ولد فاروق بن مصرانم أو نسبة إلى إفريقش بن قيس بن صمي الحميري، ينظر، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص19، الحموي: معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، 1995، ص300، مؤلف مجهول: الاستبصار، ص111.

3- قرطاجة: بلد قديم في نواحي إفريقيا، كانت مدينة شائعة عظمة البناء، أسوارها من الرخام الأبيض، و عبي ساحل البحر بينها و بين تونس اثنا عشر ميلاً، يافوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج7، ص52، و قال بعضهم أنها بيت في زمن داوود عليه السلام أو قبل ذلك بكثير، ينظر، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص22.

4- الأندلس: هي رقعة جغرافية دعاها اليونانيون هيسبيريا Hesperia و منها أتى مصطلح إيبيريا، ثم دعاها الرومان هيسبانيا Hispania و منها أتى مصطلح إسبانيا أي إشبانيا عند العرب أو الأندلس، و تسمى أيضاً جزيرة الأندلس لأنها عبارة عن شكل مثلث يحيط به البحر من جميع جهاته الثلاث، فعنوها يطل على البحر المتوسط و شمالها و غربها يطل على المحيط الأطلسي، و حدها الشرقي جبال البيريني التي تفصلها عن أوروبا، أما عن إفريقية فيفصلها مضيق جبل طارق، ينظر، الإدريسي: المصدر السابق، ص- ص255-258، عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الخوارزمي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2006، ص- ص13-14، ابن حوقل: المصدر السابق، ج1، ص62، الفلقشدي: صبح الأعشى، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ص212، و قيل سميت بالأندلس نسبة إلى الأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح الذي برهأ، القرني: =

الذي يمتد من طرابلس¹ إلى طنجة² بل إلى سبتة³.

و مع توسع الفتوح الإسلامي، أخذ لفظ إفريقية يتقلص شيئا فشيئا، بينما أخذ لفظ المغرب في

الظهور⁴ و أصبح مدلول إفريقية يقتصر على الإقليم الذي يتوسطه القيروان⁵.

و هناك من ربط لفظ المغرب بعصر الفتنة بين علي كرم الله وجهه و معاوية رضي الله عنه،

أي منتصف القرن الأول الهجري، و كان يدل على الجزء الغربي من العالم الإسلامي الذي يتضمن

الشام و مصر و ما اتصل بهما، في مقابل المشرق الذي يشمل العراق و إيران و ما جاورهما⁶. و ما

يؤكد هذه الحقيقة أن علي بن أبي طالب في رسالة أرسلها إلى ابن عباس في البصرة قال فيها: "قد

أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب"⁷.

المصدر السابق، ص 123. و منهم من قال أما سميت نسبة للونين، فأطلقوا إسمهم عليها "فندالوسيا" و لما قدم المسلمون سموها الأندلس. القلقشندي: المصدر نفسه، ص 211، شكيب أرسلان: الحلال السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، م 1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص 32.

1- طرابلس: من مدن إفريقية، تقع في أقصى شرقها على ساحل البحر، و منها تبدأ إفريقية، ينظر، الحموي: المصدر السابق، ص ، اطرابلس بالأعصمية الإفريقية ثلاثة مدن، و سماها اليونانيون طربليطة [طر= ثلاث و بليطة= مدينة] ، و يذكر أن أثاروس قيصر هو الذي بناها، و تسمى أيضا مدينة أنلس، ينظر، البكري: المصدر السابق، ص- ص 6-7.

2- طنجة: مدينة بينها و بين سبتة مسيرة يوم واحد، و طنجة آخر حدود إفريقية من الغرب بينها و بين القيروان ألف ميل، ينظر، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 4، ص 43.

3 - سبتة: مدينة قديمة على بحر الزقاق من ناحية المغرب، و كان صاحبها أليان هو الذي أعان طارق بن زياد على دخول بلاد الأندلس، ابن أبي دinar: المصدر السابق، ص- ص 30-31، و يقال أنه نزلها سبت بن طوبال بن يافث بن نوح و إليه نسبت، المقرئ: المصدر السابق، ص 123، لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء 1964، ج 3، ص- ص 202-203.

4- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص 2.

5- القيروان: إسم مغرب، و هو بالفارسية كروان، و هي مدينة عظيمة بتونس، فتحها عقبة بن نافع سنة 60هـ / 279م، وكانت أول عاصمة أشعنت بالمغرب، ينظر، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 4، ص 346، و جاء في كتاب ابن أبي دينار: "قال بعضهم أن القيروان لا تخلو من السحب في غالب السنة... تنشأ السحابة بالقيروان و تمطر بصقلية" ينظر، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 19.

6- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، د.ت، ج 3، ص 172، موسى لقبال: المغرب الإسلامي من بناء معسكر اقرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، طه، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981، ص 14.

7- ابن الأثير: نفسه، ص نفسها.

و المغرب عند الكتاب الأوائل يبدأ مما يلي إفريقية غربا إلى سواحل المحيط الأطلسي، فقد ولي يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج ابن يوسف الثقفي إفريقية و المغرب، و هذا معناه أن المغرب غير إفريقية¹، أي أنه كان يضم كل الأقاليم الواقعة بين مصر شرقا و المحيط الأطلسي غربا². و قسمت بلاد المغرب جغرافيا إلى ثلاث أقاليم كبرى³، و ما يهمنا في هذه الدراسة هو:

✓ - المغرب الأوسط: و يمتد من ملوية غربا إلى بجاية شرقا⁴، و ذكر ابن عذارى اسم بلاد الزاب⁵، و ذكر أنه يمتد من طرابلس شرقا إلى مدينة قودة⁶، أو كما جعله أبو عبد الله القيسي الغرناطي في الصقع الثاني بقوله: "الصقع الثاني هو المغرب الأوسط وأوله تاهرت إلى سبتة إلى جبال درن"⁷.

- 1- محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي في المغرب العربي، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1966، ص14.
- 2- وديع أبو زهدون: تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط الخلافة في قرطبة، دار الأهلية للنشر و التوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص43، كما كانت تضاف إليه الأندلس و مصر.
- 3 - و هي: المغرب الأدنى، المغرب الأوسط، و المغرب الأقصى، و للمزيد، ينظر: ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج3، ص230، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص- ص 195-196، أحمد بن أبي راس الناصر، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، تقلص و تحقيق محمد غالم، ج1، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية، وهران، د.ت، ص61.
- 4- نصر الله سعيدون: تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح حتى سقوط غرناطة 20-640هـ/788-1492م، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص14.
- 5- الزاب: إسم يطلق على المنطقة التي تقع بين بسكرة و طولقة و تودر و قفصة و غيرها، كما يطلق على هر كان يجري بين سحلماسة و تسمان، و يوجد زاب أعلى و زاب أسفل، ينظر، ابن حوقل: صورة الأرض، دار صادر، ط2، بيروت، 1938، ص85، ابن عذارى: المصدر السابق، ص5، و يتدنى الزاب من تخوم المسيلة و يمتد شرقا إلى إقليم الجريد بنونس و هو منطقة رملية شديدة الحرارة، حسن الوزان: وصف إفريقية، ج2، ط2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص138.
- 6 - قودة: إسم لقبيلة من البربر بناحية إفريقية، لهم أرض تعرف بهم، ينظر، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص432.
- 7 - أبو عبد الله القيسي الغرناطي: المصدر السابق، ورقة 4.

الطبيعية التي يتمتع بها المغرب الأوسط، وجدت تضاريس متنوعة بسط الرستميون نفوذهم عليها، بحيث تمتد من شمال المغرب الأوسط سلسلتان جبليتان متوازيتان تعرفان باسم: أطلس التل و أطلس الصحراء¹، فتقسم شمال المغرب الأوسط إلى ثلاثة مناطق متباعدة فيما بينها و هي: المنطقة الساحلية، وتكثر بها سهول ضيقة غنية و كثيرة السكان، و المنطقة التلية، و هي الوجه الجبلي من جبال الأطلس الذي يلي البحر، و هي أخصب جهات المغرب الأوسط و أغناها من حيث التربة و الغابات، و منها خرجت كثير من المحاصيل الزراعية و غيرها عن طريق الموانئ الرستمية إل بلاد الأندلس². و تقع المنطقة الثالثة بين سلسلتي جبال الأطلس التلي و الصحراوي، و هي منطقة لانتشار النجود و الشطوط ، كما أنها فقيرة التربة و قليلة المياه، لذا فهي قليلة السكان، ضعيفة العمران³. تمتد سلاسل جبال الأطلس الصحراوي بانحدار شديد نحو الصحراء و تمثل منابع لبعض المجاري المائية القصيرة، و التي بدورها تغذي عددا من واحات الصحراء⁴، فازدهرت في هذا الإقليم المراعي التي أمدت الدولة الرستمية بثورة رعوية كبيرة⁵، كما ساهمت هذه المناطق الجبلية في حماية الدولة الرستمية عند قيامها. أما من حيث مصادر المياه، فإن المغرب الأوسط لم يحظ بعدد كبير من الأنهار، فهي قليلة وصغيرة، و بعضها لا تكثر فيها المياه إلا في فصل الشتاء عندما تهطل الأمطار⁶، إلا أن هذه الأنهار عن قلتها كان لها أثر إيجابي في ازدهار العمران بالمغرب الأوسط و في الدولة الرستمية بصفة خاصة، حيث أسس عبد الرحمن بن رستم عاصمة دولته على نهر مينة⁷.

- 1- إبراهيم أحمد العدوي: بلاد الجزائر، تكوينها الإسلامي و العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970، ص11، محمد عيسى الحريزي: المرجع السابق، ص14، رضا كحيل: المرجع السابق، ص16.
- 2- نفسه، ص نفسها.
- 3- مجهول، لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري: الأسبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد رعلول، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958، ص133، ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1980، ص142.
- 4- محمد أحمد حسونة: أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة، 1960، ص53.
- 5- السكري: المصدر السابق، ص- ص 15-16.
- 6- سعد زغلول: المرجع السابق، ص14.
- 7- السكري: المصدر السابق، ص16.

و كان من أهم أنهار المغرب الأوسط:

أولاً- نهر الشلف: وينبع من الونشريس، و يصب في البحر المتوسط إلى الشرق من مدينة مستغانم¹.
ثانياً- نهر سيرات: ويجري هذا النهر قرب قلعة هواره من الجهة الجنوبية، و يسقي هذا النهر فحوص سيرات الذي يبلغ طوله نحو أربعين ميلاً، و يقول البكري: "ليس منه شيء إلا يناله ماء هذا النهر، إلا أنه اليوم غامر غير عامر و لا أهل لان الحرب أجل أهله²."

ثالثاً- نهر مينه: و هذا النهر يأتي من جهة القبلة لمدينة تيهرت عاصمة الرستميين³.

إلى جانب هذه الأنهار، هناك وديان صغيرة يأتيها الماء من العيون أو من قمم الجبال ومنها: نهر تاتش الذي اعتمد عليه أهل تيهرت في شربهم و ري بساتينهم، و نهر تامسن الذي ينبع من جبال من جبال في جنوب تنس، و عليه اعتمدت مزارع تنس التي اشتهرت بزراعة الحبوب، و منها القمح⁴. هذه الأنهار و الوديان و العيون هيأت الاستقرار للرستميين و ساعدتهم على قيام حياة زراعية هامة، كما مثلت مصدراً حيويًا من مصادر رخاء الدولة الرسمية و ازدهارها اقتصادياً. و قد أدى تباين و تنوع عناصر السطح في المغرب الأوسط من سهول ساحلية و هضاب و جبال و صحارى إلى تنوع في عناصر المناخ من حرارة و رطوبة و كميات الأمطار، و هذا ما أثر بدوره في تعدد النشاط البشري في كل المغرب الأوسط⁵. فالمنطقة الساحلية ذات طقس معتدل لطيف في الشتاء، خفيف في الصيف، كثير الرطوبة، كما تشتد الحرارة في السهول المرتفعة الداخلية⁶، و في هتين المنطقتين تغزر

1- ذكره البكري في موضع آخر بوادي شلف و قيل هو من أهم أنهار بلاد المغرب، و لو لم يكن لتيهرت غير هذا النهر الكبير العزير المياه لكفاهها عمراناً إذ كان يفيض كما يفيض السيل و تزرع عليه أنواع الحبوب، ينظر، البكري: المصدر نفسه، ص 69، ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 114.

2- البكري: نفسه، ص- ص 69-70، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 1، ص 77.

3- البكري: نفسه، ص 66.

4- سعد زغلول: المرجع السابق، ص 19، ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 142، كاتب مجهول مراكشي: المصدر السابق،

ص 133

5- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 17

6- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص- ص 172-173.

الأمطار، فيستغل السكان بالزراعة و يعيشون حياة الاستقرار و التحضر¹. أما منطقة الألبان و الشطوط فجوها بارد في الشتاء، حار في الصيف، بحيث يستمر ارتفاع الحرارة كلما تقدمنا نحو الصحراء، فتقل كمية الأمطار حتى تكاد تنعدم، لذا فالنشاط البشري الذي يمارسه السكان في هاتين المنطقتين يتركز على حرفة الرعي، و بالتالي يعيشون حياة التنقل و الترحال بحثا عن العشب والمراعي².

فمن خلال استعراضنا للأحوال الطبيعية، نستنتج أن المغرب الأوسط يشكل وحدة جغرافية طبيعية متماسكة تتمتع بمناخ معتدل و أمطار وفيرة و خصب كثير لذا وفد عليه أجناس مختلفة، إما طلبا للعيش أو للتجارة، و إما قصدا للغزو و السيطرة و الاستيلاء على خيراته³، مما أثر بذلك في صنع الأحداث و التطورات حتى قيام الدول المستقلة عموما، و الدولة الرسمية خصوصا.

فهل كان للأوضاع الإدارية دور بارز في الانفصال بين المغرب و مركز الخلافة في المشرق؟ و كيف تطورت الأحداث و انتقلت من فترات الهدوء و الاستقرار إلى أخرى للإضطراب و سوء أحوال المغرب؟ و كيف سارت بعض التنظيمات الإدارية ببعض الولاة إلى الظلم و الجور، و بالتالي اندلاع ثورات البربر في المغرب، و ما هي الشخصيات البارزة و التيارات التي صنعت هذه الأحداث و أثرت في تغيير أوضاع المغرب العامة؟

ثانيا- الأوضاع السياسية بالمغرب و انتشار المذاهب الخارجية:

إن سياسة أخذ الرهائن و السبي و الغنائم التي ابتدعتها حسان بن النعمان⁴ و توسع فيها موسى بن نصير⁵، قد أدت إلى نمو حركة التعريب و انتشار الإسلام من جهة، و من جهة أخرى

1- يحيى بوعزير: الموجز في تاريخ الجزائر، ج1 (الجزائر القديمة و الوسيطة)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، وهران، الجزائر، 1995، ص20.

2- إحسان حقي: المرجع السابق، ص13، أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص173، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص17.

3- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، المرجع السابق، ص4، محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983، ص31.

4 - حسان ابن النعمان الغساني: 74 - 84هـ/693-704م، أشرف على المرحلة الأخيرة لعملية الفتح و استحدثت التنظيمات الإدارية و نظم الدواوين و الخراج، ينظر، ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب: المصدر السابق، ص269، المالكي: المصدر السابق، ص37.

5 - كانت ولايته سنة 86-95هـ، و يذكر ابن الأثير سنة 89هـ، ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص32، ابن عبد الحكم=

تركت آثارا بالغة السوء في نفوس البربر، و غرست في نفوسهم بذور الثورة، خاصة في عهد ما بعد موسى، حيث أرقق الولاة البربر بابتزاز أموالهم و خيراتهم وتقديمها إلى الخلفاء طمعا في نيل رضاهم¹. إن الفترة التي تلت رحيل موسى بن نصير إلى دمشق و نهاية ولايته، مثلت مرحلة جديدة اصطلاح عليها بعصر الولاة، فما هو مفهوم هذا العصر؟ و ما تحديده؟ و كيف سارت أحوال وأوضاع المغرب السياسية والإدارية في ظلّه؟ و هل كانت تلك الأوضاع سببا في دخول الحركة الإباضية لبلاد المغرب؟

يطلق عصر الولاة في بلاد المغرب على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي "الوليد بن عبد الملك" لموسى بن نصير من الأندلس و المغرب سنة 96هـ/714م² حتى قيام الدول المستقلة بتلك البلاد، أي بانتهاء ولاية موسى بن نصير تنتهي فترة فتوح المغرب، فتميز عصر الولاة تارة بالهدوء والاستقرار و إن كان نسبيا، و تارة أخرى تحول إلى اضطرابات بسبب جور وظلم بعض الولاة وتطبيقهم لسياسة العنف، و من هؤلاء الولاة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

* يزيد بن أبي مسلم (101هـ/719م)³:

كان ظلوما غشوشا على قدم مولاه الحجاج بن يوسف، اتخذ البربر لخراسته و أدنى منزلتهم و أعاد الجزية عليهم و هم مسلمون، فقال ابن خلدون: "لقد أساء السيرة في البربر، ووضع الجزية على من أسلم من أهل اللمة منهم، تأسيسا بما فعله الحجاج بالعراق، فقتله البربر لشهر من ولايته"⁴، سنة 102هـ/720م⁵، و أكثر من ذلك فقد أخذ موالي موسى بن نصير من البربر، فوشم أيديهم،

- فتوح مصر، المصدر نفسه: ص 274، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 1، ص 1573.

1- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج 1، ص 52.

2- ابراهيم أحمد العدوي: بلاد الجزائر، المرجع السابق، ص 164.

3- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد 1، ص 1573، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 39.

4- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر نفسه، ص نفسه

5- يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ج 1، ص 92.



وأحصى أموالهم و أولادهم، ثم جعلهم حرصه و بطانته و أخذ محمد بن يزيد القرشي، فعديبه و جلده.¹

* بشر بن صفوان الكلبي (103هـ/721م)²:

سوى بين العرب و البربر، فنجح في تهدئة الأوضاع في المغرب، غزى بنفسه صقلية سنة 107هـ/725م، فعاد منها بسي كثير³، استصفى بقايا آل موسى، و وفد بأموالهم إلى الخليفة يزيد، فبغى في الطريق وفاة الخليفة في 105هـ/723م⁴، فأقبل بمديته إلى هشام بن عبد الملك، فردّه إلى عمله بإفريقية، فعذب موالیه⁵. توفي بشر بن صفوان في شوال 109هـ/727م⁶. و قد عاصر سوء الإدارة في بلاد المغرب في أواخر العصر الأموي انتشار التنافس البغيض بين سكانه العرب من اليمانية و القيسية، و كان غلبة أي منهما على الآخر تتوقف على ميول الخلفاء أنفسهم، و لما كان أكثر عرب المغرب يكاد يكون يمينيا خالصا، فكانوا يلتزمون الهدوء حين يكون ولائهم من اليمينيين، أما إذا كان الولاة من القيسية، فإن المغرب يصبح مسرحا للإضطرابات العنيفة، و ذلك ما حدث بعد وفاة بشر بن صفوان، إذ صادف تحول ميول الخليفة هشام بن عبد الملك عن اليمانية إلى القيسية، و من ثم ولى على المغرب عبيدة بن عبد الرحمن السلمي⁷.

* عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (110هـ/728م)⁸:

اضطهد أتباع الوالي بشر بن صفوان و حبسهم و أغرمهم الأموال، كما لقي البربر نفس المعاملة،

1- ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، المصدر السابق، ص 288.

2- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد 1، ص 1573.

3- ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية و الأندلس، المصدر السابق، ص 91.

4- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص 111.

5- السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، المرجع السابق، ص - ص 195-196.

6- ربهرت دوزي: تاريخ مسلمي إسبانيا، ترجمة حسن حبشي، ج 1، الحروب الأهلية، دار المعارف، 1963، ص 134، ابن عذارى: المصدر السابق، ص 49.

7- ربهرت دوزي: المرجع نفسه، ص 143.

8- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد 1، ص 1574، ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 50.

حيث سبى نساءهم و أصرف في غزو قبائلهم، مما دفع الكثير من البربر إلى اعتناق مبادئ الخوارج¹ ثم غادر المغرب سنة 114هـ/732م متوجها إلى دمشق يحمل إلى الخليفة هشام بن عبد الملك ما جمعه من أموال و هدايا، فطلب من الخليفة أن يعفيه من ولاية المغرب فأعفاه².

* عبيد الله بن الحبحاب³ (116هـ/734م):

مولى بني سلول بن قيس⁴، كان واليا على نصر، فمضى إلى المغرب بعد أن استخلف على مصر ابنه القاسم⁵. تمتع بثقافة عالية أشار إليها ابن عذارى بقوله: "هو مولى بني سلول، و كان رئيسا نبيلًا و أميرا جليلا، بارعا في الفصاحة و الخطابة، حافظا لأيام العرب و أشعارها و وقائعها"⁶. و من إنجازاته الحضارية الجليلة، بناء جامع الزيتونة و دار الصناعة لإنشاء المراكب الحربية بتونس⁷. و ما أن استلم ولايته حتى قسمها بين بنيه و أنصاره، فاستعمل على الأندلس، عقبة بن الحجاج السلولي، واستعمل على طنجة ابنه اسماعيل و معه عمر بن عبد الله المرادي⁸. انتهج سياسة قوية متشددة مع البربر، و يروي المؤرخون أن والي طنجة عمر بن عبد الله المرادي أساء السيرة و تعدى في الصدقات و أراد تخميس من أسلم من البربر، فأجمعوا الانتقام منه، ولهذا تميزت ولايته بأكثر ثورة قام بها البربر في طنجة سنة 122هـ/740م⁹ بزعماء ميسرة المطفري، فكانت هذه أول ثورة للخوارج، تلتها

1- الشهيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير: المرجع السابق، ص 297، ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 51.

2- ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية و الأندلس، المصدر السابق، ص 93.

3- نفسه، ص 51.

4- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1957، ص 40، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المصدر السابق، المجلد 1، ص 1574.

5- ابن القوطية: نفسه، ص نفسها، أما ابن خلدون فيذكر أن اسمه "أبا القاسم"، ابن خلدون، نفسه، ص نفسها.

6- ابن عذارى: المصدر السابق، ص 51، التويري: المصدر السابق، ج 22، ص 15.

7- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 107، ابن عذارى، نفسه، ص نفسها، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد 1، ص 1574.

8- عبد الرحمن بن خلدون: المصدر نفسه، ص نفسها، ابن عذارى: المصدر نفسه، ص 52.

9- عبد العزيز النعالي: تاريخ شمال إفريقية، تحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقدم و مراجعة حمادي الساحلي، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 118.

ثورات أخرى هزت أركان المغرب، خاصة غزوة الأشراف¹، التي قال علي إثرها الخليفة هشام بن عبد الملك: "والله لأغضبني للعرب غصبة، ولأبعثن لهم جيشاً أوله عندهم و آخره عندي"²، ثم استقدم بن الحبحاب، فخرج في جمادى الأولى 123هـ/741م، وولى مكانه كلثوم بن عياض.

* كلثوم بن عياض القشيري (123هـ/741م)³:

سير معه جيشاً كثيفاً لقتال البربر، تكون من اثني عشر ألفاً على رأسه بلج بن كلثوم بن عياض⁴، و هو ابن أخ كلثوم بن عياض الذي أساء معاملته أهل القيروان، هذه التصرفات كانت أحد العوامل للهزيمة الكبرى التي تلقاها العرب في مواجهة البربر بوادي سيبو بطنجة، و التي قتل فيها كلثوم بن عياض سنة 124هـ/742م⁵، و لما بلغ هشام بن عبد الملك قتل كلثوم و أصحابه وتشتمت جموعهم، بعث إلى إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي.

* حنظلة بن صفوان الكلبي⁶ (124هـ/742م):

كان عامل هشام بن عبد الملك على مصر⁷، فأمدّه بثلاثين ألفاً من الجند لمحاربة الخوارج الصفرية التي تلقت هزيمة نكراء في معركتي القرن و الأصنام، سنة 125هـ/743م⁸، و قتل زعيماً المعركتين و هما عكاشة بن أيوب الفزازي، و عبد الواحد بن يزيد الهواري⁹. في هذه الفترة أصبحت

- 1- ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 40، علي دبور: تاريخ المغرب الكبير، ج 2، دار إحياء التراث العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1963، ص 218.
- 2- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص 113، ابن خلدون: العبر، للمصدر السابق، المجلد 1، ص 1574.
- 3- المقرئ: المصدر السابق، ج 3، ص 299، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 60.
- 4- إسماعيل العربي: دولة الأدارسة ملوك تلمسان و فاس و قرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 27، و قد ذكره بن خلدون "ببخ"، ينظر عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد 1، ص - ص 1574 - 1575.
- 5- ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية و الأندلس، المصدر السابق، ص 93، ابن عفار، المصدر السابق، ج 1، ص 57.
- 6- ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص 113، ابن الأثير: المصدر السابق، ج 5، ص - ص 192 - 193.
- 7- مصطفى أبو ضيف أحمد: القبائل العربية في عصري الموحدين و المرينيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص 198.
- 8- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج 3، ص 65، و ينظر أيضاً: Gautier E.F: le passe de l'afrique du nord: les siecles obscurs, edition payot, paris, 1964, p283.
- 9- السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، المرجع السابق، ص 340، ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية و الأندلس، المصدر السابق، ص 104.

خلفاء بني أمية و سقطت الدولة الأمية، خطب عبد الرحمن بن حبيب للعباسيين و أطاع أبا العباس السفاح، فيكون بذلك الوالي المخضرم¹.

ما نستنتجه أن الأحوال لم تهدأ لعبد الرحمن بن حبيب، حيث توالى الثورات من كل ناحية، و قد أجمل بن عذارى هذه الثورات في قوله: "و لما ولي عبد الرحمن، ثار عليه جماعة من العرب و البربر، ثم ثار عليه عروة بن الوليد الصديقي، فاستولى على تونس، و ثار عليه عرب الساحل، فقام عليه بن عطاف الأزدي، و ثارت البربر في الجبال، و ثار ثابت الصنهاجي بباجة، فأخذها"².

إن أسباب ثورات البربر في عهد الدولة الأموية ترجع بالدرجة الأولى إلى سياسة الخلفاء و ولائهم في المغرب، حيث ارتكزت اهتمامهم و نشاطاتهم على تثبيت أركان الدولة و انتهاج سياسة داخلية هدفت إلى استئصال بقايا الخصوم مثلما قام به محمد بن يزيد القرشي في تصفية آل موسى بن نصير، و كذا تطبيق يزيد بن أبي مسلم سياسة الحجاج الغنية، إضافة إلى اهتمامهم بجمع الأموال من البربر بطرق غير مشروعة، همهم في ذلك إرسال الأموال و الهدايا إلى الخلافة التي كانت تواجه إرتباكاً مالياً عظيماً في ميزانيتها³، و بالتالي تخميس البربر الذين اعتنقوا الإسلام في عهد عبيد الله بن الحبحاب.

إن تجاهل كثير من الولاة لطبيعة سكان هذه المنطقة المقاومة لأي تسلط و اعتبار بلاد المغرب مورداً أساسياً للأموال، دفع أغلبهم إلى الشطط في تحصينها، فتحول غضب هؤلاء إلى ثورات و جدت سندها من الأطراف المناوئة للسلطة المركزية، ممثلة في الخوارج، لذلك اتخذت أبعاداً مذهبية و سياسية أكثر منها اقتصادية⁴.

1- محمد علي دبور، ج2، ص12، و يذكر ابن خلدون: "و بعث عبد الرحمن بطاعته إلى السفاح، ثم إلى أبي جعفر من بعده" بظفر، عبد الرحمن بن خلدون: المعبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1575.

2- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص61، سليمان داوود: المرجع السابق، ص52، أما ابن خلدون فيقول: "ثم ثارت عليه الخوارج في كل جهة... و عبد الجبار و الخارث بطرابلس، فزحف عبد الرحمن إليهما سنة131هـ، فظفر بهما، و قتلتهما، و سرح أخاه إلياس لابن عطاف فهزمه و قتله، ثم زحف إلى عروة بتونس و قتله، و انقطع أمر الخوارج"، بظفر، عبد الرحمن بن خلدون: المصدر نفسه، ج1، ص نفسهما، ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص- ص312-313.

3- محمد عيسى الخريزي: المرجع السابق، ص53.

4- محمد عيسى الخريزي: المرجع السابق، ص12.

و أكثر من ذلك هناك من استغل هذه الظروف المضطربة في المروق عن الدين و الخروج عن الملة، منهم صالح بن طريف البرغواطي في برغواطة بالمغرب الأقصى "منطقة الشاوية حالياً"¹، والذي ألف كتابا باللغة البربرية سماه القرآن و هو ما يمكن اعتباره، بربرة الإسلام². بفضل جهوده الكبيرة، تمكن عبد الرحمن بن حبيب من إخماد هذه الثورات، و في سنة 135هـ/753م، وجه أنظاره نحو المغرب الأوسط، و جاهد في جعله ضمن ولايته³، فغزا أرض زناتة بنواحي تلمسان، ثم بعث جيشا إلى صقلية و آخر إلى سردينيا⁴.

لكن سرعان ما دب الخلاف في الأسرة الفهرية، و وصل الحقد إلى قتل عبد الرحمن بن عبد الحبيب، نتيجة مؤامرة نسجها أخواه إلياس و عبد الوارث 137هـ/755م⁵، و تردت الأسرة الفهرية في صراع دموي قتل فيه إلياس بن حبيب سنة 138هـ/756م على يدي حبيب بن عبد الرحمن انتقاما لأبيه⁶، و فر عمه الآخر عبد الوارث إلى الأوراس حيث قبيلة ورفجومة⁷ مستنجدا برعيمها عاصم بن جميل⁸، و كانت هذه فرصة للصفرية لتحقيق أهدافهم السياسية بالإستيلاء على القيروان، و قد تم لهم ذلك سنة 138هـ/755م، و تمكن عبد الملك بن أبي الجعد⁹ من قتل حبيب

Gautier E.F:op.cit,p217.

-1

Robert Cornevin:Histoire de l'afrique,Tome1desorigines au XVI siecle,nouvelle -2 edition, Payot,paris,p264.

3- سعد زغلول عبد الحميد:تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص293، ابراهيم العدوي، المرجع السابق، ص174.

4- عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، م1، ص1575.

5- عبد الحميد حاجيات:المرجع السابق، ص66، صالح باحجة:المرجع السابق، ص33.

6- سليمان داوود:المرجع السابق، ص53، ابن عدوى:المصدر السابق، ج1، ص69.

7- ورفجومة:من قبيلة نمرارة البترية، و كانوا من غلاة الصفرية، ينظر، عبد الحميد حاجيات:المرجع السابق، ص66، محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص66، ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، م2، ص2412.

8- يذكر أنه ادعى النبوة، فبدل الدين و زاد في الصلاة، و أسقط ذكر النبي صلى الله عليه و سلم من الأذان، ينظر، ابن الأثير:المصدر السابق، ج5، ص315، اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص33، عبد العزيز فيلاي:العلاقات السياسية للدولة

الرستمية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص69.

9- هو الذي خلف عاصم بن جميل و قام بأمر ورفجومة و القيروان، و قد فعل في أهل القيروان ما كان يفعله عاصم من الفساد و انظلم بل أسوأ منه، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون:العبر، م1، ص1576.

بن عبد الرحمن في محرم سنة 140هـ/757م، فانهى بذلك حكم أسرة الفهريين في إفريقية¹. و قد استفاد دعاة الإباضية من هذه الأحوال المضطربة، خاصة و أن سنة 140هـ هي التي ولي فيها أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إماما للإباضية بطرابلس، و هو الذي سيتولى بحدة المدينة وتخليصها من جور ورفحومة.

نستنتج من خلال استعراضنا لعصر الولاة، إلى غاية يواذر ظهور الدولة الإباضية الرسومية وإمامة أبي الخطاب لها، أن عدم الاستقرار هو الميزة التي طبعة هذه المرحلة، فمهام الوالي ارتكزت بالدرجة الأولى على الحفاظ على الأمن، و مقياس نجاحه هو إخماد الثورات مثلما حدث في عهد كل من كلثوم بن عياض و حنظلة بن صفوان و عبد الرحمن بن حبيب. إلا أن هذه الأوضاع التي تميزت بمعارضة البربر لسلطة الولاة لم تمنع هؤلاء بالقيام بأعمال حليفة لتثبيت أركان الدولة، فمعظمهم قد قدم إسهامات في المجال الحضاري و السياسي خاصة في ميدان النشاط البحري و مد سلطان العرب في جزر البحر مثل سردينيا و صقلية، و كذا في ميدان الخدمات الدينية و الثقافية لأن قدوم الجيوش من المشرق إلى المغرب، غالبا ما كان يصاحبه عدد من الفقهاء و العلماء، استقروا في هذه الربوع، وأخذوا على عاتقهم تعليم البربر مبادئ الدين الإسلامي و اللغة العربية²، أي أن رغبة الخلفاء الأمويين أو العباسيين لم تكن تهدف فقط إلى توسيع نفوذهم في المغرب، بل إنهم حرصوا على أن يكون الإسلام دين أهل المغرب كلهم، لهذا لم تكن تخلوا حملة عسكرية من الفقهاء و العلماء، فقد جاء مع الولاة و قادة الجيش أدباء و كتاب لتحرير الرسائل الرسمية، و تعليم أبنائهم و أبناء الأسر العربية القادمة من المشرق، و لم يستثن من هذه المزايا أبناء البربر³، فكان مثلا بناء المساجد تدعيما لهذه السياسة التعليمية و الثقافية عكس ما يذكره بعض المستشرقين و المؤرخين الاستعماريين الذين ركزوا على الجانب السلبي و على بعض أخطاء بعض الولاة و جعلها سياسة عامة.

1- ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص- ص 80-81، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 338

2- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص 28، محمد عليلي: المرجع السابق، ص 16

3- عمر رضى كحالة: دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، 1973، ص 57.

المبحث الثاني: تأسيس و نشأة الدولة الرستمية

أولاً- نسبها و ظروف نشأتها:

تنسب مدينة تيهرت إلى الدولة الرستمية التي نسبت بدورها إلى مؤسسها عبد الرحمن بن رستم الذي تعددت المراجع و المصادر في أصله و نسبه، إلا أن الأغلبية تجمع على أنه فارسي الأصل، حيث ذكر اليعقوبي عن تيهرت أنه غلب عليها قوم من الفرس يقال لهم بنو محمد بن أفصح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي¹، بل من أشرف فارس، حيث يرجع نسبه إلى بهرام² بن كسرى الملك الفارسي، فهو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى³. و يرتفع البكري بنسب عبد الرحمن بن رستم إلى أصل ملكي يرتبط بأكاسرة الفرس الساسانيين، فجدده هو: "بهرام بن ديشيرار بن سابور بن بابكان بن سابور ذي الأكتاف، الملك الفارسي"⁴، و نفس الرواية نجدها عند ياقوت الحموي مع مزيد من الإيضاح للوصول بهذا النسب إلى الأصل الملكي الفارسي، حيث يقول: "هو بهرام بن بهرام جور بن سابور بن بابكان بن سابور ذي الأكتاف ملك الفرس"⁵، أما الأستاذ ابراهيم فخار فيشكك في أصله الفارسي إذ يقول: "لم يتبث لنا بالأدلة القطعية أن عبد الرحمن بن رستم فارسي الأصل، فلا يمكن قبول هذه الدعوة و لو قبلناها على علاقتها بمؤسس الدولة الرستمية نشأ نشأة عربية

1- اليعقوبي: المصدر السابق، ص195، ابن خردادبة: المصدر السابق، ص87، و يقول ابن حزم: "و هو رستم ملوك تيهرت من ولد جاماسب، و الملك جاماسب هو ابن فيروز بن يزد بن بهرام جور، و بذلك يوافق ابن حزم الروايات الإباضية في جعل بني رستم من سلالة الملك الفارسي، ينظر، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي برفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1948، ص315، المسعودي: مروج الذهب و معادن الجواهر، دار الأندلس للطباعة و النشر، ط3، بيروت، 1981، ج1، ص- ص 186-357.

2- بهرام: مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، و هو بهرام بن ذوشرار بن سابور بن بابكان بن سابور من أكاسرة الفرس، ينظر، البكري: المصدر السابق، ص267، و ينظر أيضاً: Gautier.E.F:opcit,p302

3- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص35، اللخجيني: المصدر السابق، ج1، ص19، و يقول الشماخي: "أن أباه رستم بن بهرام بن كسرى"، الشماخي: سير المشائخ، للمصدر السابق، ص123.

4- البكري: المصدر السابق، ص67، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص372

5- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص8، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص225.

و ظهر في العراق مع والديه قبل رحيله إلى المغرب مع زوج أمه¹، و يقاربه في هذا الطرح، الطبري الذي ضبط إسم رستم الذي تنتسب إليه الدولة الرستمية بـ "الرستمي"، فالنطق الصحيح لهذه الكلمة بالفارسية هو بفتحها، أما نطقها الصحيح بالعربية، فهو بضمها، كما يؤيده في ذلك ابن خرداذة وإحسان حقي إذ يرى أن رستم بضم التاء لا بفتحها، لأنها إذا كانت مفتوحة، فهذا يدل على أنه فارسي الأصل، فالنطق الصحيح لهذه الكلمة هو بفتحها، أما نطقها الصحيح بالعربية فهو بضمها². كما يذكر ابن عذارى أن جد عبد الرحمن كان مولى الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، عاش حياة عربية، فلا شك أن أباه تربى في بيئة عربية³. إن نسب الرستميين الفارسي غير مستبعد لأن يزيد جرد آخر ملوك فارس كان له إبنان هما بهرام و فيروز، و هذا ما يؤكد ابن حزم بقوله: "وكان له إبنان بهرام و فيروز، فكان من ملوكهم جاماسب بن فيروز، أخ قباذ بن فيروز و جاماسب هو عم أنوشروان"⁴. أما ابن خلدون، فيجعل عبد الرحمن بن رستم أمير جيش فارس في موقعة القادسية، و قد عبر عن ذلك بقوله: "و كان عبد الرحمن بن رستم من مسلمة الفتح، و هو من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية"⁵. و لا يعقل أن يكون عبد الرحمن بن رستم من أبناء رستم أمير جيش فارس بمعركة القادسية، لأن رستم قتل سنة 16هـ/637م، أما عبد الرحمن بن رستم فقد توفي في 171هـ/787م⁶، و قيل في 168هـ⁷.

1- إبراهيم فخار: دور الرستميين في وحدة مغرب الشعوب، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، المجلد 4، ورجلان، من 6 إلى 15 فبراير، 1977، ص 146.

2- الطبري: تاريخ الأمم و الملوك: المصدر السابق، ص 294، ابن خرداذة: المصدر السابق، ص 87، إحسان حقي: المرجع السابق، ص 152، و علق المستشرق زامباور على نسب الرستميين الفارسي قائلا: "أنه نسب خرافي"، زامباور: معجم الأسماء و الأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تر محمد حسن بك و آخرون، دار الراشد العربي، بيروت، 1980، ج 1، ص 100.

3- ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 196.

4- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، المصدر السابق، ص 315، البكري: المصدر السابق، ص 267، المسعودي: المصدر السابق، ص 357-358.

5- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، المجلد 2، ص 2406-2414.

6- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 87.

7- ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 196.

و بهذا يكون عبد الرحمن قد عمر مائة و بضعا و خمسين سنة، و هذا ما لم يذكره أحد من المؤرخين. و المسعودي ينفرد برواية تقول، بأن هناك من يرى أن الرستميين من بقايا الأشبان، حيث يقول: "و قد كان ميمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي، و هو إباضي المذهب... و قيل إنهم من بقايا الأشبان"¹. و قد اختلف المؤرخون في حقيقة الإشبان، فمنهم من يرى أنهم من الفرس الذين انتقلوا إلى المغرب من بلاد أصبهان، أما المقرئ فيرى أن حقيقة الإشبان "أنهم نسبة إلى ملك الأندلس إشبان بن طيطش الذي تنسب إليه مدينة إشبيلية، و قال أن إشبان هذا من عجم روما أو أنه من أصبهان التي ولد بها"²، أي أن الإشبان من الفرس، و بالتالي الرستميون من أصل فارسي، كما تعني أيضا أن الرستميين وفدوا إلى المغرب من الأندلس، و هذا تنقصه الدلائل، لكن ما يتضح من خلال هذه الروايات أن الرستميين ينتمون إلى أصل فارسي.

و بما أن جد عبد الرحمن بن رستم كان مولى للخليفة عثمان بن عفان، فلا شك أنه كان بالمدينة بالحجاز، و لعله ولد هناك، أو أقام فيها حتى يكون قريبا من مولاه عثمان، و وجود البيت الرستمي في المدينة كان دعما لأركانه الإسلامية، حيث يحتمل انه درج في بيت الخلافة، فنهل من فيضها الإسلامي الرفيع، و غذى ذلك مهينا عظيما لشخصية عبد الرحمن بن رستم³. و تذكر المستشرقة الإسبانية ماريّا خيسوس فيغيرا أن عبد الرحمن بن رستم ظل مجهولا إسم والده، و قد بدأ حياته في مكانة لائقة ضمن بلاط عبد الرحمن الثاني (206-238هـ)⁴. كما يذكر المؤرخون أن رستم والد عبد الرحمن انتقل إلى العراق فيما بعد حيث ولد عبد الرحمن، و الاحتمال الأكبر أنه ولد في أواخر القرن 1هـ/7م، و قد نشأ وحيد أبويه⁵، أو في النصف الأول من القرن 2هـ/8م

1- المسعودي: المصدر السابق، ص186.

2- المقرئ: المصدر السابق، ج1، ص134

3- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص76

4- ماريّا خيسوس فيغيرا: محمد بن عبد الرحمن بن رستم في قرطبة، مجلة الأصالة، العدد41، الملتقى الحادي عشر لشعر

الإسلامي، 1977، ص- ص65-67.

5- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص62.

(100-110هـ)¹. و يقول أبو زكرياء: "بأن عبد الرحمن أصله من العراق، و مات أبوه بمكة وتزوجت أمه رجلا من أهل القيروان، حيث اصطحب الابن و أمه معه إلى وطنه بالمغرب"². و قد ربط ابن خلدون علاقة الرستميين بالمغرب بطوالع الفتح الإسلامي لهذه البلاد بقوله: "و قد عبد الرحمن بن رستم إلى إفريقية مع طوالع الفتح فكان بها"³. لكن طوالع الفتح يتحدد تاريخها ببداية الفتح و تنتهي بالطوالع التي قدم بها موسى بن نصير لإتمام فتح المغرب نهائيا و ضمه إلى الدولة الإسلامية، لهذا عرفنا أن عبد الرحمن بن رستم رحل إلى البصرة و هو شاب حديث السن⁴ بعد أن تلقى المذهب الإباضي على يد سلمة بن سعيد في أوائل القرن الثاني الهجري⁵.

و قارنا هذه الفترة بطوالع الفتح الأخيرة التي جاء فيها عبد الرحمن بن رستم إلى المغرب، استنتجنا أنه كان طفلا صغيرا حيث انتقل من الحجاز إلى القيروان، إذ في هذه الفترة تسربت آراء مذهبي الإباضية و الصفرية إلى بلاد المغرب⁶، و قد وجد فيهما المغاربة ملجأ و منجى من جور بعض الولاة الأمويين، و رأوا في تلك المعتقدات الإسلام الحقيقي⁷. و وجدوا في مبادئهما ما يطابق ميولهم وعقليتهم المحبة للاستقلال و العدل، و قد عمل المذهبان على تعميق جذور الإسلام في نفوس المغاربة، و في هذا الصدد يقول ألفرد بال: "إن دعاة الخوارج كانوا خير رسل الإسلام في بلاد المغرب منذ.

1- إبراهيم محاز: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص8، عمار عمورة: المرجع السابق، ص84.

2- أبو زكرياء يحيى: المرجع السابق، ص- ص35-36، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص123، الطاهر أحمد الزاوي: شخصيات إسلامية، عبد الرحمن بن رستم، روضة الجندي، العدد1، مؤسسة الإتصال و الإعلام التوجيه، الجزائر، 1990، ص9.

3- الطاهر أحمد الزاوي: شخصيات إسلامية، عبد الرحمن بن رستم، روضة الجندي، العدد1، مؤسسة الإتصال و الإعلام و التوجيه، الجزائر، 1990، ص9.

4- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المجلد2، ص2414.

5- السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، للرجع السابق، ص- ص534-535، التوجيهي: المصدر السابق، ج1، ص11.

6- إبراهيم محاز: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص9، محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ليبيا، تونس، الجزائر، موريتانيا، دار العودة، بيروت، 1976، ص108، حيث يقول: "أن عبد الرحمن بن رستم كان شابا جميلا حديث السن، و كان أبو عبيدة يجعل بينه و بين الناس سترا لئلا يشغلهم جماله"، محمود اسماعيل: المرجع نفسه، ص96.

7- Chikh Bekri: Le kharijisme berbere, annales de l'institut d'études Orientales, -7 Université d'Alger, tome XV, Alger, 1957, p106.

بداية القرن الثاني للهجرة¹. أصبحت القيروان بعد ذلك موطناً جديداً لعبد الرحمن بن رستم، و التي كانت مصراً من الأمصار الإسلامية الهامة، تشع بالعلم في بلاد المغرب كلها²، و يذكر ابن الصغير أن عبد الرحمن بن رستم عاش صباه في القيروان في بيت إسلامي في ظل رعاية أمه و زوجها، فنشأ على الأخلاق الفاضلة و العادات السامية، و أقبل على العلم في مسجد القيروان، فتعلم العربية و حفظ القرآن³، لكنه مال إلى تعاليم الخوارج كما يقول ابن خلدون: "و أخذ بدين الخارجية و الإباضية منهم"⁴، و كان ذلك بتأثير من الداعية سلمة بن معبد الذي أحاطه برعاية خاصة و أرسله رفقة مجموعة من الشباب إلى البصرة بالمشرق⁵ لتلقي المذهب من أصوله، و كان ذلك سنة 135هـ⁶. ويقول أبو زكرياء أن عبد الرحمن بن رستم ظهرت عليه علامات الاهتمام بالإباضية، فلما رآه أحد دعاة هذا المذهب في هذه الحالة قال له: "يا فتى إن كنت طالبا ما أراك تطلبه، فاقصد إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي... تجد عنده ما رجوت"⁷، و بقي في البصرة خمس سنوات حتى صار أحد حملة العلم الإباضي إلى إفريقية⁸ لينخرط فيما بعد في العمل السياسي⁹ و يصبح أقوى مساعدي أبي الخطاب الذي عينه قاضياً على مدينة طرابلس ثم والياً و قائداً لجيش في مدينة

1- ألفرد بال: المرجع السابق، ص 147.

2- إبراهيم العلوي: بلاد الجزائر: المرجع السابق، ص 187.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص - ص 10-16.

4- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م 2، ص 2414.

5- إبراهيم بن يوسف: الحكم و السياسة في الإسلام من منظور الإباضية، مطبعة الفنية للألوان، الجزائر، د.ت، ص 47.

6- محمد علي دبور: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج 3، ص - ص 189-190.

7- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 36، و قيل أن أمه هي القائلة له ذلك، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 124.

8- موسى لقبال: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى نهاية ثورات الخوارج مياسة و نظاماً، المؤسسة الوطنية للكتاب،

المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ص 165، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 142.

9- سليمان عشراق: الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية و المحدثات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية ب عكنون، الجزائر، 2002، ص 89.

و على إثر علم الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور¹ انفصال إفريقية عن الكيان الإسلامي أرسل جيشا بقيادة محمد بن الأشعث² لاسترجاعها، فتم له القضاء على أبي الخطاب و جيشه³ في معركة تاورغة⁴ سنة 144هـ / 761م، و بالتالي القضاء على الدولة الإباضية بطرابلس⁵ الأمر الذي دفع بعبد الرحمن بن رستم للعودة إلى القيروان بعدما تفرق جيشه، فوجدها نائرة على عامله، فلم يجد خيارا أمامه سوى التسلل خفية نحو المغرب الأوسط و هناك احتضنته القبائل الإباضية و منها لمائة لسابق حلف معها⁶. أما الذين ارتحلوا معه إلى جانب أهله و ابنة عبد الوهاب كانت غالبيتهم من زناتة و هوار، من طرابلس و الأوراس⁷، لتكون بذلك أول خطوة في تأسيس الدولة الرستمية. أما القبائل البربرية الإباضية فقد لجأت بعد فرار عبد الرحمن إلى المغرب الأوسط إلى الهدوء و الكتمان حتى كونت لنفسها قوة، خاصة في طرابلس حيث توجد قبيلة نفوسة⁸ و اجتمعوا على مبايعة إمام للدفاع عنهم، فوقع اختيارهم على أبي حاتم الذي بايعوه بالإمامة سنة 145هـ / 762م⁹. و رغم

1- أبو جعفر المنصور: هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس ثاني الخلفاء العباسيين، ولد في الحبيمة سنة 95هـ و هو والد الخلفاء العباسيين جميعا، ابن الأثير: المصدر السابق، ج 5، ص- ص 317-318.

2- هو محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي، كان عاملا لبني العباس في مصر و واليا على إفريقية التي بقي فيها حتى ثار عليه عيسى بن عجلان على رأس جماعة من قواد الجيش، و أخرجوه في سنة 148هـ و قد مات في غزو بلاد الروم في هذه السنة، ابن الأثير: المصدر نفسه، ج 5، ص- ص 317-318.

3- زهير أحدون: شخصيات و مواقف تاريخية، دار التراث للنشر و التوزيع، طبع بمؤسسة الشروق للنشر و الإعلام و الطباعة، القبة، الجزائر، د.ت، ص 42.

4- تاورغة: تبعد بمسيرة أربعة أيام عن مدينة طرابلس شرقا، يعقوبي: المصدر السابق، ص 86.

5- سليمان داوود بن يوسف: المرجع السابق، ص 56، بلحاج معروف: العمارة الدينية، المرجع السابق، ص 36.

6- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 71، جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص 28.

7- محمد بن عمير: المرجع السابق، ص 117.

8- يعقوبي: المصدر السابق، ص 184.

9- أبو حاتم: هو أبو حاتم يعقوب بن حبيب المزوزي الهواري، مكث في مدينة طرابلس أربعين سنة، و كانت ولايته ولاية الدفاع و طلب الحق، و كان يرسل بما جمع من الصدقات للإمام عبد الرحمن بن رستم قبل أن يتولى هذا الأمر ولاية الظهور، الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 36، إبراهيم مجاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 69، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 133.

تحقيقه عدة انتصارات على الولاة، إلا أن يزيد بن حاتم تمكن من قتله سنة 155هـ/772م¹.
و هكذا عادت الإباضية إلى الكتمان من جديد، و توجه العديد من أتباع هذا المذهب إلى المغرب الأوسط حيث يوجد عبد الرحمن بن رستم الذي كان يعد أبرز شخصية إباضية بعد مقتل أبي الخطاب و أبي حاتم².

و لما كثر عدد الإباضيين في المغرب الأوسط، بدؤوا يفكرون في بناء مدينة تأويهم و تكون حصنا لهم يحميهم من الأخطار الخارجية التي تهددهم³. و بالتالي كانت تيهرت و التي ستصبح عاصمة الدولة الإباضية الجديدة موقعا مناسباً لهذه الدولة⁴، و المعتقد أن عبد الرحمن بن رستم لم يفكر في ربط مصيره و مصير أتباعه بالمغرب الأوسط إلا بعد أن فشلت محاولاته في العودة من جديد إلى إفريقيا.

نستنتج من خلال هذا العرض أن المحاولة الأولى لتأسيس الدولة الرستمية كانت في طرابلس، و هي مركز الإباضية الأول، غير أن هذا الطموح تبدد بمقتل أبي الخطاب و انسحاب عبد الرحمن بن رستم من القيروان نحو المغرب الأوسط ثم الشروع في بناء مدينة تيهرت⁵ مع الإباضيين الذين انضموا إليه في المنطقة، مما يدل أن المذهب الإباضي كان قد وصل إلى هذه الربوع قبل التجاء عبد الرحمن بن رستم إليها.

ثانياً- الامتداد الجغرافي و الحدود السياسية للدولة الرستمية:

نشأت الدولة الرستمية بجانب الدولة الأغلبية، و قد دان لسلطانها كل المدن و القرى الواقعة بين الزاب و فاس و سجلماسة، فهي أول دولة مستقلة تمام الاستقلال، رائد هذه الدولة الكتاب

1- يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب: كان والياً على مصر، أرسله أبو جعفر المنصور إلى طرابلس لى بلغته أحداث المغرب ونوراته و مقتل عاملها عمر بن حفص، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص601، الشماخي: المصدر نفسه، ح1، ص136.

2- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي تاريخ دول الأغلبية و الرستميين و بني مدرار و الإدارة حتى قيام الفاطميين، ج2، منشأة الناشر المعارف بالإسكندرية، جلال حزي و شركاه، 1993، ص295.

3- إبراهيم مجاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص70.

4- السيد عبد العزيز مالم: المرجع السابق، ص538.

5- Abdallah laroui: l'histoire du magreb(un essai de synthese)tomel,petite collection maspero,Paris,1976,p104.

والسنة، و نظمها الديمقراطية الحقة، و لغتها الرسمية العربية، إلا أن اللهجة البربرية كان لها حظ كبير وقتها، فكانت لغة التخاطب، و بالتالي كثيرا ما يلجأ إليها العلماء في إلقاء دروسهم الفقهية و الدينية، و عماد المجتمع الحسن العادات الراقية و العلم الغزير¹ و لهذا كانت الدولة الرستمية ذات أصول وفروع بعيدة المدى، غير أنه لم تعرف حدودا ثابتة ظاهرة المعالم، إذ إن فكرة الحدود بمعناها الحالي لم تكن معروفة في تلك العصور، فوضع حدود لهذه الدولة إنما يكون من باب التقريب حتى تتضح الرقعة الجغرافية التي جرت فيها الأحداث لهذه الدول². فالمملكة الرستمية إذن واقعة بين مملكة الأغالبة شرقا و الأدارسة غربا، و تمتد شمالا ممالك صغيرة للعلويين من إخوان الأدارسة، و بنفسح لها المجال جنوبا إلى ورقلة و يمتد منها شريط على واد ريغ إلى الجريد، و جبال دمر إلى طرابلس، و جبال نفوسة³.

و يذكر الباروني أن مملكة تيهرت ضمت مدنا كثيرة حيث أن كل المدن و القرى الواقعة بين الزاب و فاس و سجلماسة داخل مملكة تيهرت⁴، حيث ينسب إليها عدة مدن كتش⁵ و شلف⁶. و كانت الدولة الرستمية تنقسم إلى ثلاثة أقسام طبيعية، منها بلاد التل بالشمال على ساحل البحر الرومي، و منها البلاد الجبلية، و لها جبل جزول بجهة تيهرت و الأوراس و جهة الزاب، و هي كلها جبال الدرن المعروفة بسلسلة الأطلس، أما القسم الثالث فهو البلاد الصحراوية، التي تجتاز

1- محمد عمرو الطمار: المرجع السابق، ص 93.

2- ابراهيم بجاز: المرجع السابق، ص 98.

3- جل نفوسة: الواقع بين طرابلس و الغرب بليبيا، يبعد عن تيهرت حوالي 56 مرحلة، ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص 34.

4- سليمان الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية، ج 2، دار البعث، ط 3، قسنطينة، 2002، ص - ص 40-56، مبارك ميلي: المرجع السابق، ص 66.

5 - تنس مدينة مسورة حصينة...، ينظر، البكري: المصدر السابق، ص - ص 61-62، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 2، ص 48، مختار حساني: المرجع السابق، ج 4، ص - ص 194-195.

6 - ذكرها البكري بقوله: "مدينة شلف على نهر، بها سوق عامرة..."، البكري: المصدر نفسه، ص 69، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص - ص 67-68، ابن حوقل: المصدر السابق، ص 72.

جنوب المغرب من أدناه إلى أقصاه، يسكنها البربر من الخوارج على اختلاف مذاهبهم¹، أما رابع بونار فيرى أن نفوذ الرستميين يعد نفوذاً أدنياً أكثر منه سياسياً².

و تضيف رواية أخرى حسب قول بحاز إبراهيم أن سلطة الأمويين وصلت إلى سرت أقصى نقطة شرقية في المغرب الغربي و إلى جربة في البحر المتوسط، فورجلان في الصحراء³.

و ثبت لنا نص ابن الصغير الحدود الغربية في عهد الإمام عبد الوهاب، فيقول: "حكى لي جماعة من الناس أنه قد بلغت سمعته إلى أن حاصر طرابلس و ملأ المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان⁴.

أما الجهة الشرقية، فيذهب الخط إلى تسمسين و السرسو، و يتصاعد إلى ثنية الحد و يذهب مشرفاً إلى قصر البخاري، و أعالي واد الشلف، و يذهب جنوباً شرقي الأغواط غلى توقرت، و وادي ريغ، و يظهر أن هواره أوراس خارج هذا الخط⁵. و عموماً فإن أقصى مد للدولة الرستمية هو ما بلغته هذه الدولة الرستمية في عهد الأئمة الأوائل، إذ كان يحدها شرقاً سرت و الدولة الأغلبية، وغرباً تلمسان و نهر ملوية، فما سوى ذلك من الصحراء و المغرب الأوسط، فهو داخل ضمن حدودها⁶، إضافة إلى جبل نفوسة الذي بقي دوماً مخلصاً في ولائه للأئمة الرستميين بتيهت، حيث كان تاريخ هذا الجبل طوال حياة إمارة تيهت جزءاً من تاريخ تلك الإمارة⁷.

و نستدل على امتداد النفوذ الرستمي على المناطق التي ذكرناها آنفاً من خلال العملات الرستمية التي ورد ذكرها في المصادر الإباضية و المراجع الأخرى.

و نستشف ذلك من مصادر الإباضية مثل السير للشماعني⁸ التي تبين عمال الأئمة الرستميين على الشكل التالي:

1- عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 120.

2- رابع بونار: المرجع السابق، ص 36.

3- إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 107.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 27، و ينظر أيضاً، Chikh Bekri: Le royaume rostemid, opcit, p75

5- مبارك الميلي: المرجع السابق، ص 67

6- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص - ص 58-59، إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 108.

7- يعقوبي: المصدر السابق، ص 346، E.F.Gautier: Le passé de L'Afrique ;op.cit, p300.

8 - الشماعني: المصدر السابق، ح 1، ص 203.

- ✓ سلام بن عمرو اللواتي و عامل الإمام عبد الوهاب على سرت و نواحيها.
 - ✓ أبو منصور إلياس عامل أبي اليقظان محمد بن أفلح على نفوسة و طرابلس
 - ✓ محمد بن إسحاق عامل الإمام عبد الوهاب على نفزاوة.
 - ✓ مبال بن يوسف عامل الإمام أفلح على نفزاوة كذلك و أبوه وزير و هو أيضا لواتي.
 - ✓ سلمة بن قطفة عامل الإمام عبد الوهاب على قابس.
 - ✓ زقون بن عمير عامل الإمام عبد الوهاب على قسطلية.
 - ✓ وكيل بن دراج عامل الإمام عبد الوهاب على قفصة¹.
 - ✓ السمع بن أبي الخطاب (حفيد أبي الخطاب) عامل عبد الوهاب على جبل نفوسة².
- هكذا و من هذا العرض، و كذلك حسب رأي أغلب المؤرخين، فإن السلطة الرستمية كانت تمتد من المغرب الأدنى إلى المغرب الأوسط باستثناء إقليم طرابلس و إفريقية الأغلبية و الزاب و تلمسان، و مما ساعد على هذا الإمتداد هو أن الدولة الرستمية لم تضع لنفسها حدودا سياسية مرسومة بل جعلت من طبيعة مذهبها و علاقتها بالجماعات الإسلامية سبيلا جديدا بين حدودها³.
- و من هنا يمكن القول أن كل إقليم من الأقاليم و القرى التي كانت تدين بمذهب الخوارج و خاصة الإباضية في بلاد المغرب الأوسط كانت داخلة في سلطان تيهرت⁴.

ثالثا- تأسيس الدولة الرستمية و جهود عبد الرحمن بن رستم في توطيد دعائمها:

أقام عبد الرحمن بن رستم في القيروان واليا و قاضيا لأبي الخطاب حوالي ثلاث سنوات أو أربع، رتب أمورها و أصلح أحوالها و اهتم باقتصادها و ضرب فيها في تلك المدة القصيرة فلسا

1- الشماخي: المصدر السابق، ص 203، محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، 184-296هـ/800-909م. التاريخ السياسي، ترجمة المسحي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1985، ص- ص 387-388، صالح باحية: المرجع السابق، ص81.

2- صالح باحية: المرجع نفسه، ص نفسها، و يذكر ابن الصغير أن الإمام أبا اليقظان كان يعين العمال على جبل نفوسة و غيره من نواحي المنطقة، ابن الصغير: المصدر السابق، ص47.

3- جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص61.

4- سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج2، ص405.

نحاسيا و ديناراً ذهبياً لا يزالان موجودين إلى يومنا هذا¹، و من الواضح أن عبد الرحمن بن رستم على حظ من الثقافة الروحية و الإنسانية² لأنه لم يكن ليبلغ تلك الدرجة بين جند الخوارج لو لم يكن متميزاً بخصال منها التكوين الروحي و الخطابي الذي لا بد أن يتوفر لقيادة الجند في تلك العهود، وقد قام عبد الرحمن بإدارة شؤون البلاد في القيروان حيث عين العمال على النواحي، منهم عبد الله بن عقيب على كتامة³، و لما شعر باهتزاز كرسي القيروان، لجأ إلى بناء قاعدة خلفية تكون له عمقاً لأنه كان يعلم أن الخلافة العباسية لن ترضى بالهزيمة، و لن تتنازل عن إفريقية لخصومها من الخوارج⁴، ومن هنا أسهم عبد الرحمن مساهمة فعالة في بناء الجيش الإباضي و تنظيمه، و خاض معه معارك عديدة ضد ممثلي الخلافة العباسية في المغرب، غير أن نتائج هذه المعارك لم تكن حاسمة لكلا الطرفين، الأمر الذي دفع عبد الرحمن بن رستم إلى الانصراف عن هذا الصراع لعدم جدواه، و لأن همه الوحيد كان نشر المذهب الإباضي في بلاد المغرب، كما أن هذا الموقف الذي اتخذته عبد الرحمن بن رستم، يبين عمق نظره في السياسة و في التدبير⁵، إذ أن عملية الاستمرار في الصراع ضد الجيش العباسي في المغرب الأدنى لا تؤدي إلا إلى إراقة الدماء و ضياع الإمكانات البشرية و المعنوية للحركة، لذلك نجده يتوجه إلى قبائل لماية يعتمد عليهم، فكانت مبايعته بالإمارة أولاً سنة 144هـ/761م⁶، تلتها مبايعته بالإمامة⁷ سنة 160هـ/776م، و نظراً لقصر مدة حكمه في القيروان و إهمال المؤرخين لها يمكن اعتبار بيعته الأولى في المغرب الأوسط بداية حقيقية لحكمه.

1- إبراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص 27.

2- سليمان العشراي: المرجع السابق، ص 88.

3- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 27.

4- نفسه، ص 28.

5- بشار قوينر: المرجع السابق، ص 103.

6 و يذكر السلاوي أهم بايعوه بالخلافة سنة 144هـ، ينظر، السلاوي: الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1956، ج 1، ص 115، و يقول البكري: "في صفر سنة 144هـ هرب عبد الرحمن بأهله و ما خف من ماله و ترك القيروان، فاجتمعت الإباضية و اتفقوا على تقديمه و بنيا مدينة تجمعهم"، البكري، المصدر السابق، ص 68. بورباني الدراجي: المرجع السابق، ص 85، و للمزيد عن كيفية خروج عبد الرحمن بن رستم من القيروان صوب المغرب، ينظر، الشماحي: المصدر السابق، ص - ص 133-134.

7- الإمامة: هي لقب أمير المؤمنين و رئيس الدولة يتصرف في أمورها و ينظر في مصالحها، ترجع له السلطان الزميمة=

فكيف تمت هذه المبايعة بالإمامة؟ وما هي الشروط و المبادئ الأساسية التي روعيت في اختيار عبد الرحمن بن رستم؟ وهل كانت سياسته عند حسن ظن الجماعة فيه و طبقا للشروط المتفق عليها؟

لقد وصف لنا ابن الصغير الكيفية التي تمت بها مبايعة عبد الرحمن بن رستم إماما بقوله: "اجتمع رؤساءهم فقالوا: قد علمتم أنه لا يقيم أمرنا إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا، و ينصف مظلومنا من ظالمنا، و يقيم لنا صلاتنا، و تؤدي إليه زكاتنا، و يقسم فيتنا... و قد كان الإمام أبو الخطاب رضي لكم عبد الرحمن قاضيا و ناظرا، فقلدوه أموركم، فإن عدل فذلك الذي أردتم، و إن سار فيكم بغير عدل عزلتموه¹، و لم تكن له قبيلة و لا عشيرة تدفع عنه". و الغريب أنه من الأسباب التي رشحته لهذا المنصب كونه غريبا لا قبيلة له يشرف بها و لا عشيرة له تحميه، فهو لا ينتمي إلى قبيلة مغربية و لا حتى عربية على أكبر تقدير، خاصة إذا علمنا أن هذه الفترة هي فترة الخصومات العربية المشهورة بين القيسية و اليمنية من العرب²، و كان عبد الرحمن بن رستم قبل هذه المبايعة قد طلب من أعيان تيهرت و مشايخ الإباضية أن يمثلوا لأوامره ما تماشت مع العدل و خلق الإسلام، فإذا انحرف فلا طاعة لهم عليه³. و كان البرنامج الذي تمت على أساسه البيعة هو العمل بكتاب الله

و الروحية، ينتخبه وجوه المدينة و زعماء المذهب و شيوخ الدين بحرية تامة دون مراعات صداقة أو قرابة، فإن رأوا فيه احواجا قوموه بالسيف لا بالرفق و اللين، عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 125، جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 29، أما ابن خلدون فيقول: "لما نأية عن صاحب الشريعة في حفظ الدين و سياسة الدنيا به، تسمى خلافة و إمامة، و القائم به خليفة و إماما، فأما تسميته إماما فتشبيها بإمام الصلاة في اتباعه و الإقتداء به، و أما تسميته خليفة، فلكونه يحلف النبي في أمته"، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 201.

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 29، و يقول أيضا: "لما نزلت الإباضية مدينة تيهرت و أرادوا عمارتها، اجتمع رؤساءهم..." و المقصود بتيهرت هي القديمة، و أن التي استحدثها عبد الرحمن لم تكن أنشئت بعد، و هذا حسب ابن خلدون الذي يجعل مبايعة عبد الرحمن قبل بناء تيهرت الحديثة، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص 30، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر نفسه، م 2، ص 2406.

2- حسين مؤنس: فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة و النشر، ط 1، القاهرة، 1959، ص 144، علي يحيى معمر:

الإباضية في الجزائر، المرجع السابق، ص 136.

3- يفيلا كوست: المرجع السابق، ص 102.

وسنة رسوله وآثار الخلفاء الراشدين¹، وعلى هذا الشرط قبل عبد الرحمن أماناتهم و اشترط عليهم هو الآخر الطاعة في الحق².

إن الإمامة لا تراعي العرف، و لكن الكفاءة³. و في رواية للشماخي يحدد فيها المبادئ الأساسية التي روعيت في اختيار عبد الرحمن و هي أربعة بقوله: "فاتفق رأيهم (الإباضية) على عبد الرحمن لفضله و كونه من حملة العلم... و لكونه عامل أبي الخطاب على إفريقية و لأنه لا قبيلة له تمنعه إذا تغير عن طريق العدل⁴. إذن توجد أربعة أسباب اختاروه على أساسها و هي: - الفضل: و يراد به العدالة و هي عند الإباضية جميع صفات الكمال الأخلاقي من حيث سلامة الاعتقاد و صحة الجوارح و نزاهة النفس⁵. - العلم: و يعرفونه بأنه يوصل مصلحة الجماعة في الدنيا و سعادتها في الآخرة، ويقول ابن خلدون: "إنما يكون منفذا لأحكام الله تعالى إذا كان عالما بها و ما لم يعلمها لا يصح تقديمه لها⁶. - الوصية: و يراد بها وصية الإمام القائم لمن يخلفه و لا تكون فردا ملزما للأتباع و إنما توجيهه، وقد قلدوا في ذلك ما فعله أبو بكر رضي الله عنه قبل موته عندما أوصى لعمر رضي الله عنه، وكانت الإباضية أميل لاتباع ما فعل عمر رضي الله عنه و ذلك باختيار ستة من أصحابه ليشخبوا من بينهم خليفة، و بالفعل كان لإمام الإباضيين أصحاب يسمون أهل الشورى، و كان عليه أن يستشيرهم في كل أمور الإمامة، فإذا مات كان على الستة اختيار الإمام الجديد⁷. - ألا يكون للإمام عصبية تؤيده، لا تعتمد العصبية في الإمامة و في فرض السلطان على الناس⁸. - كما كان على الإمام أن يحيا حياة

1 - و يقول الشماخي: "...فقبلها على ذلك و أقام بأمر الله و زهد الدنيا بعد أن تمكن منها..."، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص140.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص9، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 120-121.

3- محمد علي دبور: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص396، و يذكر ابن خلدون أربعة شروط للإمامة، و هي: العلم و العدالة و الكفاية و سلامة الخواص و الأعضاء مما يؤثر في الرأي و العمل، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص203.

4- الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص140.

5- نفسه، ج1، ص نفسه.

6- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص203، حسين مؤنس: المرجع نفسه، ص- ص 117-118.

7- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص- ص 54-55.

8- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص118.

الزهد و من ذلك أن ابن رستم لما قدم عليه من العراق رسل من الإباضية واصل ما كان مشغلا به في إصلاح شقاق في سطح بيته بالطين، و لم يتزل لاستقبالهم إلا بعد أن أتم شغله، و قدم لهم خبزاً و سمناً، و ليس في بيته شيء سوى وسادة ينام عليها، و سيفه و رمحه و فرس مربوطة في ناحية من داره¹، و قد تمت مبايعته بالإمامة على هذه الأسس سنة 160هـ²، و قيل عام 162هـ³ بعد وفاة إمامهم أبي حاتم⁴، و كان ذلك بعد أن رست قواعد الدولة و رسخت دعائمها و توطدت أركانها و أصبحت قادرة على الدفاع عن نفسها⁵. كما اشترك في مبايعة عبد الرحمن بن رستم أيضاً إباضية طرابلس⁶.

و اتسع سلطانه بين القبائل العديدة التي دخلت في طاعته و على رأسها نفوسة، و ساد الأمن و السلام ربوع بلاده. لقد كان عبد الرحمن عند حسن ظن الجماعة فيه، فقد أحسن السيرة و جلس في مسجده للأرملة و الضعيف⁷، و يقول ابن الصغير: "شمر مئزره، و أحسن سيرته، و جلس في مسجده للأرملة و الضعيف و لا يخاف في الله لومة لائم، فطار ذلك في أطراف الأرض، مشارقها و مغاربها"⁸ فلم ينقم عليه أحد في حكمه، و لم يكن في أيامه اختلاف، و عندما انتشرت أخبار عدله و سيرته الحسنة توافدت عليه الأنصار من كل مكان، لا من البلاد المغربية فحسب، بل حتى من المشرق من العراق و البصرة و خراسان⁹. و لما سمع إباضية المشرق بعدله و فضله، قرروا مساعدته من

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 10-11، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 140، محمد علي دهبوز: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج 2، ص 22.

2- الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص- ص 40-41.

3- الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 139.

4- أبو حاتم يعقوب بن حبيب الكندي بالولاء، ثار على رأس جمع كبير من البربر سنة 151هـ و هزم جيوش عمر بن حفص أمير إفريقية عند طرابلس، و حاصر القيروان و قاتل عمر حتى قتل، اتخذ جبل نفوسة قاعدة له، ولايته كانت ولاية دفاع، تولاها بعد مقتل أبي الخطاب، توفي سنة 155هـ ينظر هامش أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 49، الشماخي: المصدر نفسه، ج 1، ص 128.

5- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص 80.

6- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير في العصر الإسلامي، المرجع السابق، ج 2، ص 547.

7 سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 2، ص 302، رايح بونار: المرجع السابق، ص 36، مبارك ميني: المرجع السابق، ص- ص 71-72.

8- ابن الصعير: المصدر السابق، ص 28.

9- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص- ص 118-119.

جديد، حيث بعثوا له عشرة أحمال من المال، لكنه رفض قبولها¹، و طلب رد المال إلى أصحابه، خاصة عندما عرف أحوال إخوانه بالشرق، بأنهم مستضعفون غير قادرين، و أن بجماعتهم مثلما بجماعة الناس من الغناء و الفقر². و من هنا يتضح لنا أن عبد الرحمن لم يكتف بما تحقق من استقلال أهل المذهب في تيهرت بل كان يرمي إلى تحرير الجماعة الإباضية في المشرق من الحكم العباسي³، و يحمل القول أن سياسة عبد الرحمن يمكن جمعها في النقاط التالية:

1 - اشتهر بحسن السيرة و العدل في رعيته⁴، فكان فقيها في شؤون الدين عامة و قضايا المذهب خاصة، و هو القائد الأعلى لكل قضايا الدولة⁵.

2 - أسهم في مجد الأمن و السلام بين الطوائف و المذاهب في المغرب من خلال سياسته المرنة مع حيرانه.

3 - تمكن من تأسيس رابطة مذهبية وسط اتحاد قوي يضم قبائل مختلفة كانت دائما في صراع و تنافس.

4 - توافدت إليه قبائل من مناطق مختلفة من أجل أن تعيش في كنف دولته العادلة و حتى الذين لم يتمكنوا من الوصول إليه كانوا يعتبرون أنفسهم تابعين لدولته و يعترفون به كإمام لهم⁶.

أما على صعيد السياسة الخارجية، فقد انتهج الإمام عبد الرحمن بن رستم سياسة المسالمة التي رأى فيها وسيلة لتأمين هذه الدولة الفتية مما يمكن أن يحاط بها من أخطار خارجية، لا سيما الدولة العباسية

1- الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص141، شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص44، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص- ص 119-120.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 13-14، و يقول الشماخي: "...ارجعوا بما لكم فإن أربابه أرحم إليه ما لأى في أرض قد استولى عليها العدل و هم في بلد غلب عليه الجور..."، ينظر، الشماخي: المصدر نفسه، ص نفسه.

3- ابن الصغير: المصدر نفسه، ص15.

4- بحار ابراهيم: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص102.

5- بشار قويدر: المرجع السابق، ص105، و يقول ابن الصغير في هذا الشأن: "فسار فيهم سورة جميلة حميدة أولهم أحرهم، و لم ينقموا عليه في أحكامه حكما و لا في سوره سورة"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص31، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ص2، ص2406.

6- بشار قويدر: المرجع نفسه، ص106، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص141.

الممثلة في ولاية القيروان و بالتالي إبرام معاهدة سلام مع والي القيروان روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب سنة 171هـ/787م¹.

و هكذا يمكن القول أن عبد الرحمن بن رستم تمكن في فترة وجيزة من أن يؤسس دولة قوية لها جيرانها اتصلوا به يطلبون صداقته و هاجر إليه كثير من أهل المشرق و المغرب و الأندلس². و هذا ما دفع يحيى معمر إلى تشبيهه بن رستم بعبد الرحمن بن معاوية "عبد الرحمن الداخل"، فإذا كان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور قد أطلق على الأخير لقب "صقر قريش"، فإن علي يحيى معمر لقب عبد الرحمن بن رستم بـ "صقر فارس" بقوله: "إنني كلما ذكرت عبد الرحمن بن رستم إلا و ذكرت بطلا آخر يشبهه في بعض المواقف، ذلك هو عبد الرحمن الداخل صقر قريش، على أن صقر قريش قد وجد من عناية التاريخ و احتفال الكتاب به، ما رسم حوله هالة من المجد و العظمة، أما صقر فارس، فوجد من إهمال التاريخ و حقد المؤرخين و الكتاب عليه و انصرافهم إلى طمس مزاياه و أخباره ما كان حريا أن يخرج من حيز الوجود و يطمس آثاره من واقع الحياة"³. و يواصل مقارنته بقوله: "كان الرجلان متعاصرين، نالتهما الأحداث من الدولة العباسية الناشئة بسبب انتماء كل واحد منهما إلى دولة سابقة، فقد فر صقر قريش و لحق بالأندلس سنة 138هـ، و فر صقر فارس من القيروان واستقر بتاهرت سنة 141هـ... و ترك الداخل دولة عظمى في الأندلس، و ترك الفارسي إمامة عظمى في الجزائر..."⁴.

و لما أحس عبد الرحمن بن رستم بدنو أجله اقتدى بعمر ابن الخطاب رضي الله عنه بجعله الإمامة شورى في سبعة نفر من خيرة رجال الدولة الرستمية و ممن كان يتوفر فيهم الصلح و الزهد، منهم: مسعود الأندلسي و كان فاضلا فقيها من شيوخ المسلمين و أبو قدامة يزيد بن فنديل اليفرني،

1- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 107، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص 125، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م 2، ص 1407.

2- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج 2، ص 550.

3- علي يحيى معمر: الإباضية بالجزائر، المرجع السابق، ص 134.

4- نفسه، ص - ص 136-137.

و عمران بن مروان الأندلسي، و عبد الوهاب بن عبد الرحمن، و أبو الموفق سعدوس بن عطية، و شكر بن صالح الكتامي، و مصعب بن سلمان¹.

و قد جاءت وفاة عبد الرحمن بن رستم في سنة 171هـ/787م²، و قيل في سنة 168هـ³.

المبحث الثالث: توطد دعائم الحكم في الدولة الرسومية و تطورها السياسي

أولاً- مراحل الحكم و الإمامة بعد عبد الرحمن بن رستم:

حكم مدينة تيهرت في المغرب الأوسط، أحد عشر إماماً من بني رستم⁴، بالتالي فالحكم قد تعاقب في أفراد أسرة واحدة، و كان أول أئمتها عبد الرحمن بن رستم التي دامت إمامته إحدا عشر سنة أي من 160هـ حتى 171هـ⁵. إن الفترة التي أعقبت وفاة عبد الرحمن بن رستم تعد من أخرج الفترات التي مرت بها الدولة الرسومية حيث أن المرشحين السبعة للإمامة⁶ لم ينتهوا في فترة وجيزة من عملهم الذي كلفهم به عبد الرحمن بن رستم و هو اختيار واحد منهم للإمامة، و قد استمرت اجتماعاتهم شهراً كاملاً دون أن يتخذوا قراراً في هذا الشأن، و في الأخير اتفقوا على اختيار أجد الإثنيين، إما مسعود الأندلسي أو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، لكن الأكثرية من المرشحين مالوا إلى اختيار مسعود الأندلسي لمنصب الإمامة⁷، و الذي دفعهم إلى ذلك أحد الأمرين هما:

أولاً: أن مبدأ الإباضية كان يقتضي الالتزام بالشورى دون الوراثة.

ثانياً: إن مسعود الأندلسي كان أعلم من عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم⁸.

1- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص- 54-55، شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص44، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص145.

2- أبو زكرياء: نفسه، ص56، إبراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص38.

3- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص196.

4- ستانلي بير بول: الدول الإسلامية، تصحيح، يارتولد و خليل أدهم، نقله من التركية إلى العربية محمد صبحي مرزات و محمد أحمد وهمان، مطبوعات مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق، د.ت، ص118.

5- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، للرجع السابق، ص65، إبراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص38.

6- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص57.

7- نفسه، ص58، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص145.

8- السيد عبد العزيز مالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ص551، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص109.

لكن مسعود الأندلسي كان ينفر من الرئاسة و يزهّد فيها، فأثر أن يتخلّى عنها لعبد الوهاب، فلما تقرر عقد المجلس في دار الإمامة توارى عن الأنظار و انسحب تاركاً الفرصة لعبد الوهاب في تولي الإمامة، و كان مسعود الأندلسي أول من بايع عبد الوهاب و تتابع من ورائه الحاضرون، ثم بايعه المسلمون بعد ذلك بيعة عامة¹، فتولى عبد الوهاب الإمامة، و هكذا أغلب مبدأ الوراثية على مبدأ الاختيار².

و من هؤلاء الأئمة:

— عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (171-208هـ/787-823م)³:

تولى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم منصب الإمامة سنة 171هـ⁴، و كان آنذاك في الثانية والخمسين من عمره⁵. و قد قضى أغلب هذه السنين بجوار والده عبد الرحمن يقاسمه فيها حلول الحياة ومرها، و رغم أن المصادر لم تذكر الكثير من التفاصيل عن حياة عبد الوهاب قبل توليه منصب الإمامة، إلا أن الذي لا شك فيه أنه كان إلى جانب واده في كل جهوده السياسية و الحربية التي قام بها لتأسيس دولة إباحية و أنه عاش مع والده في القيروان. لقد اكتسب عبد الوهاب خبرة واسعة في السياسة و الإدارة و الحرب، كما كانت لديه شخصية قوية اكتسبها من والده و استطاع بفضل الميزات المتعددة لشخصيته أن يحتفظ بمركزه كإمام رغم الفتن التي واجهته و منها ما سمي بالافتراق⁶.

1- الدرر جيني: المصدر السابق، ج 1، ص 47، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 145.

2- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 55.

3- ذكره ابن عذارى باسم عبد الوارث، ابن عذارى: المصدر السابق، ص 197.

4- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م 2، ص 2407.

5- محمد علي دبو: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج 3، ص 455.

6- الافتراق: يعرفه ابن خلدون بالاختلاف و التنازع و يحدث عندما يكون القبيل الواحد فيه بيوتات متفرقة و عصبية متعددة، و يستدل بقوله تعالى: "و لولى دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض" [سورة البقرة: الآية 251]، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 152، (ستحدث عن هذا الافتراق و عن الواسلية في عصر سقوط الدولة الرستمية).

الأول مع النكارية¹ بقيادة يزيد بن فندين² و مع الواصلية³، لكنه تمكن من القضاء على ثمرتهم وبعدهما ساد الهدوء و الاستقرار في الدولة الرستمية قرر عبد الوهاب السفر لأداء فريضة الحج فاستخفف ابنه أفلح على تيهرت فمضى شرقا و في صحبته زوجته و جمع كبير من رجاله و سلكوا الطريق الصحراوية المارة بقسطيلة و جبل دمر⁴ إلى أن وصلوا إلى جبل نفوسة⁵، فترلوا فيه و منعه السكان من متابعة السير إلى مكة خوفا من أن يقع في أيدي العباسيين فيقتلوه. أقام الإمام عبد الوهاب في جبل نفوسة سبع سنين⁶ تولى فيها شؤون القوم و ألف كتاب أسماه "مسائل نفوسة الجبل"⁷، كما استطاع أن يوسع هذه إلى غاية صحراء طرابلس، بعد ذلك عزم على العودة إلى تيهرت⁸، و هكذا نجح عبد الوهاب في توطيد أركان الدولة الرستمية و في الوصول بها إلى أوج اتساعها، و ترك لخلفائه دولة قوية الدعائم متينة الأركان⁹، يقول عنها ابن الصغير: "و كان عبد الوهاب هذا قد اجتمع له من أمر الإباضية و غيرهم ما لم يجتمع الإباضية قبله، و دان له ما لم يدن لغيره و اجتمع له من من الجيوش و الحفدة ما لم يجتمع لأحد قبله، و لقد حكى لي و جماعة من الناس أنه قد بلغت سمته إلى أن

- 1- النكارية: هم أتباع يزيد بن فندين الذين تنكروا لإمامة عبد الوهاب و ثاروا ضده، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 37.
- 2- يزيد بن فندين: هو أحد الذين رشحهم عبد الرحمن بن رستم لمنصب الإمامة، و قاد تيار المعارضة ضد الإمام عبد الوهاب وهو ينتمي إلى بني يفرن و هو فرع قوي من قبيلة زناتة البتيرة، أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص- ص 85-96.
- 3- الواصلية: هي مذهب واصل بن عطاء الغزال من أئمة البلاغة و علم الكلام، لقد نشرت الواصلية مذهب الاعتزال في مختلف أنحاء العالم الإسلامي حيث بعث واصل بعضا من رجاله إلى اليمن الجزيرة و أرمينية و المغرب إلخ، أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1900، ص- ص 92-93، و قد أشار البكري لهذه الفئة بقوله: "و كان بجمع الواصلية قريبا من تاهرت، و كان عندهم نحو ثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الأعراب يحملوها"، البكري: المصدر السابق، ص 67، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 8.
- 4- جبل دمر: هو يشكل الطريق الغربي للسلسلة التي تمتد من جنوب طرابلس حتى قايس، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 114.
- 5- ابن الصغير المالكي: المصدر السابق، ص 49.
- 6- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص 84.
- 7- جمعية التراث: أعلام الإباضية منذ القرن 1هـ إلى العصر الحاضر، م1، المطبعة العزبية، غرداية، الجزائر، 1999، ص- ص 591-592، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 45.
- 8- حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته، المرجع السابق، ص 329.
- 9- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص- ص 118-119.

حاصر مدينة طرابلس و ملأ المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان¹. أولى اهتماما كبيرا لسياسة الخارجية باعتماد المسألة و هي نظرة اقتضتها ظروف تأسيس و توطيد الحكم الناشئ، فقد وادع هو الآخر والي إفريقية روح بن حاتم و أبرم معاهدة سلم معه سنة 171هـ/787م². و ضل الهدوء سائدا في الدولة الرسمية حتى توفي الإمام عبد الوهاب سنة 208هـ³، و قيل 211هـ⁴. و قد تولى الإمامة بعده ابنه أفلح.

- أفلح بن عبد الوهاب (208-240هـ/823-854):

مارس الإمام أفلح الحكم أثناء غياب أبيه في جبل نفوسة، فعاش في قلب المعارك التي أدارها والده، فشاركه محاربته الواصلية، مكنته من أن يكون أهلا لخلافة والده حيث اجتمع أهل الشورى من علماء الدولة، و أجمعوا على مبايعة أفلح بالإمامة في 208هـ لما رأوا فيه من صلاح و كفاءة لهذا المنصب⁵، قد أظهر أثناء حياة أبيه من الورع و التقوى و حسن السيرة و العلم، فاستمال قلوب الناس بالمعروف و القول الحسن و العمل البار و العدل و الإنصاف⁶. تميز عهده بالازدهار الإقتصادي و تطور الحركة العلمية في شكل جعل تيهرت تعرف توسعا في نسيجها العمراني و إقبالا عليها من كل المناطق، فيصورها لنا ابن الصغير بقوله: "و عمرت معه الدنيا، و كثرت الأموال و المستغلات، و شاخ في ملكه، و أته الرفاق و الوفود من كل الأمصار و الآفاق بأنواع التجارات، و تنافس الناس في البنيان..."⁷، كما ازدهر النشاط التجاري و توسعت التجارة مع بلاد السودان، خاصة مملكة

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 17.

2- Gautier E.F: opcit, p303.

3- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 87.

4- اختلفت الروايات حول مدة حكمه، فمن قائل بأنها دامت أربعين سنة، أي أنه تولى الحكم سنة 168هـ/784م، و مات سنة 208هـ/823م، و قائل أنها لم تتجاوز 19 سنة، غير أن سليمان الباروني يقول أنه حكم من سنة 171هـ إلى 190هـ/805م سنة وفاته، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 212، بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص - ص 91-92.

5- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 85، الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 72.

6- عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 32، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، المرجع السابق، ج 2، ص 558.

7- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 17.

"كوكو"¹، علما أن والده الإمام عبد الوهاب كان يخرج عليه الدخول في التجارة تورعا و بعدا عن الوقوع في بعض الشبه من حيث البيع و الشراء، حت أنه عزم مرة التوجه إلى مملكة "صوصو" بقصد التجارة إلا أنه بعد أن هيا نفسه و برز برحله، خرج إليه والده و قال له: "ارجع..." فرجع...² كما نالت الدولة في عهده حظها من الإزدهار الثقافي خصوصا الثقافة الدينية، إذ امتلأت مساجد تبهرت بطلاب العلم، و شاركت المرأة أيضا في هذه النهضة الثقافية، فكانت أخت الإمام أفلح ممن نبغن في علم الحساب و الفلك و التنجيم³، كما استطاع الإمام أفلح أن يجذب الواصلية و يستميلهم إلى جانبهم، فأصبح رئيسا لهم إلى جانب كونه رأسا للإباضية و الصفرية، و في ذلك يقول البكري: "و كان ميمون (أفلح بن عبد الوهاب) رأس الإباضية وإمامهم و إمام الصفرية و الواصلية..."⁴ و رغم هذا نشبت في عهده بعض التيارات المعارضة مثل الحركة التي سماها الإباضيون "الإفتراق الثالث" التي قادها نفاث بن نصر النفوسي⁵.

و في فترة حكمه، ألقى العباسيون القبض على ابنه أبي اليقظان عندما كان ذاهبا إلى الحج، فحمل إلى بغداد⁶ و زج به في السجن⁷، و لما علم أفلح بما حدث لولده، اشتد حزنه عليه و طال غمه به، فلم

1- كوكو: يقدر بعدها عن تبهرت بثلاثة أشهر سيرا بالقوافل عبر ورجلان، هي أحد أقاليم مملكة مالي الخمسة التي ذكرها البكري بمحل، و الإدريسي بملهم، أما بن خلدون فيقول: "و كانت تجاورهم أي "غانة" من جانب الشرق أمة أخرى فيما زعم النقالون، تعرف بسوسو... ثم أمة تعرف بمالي ثم بعدها أمة تعرف بكوكو..."، ينظر، البكري: المصدر السابق، ص 178، الإدريسي: المصدر السابق، ص 4، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، م 2، ص 1436.

2- mosques du M'zab et du Willem's didier: Recherches sur quelques grande sahel central, Etude realisee dans le cadre d'un D.E.A en Etudes Islamiques, Institut D'histoire de l'art et archeologie, paris, IV — Sorbonn, Année Académique, 1990-1991, p34.

3- محمد عيسى الحرير: المرجع السابق، ص 151.

4- البكري: المصدر السابق، ص 68.

5- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 138، الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص - ص 77-82.

6- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص 87.

7- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 27.

يزل مهموما محزوناً إلى أن وافته المنية في سنة 240هـ/854م¹.

— أبو بكر بن أفلح (240هـ — 241هـ):

لقد تغيرت الأمور في الدولة الرستمية بعد وفاة أفلح، إذ تولى الإمامة ابنه أبو بكر الذي لم يكن على المستوى المطلوب للحاكم الذي يقود دولة لها أهميتها مثل الدولة الرستمية، وقد اجتمع أهل الحل والعقد من نفوسة وغيرهم وعقدوا الإمامة لأبي بكر بن أفلح سنة 240هـ² لأنهم لم يجدوا غيره في أبناء البيت الرستمي، فأخوه اليقظان كان أقدر منه على إدارة شؤون الدولة ولكنه كان لا يزال مسحوناً ببغداد، وكان أخوه الثالث يعقوب صغير السن لذلك تمت مبايعة أبي بكر بالإمامة، وكان شاباً طائشاً لم يحسن الإدارة كما أنه لم يكن عادلاً يحكم بأصول الدين كآبائه، بل كان يميل إلى الراحة و حياة الخمول³، فانغمس في الترف و أسرف في اللهو⁴، يقول ابن الصغير: "يسامح أعين المرجحات و يشايهمهم على مواقم و يحب الأدب و الأشعار و أخبار الماضين"⁵.

ترك أبو بكر شؤون الدولة لصهره محمد بن عرفة⁶ الذي كان من أعيان تيهرت، مهمته

الإنصال بالرعية، و النظر في قضاياهم، فأصبحت الإمامة الفعلية لمحمد بن عرفة و الإسمية لأبي بكر⁷، و في تلك الأثناء عاد أبو اليقظان من العراق بعد أن أطلق سراحه، فوجد أحوال الدولة الرستمية كما هي لم تتغير، فأسلم إليه أبو بكر مقاليد الإمامة و ترك له مهمة القيام بشؤون الدولة

1- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، المرجع السابق، ج2، ص559، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 290-291، الزركلي: الأعلام قاموس التراجم، ج1، مطبعة القاهرة، ط2، 1954، ص442،

و قد اكتفى ابن الصغير بقوله: "و كان أفلح قد عمر ما لم يمر أحد ممن كان قبله فأقام خمسين عاماً أمراً"، بينما الدرجيني يقول: "و كانت مدة إمامته ستون سنة"، ينظر ابن الصغير: المصدر السابق، ص26، الدرجيني: المصدر السابق، ص85.

2- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص155، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص292.

3- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص67.

4- عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص134.

5- ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 61-62.

6- محمد بن عرفة: سبق و أن قام بالمفارقة بين أفلح بن عبد الوهاب و مملكة كوكو و كان محمد بن عرفة قد تزوج بأخت أبي بكر بن أفلح و في المقابل كان محمد بن عرفة أخت تزوجها أبو بكر، الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص83.

7- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص68، و يقول ابن الصغير: "فكانت الإمارة بالإسم لأبي بكر و بالحقيقة لمحمد بن عرفة"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص62.

وحل مشاكلها. و في المقابل كان نفوذ ابن عرفة في ازدياد، و صيته في ذوي مما أوغر صدر رؤساء الإباضية عليه، فحسده غير واحد على منصبه و سعوا به عند أبي بكر حتى أغروه عليه، فما كان منه إلا أن قتله غيلة و غدرا¹ لتدخل البلاد بعد ذلك في نار الفتن و لم يتمكن أبو بكر من إطفائها، فتخلى عن السياسة و تقدم أخوه أبو اليقظان الذي نجح في إخماد هذه النار و القضاء عليها نهائيا.

— أبو اليقظان محمد بن أفلح (241هـ-281هـ):

لم تذكر المصادر شيئا عن المراحل الأولى من حياة أبي اليقظان، و إنما اكتفى بعضها بالحديث عن ورعه و تقواه و أنه كان حسن الحال عند جميع الناس. كان أبو اليقظان وقت وفاة أبيه أسيرا عند بني العباس²، فقد قبض عليه عامل الحجاز و هو متجه إلى الحج كما كرنا سابقا، و قد سجن مع المتوكل³، فتصادق معه، و لما اعتلى المتوكل عرش الخلافة، أمر بإطلاق سراح أبي اليقظان و آذن له بالعودة إلى بلاد المغرب⁴. و كانت لهذه الفترة التي عاشها أبو اليقظان في بغداد أثرها في تكوين شخصيته السياسية سواء تلك الفترة التي قضاها مع المتوكل في السجن، أو التي قضاها في بلاط العباسيين، حتى ارتحل عنهم إلى بلاد المغرب⁵. كانت لأبي اليقظان شخصية قوية استمدت عناصر قوتها من مقوماته الجسمية و سلوكه الشخصي، فقد كان مربوع القامة، أبيض الرأس و اللحية، زاهدا ورعا⁶. و بعد عودته إلى تيهرت تمت مبايعته بالإمامة، و قيل بعد موت أخيه أو بتسليم منه إليه سنة 241هـ⁷، و تمت بيعته و أحوال البلاد في غاية السوء من الإضطراب و الفتن، فاستنجد بسكان جبل نفوسة الذين أملوه بجيش كثيف تمكن بفضلهم و بفضل عزيمته و شجاعته من القضاء

1- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص 89.

2- عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 135.

3- المتوكل: هو أخو الخليفة الواثق، حيث غضب عليه فقام و سجنه و هناك التقى بأبي اليقظان، أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميري: حدوده المقتبس في ذكر ولاية الأتلمس و أسماء رواة الحديث و أهل الفقه و الأدب و ذوي السابعة و الشعر، تحقيق و تصحيح محمد بن تاروت الطنجي، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، د.ت، ص 328.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 63.

5- نفسه، ص نفسها.

6- رابع بن تاروت: المرجع السابق، ص 37.

7- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 98.

على الثوار، و بذلك احتل موضع التقدير من الجميع، و يذكر الدرجيني في هذا الصدد: "فكانت نفوسة فيما قيل لا يعدلون أيامه و سيرته إلا بإمامة جده عبد الرحمن و سيرته، و ذلك أنه اتخذها مجلسه حينئذ كالمسجد، فطائفة يصلون، و طائفة يقرؤون القرآن، و طائفة يتذكرون في فنون العلم"¹. بقي أبو اليقظان في منصب الإمامة مدة أربعين سنة²، تمتعت الدولة الرستمية خلالها بكثير من الإصلاحات الداخلية التي ساهمت في دعم مركز الدولة السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي، و هذا ما ذكره محمد بلقراد في مقاله، نقلا عن اليعقوبي الذي زار تيهرت في عصر أبي اليقظان و اعتبرها فترة ذهبية حتى أنه وصفها بـ "عراق المغرب"³. و من أعماله: تجديد دار الإمام⁴، و تقديم من هو أهل بالوظائف العليا و تسيير الأمور بليز، و قد قدم أحد علماء عصره "أبو عبيدة" على القضاء، أما الإمام أبو بكر، فقد قضى بقية أيامه في تيهرت في ظل إمامة أخيه أبي اليقظان الذي عمل على استتبات الأمن، فظلت أحوال الدولة هادئة إلى نهاي حكمه و وفاته سنة 281هـ — بعد أن عاش من العمر أكثر من مائة سنة⁵. و لم يخلف وراءه شيء سوى قيمة قدرت بسبعة عشر دينارا⁶، و خلف من الولد المذكور عددا، منهم يقظان الذي كني باسمه، و يوسف المكنى بأبي حاتم و أبي خالد، و عبد الوهاب، و وهب، و غيرهم مما لا ذكر له⁷.

— أبو حاتم يوسف بن محمد (281هـ/294هـ):

تولى الإمامة بعد وفاة محمد بن أفلح، مكث في الإمامة اثني عشر عاما⁸ حيث أنه كان و هو أخوه اليقظان غائبان عندما توفي والدهما، فيقظان كان بالموسم، أما أبو حاتم، كان قد أخرج به أبوه في جيش مع وجوه زناتة ليحجروا "أي يؤمنوا" قوافل قد أقبلت من المشرق، و فيها أموال لا تحصى،

1- الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص- ص 83-84، أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص98

2- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب و الأندلس، المرجع السابق، ص37.

3- محمد بلقراد: الحركة الإباضية في تاهرت و ستراتة، مجلة الأصالة، العدد41، 1977، ص58.

4- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص- ص 91-92.

5- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص197.

6- ابن الصغير: المصدر السابق، ص89.

7- نفسه، ص نفسها.

8- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص100، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص84.

خوفا من قبائل زناتة¹، و لما رجع إلى المدينة، استقبله سكانها و حملوه على الأعناق و الأيادي، واصعدوه المنبر، و بايعوه، ثم أرسلوا إلى القبائل و بايعوه².

و قد كان له رجلان من خلاصته من أهل المدينة، كما من أهل الحرب و النجدة، و هما محمد بن رابع، و محمد بن حماد³، و كانا هما أول بن بايعوه، و كانا جريئين جدا إلى حد أنهما قالوا يوما لأبي الحاتم، و كان أبوه قد لأمه على شيء "خل بيننا و بينه، نحن ندخل عليه فنقتله، و يصير الأمر إليك" فاستكر أبو الحاتم قولهما، و قد خشي على نفسه، فأمر بهما فأخرجاهما من المدينة⁴، و ثار أهلها عليه⁵. و قد كان أبو حاتم رجلا وسيما، حيا، كريم السجيا و الأخلاق، واسع الإحسان والبر بأترابه⁶، مدربا على إدارة شؤون الحكومة، و لعل في بداية إمامته، ظهرت أزمات رافقتها تطورات و أحداث متفاوتة، حيث خرج عليه يعقوب بن أفلح بتحريض من بعض سكان تيهرت، فأعلنوا الثورة عليه، و استقدموا يعقوب من زواغة⁷، و بايعوه بالإمامة، فقامت الحرب في العاصمة الرستمية، و احتدم القتال بين أنصار أبي حاتم، و أنصار يعقوب، حيث دامت هذه الحرب حوالي أربع سنوات، و انتهت بانتصار أبي حاتم، و عودته إلى الإمامة، و عودة عمه إلى زواغة سنة 294هـ⁸، و قضى ثمانية سنوات أخرى أعاد فيها النظام للدولة، و طهرها من الفساد الذي طغى على المجتمع، إلا أنه لم يستطع أن يقضي و يمحي جذور الفساد في الأسرة الرستمية التي كانت سببا في قتله⁹.

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 91.

2- سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص- ص 350-351.

3- و لعله أبا بكر بن حماد الشاعر المشهور، سليمان الباروني، المرجع السابق، ص- ص 350-351.

4- سليمان الباروني: نفسه، ج 2، ص 353.

5- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص- ص 92-93، سعد زعلول: تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ج 2، ص 383، Andre negre, la fin de l'état rostumide, revus d'histoire et de civilisation du magureb, faculté des lettres d'Alger, 1967, p - p 33 - 34.

6- سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 348.

7- زواغة: هم من بطون البرابرة البتر، و هم ثلاثة بطون هي: دمر، بنو و طيل، و بنو ماجر، و هم متفرقون في نواحي

8- ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 197، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 363.

9- رابع بنونار: المرجع السابق، ص 37.

و قد شارك أبو بكر الناقمين و الثائرين على أبي حاتم، ثم عاد إليه طالبا العفو في قصيدة مدح رائعة وجميلة جاء في مطلعها:

و مؤنسه لي بالعراق تركتها و غصن سبائي في العصون نضير
فقال: كما قال النواصي¹ قبلها "عزيز علينا أن تراك تسير"²

و قد شهد أيضا عهده تنكرا الطيب بن خلف في حيز طرابلس³، و جبل نفوسة، فعهد الإمام بتأديبه إلى منصور إلياس، فوجه إلى الطيب جيشا لمحاربته، فالتجأ هذا الأخير إلى زواغة، فطاردهم أبو المنصور، و حاصر جربة، و قبض عليه، و حمل مقيدا إلى جبل نفوسة، و حبس فترة، ثم أخرج بعد أن أعلن توبته و عودته إلى ولاء الإمام⁴، و لما توفي أبو منصور إلياس، أسند الإمام ولاية نفوسة إلى أفلح بن العباس، و لم يكن بمهارة أبي المنصور، فقد انهزم على يد الأغالبة سنة 284هـ، و قد كان عدد النفوسيين عشرين ألف مقاتل، يقودهم أفلح بن العباس، و سميت هذه الموقعة بـ "مانو"⁵. و قد عاود إبراهيم بن أحمد الأغلبي الكرة مرة أخرى، فأرسل ابنه أبا العباس إلى نفوسة، و قتل عدد منهم، و أسر حوالي ثلاثة مائة شخص، و أخذهم إلى القيروان، و أمر بذبحهم، و استئصال قلوبهم، و نظمها في جبال نصبت على باب تونس⁶، و بهذه الهزائم، أثرت سلبا في سقوط هيبة

1- النواصي: هو أبو النواص الحسن بن هاني الحكمي، مبارك الميلي: المرجع السابق، ص 74.

2 - البرادي نقلا عن سليمان الباروني، المرجع السابق، ج 2، ص 365.

3- الدرر جيني: المصدر السابق، ص 100، مبارك الميلي: المرجع نفسه، ص 75.

4- الشماحي: المصدر السابق، ج 2، ص 225، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 563، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 1، ص 370.

5- تنسب هذه الموقعة إلى قصر "مانو"، و قد دخل الخوارج المعركة بعد كثير من التردد و خاصة أن أميرهم أفلح بن العباس أي ذلك، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 107، الدرر جيني: المصدر السابق، ج 1، ص 87، الباروني: المرجع السابق، ص 372، و ينظر:

Brahim.Fekar: Les institus Ibadites Magrebines au moyen- age, Actes du 3angres d'histoire et de la civilisation du magreb, tome1, office de publicatins universitaires, Oran 26- 27- 28/11/1983, p119.

6- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 564، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 374 - 375.

الإمام و طمع أقاربه في الإمامة، و قد قضي على أبي حاتم قتلا من طرف أحد أبناء أخيه اليقظان بن أبي اليقظان سنة 294هـ¹، و تولى هذا الأخير هذا المنصب.

- إمامة يعقوب بن أفلح (284هـ/288هـ):

كان يعقوب بن أفلح يطمع في الإمامة بعد وفاة أخيه بن الأفطح، و لما بويع ليوسف بن أخيه الإمامة، انقطع يعقوب عنه و رحل إلى زواغة، و لما ثار أهل تيهرت على يوسف و أخرجوه منها²، أعلنوا الثورة عليه، و استقدموا يعقوب من زواغة و بايعوه بالإمامة، و دامت أربع سنوات³، و كان يعقوب رفيع الهمة، نزيه النفس، حيث وصفه ابن الصغير قائلا: "إنه كان بعيد الهمة نزيه النفس، ماجس بيده ديناراً و لا درهما فكأنه أعاد سيرة الإمام الأول في ورعه و تقشفه. فقد كان إذا أتى و كي له بغلاته أمر بأن يجعلها تحت بردعه له يجلس عليها.

و إذا أراد إخراج شيء منها دفعه بقضيب من يده، و كان يعقوب إذا سافر و نزل يقوم لم يأكل لهم طعاماً، و كانت له بقرات يأمر بحلبهن بين يديه في إناء حديد، فإذا امتلأ شربه أجمع ثم يقوم عيه ثلاثاً لا ياكل طعاماً و لا يشرب شرباً و لا يخرج لبراز... و كان له فرس أشقر لم يكن بالمغرب مثله، لا قبله و لا بعده..."⁴.

و قد قامت الحروب بينه و بين المصلحين و وضعت الفتنة و أوزارها، و عاد أبو حاتم إلى إمامته سنة 286هـ، وقتها قال يعقوب قولته المشهورة: "لا يجتمع منكم إثنان إلا ما كن عليهم الطلب، افترقوا فقد انقضت أيامكم، و زوال مملكتكم و لا يعود إليكم إلى يوم القيامة"، و أقبل هو و عياله و أهله إلى ورجلان⁵. إلا أن الصراع ظل قائماً داخل البيت الرستمي، مما يؤدي إلى قتل أبي حاتم من قبل أبناء أب اليقظان أخيه من الأب سنة 294هـ⁶.

1- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص 133، جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 69.

2- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 125.

3- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص 565.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 54.

5- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 128.

6- بوزياني الدراجي: دول الخوارج و العلويين: المرجع السابق، ص 102، جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 69.

- إمامة اليقظان بن أبي اليقظان (294هـ/296هـ):

هو ابن أبي اليقظان محمد وأخو أبي حاتم يوسف، تولى الإمامة وأيام دولته غير مستقرة¹، دامت إمامته سنتين في جو مليء بالإنقسامات والاضطراب، فالإنقسام تمثل في أن شيوخ الدولة كانوا ساحطين عليه لاقامه يقتل أخيه²، أما الاضطراب فلأن خطر الإسماعيلية³ قد اقترب من دولتهم، وأصبح يهددها بالسقوط، خصوصا بعد أن تمكن أبو عبيد الله الشيعي، من احتلال الزاب والتغلب على دولة الأغالة، ودخل رقادة⁴ سنة 296هـ بعد أن هرب منها زيادة الله بن الأغلب⁵، فأحس اليقظان بعجزه عن مواجهة الشيعة، وأدرك قرب نهايته ونهاية دولته، وبالفعل، تمكن أبو عبيد الله الشيعي من قتله ودخول مدينة تيهرت بكل سهولة وبدون حصار، وكان ذلك في سنة 296هـ⁶، واستولى على مكتبة المعصومة لمدينة تيهرت، وكانت على جانب كبير من الأهمية ومن التنوع والغنى، وتضيف النصوص الإباضية بأن أبا عبد الله الشيعي قد خص محتويات المكتبة الثرية، فأخذ كتب الصنائع وكذا العلمية، وأحرق ما تبقى من الكتب⁷، وبهذا انقرضت هذه الدولة من تيهرت، والتجأ باقي أفرادها إلى الصحراء، وقد أخذ زمام الولاية فيها أيام الشيعة أبو حميد دواس اللهيضي، حيث ولاه أبو عبيد الله الشيعي حين خروجه منها إلى سحلماسة⁸.

نستنتج من خلال هذا الملخص لأهم الأئمة الرستميين الذين توالوا مقاليد الحكم الرستمي أن هناك اختلافات عديدة بين المصادر والمراجع في تحديد فترة الإمامة، ويبقى هذا الاختلاف واردا

1- عبد الرحمن الجليلي: المرجع السابق، ج1، ص172.

2- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير: المرجع السابق، ج2، ص565.

3- سنطوق لتحريف الإسماعيلية في الفصل الخاص بالحياة الثقافية.

4- رقادة: هي على بعد ثمانية أميال جنوب مدينة القيروان، بنى لها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب قصورا عديدة وجامعا، الإدريسي: المصدر السابق، ص143.

5- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص196.

6- نفسه، ج1، ص197، B.Fekar : op.cit,p- p119- 120 .

7- موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، مكتبة المعصومة بتاهرت هل أحرقت؟ أم نقلت عيوها إلى سدراتة؟، في حوار بني ورجلان؟ مجلة الأصالة، العدد44، 1977، ص- ص 52- 59.

8- ابن عذارى: المصدر السابق، ص198.

إمام غياب أدلة مادية تبرز مدة حكم كل إمام، كالعملة أو الكتابات الأثرية، و تبقى الحفريات المسلك الوحيد لحل هذه الإشكاليات، وإن كانت هي الأخرى قليلة و نتائجها محدودة، و سنورد في قائمة الملاحق جدولاً نحدد فيه فترة حكم الأئمة و تلك الاختلافات بين المصادر و المراجع.

ثانياً- نظام الحكم و طبيعته :

أ/ النظام السياسي:

إن نظام الحكم في الدولة الرستمية لا يختلف كثيراً عن باقي الدول الإسلامية الأخرى، و هو يقوم في عمومته على الإمامة حيث الحاكم بحجر على التقيد بالكتاب و السنة و الإقتداء بالصالحين من الأمة¹. كان الإباضيون قد نكروا على الأمويين ثم العباسيين. استثارهم بالخلافة و حصرها في بيتهم، فرفعوا يدعو لإصلاح نظام الحكم²، و أنحلوا يطالبون بجعل الخلافة إسلامية، كما دفعهم ظمأ و جور بني أمية و بني العباس أن يجددوا واجب الخليفة بأن يتقيد بالكتاب و السنة و آثار الصالحين و عليه أن يقيم حدود الله و يؤمن السبيل و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و ينشر العدل و المساواة، و أن يخضع لإشراف شرح المذهب من الشورى و الطلبة و المشايخ، فإن رأوا منه انحرافاً أوجبوا عزله، فإذا امتنع أوجبوا قتله، لأنه في اعتبارهم الراعي الأمين و الحارس المخلص للشرعية الإسلامية، كما يتصورونها³، فهو من أصلح الناس، و الرئيس الروحي و الزمني لهم، و للإمام مجلس شوري و أعوان يساعدونه، و يحمل الإمام ألقاباً أخرى مثل أمير المؤمنين، و كان يسلم عليه بالخلافة و الإمامة عندهم أكوار الكثمان و الظهور و الدفاع و الشورى و ليس هناك فترة محددة لكل منها، هذا على الصعيد النظري، أما على الصعيد العملي عند الرستميين، فإن عبد الرحمن بن رستم أخذ ولاية القيروان بعقد من أبي الخطاب موافقة أهل الحل و العقد⁴. و تولى إمامة تيهرت بعد التشاور مع جماعة الإباضيين فيها، و على هذا، فإن نظام الحكم كان شورياً يتولى قيادة الدولة إمام تختاره الأمة بعد مشورة أهل

1- محمد علي: المرجع السابق، ص18.

2- علي يحيى معمر: المرجع السابق، ص12.

3- كان الرستميون لا يعترفون بتبعية سياسية لغيرهم، و كان دستورهم هو العمل بأحكام القرآن و السنة السوية، راجع بونار: المرجع السابق، ص28.

4- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص50.

العلم و الدين و وجوه القبيلة، و كان الإمام الرستمي هو أيضا رئيسا روحيا و زمنيا في ذات الوقت و كان عليه أن يكون خير قدوة لكافة المسلمين¹.

و قد كان عبد الرحمن بن رستم متحملا بالفصل و الورع و الزهد في متاع الحياة الدنيا كما سبقت إشارتنا إليه من خلال نص ابن الصغير الذي يروي لنا زيادة الوفد المشرق إلى تيهرت².

و لقد كانت تلك صورة رائعة لسيرة عبد الرحمن بن رستم و مطعمه و ملبسه و حلية بيته، و إذا ذكرنا بعهد الخلفاء الراشدين و عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه خصوصا³، و لقد اكتفى الوفد المشرقي بهذه الصورة الناطقة امتحانا لعبد الرحمن في سيرته، فقال: "بعضهم لبعض يكفينا من السؤال عنه ما رأينا..."⁴.

بعد هذه الصورة للإمامة في تيهرت، نلاحظ أنها لم تخرج عن دائرة الرستميين، فإذا خرجت عن أحدهم تولوها آخرون، قد يكون أبناء كولاية عبد الوهاب بعد أبيه، و أخا كولاية أبي اليقظان بعد أخيه أبي بكر، و قد يكون عما كولاية يعقوب بعد ابن أخيه أبي حاتم، و بهذا نستطيع القول أن الإمامة لم تكن للمسلمين عامة، و لم تكن وراثية بالمعنى الضيق، و هو أن يرث الابن أباه فقد ظلت مقصورة على وراثته البيت الرستمي، شأن الخلافة الأموية و العباسية و إذا استثنينا عبد الرحمن، فما من إمام رستمي إلا و قامت في وجهه معارضة من الرستميين أنفسهم و غيرهم⁵. و هذا يعني أن كلا من هؤلاء كان يعتمد على جماعة تناصره و تؤيده حتى يصل كرسي الإمامة، حتى بلغ بأي حاتم أن استعان بالمسيحيين⁶. كما يعني أن الشورى كانت قائمة في اختيار الإمام لكنها شورى محدودة بيت معين هو البيت الرستمي، و كان الإختيار خاضعا لمبدأ الأفضل إلا أن الوصول إلى الكرسي كان

1- إبراهيم يوسف: المرجع السابق، ص 75.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 30.

3- بحار إبراهيم: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص - ص 40-43.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 30.

5- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 51.

6- إن الروم استعانوا بالبربر لمواجهة عقبة بن نافع عند تيهرت، و لذلك فمن المحتمل أن تكون قد ظل بقايا الروم و الصاري يدعمون الجزية فقد كان، عبد الرحمن بن رستم ينظر إلى ما اجتمع من مال الجزية، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 15.

خاضعا لمبدأ الأقدار. هذا يتضح أن الرستميين كانوا يرفعون شعارات نظرية في الإمامة وغيرها، ثم اصطدموا بالواقع عند التنفيذ، فخرجوا عن الالتزام بمبادئهم، وهذا ما أدى إلى جعل نظام الحكم أقرب إلى الملكية منه إلى الجمهورية¹.

ب/ النظام العسكري:

لقد كانت تيهرت العاصمة السياسية والإدارية، وكانت في نفس الوقت قاعدة عسكرية محصنة بسور ذات قصبة محكمة التحصين قادرة على أن تصمد لكل هجوم يأتيها من الخارج، وكان سكانها مصممين جميعا كرجل واحد على حمايتها و مستعدين لمواجهة أي خطر ليصبحوا جنودا وأبطالا و سندا مستمرا لجيش المدينة².

و كان للرستميين جيش يعتمد عليه في الدفاع عن حرمة تيهرت و حدود البلاد، كان عدده يبلغ في الظروف العادية حوالي خمسة عشر ألفا، لكن سكان تيهرت من الذكور كانوا كلهم مجندين في حالة الحرب، وكانت أسلحتهم تشتمل على السيوف و الرماح و الدرق، و يلبس الجيش أثناء الحروب الدروع و الخوذ، و يستعملون أعلاما و يضربون الطبول لجمع الجنود³. و ذكر ابن الصغير أن حرس تيهرت كانوا لا يفتأون ساهرين على أسوارها و أن الإمام الأول كان ذا خيالة مجهزة تجهيزا قويا وأن الإمام الثاني عد في عسكره ألف فرس أبلق و أن افلح خلفه كان له حرس خاص، و كان صاحب شرطته إذا تخلص المدينة لافتقادها لم يجسر أن يدخل سوق ابن وردة و لا يتخلله هيبه⁴. و يذكر ابن الأثير من جهته أن عبد الرحمن بن رستم ضرب حصارا على مدينة طنبه بجيش عدده خمسة عشر ألف جندي⁵. و من هنا نستنتج أن الدولة الرستمية افتقدت إلى جيش نظامي، و اقتصر جيشها على تطوع القبائل أثناء الحروب، و منها المتطوعون من جبل نفوسة.

1- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 51، أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 21.

2- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص 109، لخضر سيفر: التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي، دار الأمل للدراسات، الجزائر، 2006، ج 1، ص 90.

3- عمار عمورة: المرجع السابق، ص 94، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع نفسه، ص نفسها.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 109.

5- ابن الأثير: المصدر السابق، ج 5، ص 600.

جـ/ النظام الإداري:

أما التنظيم الإداري، فقد اتخذ الرستميون الوزراء و الكتاب و الحجاب، و الحراس و نظام السجلات و الخاتم، فمثلا من أشهر الوزراء الذين تقلدوا منصب الوزارة، السمع بن أبي الخطاب¹ و محمد بن عرفة². فقد وضع عبد الرحمن بن رستم نظاما إداريا بسيطا للقضاء و الشرطة و الجباية و الصدقات و الأموال³، و اتخذ حاكم الدولة لقب الإمام، و بمقتضى ذلك أصبح مصدرا لجميع السلطات الدينية و السياسية، يظهر ذلك من خلال حوار البيعة الذي دار بين رؤساء الإباضية و شيوعهم، و بين عبد الرحمن بن رستم حيث قالوا له: "و نحن الآن نرضى بك و نقدمك على أنفسنا، فقد علمتم أنه لا يصلح أمرنا إلا بإمام نلجأ إليه في أمورنا..."⁴.

و قد قسم الرستميون إلى عملات، و منها ما كان في شرق الدولة في المغرب الأدنى، بما الولاية و العمال الذين تولوا هذه العملات و منها عمالة قفصة، و سرت، و نفزاوة، و قنطرة، جبل نفوسة و قابس و جبال دمر، و كان الأئمة الرستميون يتبعون العمال و الرعية عن طريق رسائل يكتبونها و يشرحون فيها مبادئ المجتمع الإباضي، و كلها تركز على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و طاعة الأئمة⁵. و أسند الأئمة الرستميون إلى عمال الأقاليم أعمال جباية و تحصيل مطالب بيت المال، و توجد رواية تؤكد أن أفلح بن عبد الوهاب ألزم عماله بضرورة مراعاة فقه المذهب الإباضي في نظام الجباية⁶، و يتضح من خلال رسالة أرسلها أفلح بن عبد الوهاب للبشير محمد بن سلام أحد عماله، يعطيه فيها مزيدا من السلطان داخل عمالته و يلزمه فيها بحدود الشرع فيما يختص بالخارج و الجبايات. و سار الرستميون على سنن المشاركة في كافة النظم الإدارية الأخرى التي تكفل ضبط الأمور في دولتهم، فأنشؤا جهازا للشرطة يقوم بأعمال الحراسة و المحافظة على الأمن، و قد

1- سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص147

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص54.

3- عمار عمورة: المرجع السابق، ص93، إبراهيم مجاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص237.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص25-26، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص223.

5- عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص127، و سنعرض هذه الرسائل في نهاية الملاحق.

6- إبراهيم بن يوسف: المرجع السابق، ص50.

أسس الإمام أبو اليقظان فرقة كاملة للقيام بأعمال الحسبة، و كان أفراد هذه الفرقة من قبيلة نفوسة الإباضية، و حددت وظائفهم التي قاموا بها بأنهم كانوا يمشون في الأسواق يأمرؤن بالمعروف و ينهون عن المنكر، فإن رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبه، و إن رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمرؤا صاحبها بالتخفيف عليها، و إذا رأوا قدارا في الطريق، أمرؤا من حوله بكنسه¹، أما عن طريقة تعيين القضاة و عن أهم القضاة في الدولة الرستمية، فيقول ابن الصغير: "فأتوا إلى أفلاح بن عبد الرهاب فقالوا: قد تدافعنا هذا فيما بيننا، فلم نرتض أحدا منا، و قد ارتضينا جميعا بمحكم الهواري لخاصتنا و عامتنا و ديننا³، فقال أفلاح: و بحكم دعوتكم رجل كما وصفتموه في ورعه و دينه، و لكن الرجل نشأ في باديته و لا يعرف لذي القدر قدره و لا لذي الشرف شرفه، و إن كان ليس أحد منكم يجب أن يظلم و لكن تحبون أن يجري فيكم الحقوقي على وجهها بلا نقص لأعراضكم ولا امتهاننا لأنفسكم، قالوا: فإننا لا نرضى لقضائنا أحدا غيره". كان فاقها كبيرا و قاضيا فذا، و له كتاب في التفسير و هو في سفرين كبيرين، لكنه ضاع كغيره من الكتب الإباضية عندما حارب العبيديون تيهرت و القيروان⁴، و كذلك القاضي الرستمي الذي تميز بتصلبه، محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ الذي دفعت به الضغوط إلى أن يستقيل⁵ من منصب القضاء، لأن أبناء الإمام اليقظان استغلوا كونهم أبناء الإمام و ارتكبوا بعض الأخطاء. و قد كان الشخصية الأكبر في تيهرت بعد الإمام و القاضي هو صاحب بيت المال المسؤول عن الشؤون المالية، و وصف عمل الجباة الذين في خدمته و كيف كانوا يجمعون الضرائب، و كان القاضي في تيهرت هو الشخصية العليا بعد الإمام لأن الرستميين أقاموا نظاما تمتع في ظلّه القضاء بالتراهة التامة و الخضوع لاحترام كامل من قبل الأئمة، كان يمتاز أيضا

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص77، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص- ص 366-367.

2- ابن الصغير: نفسه، ص49.

3- نفسه، ص50.

4- صالح باحية: المرجع السابق، ص55.

5- يقول البلاذري: "أنه جاء إلى أبي اليقظان فرمى إليه بحامه و قمطره و قال له: دول على قضائك من تريد؟ فقال له أبو اليقظان مال و ما اعتراك؟ فرد عليه القاضي محمد بن عبد الله: ما تقمت عليك شيئا و لكن تقمت على بنيك... خليتهم عائلة على الناس، و اصبر... و رد بقوله على الذين أرسلهم الإمام إليه: دعوني من هنا، و الله لا وليت له قضاء أبدا" البلاذري: المصدر السابق، ص230، ابن الصغير: المصدر السابق، ص78.

بالنفوذ الأكبر الجاري حتى على الأعيان، و كان حكمه يعم كل الميادين التي ينص عليها القرآن، حيث لم يسمح القاضي لأحد بأن يتدخل في شؤونه و كان يرى هذا الأخير أن الأئمة و أبناءهم فوق كل الشبهات، و ينبغي أن يكون الجميع قلوة طيبة للرعية¹. و علاوة على الموظفين الذين سبق ذكرهم كان في تيهرت أشخاص آخرون غير ذوي اختصاصات دقيقة و لكنهم قاموا بأدوار ذات أهمية أساسية في إدارة المدينة².

ثالثا- العلاقات الخارجية للدولة الرستمية:

أ/ علاقة الرستميين مع دولة سجلماسة (140-296هـ/757-908م):

قامت إلى الجنوب الغربي لحدود الدولة الرستمية دولة بني مدرار في سجلماسة، تلك الدولة التي تربط مع الرستميين بأوثق الروابط، و قد قامت دولة سجلماسة سنة 140هـ/757م³ على أساس المذهب الصفري، و ذكر بعضهم أن تأسيس سجلماسة يرجع للرستميين⁴، كما لعب الفرع المكناسي دورا إلى جانب القبائل الإباضية في مبايعة الإمام عبد الرحمن بن رستم، و كانت العلاقات بينهما تتسم بالسلم و حسن الجوار، يحكم المذهب الخارجي الذي يجمعهما و الجغرافي كذلك⁵، و تقوت العلاقات بينهما بزواج مدرار بن اليسع الذي تولى الحكم سنة 207هـ/723م⁶ من أروى

1- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص107.

2- هم التحار و الأغنياء و رؤساء القبائل و المشايخ، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص109.

3- كان أبو القاسم سمغون بن واسول المكناسي صاحب ماشية كثيرة ينتجع لها موضع سجلماسة و يتردد إليها، فاجتمع قوم من الصفرية على أبي قاسم و سكنوا معها هناك في خيمات، و في سنة 140هـ، قلعوا عليهم عيسى بن الأسود، و شرعوا في بناء سجلماسة، و لكن هؤلاء الصفرية ما لبثوا أن نعموا على عيسى بن يزيد أشياء فأحذوه و شلوا وثاقه إلى الشجرة في رأس جبل و تركوه حتى مات و ولوا أمرهم إلى أبي القاسم سمغون بن واسول الذي ظهر أمر دولة سجلماسة و أولاده من بعده، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص156، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م2، ص- ص 2422-2406.

4- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية للمغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع الهجري (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص- ص 210-211.

5- عبد الرحمن بلاغ: قبيلة مكناسة البربرية و دورها المنهجي و السياسي في بلاد المغرب من القرن 2 إلى 4هـ (8-10م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، المركز الجامعي بشار، 2006-2007م، ص84.

6- الكري: المصدر السابق، ص130.

إبنة عبد الرحمن بن رستم¹، و هذا ما أكدته بن خلدون حيث قال: "إن اليسع بن أبي القاسم أصهر لعبد الرحمن بن رستم صاحب تيهرت إبنة مدرار في ابنته أروى فأنكحه إياها"²، ويمثل هذا الزواج قمة التقارب في العلاقات بين الدولتين، و قد تحدث الباروني عن الأهداف الحقيقية لهذا الزواج بقوله: "و على عهده اليسع بن القاسم الذي تولى الحكم سنة 714هـ استفحل أمرهم و اشتد ملكهم، و كان يرى في نفسه العظمة لكثرة الجنود و الأتباع، و له ابن يعرف بمدرار، فلم يرى له كفئا للمصاهرة غير الإمام عبد الرحمن، و كانت له ابنة تعرف بأروى، فخطبها اليسع، و بعد أن أظهر الإمام العزة و الإمتناع مع إلحاح الخطيب، أجابه إلى طلبه و زوجها من مدرار إبنة، و لم يصغ للمعترضين و المنكرين عليه موملا أن يأتي يوم ما على أولادها إن قدر الله بحملها و هم على مذهبه، فيضمهم هو أو خلفه إليه، أو تتوثق علائق الوداد بين الملكين فلا يطرقه منهم طارق سوء، و لا يأتيه من قبلهم ما يكدر راحته أو يوجب له قلقا أو خللا في داخلته إذا كان تحت حكمه من الصفرية ما يعد بعشرات الألوف من المقاتلين الموصوفين بالشجاعة و البسالة، كما أن بسجلماسة من الإباضية أمثال ذلك من الفرسان الأشداء..."³. و يفهم من ذلك أن هذه العلاقات بينهما قامت على أساس المصلحة المتبادلة خاصة إذا عرفنا أن فترة اليسع عرفت حركة تجارية واسعة حيث حال الصحراء و امتلك درعة، ثم توسع شرقا نحو حدود الدولة الرستمية لتحكمها في المسالك التجارية بالنسبة لسجلماسة، لهذا فعقد هذا القران الدبلوماسي سيؤمن به الطرق التجارية مما يضمن له عدم التأثير السياسي و المذهبي لأنه كان شديد التعصب للمذهب الصفري⁴، و يبدو أنه لم يظل المذهب الصفري هو السائد بسجلماسة، و ذلك أن أبا القاسم سمو كان إباضيا صفريا، و اليسع بن أبي القاسم كان إباضيا صفريا أيضا، و مما يؤكد عدم وضوح المذهب هو عند الأخوين ميمون بن أروى

-1 Chikh Bekri: Le Royaume Rostomide, op.cit, p172.

-2 عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، ص2422.

-3 سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص125، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، المرجع

السابق، ج2، ص571

-4 عبد الرحمن بلاغ: المرجع السابق، ص85.

الذي يقول عنه ابن خلدون أنه يسمى عبد الرحمن أيضا، و ميمون بن تقي¹. و لم يتوقف اعتناق المذهب الإباضي عند الأسرة الحاكمة فقط بل تعداه إلى رعاياها، و هذا ما يؤكد ابن الصغير بقوله: "إن إباضية سجلماسة كانوا يبعثون بزكاتهم إلى الإمام أبي اليقظان²."

و بالمقابل كانت الصفرية منتشرة بين القبائل التيهرتية، خاصة قبيلة مكناسة لأن أبا عبد الله الشيعي عندما عسكر أمام تيهرت خرج إليه من فيها من شيعة و واصلية و صفرية و مالكية قدموا له الشكاية في أبي اليقظان³، و تظهر علاقات المصلحة بينهما من خلال موقف اليسع من أحداث الفوضى التي شهدتها تيهرت في أواخر أيام الرستميين، فلم يذكر أحد من المؤرخين أنه ناصر فريقا على فريق من الأطراف المتصارعة فيها، أو أنه حاول استغلال الفوضى لكي يوسع حدود دولته، رغم أن تيهرت لا تبعد عن سجلماسة أكثر من عشرة مراحل، بل إن موقفه من هجوم الشيعي على تيهرت يزيد سياسته تجاه الرستميين وضوحا، فهو لم يحاول أن يحرك ساكنا، و ليس هناك من يشير أنه قدم مساعدة لتيهرت أو حاول التحالف معها خاصة و هو يحتفظ بعبيد الله المهدي سجيناً عنده، وهذا ما يدل على أن نظره لم يكن يمتد أبعد من حدود دولته⁴.

ب/ علاقة الرستميين مع الأغلبية⁵:

اتخذت العلاقات بين بني رستم و الأغلبية طابعا عدائيا صرفا، و كان لذلك أسبابه المذهبية والسياسية و الجغرافية فالأغلبية كانوا سنة، و مذهب مالك المعروف بعدائه لسائر النحل المتطرفة، ساد إفريقية الأغلبية بينما تعصب بنو رستم للمذهب الإباضي، و هو رغم اعتداله يذهب إلى تكفير مخالفيه و فضلا عن ذلك، فالأغلبية كانوا عمال الخلافة العباسية و أداها في إفريقية، و رمز نفوذها

1- ابن خلدون: العبر: المصدر السابق، ص2424، جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص218.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص97.

3- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص169.

4- جودت عبد الكريم: علاقات الدولة الرستمية الخارجية، المرجع السابق، ص217.

5- نسبة إلى مؤسس الدولة الأغلبية، و هو إبراهيم بن الأغلب (184-196هـ/800-812م) و الذي كان واليا على ارباب، امتاز بشجاعته العسكرية و حكمته و حنكته السياسية و المامه بالأدب و العلوم الشرعية و حفظه للقرآن، كان تلميذا لبيت بن سعد المتوفي سنة 165هـ/781م بمصر، محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1958، ص517.

الوحيد في بلاد المغرب، فقد قامت سياستهم الخارجية على مصادقة أصدقاء الخلافة و معادات أعدائها، و من ثم كان على أمراء بني الأغلب أن يناهضوا أئمة تيهرت جديا على سنة الخلافة و تنفيذ مشيئتها، كما لم يتقاعس بنو رستم عن مناصرة جيرانهم الأغالبة باعتبارهم أعداء سياسيين ومذهبيين، وبالرغم مما عرفوا به من المسئلة و الحرص على تحاشي أسباب التطاول و الصراع¹.

لقد فرضت الظروف الجغرافية على لدولتين أن تتخذ العلاقات بينهما شكلا عدوانيا فلم يكن ثمة محيد عن الصدام أمام تشابك الحدود و عدم وضوح معالمها، فقد أحاطت الدولة الرستمية بإفريقية الأغلبية من الشرق و الغرب و الجنوب، و لم يكن هناك ما يمنع رعايا الدولتين من القبائل البدوية من الحركة و الانتقال و الإختلاط في مناطق الحدود². و من هنا اختلط على بعض الجغرافيين، فنسبوا بعض البلدان الرستمية، كغدامس و قودا و ودان إلى الأغالبة، و الذي يعنينا هو أن الصدام بين رعايا الدولتين في مناطق الحدود كان لا ينقطع، فإقليم الزاب و نواحي بلزمة شهدوا صراعات دامية بين فقهاء المالكية و أتباع المذهب الإباضي³.

حقا إن الأغالبة كان لهم مسلكهم في معاداة أعداء الخلافة العباسية⁴، و لكنهم بالنسبة للرستميين لم يفصحوا عن هذا العدا، لذا عمدوا إلى تشجيع القلاقل و الخلافات التي كانت تظهر بين الحين و الآخر في مجتمع الدولة الرستمية، و قد ساعدهم على ذلك وجود جالية كبيرة من المتمردين على الأغالبة، حيث أعطى الرستميون لأفرادها ما يشبه حق اللجوء السياسي عندهم، فكانت تيهرت زاخرة بعدد كبير من هؤلاء القيروانيين الذين عاشوا في المجتمع الرستمي و هم يتمتعون بكامل الحقوق التي تمنح لمواطني الدولة الرستمية، بل إن بعضهم صاهر أئمة الدولة و أصبح له من النفوذ ما لم يصل له غيره. و قد اندلس بين هؤلاء اللاجئين السياسيين عدد ممن سخرهم حكام الأغالبة لإثارة الشغب كلما أئتهم الفرصة لذلك⁵. و قام حلف الخادم مولى بن سالم في عهد أبي بكر

1- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص 140.

2- نفسه، ص نفسها.

3- نفسه، ص 141.

4- البلاذري: المصدر السابق، ص 328.

5- ابن الأثير: المصدر السابق، ج 6، ص 519.

بإثارة الفتنة و الشقاق بين سكان تيهرت متخذاً من مقتل محمد بن عرفة ذريعة إلى ذلك، و قد بذل في سبيل ذلك أموالاً كثيرة¹، و قد تمكن أبو اليقظان خليفة أبي بكر بن أفلاح من القضاء على هدف الفتنة بعد أعوام سبعة من إقامته. بدأ النزاع الأغليي الرستمي في منطقة طرابلس، و سببه أن هذه المدينة كانت تابعة للأغالبة، و قد امتد نفوذ عاملها على بعض بطون هواراة الإباضية الضارية بجوارها، وعددها ثلاثمائة أسرة، و ينبغي أن يطمع هؤلاء الإباضية في الإستقلال عن سلطان الأغلبة للتحويل إلى طاعة بني رستم، فاضطر عبد الله إلى التسليم بمطالب الرستميين في انضمام لإباضية هواراة إلى دولتهم و انسلاخهم عن نفوذ عامل طرابلس الأغليي، و نص في الإتفاق على أن يكون البلد و البحر لعبد الله و على وقف الحرب و عودته إلى القيروان، بل شجعه ذلك على الإحتراء على الأراضي الأغلبية ذاتها². و في إطار التعايش السلمي، نهض كل من الرستميين و الاغالبة للوقوف في وجه العباس بن أحمد طولون عندما هدد الحدود الأغلبية سنة 265هـ/878م³، و لم يكن اشتراكهما معا في وجه أطماع العباس نتيجة تعاون و تحالف مشترك تم بينهما، بل نتيجة لما أحاط بالجانبين من خطر في وقت واحد، و لأن هزيمة أي واحد منهما على يد العباس قد تعرض الآخر إلى هزيمة مماثلة تغير من طبيعة الوضع السياسي لمنطقة طرابلس، و الثابت أن كلا من الرستميين و الأغلبة قد نال قسماً من تهديدات العباس و اعتداءاته.

إذا كان الرستميون قد ألزموا الأغلبة بمبدأ التعايش السلمي بالقوة تارة و بالإشتراك معهم في الدفاع عن حدود الدولتين تارة أخرى، و عندما خرج العباس للإشتيلاء على حدود الدولتين، فإن الأغلبة لما استشعروا ضعف الرستميين استهانوا بمبدأ التعايش السلمي معهم بغية القضاء عليهم، و قد واتتهم الفرصة في فرصة أبي حاتم يوسف بن محمد⁴، ففي سنة 283هـ/896م⁵، اصطدم إبراهيم

1- ابن الأثير: المصدر السابق، ج 6، ص 525.

2- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص 134.

3- ابن الأثير: المصدر السابق، ج 5، ص 324، ذكر ابن عذارى أن الفتنة حدثت سنة 267هـ/880م، ابن عذارى: المصدر

السابق، ج 1، ص - ص 117-118، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 337.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 49.

5- ابن عذارى المراكشي: المرجع السابق، ج 1، ص 129.

بن أحمد بن أغلب بقبيلة نفوسة التي كانت من رعايا الدولة الرستمية، عند موضع قصر "مانو"، واندلعت الحرب بين نفوسة وابن الأغلب، ودارت الدائرة على نفوسة، فقتل منها عددا ضخما جدا من الرجال والعلماء¹، و بعد هذه المعركة، انهارت نفوسة التي كانت تشكل عصب الدولة الرستمية و ذرعها الواقعي، و صارت في الجبل حالة فوضى لأن أهل الرأي في الجبل اجتمعوا و قرروا عزل أفلح بن العباس عامل الرستميين على الجبل، و قد دفعت حالة الفوضى هذه الأغلبية إلى إرسال جيش آخر سنة 284هـ/897م هجم على نفوسة و استباحها و عاد مثقلا بالأسرى منهم.

و هكذا شغلت الإمامة في تيهرت بمشاكل الصراع حول السلطة عن تقديم العون للمغرب الأدنى، فتركوهم و شأهم، يتلقون ضربات الأغلبية حتى وهنوا و ضعفوا، و بضعفهم تداعت الدولة الرستمية لولا ما حل بدولة الأغلبية من اضطراب سياسي في عهدها الأخير و انصراف أمراءها بهاجمة الخطر الشيعي لأمكنهم غزو تيهرت، لكن الدولتين المتعاديتين جمعهما في النهاية مصير واحد، حيث وقعتا فريسة الغزو الشيعي سنة 297هـ/909م².

جـ/علاقة الدولة الرستمية مع دولة الأدارسة:

تمثل دولة الأدارسة³ الجار الغربي لدولة الرستميين، و يمكن القول أن علاقة الرستميين بالأدارسة ابتدأت بدخول إدريس بن عبد الله أرض المغرب، فقد ذكر بعض المؤرخين أنه سار من مكة إلى إفريقية و منها تلمسان، ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى، و قد سبقت الإشارة إلى أن تيهرت تقع على الطريق الرابط بين إفريقية و فاس، و هذا يعني أن إدريس قد مر بتيهرت و يؤكد ابن تاووت هذا قوله، و كان أصحاب تيهرت قد سبقت لهم معرفته حيث أنه نزل بين ظهرانيهم سنة 169هـ/785م، و مع هذا فإن الإباضيين في تيهرت لم يتعرضوا له بسوء، بل على العكس

1- ابن عذاري: المصدر نفسه، ج1، ص129، ابراهيم مجاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص129.

2- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص200.

3- تضم دولة الأدارسة لإقليم المغرب الأقصى بأعمه، و هذا الإقليم يحده من الشرق وادي ملوية و جبال تازة و هما يمثلان خط حدود مع الدولة الرستمية، أما حدها من جهة الغرب، فالبحر المحيط و من الشمال بحر الروم و من الجنوب جبال درن و مؤسس هذه الدولة هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، و دولة الأدارسة دولة علوية من النوع المعتدل الذي يتقرب مع أهل السنة و لذا أطلق عليها ابن عذاري إسم الدولة الهاشمية، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص82.

رغم نسبه العلوي، و بما كان ذلك مروره صادف انتشار الفوضى في تيهرت، و لأنه ثار على الخلافة، و المهم في الأمر أنه اجتاز بسلام فحفض لهم ذلك و انعكس على موقفه منهم¹.

و كان مرور إدريس في تيهرت فرصة ذات أهمية سمحت له أن يطلع على تجربة الرسمية وتأسيس دولة على أرض المغرب، فقد لاحظ أنه في وحدانيته يشبه عبد الرحمن بن رستم الفارسي، ورأى تشابههما في الهدف، فكلاهما كان يسعى لإقامة قبائل بربرية ثائرة على الخلافة، فاستفاد إدريس من الأساليب السياسية التي اعتمدها الرستميون. إن قرب دولة الإدارة من أهل السنة جعلها قريبة في ميولها السياسية من الرستميين أصحاب المذهب الإباضي الأقرب هو الآخر إلى مذهب أهل السنة، ومن ثم لم تكن هناك خلافات مذهبية حادة بينهما، و تدعمت علاقة حسن الحوار لما كان يجمع بينهما من موقف العداء المشترك نحو الدولة العباسية، حيث أصبح لكا منهما كيانها المستقل بعيدا عن سلطة الخلافة العباسية و ولائها². لكن هذه العلاقات أصابها شيء من التدهور و المشاكل بين الدولتين، و من مظاهرها مثلا: وجود أقليات عاشت في كل من الدولتين كان ولاؤها متذبذبا، فتارة توالي الرستميين و أخرى تشايح الإدارة و في الحالتين معا شكلت حجر عثرة أمام بسط نفوذ الإدارة على سائر عناصر السكان داخل حدود الدولة، فمعلوم أن عناصر فارسية عاشت في فاس منذ تأسيسها، كما وفدت عناصر أخرى فارسية من إفريقية الأغلبية. و قد ضربت قبائل من بربر هوارة، و زناتة في دولة بني إدريس كانت على المذهب الإباضي، ثم أرغمت على التخلي عنه، لكنها لم تفتأ تتصل بأئمة تيهرت الإباضية لتحريرهم من سطوة الإدارة، و بالمثل وجد في دولة بني رستم بطون بعض القبائل البربرية التي ضربت قبائلها الأصلية في الدولة الإدريسية³، و لم تأل جهدا في إثارة

1- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 182، و يذكر ابن خلدون: "... و لحق إدريس بالمغرب الأقصى... و نزل بوليسي و أجمع البرابرة على القيام بدعوته... و اجتمعت عليه زواغة و لواتة و ملرانة و غيانة و نفرة و مكاسة و غمارة و كافة البربر بالمغرب، فبايعوه و قاموا بأمره... ثم زحف إلى تلمسان و بدل لسائر زناتة الأمان فأمكنه من قياد البلد... و أما سليمان أخوه الأكبر ففر غنى المعرب أيام العباسيين و لحق بجهات تاهرت بعد مهلك أخيه إدريس، و لحق بتلمسان فملكها، و أذعن له رباتة و سائر قبائل البربر هنالك..."، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، م 1، ص- ص 1428-1432

2- Gautier :op.cit, p31.

3- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 36.

في إثارة المتاعب ضد بني رستم لصالح الأدارسة. و زيادة لهذا كله صلات الرستميين الودية بأمويني الأندلس أعداء الأدارسة¹، و في نفس الوقت كان الأدارسة على خلاف مع الأمويين في الشرق، ومعنى هذا أن الأدارسة كانوا من المفروض أن يكون معارضين لأمرأ قرطبة.

و على ضوء هذه الإعتبارات يمكن رصد أطوار الصراع الإداريسي الرستمي بمدى العداء بين الطرفين على إثر قيام دولة الأدارسة سنة 172هـ، إذ رغم الإباضية من قبائل زناتة و هوارة وزواغة و لماية على مبايعة إدريس الأول قسراً²، كما أن إدريس اتخذ في الإباضية أسافل شلف حين توجه إلى تلمسان سنة 173هـ، بل إن استيلاءه على تلمسان ذات الشهرة التجارية و الإستراتيجية و الكثافة البشرية على حساب نفوذ الرستميين و المداريين معاً³. و تمثل رد الفعل الرستمي في تجنيد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن حملة⁴ لاسترداد المفقود، و لكنه عاد أدراجه بعد أن خشي مغبة اقتحام تلمسان، و لم يكن بوسعه إلا أعمال الحلية في الكيد لخصومه، كما أوعز إلى إباضية تلمسان بالانتزاع، لكنهم لم ينعموا طويلاً بانفصال عن الأدارسة، إذ جرد عليهم إدريس الثاني حملة أتمحت فيهم قتلاً، و أرغم من بقي حياً على التخلي عن المذهب الإباضي⁵.

و عبثاً حاول هؤلاء طلب النجدة من الرستميين، لذلك اضطروا للإعتراف بطاعة الأدارسة، بل حاولوا إغراء بني رستم بأن يحلوا حلّوهم⁶، قد تزيد أمر العلاقة بين الرستميين و الأدارسة

1- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 204، جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 186، محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص 142.

2- عبد الرحمن بن مخلدون: العبر، للمصدر السابق، م 1، ص 1428.

3- نفسه، ص نفسها.

4- يشير البكري في مجال تدهور العلاقة بين الرستميين و الأدارسة إلى وقوع حادثة عسكرية بين الرستميين و قبائل زناتة الخاضعة للأدارسة، البكري: المصدر السابق، ص 125.

5- يقول ابن مخلدون: "ثم غزا إدريس الثاني تلمسان... و أقام بها ثلاث سنين، و انتظمت كلمة البرابرة و زناتة و نحو دعوة اخوارج منهم و اقتطع الغربيين من دعوة العباسيين من لدن الشموخ الأقصى إلى شلف..."، ينظر، عبد الرحمن بن مخلدون: العبر، نفسه، م 1، ص 1429.

6- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص 144، و يشير الشيخ بكري في مجال تدهور العلاقة بين الرستميين و الأدارسة إلى وقوع حادثة عسكرية بين الرستميين و قبائل زناتة الخاضعة للأدارسة سنة 173هـ/789م، و يضيف قائلاً أن الإباضيين لم يسمحوا لهم

يتخلوا عن سياستهم التوسعية التي شهدناها في بداية عهدهم، خاصة وأنهم كانوا لا يمتلكون جيشاً منظماً، وبذلك لم ين أمامهم إلا أن يسلكوا سياسة المرونة، وهذا بالتالي يضعف من احتمالات تدخل الأدارسة في شؤون تيهرت أو محاولتهم تعزيز صفو العلاقات بينهما.

كما يمكن للسياسة الإدارية الخارجية إبراز العلاقة بين الأدارسة والرستميين، وفي هذه الحالة يمكن ملاحظة أن الخلاف المبني بين إباضية تيهرت والأدارسة لم يقف أمام سيادة روح السلم والهدوء في المنطقة، ربما بسبب ضعف الحماس للمذهب، وربما لخوفهما المشترك من بغداد والوضع الداخلي لكلا الطرفين مما قرب بينهما، أو على الأقل أتاح لذلك السلم أن يسود¹.

د/ علاقة الدولة الرستمية بالدولة العباسية:

كانت الدولة الرستمية من أسبق الدول المستقلة عن الخلافة العباسية قياماً في بلاد المغرب، وأصبح لها من إعلان قيامها سنة (160هـ/776-777م) شخصيتها لدولة سيادة مواطنيها وأراضيها. وقد ارتبطت علاقات الرستميين الخارجية بالعباسيين بعاملين كان ذا أثر كبير في طابع العداء الذي اتسمت به تلك العلاقة:

أولهما: أنه منذ آلت الخلافة إلى العباسيين وهم يعتبرون بلاد المغرب ميراثاً شرعياً تركه الأمويون لهم، وعلى هذا نظروا إلى الرستميين نظرة عداء وأصبحت هذه النظرة تحكم سير العلاقات بينهما، فقامت على أسس عدائية بين الطرفين باعتبار أن الرستميين اقتطعوا جزءاً من ممتلكات العباسيين².

ثانيهما: أنه كان بين العباسيين والرستميين ذلك العداء التقليدي الذي كان بين الخلافة العباسية السنية والإباضية باعتبار أنهم من الخوارج³، وقد وضعت هذه الأسس العدائية موضع التنفيذ أيام مطاردة ولاية العباسيين بإفريقية لعبد الرحمن بن رستم، ورغم أن أهداف عبد الرحمن واضحة للعباسيين، فقد قاوم العباسيون شخصية عبد الرحمن بن رستم منذ اللحظات الأولى التي ظهر فيها على مسرح الأحداث في بلاد المغرب لأنه كان في نظرهم خليفة لأي الخطاب عدوهم اللدود، لذا

1- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص191.

2- السيد عبد العزيز سالم: دراسات في التاريخ، المرجع السابق، ص- ص 206-207.

3- اسماعيل محمود: الخوارج في المغرب، المرجع السابق، ص138. CH.Bekri : Le royaume, op.cit, p163.

حرص محمد بن الأشعث الوالي العباسي في القيروان على القضاء على عبد الرحمن بعد قتله لأي الخطاب، و لكن ابن الأشعث فشل في محاولته و انسحب إلى إفريقية تاركاً عبد الرحمن بن رستم في مأمنه في جبل سوفجج¹. و لما لم ينجح العباسيون في القضاء على عبد الرحمن و رأوا خطر هذه الشخصية بات قريباً من ممالكهم في إفريقية، أمر أبو جعفر المنصور عمرو بن حفص عامله على إفريقية أن يحصن قاعدة طنجة². و في مواجهة هذه الخطوة من العباسيين، حرص عبد الرحمن بن رستم على تكوين تحالف إباضي صفري يضم سائر القوى المعارضة للخلافة العباسية، و لكن بن حفص الذي تولى أمر المغرب سنة (151هـ/768م) نجح في تمزيق هذا التحالف و انفرد بعبد الرحمن وقواته و ألحق به هزيمة فادحة عند قودا³، و لكنه لم يتمكن من القضاء عليه، لذا اقتنعت الخلافة العباسية أنه من الأسلم لها أن تحتفظ بنفوذها في إفريقية و أن تترك المغرب الأوسط لأن محاولة استرجاعه لها كثير من الأخطار، و لعل ذلك يفسر مسلك الوالي العباسي بن حاتم الذي تولى أمر إفريقية سنة (171هـ/787-788م)⁴، إذ حرص على تحسين العلاقات بينه كممثل للعباسي وبين الرستميين، فمد يده إلى عبد الرحمن بن رستم طالبا موادعته كما ذكرنا سابقاً، فوادعه عبد الرحمن، و كان ذلك في نفس السنة التي توفي فيها عبد الرحمن بن رستم (171هـ/787-788م)، و استمرت هذه المودعة بعد وفاته حيث أرسل وح بن حاتم إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم و طلب باستمرار هذه العلاقات، فوافق عبد الوهاب على ذلك⁵. كما استمرت سياسة تحاشي الصدام بين أئمة تيهرت و أمراء القيروان حتى سنة 174هـ/800م، حين قامت دولة

1- محمد عيسى الحريز: المرجع السابق، ص188، الباروني: المرجع السابق، ج2، ص3.

2- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص73، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1577.

3- يقول ابن عذارى: "وجه عمرو إلى بن رستم عسكرياً و كان في قودا، فاهزم ابن رستم و قتل من أصحابه نحو ثلاثة آلاف، و رحل مهزماً إلى تيهرت، و عمرو بن حفص إلى القيروان"، ابن عذارى: نفسه، ج1، ص75.

4- نفسه، ج1، ص77.

5- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1407، و قد اختلف المؤرخون في تحديد أي من الطرفين يادر بطيب المودعة، إلا أنه من المؤكد أن هذه المودعة ظلت سارية المفعول في عهد عبد الوهاب الذي عرف كيف يحافظ عليها، حدوث عهد الكرم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص29.

الأغلبة في إفريقية بإثارة أسباب العداء مع بني رستم، و تنوب بذلك عن بني العباس في الإضطلاع بمناهضة حكمهم¹.

و الجدير بالإشارة و التنويه أن المواجهة التي كانت بين افراد القيروان و أئمة تيهرت لا تعني انتهاء العداء بينهما، فالعداء بين تيهرت ظل قائما، و لم يتوان الخلفاء عن اغتنام ما سمح لهم من فرص في الكيد من الدولة الرستمية و إثارة المتاعب في وجه أئمتها، و أدرك الرستميون ما ضمر بنو العباس لهم من خصومة و عداء، فأحجم عبد الوهاب بن عبد الرحمن عن أداء الحج خشية الوقوع في يد العباسيين، و برر له فقهاء المذهب الإباضي عزوفه هذا بعد أمان الطريق، و ليس ببعيد أن يكون العباسيون توجسوا خيفة من اتصال² تيهرت بإباضية المشرق لتدبير المؤامرات و تنظيم الثورات المناوئة لحكمهم، و من ثم درجوا على بث عيونهم لمراقبة وفود المغاربة في مواسم الحج³. و ما لبثت العلاقات الرستمية العباسية أن بلغت قمة العداء بعد مسح أبي اليقظان، و قد رحب العباسيون بالثوار الخارجين على بني رستم، و وجد هؤلاء في بغداد سلاما آمنا بعد إخفاق حركاتهم، و الراجح أن العباسيين تعاونوا معهم على إسقاط الحكم الرستمي في تيهرت⁴، و قد وضع تأمر بني العباس على إسقاط إمامة تيهرت في العهد الرستمي الأخير، و طائفة الكوفيين بتيهت لعبت دورا بارزا في مناوئة الإمامة الرستمية في ذلك الحين، و توطدت مع زعماء العامة في العاصمة الرستمية لإقصاء أبي حاتم يوسف عن السلطة و طرده خارج المدينة، و ما يشير إلى تواطئ الخلافة العباسية مع المارقين على بني رستم و تدبيرهم المكاييد ضد الدولة الرستمية، و هذا كله ما ذهبنا إليه من تأصل العداء بين الطرفين⁵.

1- محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب، المرجع السابق، ص 139.

2- نفسه، ص نفسها.

3- ابن الصغير: انصدر السابق، ص 28.

4- محمود اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 139.

5- نفسه، ص 140.

هـ/ علاقة الرستميين بإباضية المشرق:

إن إباضية الشرق عمدوا إلى أساليب الدعوة السرية و التنظيم السياسي إثر فشل حركة عبد الله بن إباض التميمي في عهد مروان بن محمد الأموي، فطفقوا يرسلون من مركزهم في البصرة دعاة إلى الأمصار المتطرفة كخرسان و جنوبي الجزيرة العربية و للمغرب لنشر المذهب الإباضي وإقامة دولة إباضية خالصة، و أسفرت هذه الجهود عن فشل الدعوة في خراسان و نجاحها في الجزيرة العربية و المغرب¹.

ففي جنوب الجزيرة العربية قامت دولة إباضية ضمت عمان و اليمن و بعض أقاليم الحجاز برئاسة بن يحيى الكندي المعروف بطالب الحق، و التي سقطت سنة 130 هـ/748 م، غير أن جزء من الإباضية تمركز في حضر موت بزعماء الجلندي الذي قتل سنة 134 هـ على يد الجيوش العباسية، و لم يحل ذلك دون قيام دويلات للإباضية في عمان، و كانت هذه الحكومات الإباضية في عمان على نسق الدولة الرستمية في المغرب و معاصرة لها، و كانت وثيقة الصلة بجماعة الإباضية الأمر في البصرة، فضلاً عن مشايخ المذهب، و لم يكن هناك ثمة ما يحول التقاء إباضية عمان و إباضية المغرب و أغلبهم من نفوسة في موسم الحج، و إن كنا نشك في وجود صلات وثيقة بينهما، فالمصادر خلعت من ذلك في الوقت الذي تزخر فيه بالكثير من صلات إباضية البصرة بعمان و تيهرت و حرصهم على دعم الحكم فيها².

و يبدو أن جماعة هائلة من إباضية الشرق التحجوا إلى تيهرت بعد إنشائها هروباً من بطش بني العباس و رغبة في العيش في كنف الدولة الرستمية³، فقد تطلع إباضية الشرق إلى قيام دولة لهم تضم المشرق و المغرب معاً، فانبثروا يضعون بها عبد الرحمن بن رستم على مواجهة مشاكل دولته،

1- محمود اسماعيل؛ المرجع السابق، ص 150.

2- نفسه، ص نفسها.

3- أحمد أمين؛ المرجع السابق، ص - ص 260-262.

أملين أن تكون نواة لدولة كبرى منشودة، و ليس أدل على تعاطف ابن رستم مع إباضية الشرق من رفضه لمزيد من هذه الأموال حين تدعمت دولته و اشتد مساعدتها¹.

و لقد كان الإباضية يحتكمون في خلافتهم إلى مشايخ المذهب في المشرق، فقد هادن يزيد بن فنديل زعيم النكار الإمام عبد الوهاب ريثما ترى فتاوى المشاركة حول الإمامة المشروطة و سياسة الإمام في تنصيب عماله، كما أحتم الإمام عبد الوهاب و خلق بن السمع أيضا إلى فقهاء المشاركة في مسألتهم تعدد الأئمة و حق الرعية في اختيار عمالها، و لم يتوان أعلام المذهب و فقهاؤه عن البث في تلك المسائل و القضايا، و على الرغم مما تصوره المصادر الإباضية من أن فتاوى المشاركة كانت في صالح الإمامة، فلا نعدم وجود ما يشير إلى استيائهم من سياسة عبد الوهاب و انتهاكه لتعاليم المذهب و عروجه على أحكامه².

و استمرت صلاتهم بإباضية المغرب إبان مرحلة الثورة³، و بعدها لما جنحوا إلى الاستقرار السياسي و أقاموا دولة بني رستم، و في كلتا المرحلتين دأبوا على دعم إباضية المغرب ماديا و روحيا، فأرسلوا إليهم الأموال، و أفنوهم في مشاكلهم السياسية و المذهبية و تدخلوا لتسوية خلافاتهم بإبداء النصائح و إرسال البعث.

كما حرص زعماء إباضية المغرب على الاستشارة في السياسة و الحكم و الاستزادة من تبحرهم في العلم و تفقدهم في المذهب، فقد أبوا على إنفاذ بعوثهم للدراسة على يد مشايخ البصرة، و حكموهم فيها على مشاكلهم و خلافاتهم و استملوا منهم الكتب و التأليف و خاصة ما تعلق منها بالمذهب الإباضي.

و قد سبقت الإشارة إلى دور أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة⁴ في التنظيم و الإعداد لإمامة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري، و متابعة لأحوالها و حرصه على تجنيد إباضية المغرب والشقاق الذي سببته مسألة الحارث و عبد الجبار. و يديهي أن تتوطد هذه الصلات بقيام دولة بني

1- علي يحيى معمر: المرجع السابق، ص 40.

2- نفسه، ص نفسها.

3- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج 2، ص 550.

4- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 38.

رستم، و حسبما أن عبد الرحمن بن رستم تتلمذ في حلقة أبي عبيدة بالبصرة، و بنجاحه في تأسيس دولة إباحية بالمغرب اعتبر نصرا لإباحية المشرق أيضا، فقد نظروا إليه باعتباره "إمام الظهور" لسائر أتباع المذهب في كافة أرجاء العالم الإسلامي¹، فإن حرصهم على تحاشي الشقاق و رأب الخلاف أفضى بهم إلى قدنة الخواطر بإسداء النصح لأطراف النزاع جميعا².

كان حرص رؤساء التنظيم الأم في البصرة على استمرار الإمامة في تيهرت و دعمها شغلهم الشاغل، فقد أفتوا بجواز تقاعد الإمام عن الحج حرصا على سلامته، كما كلفوا أنفسهم نسخ آلاف التأليف و التصانيف لتزويد المكتبة "المعصومة" بتيهرت بها، فقد وجدت هذه الكتب إقبالا لدى إباحية المغرب فأقبلوا على دراستها، و تصدوا للانحرافات المذهبية و خروج الأئمة في سياستهم عن تعاليم ما ورد فيها. كما حرص المشاركة على إنفاذ بعوثهم لتفقد أحوال الدولة الرستمية و التدريس في مساجدها، و الإفتاء في مشاكلها و قضاياها، و فضلا عن ذلك فقد نقلوا معهم إلى المغرب تقاليد الحضارة و الفن الشرقي. و المصادر حلت من أي إشارة إلى استمرار هذه العلاقات بعد إمامة عبد الوهاب باستثناء إشارة عابرة أوردها بعض مؤرخي الإباحية عن اهتمام أفلح بن عبد الوهاب بأعلام المذهب من المشاركة، و خاصة ما كتبه أبو سفيان محبوب بن الرحيل و خصه رعيته على اتباع سنتهم، و لوضع ذلك لكان أفلح آخر أئمة بني رستم الذين اعترف جمهور الإباحية بإمامتهم³.

و/ علاقة الدولة الرستمية مع مصر:

كانت العلاقات بين الرستمين و مصر في طريق ودي، إذ كانت مصر تمثل الجار الشرقي للدولة الرستمية و المنفذ الوحيد لهم إلى شرق العالم الإسلامي، و من ثم حرص الرستميون على أن العلاقات علاقات حسن جوار إلا أنه يلاحظ أن العلاقات السياسية كانت ضعيفة على حين نشطت العلاقات

1- محمود اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص153.

2 نعتقد أن امتياع أعلام المذهب في الشق من خروج عبد الوهاب على تعاليم المذهب تطور إلى رفض و إنكار لإمامة خلفائه، فقد تحولات الإمامة إلى ملك وراثي، و ضاعفت هيبتها و امتهنت رسومها، فكان ذلك بعزوف إباحية الشرق عن ماصرة الدولة الرستمية و الاتصال بأحكامها، نفسه، ص152.

3- نفسه، ص153.

الأخرى¹ التجارية و الثقافية، و مرجح ذلك أن مصر كانت ولاية عباسية خاضعة للعباسيين و تسير على نفس المنهج الذي تسير عليه بغداد².

كانت دولة الرستميين ترتبط ارتباطا وثيقا بمصر، فقد كان كثير من أهل مصر على مذهب الإباضية بل قد كانوا من بين هؤلاء الإباضية المصريين علماء لهم وزهم، و في رأي الرستميين كانوا مرجعا لهم في شؤونهم و فتاواهم، و من بين هؤلاء العلماء شعيب المصري³. و قد احتمت طبيعة الإمتداد الجغرافي لحدود الدولة الرستمية إلى طرابلس أن تكون مصر منفذا للقوافل الرستمية المنجحة إلى الشرق الإسلامي، و خاصة القوافل التي تحمل الحجيج و الرحالة و العلماء و التجار، و قد سارت هذه القوافل في الطريق التجارية التي امتدت بين مصر و الواحات الغربية و بلاد المغرب⁴.

قد تولت هواره في شرق طرابلس قو كذلك نفوسة و القبائل الطرابلسية الأخرى هذه المهمة، فكانت تجوب صحراء سرت ذاهبة آتية بين المدن الرستمية و المصرية⁵، و مما لا شك فيه أن هؤلاء التجار و الرحالة و العلماء من الرستميين قد نقلوا كثيرا من الأفكار الرستمية إلى مصر.

و قد شهدت العلاقات بين مصر و الرستميين شيئا من التوتر في عهد الطولونيين في سنة (265هـ/778م) و لكن الذي يفهم من هذا التوتر الذي سبق عرضه قبل ذلك أن أهدافه لم تكن بسبب سياسة عدائية رسمها الطولونيون تجاه الرستميين، و إنما كل دوافع هذا التوتر في ظروف شخصية بحتة، تتصل بفتنة العباس بن أحمد و مما يؤيد وجهة النظر هذه أن أحمد بن طولون لن يكن

1- يذكر ان مصر فتحت ذراعيها للدولة الرستمية، فتلقت قوافلها التجارية إليها، محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص351.

2- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص192.

3- شعيب المصري: كان يطمح في الإمامة الرستمية لنفسه، فقدم إلى تيهرت عندما كانت العتنة بين عبد الوهاب و ابن فدين التي أدت إلى انقسام الإباضية إلى السكارية و الوهبية، و أيد شعيب بن فدين في نزاعه مع ابن رستم، فلما تغلب ابن رستم على خصومه عاد شعيب إلى مصر، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص152، سليمان الباروني: ج2، ص145، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير: المرجع السابق، ج2، ص552.

4- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص193.

5- محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص351.

في مصر حين خروج حملة ابنه العباس نحو بلاد المغرب¹، و من ناحية ثانية أفاض المؤرخون في الحديث على بواعث هذه الحملة يقول أحدهم، عصى العباس بن أحمد بن طولون على أبيه و سبب ذلك أن أباه كان قد خرج إلى الشام و لستخلف ابنه العباس كما ذكرنا، فلما أبعد أحمد بن طولون عن مصر حسن للعباس جماعة كانوا عنده أخذ الأموال و الإنشراح إلى برقة ففعل ذلك و أتى برقة في ربيع الأول². و يرى البعض أن الحكومة المركزية في العراق كان لها تدبير رفقاء السوء الذين التقوا حول العباس بن أحمد بن طولون و دفعوه إلى القيام بهذا العمل، و قد عمد الموقف إلى هذه الطريقة لخلق حالة من الإضطرابات و الشغب في حكومة أحمد بن طولون³، و عندما علم أحمد بن طولون بهذه التطورات الخطيرة التي حققت في مصر عاد سريعا إلى الفسفاط حرصا منه على وضع حد لهذا التوتر الذي أحدثه ابنه العباس بين الدولة الطولونية و جيرانها، و أرسل ابن طولون إلى العباس وفدا على رأسه أبو بكرة بن قتيبة، و فشل هذا الوفد في إعادة العباس إلى مصر، و لكن الهزائم التي تلاحقت على العباس من الرستميين و الأغالبة أضعفت شوكة⁴، فلم يقوى على الصمود أمام الجيش من هزيمة العباس هزيمة منكرة و قبض عليه و أعيد إلى مصر في أوائل سنة 268هـ⁵.

ز/ علاقة الدولة الرستمية بالأمويين في الأندلس:

كان من الطبيعي أن يلتقي أمراء بني أمية بأئمة الرستميين تهرت و تقوم بينهم علاقات من الصداقة و المودة على أساس التحالف القوي و المتين⁶، و قد بدأت العلاقات بين الأمويين ممثلة في شخص عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) مؤسس الدولة الأموية بالأندلس و بين الرستميين في مرحلة مبكرة، فحين وصل عبد الرحمن بن معاوية إلى إفريقية فارا من العباسيين لجأ إلى المغرب الأوسط

1- ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص324.

2- ابن الأثير: المصدر نفسه، ص نفسها، و يذكر ابن عذارى أن العباس قال: "نم أخذ في استعماله الزهر بعد ذلك بالعلماء والإفصال و أبعد من مصر، فلا يقوم لأحمد بن طولون (يعني إياه) أمل في مطالبة لبعدي عنه" ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص118.

3- محمد عيسى الحريزي: المرجع السابق، ص194.

4- ابن عذارى: المصدر السابق، ص119.

5- محمد عيسى الحريزي: المرجع السابق، ص195.

6- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص569.

حيث أقام بين بني رستم الذين حافظوا عليه و أجاروه من الأخطار التي تعرض لها يقول المقرئ: "وآل أمره في سفره، عبد الرحمن بن معاوية إلى أن استجار بني رستم ملوك من المغرب الأوسط¹.

كان من الطبيعي أن يتم التآلف بين أمراء بني أمية في رطبة و بين الأئمة الرستميين في تيهرت و تقوم العلاقات بين الدولتين على أساس الصداقة و التحالف و ود رغم اختلافهما مذهبا فقد كان أمراء بني أمية يعملون على توطيد علاقتهم بالدولة الرستمية إلا أنه لم يعد أمامهم من منفذ في بلاد المغرب سوى المغرب الأوسط لأن المغرب الأدنى قامت فيه دولة الأغالبة الموالية للعباسيين والمغرب الأقصى فيه دولة الأدارسة الشيعية التي كانت علاقتهم بالدولة الأموية في الأندلس تتسم بالعداء و الحذر و التريص². فقيام هاتين الدولتين أوصدت جميع المنافذ و السبل في وجه الإمارة الأموية الفتية، و أصبحت الدولة الرستمية هي الشريان الوحيد الذي يستطيع أن يعذي تلك الإمارة بالحياة و يتعاون معها سياسيا و اقتصاديا و حضاريا³. و في إطار التعاون السياسي بين الدولتين ارتبطت كل منهما بالأخرى ارتباطا وثيقا و كان زعماء كل من الدولتين يتابع نشاط الآخر بإعجاب بالغ و استقبل الرستميون كبار رجال الأندلس الذين وفدوا إلى تيهرت و استوطنوا و أصبح منهم من عاون الأئمة في شؤون الإدارة و الحكم و قد اشتهر من بينهم إثنان هما، عمران بن مروان الأندلسي، و محمود الأندلسي اللذان كان ضمن الجماعة التي رشحها عبد الرحمن بن رستم لاختيار واحد منهما لتولي الحكم في الدولة الرستمية بعد وفاته⁴. و ظلت الدولتان تسمى كل منهما إلى كسب صداقة الأخرى، فقد ذكر ابن سعيد: "...و عليه قدم بنو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم صاحب تيهرت"⁵، و يذكر الشيخ بكري و ماريا خيسوس أن أبناء هؤلاء هم: دحيون و عبد



1- المقرئ: المصدر السابق، ج1، ص117

2- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص569.

3- محمود اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص153.

4- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ص153.

5- ابن سعيد المغربي: المغرب في حلي المغرب، تحقيق و نشر شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1953، ج1، ص448.

الغني و بهرام¹، و في سنة (207هـ/822م) بعث عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم أبناءه الثلاثة في سفارة رستمية إلى قرطبة عاصمة الإمارة الأموية و قد كان يوم وصول هذه السفارة الرستمية إلى قرطبة يوما عظيما مشهودا حيث استقبلهم عبد الرحمن الثاني استقبالا ملكيا رائعا و أنفق عليه ألف دينار²، حتى أصبح حديث الناس و مصدر إعجابهم³، و هذا ما يدل على متانة الروابط بينهم و على أهمية الوفد⁴.

و في عهد أفلح بن عبد الوهاب تمت العلاقات الرستمية الأندلسية نحو مضطربا و كانت كلتا الدولتين تبذل الأخرى بأخبار انتصاراتها أولا بأول و تبادل الهدايا فيما بينها بهذه المناسبات، فحين ابتنى الأغالبة مدينة العباسية سنة (227هـ/741م) قرب تيهرت لتهدد عاصمة الرستميين و توتر على مركزها الإقتصادي و السياسي، قام أفلح بن عبد الوهاب بهدمها و إحراقها⁵، و بادر باختيار خليفة عبد الرحمن الأوسط بما فعل، فأرسل إليه عبد الرحمن الثاني (الأوسط) هدية كبيرة قدرها المورخون بمائة ألف دينار⁶، و ذكر ذلك بن خلدون بقوله: "...و كتب (أي أفلح) إلى صاحب الأندلس يتقرب إليه بذلك، فبعث إليه بمائة ألف دينار⁷ و أصبح تبليغ أنباء الانتصارات بين الدولتين تقليدا سياسيا متبادلا بينهما، فحينما انتصر عبد الرحمن الأوسط على المحوس (النورماندين) في سنة 230هـ/844م، بادر بإبلاغ ذلك النصر إلى الخليفة الرستمي أفلح بن عبد الوهاب، فهنا أفلح

1- مازيا خيسوس: المرجع السابق، ص15، و أيضا: Chikh Bekri: Le kharigisme, op.cit, p99, Levi provençal: Histoire d'Espagne musulmane, Ed, G.P, Maisonneuve, paris, 1950, T1, p171.

2- ابن السعيد المغربي: المصدر السابق، ج2، ص246.

3- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص132.

4- نفسه، ص- ص 132-133.

5- حيث يذكر ابن خلدون: "و شيد أبا العباس محمد بن الأغلب مدينة يقرب تيهرت و سماها العباسية، و أحرقها أفلح بن عبد الوهاب"، و قد ذكر أيضا ذلك البلاذري لكنه قال إن ذلك كان سنة 231هـ، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص 1442، البلاذري: المصدر السابق، ص234.

6- إبراهيم العدوي: بلاد الجزائر، المرجع السابق، ص- ص 222-223.

7- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص 1445، لكن البلاذري رغم أنه ذكر قصة إحراق و تدمير مدينة العباسية من طرف الإمام أفلح بن عبد الوهاب لكنه لم يذكر ذلك التقرب إلى صاحب الأندلس، البلاذري: المصدر السابق، ص234.

خاص بهم خارج تيهرت يعرف بـ "كدية النكار"¹، و أمام هذه الأوضاع لجأ الإمام إلى طلب الهدنة مع النكار²، على أن يتدخل علماء الإباضية المشاركة في التحكيم بين الطرفين، و ذلك عن طريق إرسال رسلهم إلى المشرق يمثلون الأطراف المتنازعة مهمتهم الحصول على رأي زعمائه هناك في قضيتهم، فانطلق رسل الإباضية إلى المشرق، و لما وصلوا إلى مصر قابلوا هناك من علماء الإباضية شعيب أبو المعروف³ الذي خلا بطائفة من أصحابه و اتفقوا على المسير إلى تيهرت، و قد استغلوا التوتر الذي أصاب الدولة حيث التقى شعيب أبو المعروف بالإمام عبد الوهاب و أكد له أن إمامته صحيحة، و في المقابل أوضح ليزيد بن فندين، ضعف موقفه و أن عليه أن يستأنف حرب الإمام ثانية قبل عودة الرسل الذين اتجهوا إلى مكة، فيقوى من مركز عبد الوهاب⁴.

و في هذه الأثناء حاولت جماعة النكارية قتل الإمام عبد الوهاب، و ما ساعدهم في ذلك أنهم كانوا يدخلون مدينة تيهرت و يخرجون منها بكل حرية، لكن الإمام تفتن لهم و أفضل حطنتهم و طلب من سكان تيهرت أن يكون على أتم الاستعداد دائمات بسلاحهم⁵، و كان ابن فندين وأصحابه ينتظرون الفرصة المناسبة للقيام بمحورهم على تيهرت، فاستغلوا فرصة خروج الإمام عبد الوهاب ذات يوم لقضاء بعض حاجته ليتوجهوا إلى المدينة لمباعتها فخرج إليهم أفلح فوجدهم على باب المدينة و قد كادوا يدخلون إليها فوقف يدافع على بابها حتى انسلخت رجله إلى العرقوب ورغم ذلك تمكن من قتل يزيد بن فندين و هزيمة أصحابه حيث قتل منهم نحو اثني عشر ألف قتيل⁶، و لما عاد الإمام عبد الوهاب و أخبروه بما حدث أمر بجمع القتلى، فصلى عليهم و دفنهم آملا في الصلح وطمعاً في العافية لعامة المسلمين من بقية أصحاب ابن فندين⁷.

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 19.

2- الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 152، محمد عيسى الحريزي: المرجع السابق، ص 116.

3- سعد زغلول: المرجع السابق، ج 2، ص 319.

4 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص - ص 144 - 145.

5- سعد زغلول: المرجع السابق، ج 2، ص 322.

6- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج 2، ص 553.

7- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 97.

لم تتوقف أعمال النكارية عند هذا الحد حيث قاموا بقتل ميمون بن عبد الوهاب¹، و عندما تأكد عبد الوهاب من فعلتهم هذه أرسل إليهم جيش بقيادة أحد أبناء ميمون الذي تمكن من هزيمتهم و كسر شوكتهم، فلم تعد لهم تلك الخطورة التي تهدد الإمام عبد الوهاب²، و يقول ابن الصغير أن معظم النكار ظلوا معتصمين بها حتى نهاية الدولة الرستمية³.

ب/ ظهور الفرقة الواصلية: إن حركة النكار خلقت وضعاً جديداً في الدولة الرستمية فقد أعطت الفرصة لجماعة الواصلية⁴، أن يناقشوا مسألة الإمامة في الدولة الرستمية باعتبارهم من رعايا هذه الدولة، حيث أنهم كانوا يؤلفون حزباً قوياً في شمال تيهرت و هذا ما جعل بقايا النكار ينضمون إلى هؤلاء الواصلية في حركتهم⁵، و أصبحت الواصلية المشكلة ثانية التي تهدد الجبهة الداخلية في الدولة الرستمية بعد ثورة يزيد بن فنين، و قد تحركت جماعة الواصلية عندما أحسنت ببعض الفرقة في الإباضية و أرادوا أن ينتهزوا الفرصة، و قد كان زعماء الواصلية يحسنون الجدل في المسائل التي كانت موضع خلاف بين أهل المذهب⁶، و عندما اشتدت معارضتهم نشب قتال ضار بينهم و بين الإباضية كانت نتيجة انهزام الواصلية و عودة البعض منهم إلى طاعة الإمام و البقاء داخل نطاق الحكم الرستمي⁷.

ج/ ظهور الفرقة النفاثية: إن التنافس على ولاية إقليم قنطراة كان السبب الرئيسي في الإنشقاق الرستمي في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب، و أدى ذلك إلى ظهور فرقة النفاثية نسبة إلى قائد الحركة فرج بن نصر النفوسي الذي اشتهر باسم نفاث و قد أراد هذا الأخير ولاية قنطراة، لكن

1- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 98.

2 - الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص - ص 153-154، الباروني: المرجع نفسه، ص 151.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 20.

4- البكري: المصدر السابق، ص 67، محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 117.

5- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج 2، ص - ص 553-554، الباروني: ج 2، ص 153.

6- بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 335.

7- الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص - ص 156-157، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 123.

الإمام أفلح عين سعد بن أبي يونس¹ على رأس هذه الولاية، فقد رأى أنه هو الأصلح لأمر المسلمين و الأحسن لأموهم، فاستاء نفاث من ذلك و أضمر في قلبه الغش و العداوة، و أظهر الطعن في الإمامة و قد أتى بأسباب أخرى ذات طبيعة فقهية مذهبية، فقد كان متمسكا بسنن أهل الدعوة القديمة و انه كان ضد مظاهر التطور التي أخذ بها الإمام أفلح، و العناية باللبس و المظهر و ممارسة الرياضة²، و قد تطورت هذه الخلافات المذهبية و الفقهية إلى غاية إنكار نفاث خطبة الجمعة و ادعائه أنها بدعة و ضلالة و قوله أن ابن الأخ الشقيق أحق بالمراث من الأخ لأب³، و لما وصلت أخبار نفاث إلى الإمام أفلح و انتقاده عليه طلب حضوره من أجل أن يوضح له ما أنكره عليه فالإمام أفلح كان يدعو نفاث لعرض أفكاره أمامه، فإما أن يقتنع الإمام، و إما أن يقنع الإمام، و إما أن يتمكن الإمام من إقناع نفاث⁴، و هذا التصرف بين لنا المبدأ الهام الذي سار عليه أفلح، ألا و هو مبدأ احترام حرية الفكر و الرأي لسائر الأفراد في الدولة، لقد كانت شقة الخلاف المذهبي تتسع بين النفاث وأعوانه في جبل نفوسة و بين أصحاب الإمام أفلح، و على رأسهم سعد بن أبي يونس الذي اضطرب إلى ترك مقر ولايته و توجه إلى الجبل⁵، حيث يوجد نفاث مخافة أن يضل الناس، و لما وصل هناك قام ببناء داره و ساعده في ذلك نفاث⁶، فخاف سعيد من أن يتوهم الناس أنه رضي عن النفاث فكان يقول له إلى: "إلى متى تترك كفرك يا نفاث"، فيقول له نفاث: "معاذا الله من الكفر يا شيخ" فإذا حلى سعيد بأصحابه، قال ليس جزءا من يخدمني و يبني لي أن أشتمه في وجهه، و إنما تخوفت من الفتنة على الناس، و لذلك فعلت ما فعلته⁷.

- 1- سعيد بن أبي يونس: هو بن يونس وسم الذي عينه الإمام أفلح واليا على قنطرة، و قد أرسله والده لأخذ العلم عن الإمام، أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 139.
- 2- سعد زغلول: المرجع السابق، ج 2، ص 351.
- 3- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 146.
- 4- سليمان الباروني: المرجع السابق، ص - ص 256-257، محمد عيسى الحريري: المرجع نفسه، ص 147.
- 5- سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج 2، ص 352، سليمان الباروني: نفسه، ص نفسها.
- 6- الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 80.
- 7- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 141.

و خوفا على ما قد تحدثه آراء نفاث من بلبلة بين العامة فقد بعث أفلح بالرسائل إلى العمال كي يقرؤوها على العامة لتحذيرهم من آراء نفاث¹، و في نفس الوقت بعث إلى نفاث برسالة أخيرة يحذره فيها من ابتداع غير الحق و يدعوه إلى العودة إلى الرشد و يكرر خلع كل من خالف سيرة المسلمين و نفيه و هجره و إقصائه، و كذلك البراءة منه مع إشارة خاصة إلا من يزعم أن عمال الإمام أساقفة و أنهم لا طاعة لهم في حال كتمانهم، و في نهايتها يطلب من نفاث أن يعود إلى حظيرة الجماعة².

و من خلال هذه الرسالة خاف نفاث على نفسه و جمع أمواله و هرب إلى أرض سرت ومنها إلى بغذاذ حيث أقام هناك³، و قد بقي في جبل نفوسة بعض الذين تأثروا بآراء نفاث بن نصر، و لذلك عرفوا بالنفاثية⁴.

2 - الحروب الداخلية:

عرفة الدولة الرستمية اضطرابا خطيرا في عهد الإمام أبي بكر بن أفلح، حيث أن هذا الأخير كان بعيدا كل البعد عن سياسة و كان يفضل حياة الترف و اللهو⁵، و لذلك أوكل شؤون الدولة إلى صهره محمد بن عرفة الذي كانت له شخصية لطيفة، و كان يحسن إلى الناس، و يسعى إلى حل مشاكلهم⁶، فأحبوه و أصبح مقصدهم في العاصمة، و بذلك كثر أنصاره و أتباعه⁷، و بعد عودة أبي اليقظان من المشرق آلت الدولة إلى محمد بن عرفة و أبي اليقظان معا، فكان من الطبيعي أن يحدث صراع بين الطرفين، و كانت له آثار سلبية في المملكة الرستمية، لقد كان أبو اليقظان و قرابته يتربصون بمحمد بن عرفة و يراقبونه إلى أن نجحوا في إثارة الإمام أبي بكر عليه⁸، حيث أخبروه بافتتان

1- محمود اسماعيل: الحوارج في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص124، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص262.

2 - سليمان الباروني: نفسه، ج2، ص268.

3 السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ص- ص 124 - 125.

4- بحاز ابراهيم: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص270، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص148.

5- محمود اسماعيل: الحوارج في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص128.

6- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص560.

7- بحاز ابراهيم: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص123.

8- ابن الصغير: المصدر السابق، ص33.

الناس بابن عرفة، و بينوا له سوء العاقبة إذ لم يتصرف سريعاً¹، و عندما تأكد من صحة كلامهم قرر قتله، فدعاه إلى نزهة خلوية و هناك أمر الإمام أحد خدمه بقتله و إخفاء جثته² أحدث تعيب ابن عرفة ضجة كبيرة في تيهرت، فخرج أتباعه و أنصاره يبحثون عنه حتى وجلوا جثته، و كانت ردود فعلهم لمقتله عنيفة فاشتعلت نار الفتنة، و انقسم أهل تيهرت إلى فريقين، فريق يتكون من أنصار الإمام و اعوانه و قد تجمعوا في الناحية الغربية للمدينة، و فريق من أنصار بن عرفة و يتكون من جند القيروان الذين أعلنوا في مناسبات كثيرة ثمردهم على بني الأغلب، و قد استقروا بمدينة تيهرت و كان من الطبيعي أن يؤيدوا بن عرفة لأنه وافد من القيروان مثلهم³، و قد تجمع هؤلاء الثوار في الناحية الشرقية لمدينة تيهرت⁴، و استعد كل فريق للحرب و زحف أبو بكر برجاله نحو الثوار و تم اللقاء الذي شارك فيه معظم أهل تيهرت⁵، و كانت المعركة عنيفة تدخل فيها العجم بعد أن انهكت قوى الفريقين المتحاربين، و قد حاول العجم استغلال هذه الحرب لمصلحتهم الخاصة لكن في النهاية تحالف الفريقان و أصبح القتال بين العرب و العجم⁶، فبعد استيلاء العرب على موضع العجم المجاور للرب النفوسيين أشعلوا النار فيه مما تسبب في الأضرار ببعض النفوسيين المقيمين هناك، الأمر الذي أدى إلى تحالف نفوسة مع العجم، بعد أن وقفت موقف حياد أمام هذه الأوضاع ثم انضم إليهم أبو اليقظان حيث أن نفوسة كانت من أخلص حلفائه و حاولوا إنقاذ الأمور المتدهورة في تيهرت⁷، و بذلك دخلت الحرب مرحلة جديدة تمثلت في الحياز العرب في صف أبي بكر و العجم و نفوسة في صف أبي اليقظان⁸، و هكذا شاركت جميع الأطراف في فتنة محمد بن عرفة و دارت الحرب باسم أفرادها، في بداية الأمر حقق العجم و نفوسة انتصارات قوية على أتباع أبي بكر، و تفرقوا خارج تيهرت، فزل

1- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص83.

2- بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص124.

3- محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص571.

4- سعد زغلول: المرجع السابق، ج2، ص359.

5- ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص36-37.

6- نفسه، ص39، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص160.

7- محمد عيسى الحريري: نفسه، ص162.

8- سعد زغلول: المرجع السابق، ج2، ص361.

العجم على موضع يقال له تنابغت¹، و لحق الرستميون بأبي اليقظان، و استقروا عند موضع يقال له أسكدال²، أما نفوسة فترلت بقلعة حصينة قامت بينائها و في هذه الأثناء استغل محمد بن مسالة الفرصة و دخل تيهرت و استولى عليها بعد خروج الإمام أبي بكر و أصبح لهواة اليد العليا في تيهرت و دخل في صراع مع لواتة التي انسحبت إلى حصنها المعروف بحصن لواتة³، و من هناك أرسلت إلى أبي اليقظان تدعوه إلى الإقامة معها، فترل بموضع يقال له تساونت⁴، و هناك تمت مبايعة أبي اليقظان بالإمامة بعد أن تنازل عنها أخوه أبو بكر، و أنهت الإباضية من كل الأقطار.

استمرت الحرب بين أبي اليقظان و تيهرت طيلة سبع سنوات متتالية⁵، و قد أرسل في طلب العون العسكري من جبل نفوسة الذي استجاب لطلبه، لكن سكان تيهرت قد ملوا من الحرب وطلبوا الصلح فاستجاب أبو اليقظان لذلك و تم عقد الصلح، و بهذا انتهت هذه الحرب التي أوشت ان تقضي على الدولة الرستمية نهائيا، و كانت لجهود أبي اليقظان و نفوسة الأثر الكبير في عودة الحياة الطبيعية إلى هذه الدولة، بعد انتهاء هذه الحرب، استقرت الأوضاع في الدولة الرستمية إلى غاية مجيء الإمام أبي حاتم فما كادت البيعة تتم له حتى انفردت به عشيرته و إخوته و أعمامه و مواليه، و كانت غايتهم في ذلك أن يحجبوا الإمامة عن جماهير الشعب ليثيروا عليه الرعية و قد وصل بهم الأمر إلى حد التآمر عليه و بالتالي قتله.

ثانيا- نهاية الدولة الرستمية:

إلى جانب الأوضاع الداخلية المتردية التي ذكرناها هناك عوامل خارجية عجلت بالسقوط لهذه الدولة و منها:

- 1- تنابغت: يوجد هذا الموقع على بعد مرحلتين من مدينة تيهرت، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 39.
- 2- أسكدال: هو على مسيرة يوم و أزيد بقليل في مجمع الإباضية، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص نفسها.
- 3- ابن الصغير: نفسه، ص 40.
- 4- تساونت: توجد قرب لواتة على مسيرة أميال و هي الموضع الذي يخرج منه عيون النهر الذي يجري من فلة تيهرت، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 40.
- 5- رابع بونار: المرجع السابق، ص 37.

1- موقعة مانو و سقوط الدولة (273هـ/796م):

من أهم الأحداث التي عرفها جبل نفوسة على أيام أبي حاتم يوسف و التي ألحقت الهزيمة بقوات نفوسة أمام القوات الأغلبية بقيادة الأمير إبراهيم بن أحمد¹، و ذلك في موقعة مانو بعد وفاة أبي منصور إلياس و ولاية أفلح بن العباس على نفوسة²، و كانت السبب المباشر لاضمحلال إمارة تيهرت، فقبائل نفوسة كانت تؤيد السلطة الرستمية و مذهبها الإباضي بشكل لا نظير له بين قبائل المغرب و لهذا السبب قام الإباضية هناك: " قام هذا الدين بسيوف نفوسة و مال مزانة³، كما قالوا أن أنصار نفوسة انتشرت لدى المسودة العباسيين في المشرق على أهم المناصورون و القائمون لدولة الفرس الرستمية في بلاد طرابلس و تيهرت و غيرها. و ذلك بفضل المكاتبات التي كان يبعث بها إلى بغداد أهل كل من مدينتي القيروان و طرابلس.

لقد اعتبرت معركة مانو بداية النهاية للدولة الرستمية، و كان من أسبابها:

سار إبراهيم بن أحمد من رقادة في أثر ابنه أحمد نحو طرابلس حيث اعترضته قبائل نفوسة، فيما بين قابس و طرابلس، و إذا كانت الرواية الإباضية تقول أن الأمير الأغلي طلب النفوسيين أن يتركوا له ممرا على شاطئ البحر لا تزيد سعته عن مقدار نشر عمامته ليجوز منه إلى طرابلس⁴.

فإن من الممكن أن يكون الأمر متعلقا بواحد من احتمالين:

1 - إما أن تكون الرواية الإباضية تخلط بين ما حدث قبل ذلك مع عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب عندما حاصرته الإباضية في طرابلس أيام الإمام عبد الوهاب، و انتهى الأمر بالصلح على أن يكون شاطئ البحر للأغلبة و الدواخل لعبد الوهاب

1- إبراهيم بن الأغلب: هو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب، كان واليا على القيروان لأخيه أبي الغرانيق، فلما توفي أخوه ولي مكانه سنة 289هـ و قد قمع عدة ثورات أخرى عند ثورة الإباضية، كما افتتح عددا من حصون الإفرنج و غرا صقلية، ولكنه في أواخر أيامه، احتل و قتل عددا كبيرا من أفراد عائلته و منهم اثنان من أبنائه و قد دامت ولايته 28 سنة و نصف، ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص116.

2- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص87.

3- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص155.

4- نفسه، ص- ص 156 - 157.

2- و إما أن يكون هدف إبراهيم بن أحمد هو الإكتفاء بتهدئة الأحوال في طرابلس التابعة له دون رغبة في التدخل في شؤون الإباضية النواخل¹.

و المهمل في الرواية أن الإباضية زعموا على ألا يسمحوا لإبراهيم بالمرور بينما قرر هذا الأخير الجواز على ساحل البحر دون أن يتعرض أصحابه لنفوسة إذا تركوهم.
و رأى العقلاء من الشيوخ مثل بن أبي يونس²، أ يتركوا الأغلبة يجوزون و لكن الكثرة الغالبة من الشباب المتحمس رفض ذلك، و كان رد سعد مقولته الشهيرة: "خفت أن تذبح البقرة فيتبعها عجلها"³، يعني بالبقرة نفوسة و بالعجل قنطرة بلده.
و هكذا اعترضت نفوسة قوات في موضع لا يذكر المؤرخون العرب اسمه، بينما يعرفه كتاب الإباضية باسم "مانو"⁴.

أما عن القتال الشديد بين الفريقين، فيوصف بأنه لم يسبق مثله في أرض المغرب و بصرف النظر عن بعض البطولات الشخصية التي أظهرها بعض الفرسان من الجانبين، فقد اشتد القتال بين الفريقين، و لحق بنفوسة إلى جانب ذلك كثير من الجراح حتى أنهم هموا بالانزمام⁵. و هنا طرأت على بال أفلق بن العباس، و إلى الجبل و فارس نفوسة فكرة حث الناس على الثبات عن طريق تركيز البند أو الراية، شعار الجيش في الأرض، و هو الأمر الذي لم يفعله صاحب البنداي حامل الراية إلا عسى مضض، و لكنه إذا كان غرس البند في الأرض قد جعل الناس يسرعون بالالتفاف حوله للدفاع عنه، فقد جعل احتشادهم هذا هدفا سهلا للعسكر الأغلب الذي أوقع بهم و قتل منهم الكثيرين بينما فر أفلق بن العباس عندما رأى سوء موقعه و تفشى القتل في أصحابه⁶. ولا شك في أن فشل خطة

1- سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج2، ص389.

2- سعد بن أبي يونس: كان عالما كبيرا و شيخا من شيوخ قنطرة و واليها و من مشاهير أساتها، سعد زغلول عبد الحميد: المرجع نفسه، ج2، ص نفسه.

3- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص385.

4- موقع مانو: إنه قصر من قصور الأولين على ساحل، أبو زكرياء يحيى: المصدر نفسه، ص387.

5- أبو زكرياء يحيى: المصدر نفسه، ص390.

6- سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج2، ص390.

خصومه، إذ استلهمهم إلى أن صلى ركعتين أتبعهما بالدعاء، فبعث الله إليهم ريحا عاصفا حال بينهم وبين الشيخ، فأخذ ابنه يوسف، إذ ذاك قد كف بصره، ومضى إلى تساونت من قبائل نفزاوة⁵.
و من الزاب عاد ابراهيم بن أحمد و بصحبته أسراء الثمانين من فقهاء قنطرة إلى القيروان حيث قتلهم بأجمعهم.

و هكذا حطم ابراهيم بن أحمد بن الأغلب مقاومة الإباضية الرستميين في كل من جبل نفوسة و نفزاوة قبل أن يعود إلى القيروان.

و الحقيقة لا تتجاوز كثيرا ما يقوله كتاب الإباضية بأن موقعة مانوا كانت السبب في القاء الوهن في نفوسة و ذلك أدى إلى انقراض الدولة الرستمية و انقطاع الدعوة الإباضية، و ذلك لأن نفوسة كانوا عمدتها قامت بقيامهم و انقطعت لانقطاعهم¹.

و يظهر عدل أفلح من ولاية جبل نفوسة و كأنه بدى النهاية بالنسبة للدولة الرستمية إذ يقول أبو زكرياء: "إن الوالي الجديد ابن عمه لم يمكث في الحكم إلا حوالي ثلاثة أشهر، و لم يتمكن من إحسان السيرة، فتركه الناس و رجعوا إلى أفلح²، و بذلك يكون قيام الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط و كيف تمها لها القضاء على تيهرت الرستمية.

و بهذا تنتهي الدولة الرستمية عند ابن الصغير في دوامة الاضطرابات التي عرفت تيهرت والخلافات التي عرفها أفراد الأسرة الحاكمة على عهد الإمام أبي حاتم يوسف بن أفلح، دون ذكر موقعة مانوا.

2- الدخول الفاطمي و سقوط الدولة:

في خلال السنوات الأخيرة لإمامة تيهرت خصصها أبو زكرياء لتاريخ بدأ الدعوة الشعبية في كتامة و قيام الدولة الفاطمية في المغرب و التي رأى الدرجيني أ يحتزلها الإمام أبو حاتم يوسف راح ضحية مؤامرة قام بها أفراد أسرته و شارك فيها بعض الشيوخ الفقهاء مثل "أبي الخطاب وسيم ابن

1- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص91.

2- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص- ص 158-159.

سنتين الزواغي، أحد حفدة أبي الخطاب الكبير المعافري، و ذلك سنة 294هـ/907م، و انتهت بولاية ابن أخيه يقظان بن اليقظان.

فعندما سار أبو عبد الله الشيعي¹ الذي يعرفه كتاب الإباضية بالإيكجاني، نسبة إلى قلعة إيكجان الذي اعتصم بها في مدينة ميله من بلاد كتامة، من رقادة في طريقه إلى سحلماسة لطلب الإمام المهدي، خرجت إليه دوسر بنت يوسف مع واحد من إخوانها تشكو إليه مقتل أبيها و تطب منه الانتقام من عمومته بني أبي اليقظان، الذين غدروا به مما يفهم منه أن السيدة دوسر كانت للمحرضة الشيعي على فتح تيهرت.

و الواضح من الرواية أنه ما إن أقبل الشيعي على تيهرت حتى خرج إليه وجود أهلها يعنون الطاعة و يطلبون الأمان².

أما زعماء الجماعات المعارضة من المالكية و الواصلية و الشيعية و الصفرية نافقوه و شكروا إليه إمارة الفرس، و وعدوه العون من أنفسهم على جميع الرستكيين، و أمروا باستتصال شأفتهم، و توهين شوكتهم³.

مما يفهم أن المقصود بجماعة وجوه تيهرت الذين طلبوا الأمان هم من أفراد الأسرة الرسمية المالكة وأنصارهم.

و هذا لا يمنع أن يكون أبناء عمومته من أولاد يوسف و على رأسهم دوسر ابنته، فقد انتهزوا الفرصة لتحريض الشيعي عليهم، مما كان يهيء لهم النجاة من انتقامه و في نفس الوقت تحقيق الثأر لمقتل والدهم⁴.

و لا أدل على الانفصام الذي كان وقع بين الأسرة المالكة و بين شعب تيهرت، إذ أن الشيخ أبي الخطاب الذي كانت إليه الزعامة في المدينة و الذي قام بلور رئيسي في تولية يقظان، كان يغرم اليتامى و الأرامل لظلمه، و يستفتي نكاريا و يقدم في الصلاة خلفيا و في الأذان نفائيا.

1- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص164.

2- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص93.

3- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص165.

4- سعد زعلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص390.

و إذا كان ذلك يعني نوعاً من المهادنة من أجل التعايش السلمي، فلا شك أن هذه الفسيفساء الإباضية كانت من الدقة بحيث لا تحتل أية مقاومة، وهذا ما يفسر استسلام المدينة دون مقاومة.

و الدليل على هذا خروج أعيان تيهرت على رأسهم ابن يقظان لاستقبال أبي عبد الله الشيعي سواء كان بناء على طلبه أو مبادرة من المدينة، و ينص أبو زكرياء على أنه بعد حوار قصير سأل الشيعي الأمير الرسومي عن اسمه و رد فيه بخفاء على سوء السيرة و قتل أخيه أبي حاتم يوسف، إذ قال له: "و كيف قتلتم أمركم و سلبتم لأنفسكم ملككم فاطفيم نور الإسلام بغير سبب و ألقيم بأيديكم إلينا بغير قتال"؟¹ و بعد ذلك أمر بقتل يقظان و أبنائه الذين نقض فيهم الحكم فقتلوا عن آخرهم². و مع أن الرواية تنص أن عبد الله الشيعي دخل تيهرت بالأمان، فإنها تشير أنه غدر، فانتهدت مدينة الأئمة و انتهك حرمتها و أخلا كثيراً من أهلها، و جعل أعزة أهلها أذلة، و لم يكتف أبو عبد الله الشيعي بقتل يقظان و أبنائه، بل أنه أتبع ذلك بقتل أهل بيت الإمامة من الرستميين، و أهل الملك و أهله الحرث و النسل³ و كان من الذخائر التي وقع عليها أبو عبد الله الشيعي في تيهرت مملوءة بالكتب من مكائها، كما تقول الرواية و اخذ منها كل ما يصلح للملك و الحساب، و ألقى ببقيتها⁴.

هكذا تم القضاء على الرستميين و حكمهم في تيهرت، 296 هـ / 909 م، و لم يستطع أصدقاؤها و جيرانها أن يقدموا إليه مساعدة لظروفهم الخاصة، و لطريقة العلاقة التي كانت تربط بينهم و بين تيهرت⁵ و بعد دخول الشيعي لتيهرت هربت السيدة دوسر بنت يوسف التي لم تف بالزواج منه بعد أن حقق لها أمنيته و ثار من بني عموميتها قاتلي أبيها، فلا بأس أن يكون العفو قد

1- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص- ص 70-71.

2- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص- ص 166-167.

3- إن صومعة الكتب هذه كانت مشتملة على ديوان تيهرت أي على سجلات المدينة الرسومية، أبو زكرياء يحيى: المصدر نفسه، ص 167.

4- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 72.

شمل أيضا يعقوب بن أفلح عم يوسف و يقظان الذي كان له حظ المنافسة على الإمامة من قبل¹. وبينما تقول رواية أبي زكرياء أنه خرج من تيهرت متوجها إلى وارجلان لما سمع بإقبال الإيكلاني، يذكر الدرجيني أن يعقوب بن أفلح و ابنة أخيه دوسر خرجا في خفاء إلى جهة وارجلان حتى نزلها². فإذا كان الأمر كذلك يكون يعقوب قد وقف إلى جانب ابنة أخيه دوسر في طلب الثأر لأبيها، وحيثما يصح ما نريد استنباطه من أن يكون عفو الشيعي قد شمل كلا من دوسر و يعقوب، و تكون إلى وارجلان قد تمت بموافقة، و لا يضعف من هذا الافتراض الذي نراه منسجما مع واقع الحال، ما تشير إليه الرواية التالية لأبي زكرياء و التي يقول فيها: "إنه لما سار الإيكلاني متوجها إلى تيهرت خرج يعقوب بن أفلح في خيل مع أصحابه مع عيالهم و أهاليهم"³ عندما وصل يعقوب بن أفلح بعد سقوط تيهرت إلى وارجلان كان حكم الواحة الصحراوية الكبيرة إلى رجل يعرف باسم "صالح بن جنون بن يصرين" الذي خرج لاستقباله في جموع أهل وارجلان و بسبب مركزه الاجتماعي وشرفه و عمله، اقتضت أصول الآداب في ذلك العصر أن يعرضوا عليه أهل وارجلان⁴.

و بضمائهم أمير "صالح بن جنون" على ما تظن أن يكون أمير عليهم، و كان من الطبيعي أن يرفض يعقوب هذا العرض الذي و إن كان كريما، لم يكن مناسبا للإمام الأسبق الذي قال للناس وهو يمتنع "لا يستتر الجمل بالغنم"⁵.

و نخلص إلى أن أبو عبيد الله الشيعي استغل ذلك الانقسام الحاصل بين أبناء الأسرة المالكة⁶ و قام بتخريب المدينة واستباحها حيث يقول البكري: "فوصل أبو عبد الله الشيعي إلى مدينة تاهرت فدخلها بالأمان، ثم قتل فيها من الرستميين عددا كبيرا منهم اليقظان بن أبي اليقظان و بعث برؤوسهم إلى

1- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص170.

2- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص46.

3- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص- ص 170-171.

4- بلحاج بن علون فشار: وقعة ماتوا و ما رافقها من أحداث www.ibadiyah.net

5- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص173.

6- علي معمر: مختصر الإباضية، المرجع السابق، ص- ص 44-49، بوزياني الدراجي: دول الخوارج و العلويين،

المرجع السابق، ص103.

أخيه أبي العباس و طيف بها في القيروان¹، هذا الإضطهاد جعل الرستميين يفرون بمذهبهم إلى مناطق بعيدة و هي سدراتة و وارجلان و جربة و جبل نفوسة، و يقول ابن خلدون: "وعقد عروبة بن يوسف فاتح المغرب للشيعة على تاهرت لأبي حمد دواس بن صولات اللهيصي في غزاته إلى المغرب 298هـ/910م، فأتخن في بربرها الإباضية من لماية و ازداجة و لواتة و مكناسة و مطماطة"².

لم تبق تيهرت عاصمة المغرب الأوسط رغم أنها بقيت محصنة في عهد الفاطميين³، خاصة عندما عين مصالة بن حبوس المكناسي بعد مقتل دواس بن صولات عامل تيهرت السابق. فقد أصبحت تيهرت القاعدة المتقدمة من أجل السيطرة على المغرب الأقصى، و حتى على الأندلس و هو ما يشير إليه بن خلدون بقوله: "لم تزل تاهرت هذه ثغر لعمال الشيعة و صنهاجة سائر أيامهم"⁴.

لقد ظلت تيهرت مركزا لمراقبة تحركات القبائل البربرية خاصة الزناتيين بحيث تحولت إلى مركز للتوغل في بلاد المغرب الأقصى، و ما لبثت أن أصبحت مسرحا للقتال بين الزناتيين الذين يخضعون للدولة الأموية في الأندلس و الفاطميين، و هكذا أصبحت بين يدي مغراوة، بعد أن قتل هولاء مصالة بن حبوس سنة 312هـ ثم فتحها القاسم بن المهدي الفاطمي لتحتلها بعد ذلك مغراوة للمرة الثانية⁵ بعد وفاة أبي القاسم بن المهدي.

إن أهمية تيهرت كقاعدة حربية في عهد الخلافة الفاطمية جلب لها المتاعب و أدى إلى هلاك سكانها، فلم تعد خلال هذه المرحلة عراق المغرب كما وصفت من قبل، و هو ما لاحظته ابن حوقل خلال القرن 4هـ/10م، والذي قال عنها: "قد تغيرت تيهرت عما كانت عليه، و أهلها و جميع أقاربها من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم و دوام القحط و كثرة القتل و الموت"⁶.

1- البكري: المصدر السابق، ص68، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص197.

2- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، م1، المصدر السابق، ص1449، مختار حساني: المرجع السابق، ص298.

3- Bourouiba Rachid : Cités disparues, Imp. Reghaia Alger 1982, p37.

4- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، م1، ص1451.

5- نفسه، ص1450، و أيضا: Bourouiba R : op.cit , p – p 37- 38.

6- ابن حوقل: المصدر السابق، ص78، مختار حساني: المرجع السابق، ص299.

و بعد القضاء على ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد¹ استعادت الخلافة الفاطمية مدينة تيهرت .
و هجوم بني غانية² على تيهرت و تدميرها، تهاجر المدينة مما جعل الحسن بن محمد الوزان يقول
عنها: "لم تر شيئا آخر حاليا إلا بقايا تشييدات كما لاحظته أنا شخصا"³.

-
- 1- يذكره ابن خلدون بـ ابن كراد فيقول: "و كان أبوه كراد من أهل قسطلية من مدائن بلد توزر، و كان يختلف إلى بلاد السودان بالتجارة و بها ولد ولده أبو يزيد و شأ بتوزر، و تعلم القرآن و محالط النكارية من الخوارج و هم الصفرية، فمال إلى ملههم ثم سافر إلى تاهرت و أقام بها يعلم الصبيان... و لقب بصاحب الخمار لركوبه حمارا أشهب"، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، م1، المصدر السابق، ص- ص 1451-1452.
 - 2- من أعيان الملتزمين المرابطين، امتلكوا جزر البليار شرق الأندلس و استقلوا بها و أعلنوا ولائهم للدولة العباسية ثم ناروا على الموحدين، فعزوا بجاية و مليانة و قلعة بني حماد و قسطنطينة و الجزء الشرقي للدولة و هي المعروفة بالبلاد الإفريقية، محمد لعروسي المطوي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986، ص- ص 17-18، و يقول عبد الرحمن بن خلدون: "و ارتحل إلى تاهرت... و استيحت تاهرت فكان آخر العد بعمراتها، و امتلأت أيديهم من الغنائم والسبي، و انقلبوا إلى إفريقية"، عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، م2، ص2544، ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص128، ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج1، ص466، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص28.
 - 3- حسن الوزان: المصدر السابق، ص- ص 40-41، و أيضا: Gerard D : opcit, p247.

الفصل الثاني

الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية بتصرف

المبحث الأول: الحياة الاجتماعية في تصرف

المبحث الثاني: الأنشطة الاقتصادية المتداولة

المبحث الثالث: الموارد المالية

المبحث الرابع: التجارة الداخلية و مبادلات تصرف الخارجية

المبحث الأول: الحياة الاجتماعية في تيهروت

من ناحية البنية الاجتماعية لمدينة تيهروت، فإن المصادر التي رجعنا إليها لم تذكر أن عبد الرحمن بن رستم قام بنقل السكان المخاورين لتيهروت من أجل تعمير المدينة كما حدث في بناء أشير والقلعة، بل السكان أتوا إلى المدينة بإرادتهم ولعل الدافع لذلك رخاء و غناء المدينة¹ و حسن سيرة إمامها و عدله، و هذا ما نفهمه من قول ابن الصغير: "و أئتهم الرفود و الرفاق من كل الأمصار و أقاصي الأقطار... لما يرى من رخاء البلد و سن سيرة إمامه و عدله في رعيته و أمانه عن نفسه و ماله..."¹.

لقد كثر سكان تيهروت و اختلفت فيها عناصرهم و أجناسهم، فكان فيها من لمائة و زناتة و سدراتة و هوارة و لواتة و زواغة، و نفوسة الجبل، كما سكنها قوم من القيروان و الكوفة و من فاس و غيرها، و اجتمعت فيها مختلف المذاهب و الفرق اليهودية و المسيحية و غيرها¹، حتى أنه ظهرت أحياء جديدة تمثلت في:

-حي الأجناد المهاجرين: اتخذ هذا الحي شكله البسيط ليصبح في القرن الثالث الهجري سرة المدينة نفسها.

-العدوة عبر نهر مينا التي بنتها نفوسة¹.

-منطقة القصور و الضياع و أكثرها في الضواحي حيث الجنات و البساتين.

و هذا التصنيف حسب الدكتور احسان عباس الذي يذكر أيضا أن المدينة عرفت ثلاثة مراحل أساسية من الاستيطان نلخصها فيما يلي:

-الاستيطان الحضري: يشمل المدينة و سكانها على مختلف انتماءاتهم و قصور الأثرياء منهم في الضواحي.

1 - المقدسي: المصدر السابق، ص229، مختار حساني: المرجع السابق، ج4، ص291.

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص31-32.

1 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص96، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص111، و قد تعرضنا لعناصر السكان و أصولهم العرقية في الفصل الأول، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص135.

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص72.

-الاستيطان القبلي المستقر: وتمثله القبائل التي تحيط بالمدينة حيث يذكر البكري¹ أن هناك قبائل تقطن حول المدينة، فعد في جنوبها: لواتة و هوارة و في غربها: زواغة و في شمالها: مطماطة و زناتة و مكناسة.

-الاستيطان القبلي المتنقل: و يشتمل على القبائل التي تزور أحواز المدينة في الربيع بحثا عن الكلاء مثل قبيلة مزاتة و سدراتة، و بانقضاء فصل الربيع يفترون مرة أخرى مع الإشارة أنهم كانوا يبعثون شيئا من الإنعاش الحيوية على أسواق تيهيرت.

أما المحتوى البشري لمدينة تيهيرت فهو صورة صادقة للتكوين الذي كان سائدا في المغرب في النصف الأول من القرن الثاني الهجري.

أولا- عناصر و بنية المجتمع التيهيري:

و تتضح معالمه في انقسام السكان إلى أربعة أجناس و هي:

أ/ البربر²: و هم السكان الأصليون لبلاد المغرب و أقدمهم فيه، أما أصل كلمة بربر في قاموس العرب تعني اختلاط الأصوات الغير مفهومة، أي علا صوته عند الهياج، بربر فلان، أكثر الكلامة في جلبة و صاح، و بربر أي أخلط في الكلام مع غضب و نفور³. أما المؤرخ الأوروبي بوسكي فيقول بأنها كلمة من أصل لاتيني و تعني الشخص الذي لا ثقافة له و الذي ينتمي إلى الشعوب المتخلفة التي تعيش خارج نطاق Barbarus روما⁴، و يرى بعض المؤرخين أن لفظ البربر جاءنا من اليونان، فهم الذين أطلقوا هذه التسمية على سكان الشمال الإفريقي ظنا منهم أن هذه

1 - البكري: المصدر السابق، ص 67، مختار حساني: المرجع السابق، ج 4، ص 295.

2 - البربر (Barbares): إسم أطلقه اليونان ثم الرومان على الأجناب من الأمم، و البربر أيضا الشعوب الجرمانية و المعولية التي اجتاحت الإمبراطورية في القرن الثالث و الرابع و الخامس، أما البربر (Berberes) سكان بلاد البربر في إفريقية الشمالية الأصليين من الجنس الأبيض، لا يعرف من أين نوحوا، يعيشون في جبال الأطلس، اختلطوا بالفينيقيين على عهد فرطاجة ثم بالرومان ثم بالقبائل و الجيوش العربية بعد الفتح الإسلامي، ينظر، ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، المصدر السابق، ص 27، و للمزيد عن البربر، ينظر عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 2، ص 2408.

3 - فريد داودي: الأصوات اللغوية في اللهجات البربرية القبايلية نموذجاً، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2000-2001، ص 7.

4 - عمار عمودة: المرجع السابق، ص 13.

التسمية تطلق على الشعوب التي لا تخضع لتفويضهم، ولا يمكن التفاهم معهم، لأنهم متمردون على سلطتهم، وأكثر من ذلك فقد اعتبروهم شعبا متوحشا وغير متحضر، وهي كلمة عنصرية وغير لائقة وغير واقعية فرضها الاستعمار الروماني على الشعوب المستضعفة في شمال إفريقيا، ويرى هيرودوث¹ أن هذه التسمية خاطئة، أما الأصل الصحيح للتسمية فهم قطعا الساميون من أبناء مازيغ بن كنعان، ومن ثم فالأمازيغ هو الاسم الصحيح لسكان هذه المنطقة².

يضيف صاحب المقال: "أن طائفة من هؤلاء البربر قدمت المدينة المنورة و مثلت أمام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسألهم عن نسبهم فقالوا: إنما نحن منسوبون إلى مازيغ، ولما سألهم عن بلدهم قالوا: البلاد الواقعة بين خليج العرب، ويقصدون بذلك البحر الأحمر و البحر المتوسط والمحيط، و نسبوا أنفسهم إلى مازيغ و لم يذكروا بربر إطلاقا"³. و كلمة أمازيغ جمعها أمازيغن تعني بالترقية "التوارق" الساكن بشمال إفريقيا، و تعني الرجل الحر النبيل⁴.

و قد اختلف في نسبهم اختلافا كبيرا، فذهبت طائفة إلى أنهم من العرب، ثم قيل: "أوزاع من اليمن و أنهم أبناء النعمان بن حمير بن سبأ، و أنهم من غسان، تفرقوا عند السبيل العرم، و قيل أيضا من لحم و جذام، كانوا نازلين بفلسطين من الشام، إلى أن أخرجهم منها بعض ملوك فارس، فلهجوا إلى مصر، فمنعهم ملوكها من نزولها، فذهبوا إلى المغرب فتزلوا"⁵، و يقول أبو الفداء أنه اختلف في البربر اختلافا كثيرا فليل أنهم من ولد فارق بن يعصر بن حام، و البربر يزعمون أنهم من ولد قيس غيلان⁶، و يقول بن خرداذبة: "أن البربر ينسبون إلى جددهم بر كما ينسب العرب إلى جددهم يعرب بن قحطان، سكنوا فلسطين منذ 670 ق.م بعد الطوفان، و أخرجهم منها النبي

1- هيرودوث: مؤرخ يوناني عاش في القرن الخامس قبل الميلاد.

2- العربي بر حلال: الأمازيغية و الشخصية الوطنية، في جريدة الخبر، العدد 2049، أوت 1997، الجزائر، ص 20.

3- نفسه، ص نفسها

4- صالح بلعيد: في المسألة الأمازيغية، دار هومة، الجزائر، 1999، ص 17، عمار عمورة: المرجع السابق، ص 13.

5 القلقشدي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط 3، بيروت، 1991، ص 119.

6- ابن أبي الفداء اسماعيل ابن علي: المختصر في أخبار البشر، تعليق عمود دبوب، ج 1، منشورات محمد علي يوضون، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص 118.

لواتة تنحدر قبيلتا مزاتة ومناغة ومنها قبيلة سدراتة أخت قبيلة مغراوة عن طريق الأم، قال عنها ابن خلدون: "و كان من لواتة أمة عظيمة تنتسب إلى لوا الأصغر نفزا بن لوا الأكبر بن رحيك، ولها بطون متسعة منها مزاتة وسدراتة..."¹. - لماية:هم بطون فاتن بن تمصيت إخوة مطغارة، ولهم بطون كثيرة عدة، كانوا بضواحي تيهرت، و أخذوا برأي الإباضية و دانوا به و انتحلوه². أما البرانس فكانت قبائل هواره الوحيدة التي شاركت في تأسيس الدولة الرستمية وأخذت برأي الإباضية³.

ب/ الأفارقة:و كانوا يشكلون بوجه عام سكان المدن أو المراكز القريبة من المدن، و هم مزيج من بقايا الأمم التي احتلت بلاد المغرب، أي هم الطارثون و الدخلاء، و هم حسب الترتيب التاريخي،القرطاجيون، و هم عناصر فينيقية سامية ثم الرومان و الوندال و الروم البيزنطيون و هم عناصر آرية، ثم عنصر خليط من أولئك و هؤلاء، كان يدين معظم أفرادهم بالمسيحية و يأخذ بأساليب الحضارة الرومانية، و هم الأفارقة أو الأفارق، و كانوا خدما و زراعا، و مثلوا دورا مشبوها إذ قاوموا الفتح العربي الإسلامي منذ معركة سبينة 88هـ/649م⁴، و هؤلاء لا يرجع أصلهم إلى البربر، و لا تجمعهم أصول دموية واحدة و لا جد أعلى ينحدرون منهم و إنما انصهروا في الحياة الجديدة في مدن المغرب و استقروا به، و كانوا مختلطين بمن تحضر من البربر و أصبحت تجمعهم حياة مشتركة من استقرار في الأرض و ما يتصل بها من أرياض و مزارع⁵.

¹ - عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، المجلد2، ص2410، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص90.

² - عبد الرحمن بن خلدون:المصدر نفسه، ص2413، عبد الواحد ذنون طه:دراسات في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ط1، ليبيا، 2004، ص30.

³ - عبد الرحمن بن خلدون:المصدر نفسه، ص نفسها.

⁴ - رشيد بورويبة و آخرون:المرجع السابق، ص14.

⁵ - حسين مؤنس:فتح العرب للمغرب، المرجع السابق، ص5، شكري فيصل:حركة الفتح الإسلامي في القرن1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص180.

و قد عاش أفارقة المغرب الأوسط في المجتمع التيهري حياة المواطن العادي من أبناء الدولة، بل أن بعض هؤلاء الأفارقة من المسيحيين كانت لهم منزلة خاصة لدى بعض الأئمة الرستميين كأبي بكر بن أفلح¹.

3 - العرب: وهم الجند الذين وفدوا إلى بلاد المغرب في إطار الفتح الإسلامي، إلى جانب الذين انتقلوا إلى هذه البلاد بعد إتمام عملية الفتح و اتخذوا منها موطناً لهم فاستقروا فيها و أقاموا فيها. ومنهم أيضاً الذين أرسلهم الخلفاء لبث تعاليم الإسلام و نشره بين سكان المغرب إلى جانب الخوارج الذين لجؤوا لنشر مبادئهم و آرائهم، إذ وجدوا في هذه الأرض منطقة خصبة لذلك. و ظل هؤلاء العرب في المجتمع التيهري يمثلون طبقة معروفة لدى الجميع و هي طبقة العرب².

4 - العجم: وهم الفرس الذين جاءوا إلى المغرب مع جيوش الخلافة لإخماد ثورات البربر، حيث ذكر النويري أن جيش محمد بن الأشعث الذي أوفده أبو جعفر المنصور ضم ثلاثين ألف فارس من أهل خراسان³. و ظل هؤلاء العجم متميزين عن غيرهم من العرب في أحداث الدولة الرستمية في عهد الإمام أبي بكر بن أفلح و أخيه بن يقظان، و قد سماهم ابن الصغير باسم العجم⁴.

و لم يقتصر المجتمع التيهري على هذا، فقد تعداه إلى اختلاف في أنماط المعيشة فنجد ابن الصغير يقسم المجتمع إلى أهل البوادي و الخواجر⁵، و سوف نستهل ب:

¹ - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36.

² - نفسه، ص - ص 37 - 38.

³ - النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 22، تحقيق و تعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ت، ص 19.

⁴ - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 52.

⁵ - وجدت عند العرب كلمات في معنى البدوة و الحضر، فنجد في معنى البدوة: الوب، الحذر، و في معنى الحضر نجد المدر والحجر، فالوبر هو صوف الإبل و نحوها من الحيوان، و الحذر هي الأرض المنحطرة التي لا يبين عليها و بالتالي تعني البدوة أما المدر فهو قطع الطين المتماسك و هو يعتمد في البناء و كذلك نفس المعنى بالنسبة للحجر، جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 247، و الخواجر حسب ابن الصغير هم سكان البادية في مواقع الأحجار و الرمال لأنه يقول: "أهل الخواجر و البوادي..."، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 54، و في لسان العرب لعلها تعني أهل الخواجر، ابن منظور: المصدر السابق، م 1، ص 571.

1 - أهل البدو:

كان سكان المغرب الأوسط و بالأخص مدينة تيهريته عبارة عن قبائل منتشرة في أماكن مختلفة، و يذكر ابن خلدون أن سكان البدو: "هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح، و القيام على الأنعام، و أنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات و الملابس، و المساكن و سائر الأحوال حيث أنهم يتخذون بيوتهم من الشعر و الوبر و من الشجر و الطين، و كذا الحجارة و بذلك فمن البدو نذكر الظواغن و المستقرون"¹.

* فالقبائل الظاغنة: حسب ابن خلدون هي تلك الأقوام الرحالة الذين ينتجعون من مكان إلى آخر، و يشير بدوره إلى لواتة القرية من تيهريته، التي كانت تنتجع على وادي مينا².

* أما القبائل المستقرة: فلقد بلغت درجة حضارية أعلى من القبائل الظاغنة فعرفت الاستقرار، فكانت لهم مزارع و أرضون مباركة و حرث قائم بحد ذاته³، و كان المستقرون يسكنون تجمعات سكنية، يطل على الواحدة منها اسم "القرية" و كانت منتشرة في أرجاء بلاد المغرب الأوسط، كما كانت تنتشر حول المدينة الكبرى بعض القبائل مثل قبائل لواتة، و هواره نواحي تيهريته، وكانوا يمثلون حلقة وصل بين الظواغن و أهل الحواجر⁴.

و يتميز المجتمع البدوي بخصائص عديدة تميزها فيما يلي:

أن القبيلة تأتي على رأس تنظيم اجتماعي للمجتمعات البدوية، و هم جماعة ينتمون إلى جد واحد مشترك المحدروا منه، و يسكنون عادة منطقة واحدة يتجمعون لمواجهة ما يستجد عليهم، من ظروف حياتية و طبيعية، فكان كل فرد يعلن ولاءه أو طاعته لهذه القبيلة، مقابل حمايته و مساعدته و توفير الأمن له، لكنه إذا قصر هو أيضا في واجبه نحوها، فكانت تخلعه و تعتبره صعلوكا، وبالتالي فهي دائمة و متينة، فيعمل على إبقاء هذه القبيلة نقية، و تحفظ كيائها، و بالتالي تتكون العصبية التي هي مصدر القوة، و التي تتمثل أساسا في الاجتماع في الرأي، و عدم الانقسام و التنافر حفاظا

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص134.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م2، ص2411.

3 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص135.

4 - عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م2، ص2430.

على السلامة العامة و الشعور بالمسؤولية المشتركة و الإستقامة و التماسك و حل النزاعات بالحسنى¹، و كان على رأس كل قبيلة شيخ يحكمها و يدير شؤونها، و غالبا ما تكون الرئاسة وراثية و يساعده مجلس قبلي يتكون من أصحاب الحجة، و المنطق، كما كان لها ديوان أودار الضيافة الخاص، و فيه تعقد الاجتماعات و النقاشات كما تضم القبيلة عدة اجتماعات داخلية منها:

أ- الأسرة:

أي الأب و الأم، خاصة و أن المرأة الرسمية كانت مثلا للصلاح و الثقافة والإسعاد لزوجها وأفراد أسرتها²، و هي أساس التنظيم الاجتماعي، و قاعدة القبيلة، و تشمل عميد الأسرة و الأبناء و الأحفاد و الأعمام و غيرهم، و يعيشون تحت سقف واحد، و يشتركون في تحمل المسؤولية و هي أوسع من الرهط³.

ب - العشيرة:

و تتكون من اتحاد عدد من الأسر المشتركة في النسب، و ترجع إلى جد واحد و لكل أعضائها حقوق و واجبات، و يسكنون متجاورين، و لعل رئاسة هذه العشيرة تكون دينية و دنيوية ووراثية في غالب الأحيان⁴.

ج - الفخذ:

و تتكون من عدة عشائر ذات مصالح مشتركة و يشترط فيها وحدة النسب لا تتجاوز الجد الخامس، و يرتبط أفرادها بالدية و النار، و يتشاركون في الأفراح و الإقتراح، و للفخذ رئيس يتولى تسيير أمورها كتوفير الحماية و الأمن، و لهذا الأخير علاقة بالبطن، و هو أكبر من الفخذ

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص- ص 250- 251، عمار عمورة: المرجع السابق، ص96.

2 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص406.

3 - الرهط: هي الأسرة التي تشمل الأب و الأبناء فقط، جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص251.

4 - نفسه، ص252.

غير إنما يشتركان في أغلب الحقوق والواجبات¹، ولعل هؤلاء يكتنون قبيلة، والتي سبق وأن أعطينا نبذة عنها وعن طريقة عيشها وعلاقة الأفراد برؤسائهم، وكيفية تولي رئاسة حكمها.

2 - أهل الحضرة:

أطلق عليهم ابن الصغير أهل الحواجر لأن تقسيمه كان حسب غط السكن². ولعل الازدهار الاقتصادي الذي عرفته الدولة الرسمية خلال تاريخها الطويل رغم الفتن التي هزت بعض المناطق، كمناطق العاصمة تيهرت بسبب الاختلافات الفقهية والتنافس الاجتماعي السياسي، وقد كان لذلك الازدهار بارز الأثر والذي ظهر جلياً على المجتمع الرسمي عامة والتهيرتي خاصة، كما كان للمال والنشاط التجاري والزراعي من أسباب الحضارة ورفع مستوى المعيشة في الدولة، الأمر الذي ترتب عنه تحولات جذرية في المجتمع ونسيجه كظهور الطبقة من أغنياء وفقراء وعبيد، وتحول أعداد من البدو إلى المدن وسكانهم ودخولهم شريحة الحضريين³، وبالتالي اعتبر الاستقرار سمة المجتمع الحضري، ففي عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم تطورت تيهرت، واتسعت خلال ثلاث سنوات، وانتعش فيها الفقير، وحسنت أحوال الناس في البلاد، فشرعوا في العمارة والبناء وغرس البساتين⁴.

و كانت سياسة هذا الإمام ترمي إلى الرقي الاجتماعي وتوفير الأمن لجميع رعاياه، ولعل هذا ما قام به الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب والتي انتقلت في عهده مدينة تيهرت إلى طور الزنعم العمراني في كل النواحي⁵، وبالتالي تجاوزت بداورها بما يتبعها من ظفن و ترحال، وتعددت مرحلة اعتمادها على مصادر عيشها من تربية المواشي ومن غزو ونهب إلى أسلوب التجارة والحرف ولعل السمة الأخرى التي تميز هذا المجتمع الحضري هو الاختلاف السكاني في العرق

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 253.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 54، كما ذكر أهل الحواجر في موضع آخر عندما تحدث عن أبي اليقظان بعد عودته من المشرق بقوله: "إلا أن الضغائن بين القبائل وأهل الحواجر في الصدور"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 63.

3 - إبراهيم مجاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص 25.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 31.

5 - نفسه، ص 55.

والدم و غير أننا نجد تعايشا بين قبائل عديدة، يسيطر عليها شعور بالانتماء إلى الأرض و المدينة، وتقع على عاتق أفرادها جميعا مسؤولية الدفاع عنها، ضد الغزو الخارجي، بل أكثر من هذا فقد وجد من بين سكان تيهـرت أيضا جنود من الجيش الأعلى الذين لجؤوا إلى تيهـرت جراء وقوع خلاف بينهم و بين أمير القيروان، فانخرطوا في الجيش الرستمي و من بينهم من كان يشتغل في حرس الإمام¹، و بالتالي كانت تيهـرت مسرحا يجمع شرائح غير متجانسة التركيب².

و قد لا نغفل عن سمة أخرى للمجتمع الحضري، حيث كان للإتصال الخارجي بالشرق والأندلس و امتزاج الثقافات و الحضارات أثر واسع المدى في اكتساب كينونة جديدة لمعالم حضرية راقية³، و منه فالحقيقة أن المستوى المعاشي و الحضاري الذي بلغته الدولة الرستمية كان سببا في تغيير موازين الحياة و نمو الوعي الثقافي و الاجتماعي و الحضاري، و بالتالي انتقلت الدولة من البدوية القبلية المتعصبة إلى الحضرية المتفتحة المزدهرة وفق مبادئ روحية عالية و تفكير حضاري متوقد، و عمل مشترك و متكامل.

ثانيا- فئات و شرائح المجتمع:

مما لا شك فيه أن التركيبة البشرية تختلف من مجتمع لآخر، و بالتالي تتكون داخل مجتمع طبقات متباينة، و لعل هذا ما نلمسه في المجتمع البدوي و كذا الحضري و الذي سوف نتطرق إليه فنستهل بـ:

1- طبقات المجتمع البدوي:

يعتبر أفراد القبيلة متساوين في الاستفادة من الموارد الاقتصادية المشاعة كالمراعي و الآبار و العيون، إلا أنه لما كانت هذه القبائل تقوم بعمليات الغزو و السلب، كانت هذه الأخيرة فرصة مواتية لبعض أفراد القبيلة لإبراز شجاعتهم و قوتهم و جرأتهم، و بالتالي كانت هذه الفئة تحظى بامتيازات خاصة مكافأة على ولائها و كان هؤلاء ينالون أكبر عدد من الماشية، و هكذا تتحقق لهم ملكية

1 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص 96، محمد علي: المرجع السابق، ص 36.

2 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 255.

3 - نفسه، ص نفسها.

أكبر تنمو بمرور الزمن، و يتوارثونها خلفا عن سلف حتى قيل أنه بلغ أحدهم عشرا لآلاف من البقر و الغنم و الحمير، و هذا مثل أملاك ابن زلفين¹، و بالتالي جعلت هذه الملكيات أصحابها يستأثرون بالموارد المشاعة و استخدام بعض أبناء القبيلة في مراقبتها و رعيها و خدمتها، و قد يلجأ إلى الاستعانة بالعبيد، و هو من الأسرى الذين ابتاعهم أسيادهم²، و يضيف جودت عبد الكريم أن الأمر لا يختلف للمستقرين في القرى و الأرياف، فهناك بعض القبائل التي ورثت إقطاعيات عن آبائها³. و منه، فمن خلال دراستنا لهذا المبحث ندرك تماما، أنه لا توجد طبقة واضحة المعالم في المجتمع البدوي، و بمفهومها المتداول، و لكن يمكن أن نميز أن هناك تباين بين الفئات الاجتماعية والتي تطورت فيما بعد إلى طبقة خاصة في المجتمع الحضري.

2- طبقات المجتمع الحضري:

لعل الدارس لهذا المجتمع يميز وجود طبقتين هما العامة و الخاصة، و سنبدأ هذا المبحث بـ:

أ) طبقات العامة:

من خلال هذه الطبقة نذكر قول ابن الصغير في قوله: "و انصرف عوام⁴ الناس و تخلف وجودهم"⁵، و يضيف أيضا حين تحدث عن مقتل محمد بن عرفة أنه: "ابتدر إليه العامة والخاصة"⁶.

و تشمل هذه الطبقة عدة شرائح و فئات مختلفة منها:

- الفلاحون: و تندرج تحت هذه الجماعة فئات مختلفة يمكن إيجازها في.

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 254.

2 - نفسه، ص - ص 254 - 255.

3 - نفسه، ص 255.

4 - العوام و العامة: كلمتان مترادفتان، و استعمل ابن الصغير كلمة العوام عند حديثه عن أبي حاتم بقوله. "حملته العوام عبي درقة"، و استعمل كلمة العوام متقابلة مع الفرسان بقوله: "اجتمعت العوام و الفرسان"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص - ص 89 - 91.

5 - نفسه، ص 30.

6 - نفسه، ص 65.

1 - أصحاب الماشية: و هم الذين يعتمدون في معيشتهم على ما تدره عليهم الحيوانات و غالبا ما تكون لديهم مراعى خاصة أو يرعون في المراعى المشاعة.

2 المزارعون: هم الفلاحون الذين يعملون في الميدان الزراعى لحسابهم أو لحساب غيرهم مقابل جزء من الإنتاج أو أجر زهيد.

و غالبا ما يكون العمل في إقطاعيات كبار الملاك الساكنين في المدن¹.

- أهل الحرف²: من المتعارف عليه أن الصبغة أو الحرفة باختلافها تعطي صاحبها الشرف والرئاسة، و لعل ما زاد من رفع شأنها هو زيادة العمران و كثرة سكانه، و بالتالي زاد التطوع إلى حرف فيما وراء الكماليات، و لقد ظهرت هذه الفئة خاصة في عهد أبي حاتم، فكانت في مختلف مناطق المغرب الأوسط، و تبهرت خاصة³.

- صغار التجار: و هم أصحاب الحوانيت المختلفة في المدينة، و كانوا يتعاملون مع عامة الناس على اختلاف مشاربهم و أخلاقهم و نسبهم، و كان منهم من يعتمد الغش و القسم و غيره من أجل بيع سلعته، و هذا ما جعل بعض المتزهين يمتنعون عن امتهان هذه الحرفة⁴.

- الفتيان⁵: كان لأبي عبيدة الأعرج فتى حيث يذكر في هذا الصدد ابن الصغير أن الفتية هم جماعة أو فئة اجتماعية، و قد كان للإمام أبي حاتم فتى شاب، و كان يجمع الفتيان إلى نفسه فيطعمهم ويكسيهم⁶.

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 258.

2 - استعملها ابن الصغير متقابلة مع العوام بقوله: "لما مات أبو اليقظان قامت العوام و أهل الحرف..."، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 89.

3 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 259.

4 - نفسه، ص 260.

5 - ذكرها الشماخي ب: "الفتيا" بقوله عند تعيين الإمام عبد الوهاب: "...و سألوا سائر العلماء الذين بها و اتفقت الفتية على أن الإمامة تامة..." الشماخي: المصدر السابق، ص 147.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 89.

و يضيف أبو زكرياء أن الفتى كان مناظرا للواصلية حيث قال: "خرج الفتى المتناظر مع المعتزلة و وجوه المعتزلة"¹، و بالتالي كانت الفتوة في طياتها مجموعة من الصفات، منها الكرم والنجدة و العقل و كذا الفصاحة، و إن مال بعضهم إلى اللهو و الخمر و النساء.

- العيارون²: فقد أشار ابن الصغير إلى وجود اللصوص في مدينة تيهريه، و كان أول ظهورهم أيام حكم الإمام أبي اليقظان عهد البدخ و الترف و الانحلال السياسي، و قد ذكر ابن الصغير قصة إقدام زكرياء بن الإمام أبي اليقظان على خطف بنت من بين يدي أمها و قد طلبت من ابنها أن يقتفي أثره و يلحق بأخته فأجابها أخاف إن أردت ذلك يقتلونني أو يدسوا علي لصا من لصوصهم فيقتلني³.

و لعل هذه الفرقة ليست في الغالب دافعها سد الرمح و إنما هم مرتزقة امتنعت اللصوصية.

- العبيد: كان للتجارة أثر في انتشار العبيد، و كانوا يأتون بهم من السودان خاصة و منه فقد انتقلوا من السودان إلى الديار الإسلامية، و قد ذكر عنهم الدرجيني، و أشار إلى وجودهم حيث أنه عندما جاء الوفد إلى الإمام عبد الرحمن بن رستم و جلوه يعمل بيده في السقف و العبد يناوله الطين⁴، و حين قدم الوفد الثاني إلى الإمام نفسه، وجد العبيد و الخدام قد تكاثروا عددهم⁵.

كما كان للإمام عبد الوهاب عدد منهم حيث أن هذا الأخير وعد من يبشره من عبيده بقدوم وفد جبل نفوسة بالخرية⁶ و كانت طبقة العبيد تتكون من السود و الصقالبة⁷.

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 67.

2 - هم اللصوص، الغوغاء، الأندال، جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 258.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 79.

4 - الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 42، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص 29.

5 - ابن الصغير: نفسه، ص 33.

6 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 59.

7 - ذكر ابن الصغير أن قاضي تيهريه قال: "فتحت الباب فإذا أنا بحارية منبهرة و معها صقلي..."، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 43.

كما كان للعرب و الجند عبيد، و لم يقتصر وجودهم على تيهيرت، و عليه فقد شكلوا شريحة من شرائح المجتمع الرسمي، و قد عملوا في مختلف الأعمال، خدما و حواري، و منهم من اتخذن للمتعة، و استخدم العبيد منهم في البناء و التجارة و الحداة وغيرها¹.

و هذا نكون قد أعطينا ملخصا موجزا لأهم طبقات المجتمع العامة.

و سوف نتعرض إلى الطبقة الثانية و هي:

(ب) الطبقة الخاصة:

يمثل الإمام الرسمي قمة الهرم، يليه أعوانه من الوزراء و رجال الدين و قادة الجند المرتبطين

بالسلطة مثال كبار التجار و الإقطاعيين، و تظهر في هذه الطبقة الشرائح و الفئات التالية:

- فئة الرؤساء: تجمع هذه الفئة كبار الأئمة و الأمراء و الولاة، فذكر ابن الصغير عن الإمام عبد الوهاب أنه جمع رجاله، و رؤساء قبائله، فاستشارهم²، و كانوا يستشارون في الأمور السياسية والعسكرية منها، و قد ذكر هذا المصطلح بمعية مصطلح (المشايع).

- فئة المشايخ: كان للمشايع نفس مهام الرؤساء حيث أنهم موجودون في تيهيرت حيث قال ابن الصغير أن مشايخ البلد من الإباضية قد استولوا على...إباضية و غير إباضية جمعهم أبو حاتم واستشارهم³.

و بهذا كانت هاتان الفئتان محل استشارة الإمام.

- فئة وجوه البلد: تعددت الوجوه في هذا العهد، بحيث كانت منفصلة عن فئة المشايخ و الرؤساء، فذكر ابن الصغير: "وجوه الإباضية و وجوه العرب و وجوه التجار و وجوه الناس و وجوه أهل البلد و وجوه أهل المدينة و حتى وجوه أهل العجم"⁴، و بالتالي كانت الوجوه هم أعضاء مجلس الجماعة، و هم أهل الحل و العقد، و نظرا لوجاهتهم، فقد فرضوا احترامهم على الجماعة التي ينتمون إليها بعبيدين عن التعصب و القبيلة.

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 270.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص - ص 44 - 54.

3 - نفسه، ص 30.

4 - نفسه، ص - ص 30 - 31.

- المقدمون: لعل وجود هذه الفئة كان في الدولة الرسمية حيث ذكر ابن الصغير أن بتهيرت مقدم خاص بهم و هو الإمام نفسه، كما ذكر أيضا أن وفود نفوسة الجبل أتوه إلى تيهيرت ليقدم عليهم أميرا من أنفسهم، كان من مقدميهم أفلح بن العباس و الذي كان عاملا للإمام أبي اليقظان على جبل نفوسة، و كان يختار المقدم من طرف الإمام¹، و لعل مدلول المقدم إن دل على شيء إنما يدل على قادة أجنحة الجيش في المعركة كقائد للميسرة و المينة و هو أقل مرتبة من القائد العام للجيش².

- فئة الحجاب: لما وصل أبو حاتم إماما على تيهيرت، أراد أن يبقى بابه مفتوحا أمام رعيته لكنهم أبوا ذلك و أرادوا أن يجعلوا له حاجبا و هيبة³، و مهمة الحاجب هي حجب الإمام عن رعاياه و العمل كآذن على الباب، و كان يتمتع بمكانة مرموقة، باعتباره وسيطا بين الإمام ورعيته⁴، و لم تذكر في المصادر أسماؤهم و لا روايتهم أو غير ذلك.

- البطانة: اتخذ الرستميون البطانة، فقد ذكر ابن الصغير أن الإمام عبد الوهاب دخل عليه وجوه رجاله و قواته و أهل بطانته⁵، و كان الجند هم بطانة السلطان، و قد تعدى أمر البطانة إلى كبار الشخصيات و هذا ما لاحظناه عند محمد بن عرفة.

- الحاشية: هي فئة مميزة وجدت في تيهيرت و هي تلك الجماعات التي تصاحب الإمام فتعطيه الهيبة، و هي تزود عن شخصيته و بالتالي لها علاقة بالسلطان⁶.

- الحشم: ظهرت هذه الفئة في تيهيرت منذ عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم، حيث أنها جزء من جند السلطان، و قد كان الإمام يقطع جزء من مال الجزية و الخراج لنفسه و لحشمه⁷.

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 87، كما ذكر أن للمحم مقلما يقال له ابن وردة، ابن الصغير، نفسه، ص 54.

2 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 273.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 92، و يذكر أيضا: "و كان محمد بن عرفة إذا أتى باب أبي بكر لم يحجب"، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص 64.

4 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 274.

5 - ذكر ابن الصغير: "و كانت الأجناد بطانة السلطان و أولاده و حشمه"، ابن الصغير، المصدر السابق، ص 54.

6 - نفسه، ص 68.

7 - نفسه، ص 36.

- الحرس: يعتبر الحرس فئة مستقلة، مهمتها حراسة الإمام و أسرته و حراسة المدينة و أبوابها، وهم أصحاب الحراسة الليلية¹، و لعل ابن الصغير ذكر عن حادثة حبس الحرس لشاب خرج في وقت متأخر حيث قال: "فأعذه صاحب حرسك و حبسه"².

- الشرطة: ظهر منصب "صاحب الشرطة" منذ عهد الإمام عبد الرحمن، و كان يقوم باختياره و ما دل على وجودهم في تلك الفترة، قول ابن الصغير أن: "أصحاب شرطته قائمون كما يجب"³، و لعل الفوضى التي وقعت في تلك الفترة و في عهد الإمام عبد الوهاب غير مهام صاحب الشرطة و اشتكى منه جماعة من المدينة، حيث اتصف أحدهم بالفسق و قد زاد ضعفه أيضا في عهد الإمام أفـلـح، فكان لا يجرؤ حتى على الدخول في أسواق تيهـرت هـية من صاحبه⁴، و بالتالي كان من الصعب إيجاد الشخصية التي تنال ثقة الجميع، حيث استشار مشايخ البلد من إياضية فيما يولوه من الشرطة، قال قوم "زكار" و قال قوم "ابراهيم بن مسكين" فولاها الإثنـين⁵، و كان لصاحب الشرطة أعوان يساعدونه.

-القضاة: لم تستدع الضرورة إلى إيجاد القاضي في أيام الدول الرسمية بحيث كان الإمام عبد الرحمن هو الذي يحمل عبأ هذه المسؤولية، و قد تولى القضاء في سرت في عهد الإمام أبي الخطاب⁶، و قد بلغ القضاء درجة عالية في الفقه و الفقهاء، و قد كان يشترط في القاضي شروط لخصها الإمام عبد الوهاب في رسالته إلى أهل طرابلس بقوله. "لا ينبغي للقاضي و المفتي أن يقضي حتى تتوفر فيه الخصال الخمس، أن يكون عالما بالكتاب و السنة، كافا عن أربع: أن يرتشي حلـيـما عن الخصم يتحكم في الخصمين إن تخاصما أو تشاحرا بين يديه لا تأخذه في لومة لائم و ذوي

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 275.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 83.

3 - نفسه، ص نفسها.

4 - نفسه، ص 84.

5 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 276.

6 - نفسه، ص - ص 276 - 277.

الرأي و العلم و العقل"¹ فإذا توفرت فيه هذه الشروط وجب فيه القضاء، و لعل من قضاة تيهـرت محكم الهواري الذي كان محكما حقا شديدا حتى على الأمراء الرستميين أنفسهم، و كذلك محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ، و ابنه عبد الله الذين تولوا القضاء في الظروف التي كانت تمر بها الدولة الرستمية بأصعب مراحلها².

- فئة الشراة³: كانوا رقباء على الإمام في أحكامه و صدقاته و أعشاره، فإذا رأوا فيه اعوجاجا قوموه و إذا ارتابوا فيه امتحنوه، فكانت بمثابة السلطة العليا، و هم كما عرفهم سليمان الباروني: "و هم جماعة عاهدوا الله على إنكار المنكر و الأمر بالمعروف، و قد امتحنوا الإمام أفتح بتولية محكم الهواري القضاء"⁴.

- الجنود: لقد كانت البدايات الأولى لظهور الجيش في تيهـرت باشتراك الإمام عبد الرحمن بن رستم في حصار طبنة 154هـ، حيث كان يهتم بأمور الجند من كراع و سلاح، و نظرا لتعدد خصوم الإمام عبد الوهاب، زاد الإهتمام به حيث أنه احتمعت له من الجيوش و الحفدة ما لم يجتمع لأحد قبله، كما أن ألف ألف فرس أبلق، و يضيف ابن الصغير أن هذا الإمام خرج بعساكره من المدينة في جموع لا يعلم عددها إلا الله⁵، و نظرا للفتن الداخلية في تيهـرت، فقد كانت الجماعات و القبائل المتنازعة تقوم بدور الجيش مثل حرب الإمام عبد الوهاب مع بني الأوس، و كان الجيش ينقسم إلى قسمين، قسم دائم و هو القواد و بعد الجنود، و القسم الثاني جيش احتياطي يمارسون أعمالهم الخاصة في وقت السلم، لكنهم جنود وقت الحرب و كان يتقاضى الأول عطاءه من بيت المال⁶.

1 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 325.

2 - فتنة محمد بن عرفة التي كانت في عهد أبي اليقظان، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 83.

3 - ذكرهم الشماخي ب: الأخيار حين قال: "فاجتمع إليه الأخيار أن يولي عليهم من يستحق، فاتفق رأيهم على محكم الهواري"، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 192.

4 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص - ص 275 - 276، و قد ذكر ذلك ابن الصغير بصورة مفصلة، ابن الصغير: المصدر السابق، ص - ص 57 - 61، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 192.

5 - ابن الصغير: نفسه، ص 46.

6 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 283.

- أهل العلم: ظهر عدد كبير من العلماء والأدباء على اختلاف مناهجهم في الدولة الرستمية، ومنهم ابن الصغير لشأنه الكبير في الفقه¹، وكذا محمود بن بكر الذي كان يرد على الفرق في مقالاتهم، ويؤلف الكتب في الرد على مخالفيهم، وعبد الله اللمطي الذي تصدى للمعتزلة وناظرهم، بالإضافة إلى أبي عبد الله الأعرج الذي كان مرجعاً في الفقه وعلم الكلام، وكذا عبد العزيز بن الأوز، وكان له فقه بارع ورحلة نحو المشرق²، بالإضافة إلى الخطباء كإبي إدريس، وأحمد النية، وإبي القباس ابن فرحون، وعثمان بن الصفار، وأحمد ابن منصور، ومن الشعراء نجد بكر بن حماد التيهري ورحلته إلى المشرق، ولعل من المحدثين نجد أبا الفضل أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التيهري "البزاز"، ومن العلماء نجد مثلاً أخت الإمام أفلح التي بلغت صيتاً في التنجيم، وكذا إيهودا بن قريش التيهري الذي كان يحسن اللغات البربرية والفارسية والأرامية³، ومن الأدباء، وكان من المفكرين الذين شاركوا في التقدم العلمي والفكري التيهري.

- فئة كبار التجار: ظهرت هذه الفئة بتيهرت بشكل كبير وواضح خاصة في عهد الإمام أفلح، حيث ابتنى القصور، بفضل الثراء الذي بلغه أهل التجارة، وأمثال ذلك امتلاك أحدهم لسوق خاص، وهو ابن وردة⁴، وأيضاً كان للقوافل التي خرج إليها أبو حاتم لحمايتها، والتي كانت قادمة من المشرق بأموال لا تحصى كانت لتجار كبار⁵، وكان هؤلاء التجار يقومون بفعل الخير وتقديم الصدقات ومعونات المعوزين والضيوف والطلبة، وبناء المساجد، كما كانت لهم ثقافة واسعة اكتسبوها من خلال رحلاتهم التجارية⁶.

- كبار الملاك: كانت سياسة أحياء الموات التي بدأت في عهد الإمام عبد الرحمن أثر واسع في تكوين طبقة اقطاعية منهم محمد بن حماد الذي كان له منزل على بعد أميال من المدينة يقال له

1 - وداد القاضي: المرجع السابق، ص- ص 45- 39.

2 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 284.

3 - بلحاج معروف: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص- ص 241- 249.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 27- 54.

5 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 287.

6 - نفسه، ص 288.

المثث، و قد جمع الأشجار و الأنهار و النخيل و القصور¹ و قد كان بعض كبار الملاك من قبيلة مزاتة، و هذا ما دل عليه قول الإمام عبد الوهاب: "ما قام هذا الدين إلا بسيف نفوسة و أموال مزاتة"²، و كان محمد بن جري و ابن زلغين ينتميان إلى هذه القبيلة، و هما اللذان قال فيهما الإمام: "لو لم أكن إلا أنا و ابن جري و ابن زلغين لأغنيا بيت مال المسلمين، لما علينا من الحقوق الشرعية"³، و يذكر الشماخي أن الإمام عبد الوهاب قال: "لولا أنا و محمد بن جري و ابن زلغين لحرب بين المسلمين، أنا بالذهب و محمد بن جري بالحرث و ابن زلغين بالأنعام"⁴

- الموالى: ظهر الموالى في مختلف أنحاء المغرب الأوسط عامة و تيهرت خصوصا، حيث أشار ابن الصغير إلى وجودهم عند الإمام أبي بكر أثناء الحرب التي دارت بينه و بين أنصار محمد بن عرفة، فقال العمم: "قد أمكننا من العرب و الجنند و العبيد من السودان في البلاد، فكان المسلمون منهم يتولون قبيلة لأهم بعيدون عن التعصب لأي من البربر أو العرب"⁵، و منه يمكن القول أن الفئات التي سبق ذكرها سواء العامة أو الخاصة تشكل نسيجا غير متجانس التركيب الاجتماعي فيتألف من شرائح اجتماعية متميزة بعضها ينتمي إلى الطبقة العامة و البعض الآخر إلى الطبقة الخاصة، وهذا ما تسبب في الفتن و الحروب التي شهدتها البلاد، و التي تفاقمت عبر الزمن و عادت سببا من أسباب سقوط الدولة الرستمية.

ثالثا- الأحوال العامة للمجتمع التيهري:

لا شك أن انتشار الإسلام بمبادئه و قيمه السمحة، بين سكان المغرب الإسلامي، و اندماج عناصر السكان المختلفة فيه، و ظهور الفئات الاجتماعية المتباينة قد وفر الجو لتطور العادات و التقاليد الاجتماعية على أساس الحضارة الإسلامية و وفق المنظور الديني و المذهبي المتبع⁶.

1 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص56.

2 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص205.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص47.

4 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص205.

5 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص291.

6 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص264.

إن قلة المصادر و ندرتها من جهة و سعة أشكال الحياة الاجتماعية و تنوعها و تعقدها في بعض الأحيان من جهة أخرى يصعب علينا الإلمام بأحوال و خصائص المجتمع التيهري و الوصول إلى توضيح جميع جوانبها توضيحا دقيقا، و رغم تطور البحث التاريخي، فإننا لا نملك معلومات كثيرة عن نمط الحياة التي كان يعيشها سكان تيهرت و كيف كانوا يتغذون و يكتسبون و كيف كان الأثاث عندهم¹.

لقد دلت المصادر التاريخية على القليل من هذه الأحوال و الميزات التي ميزت المجتمع التيهري سنذكر منها:

1- العادات و التقاليد:

إن مظاهر الأئمة و الفخامة و الترف لم تظهر على الأئمة الرستميين، بل اتصفوا بالتواضع خاصة الأئمة الأوائل، و هذا ما دللنا عليه أقوال ابن الصغير من خلال مجيء إباضية المشرق سواء في المرة الأولى أو الثانية حيث وجدوا في هذه المرة الأمور و قد تبدلت و أحوال المدينة و الأشياء قد حالت... إلا ضاحبهم (الإمام عبد الرحمن) حيث لقوه على ما عرفوا عليه من التواضع... ما تغير ولا تبدل².

و كان الإمام أفلح على شجاعة و فروسية، متواضعا كل التواضع، فمثلا عندما زاره وفد من علماء جبل نفوسة، في أيام إمامته و عهد قوته، فدعاهم إلى الطعام على مائدته، فوقف عليهم يخدمهم بنفسه، و كان المصباح في يده يحمله لهم و هم يأكلون، فأرادوا أن يمتحنوا تواضعه، فمد إليه أحدهم لقمة مما يأكلون، فتلقى اللقمة بكتلتا يديه كما يفعل العبد الملوك و شكر من أعطاه اللقمة و أكلها، و ذلك من تواضعه و بعده عن تجبر الملوك³، كما تميز الأئمة الرستميون بصفة الورع و العفة خاصة في أموال الدولة و ممتلكات الناس حيث ذكر لنا ابن الصغير قصة أبي اليقظان مع خادمه أبي سابق الذي كان يتولى علف فرسه، أنه في يوم خرج ليأتي له بعلف من عند

1 - لخضر سيفر: المرجع السابق، ج1، ص93، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص110.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص33.

3 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص192، محمد علي دبو: المرجع السابق، ج3، ص533.

حريف¹، و عندما وجده مغلق الباب فتح بيت المال و أخذ منه علف فرس أبي اليقظان، و لما علم الإمام قال له: "هاه يا أبا سابق، و الله لا قام محمد و لا أكل و لا شرب حتى تمضي و ترد في بيت المال ما أخذته منه و بعد ما فعل ما أمره قال له: "أمنت، أما الآن فاجلس"².

و كان من تقاليد الدولة الرسمية إكرام الضيف، حتى إن الرستميين كانوا يخصصون دارا للضيوف³ تكون متصلة بمسكنهم، و هذه الدار تشتمل على كل ما يحتاجه الضيف أثناء إقامته، ولا يعتنون بالضيف وحده، بل يعدون المرباط لدوابهم و يكرمونها بالعلف، و يقتنون الثياب الكثيرة ليلبس منها الضيف، و قد ذكر الباروني ما يوضح ذلك الكرم و الإعتناء بالضيف بقوله: "بينما كان الإمام عبد الوهاب عند سفره إلى الحج و نزوله بجبل نفوسة يسير بين المنازل و القرى إذ أدركه المطر، و اشتد البرد و كان ذلك بالقرب من قرية ويغور⁴، فقصده الإمام و معه صحبه الكثيرون دار العلامة مهدي النفوسي، فوجدوها دار عابد زاهد لا غطاء و لا وطاء، فأقبل الشيخ فرج ابن محالة مهدي و كان موسرا، فطلب منه الشيخ نقل الإمام و من معه إليه فساءفه، و في الحال حضرت الخدم و هيا لهم و لدوابهم ما يكفيهم من المحلات، و خصص لكل واحد منهم فراشا و وسادة و غطاء، و بلها ثياب نظيفة طاهرة، و نشر أثوابهم المبلولة بالمطر و قدم لكل واحد كانوا من الجمر أمامه، و أحضر لهم في الحال ما كفلهم من أنواع الطعام الفاخر، و أكرم دوابهم بما لزم من العلف و الشعير، و بسط عليهم مما لديه من الخير ما جعلهم في راحة تامة"⁵.

و بما أن محمد علي دهبوز ربط حضارة الدولة الرسمية بحضارة وارجلان و سدراتة بقوله: "إننا فقدنا آثارا لحضارة الدولة الرسمية في الشمال... فإن الله قد حفظ لنا كثيرا من حضارة هذه الدولة في جنوبها بوارجلان و سدراتة... هذه الأخيرة التي أصبحت العاصمة، و هي بنت تيهرت

1 - أي صاحب حرفة، و هو الشخص الذي تعود أن يشتري عنه العلف.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 88-89، محمد علي دهبوز: المرجع السابق، ج3، ص- ص 589-590.

3 - و هذا ما نفهمه من قول ابن الصغير عن أبي اليقظان: "أنته وفود نفوسة، فأنزلهم في دار الضيافة"، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص85.

4 - قرية ويغور: الواقعة فوق جبل مدينة شروس و هي قرية جميلة المنظر، تدل أطلالها و رسومها العتيقة على اتفاق صعبة بنائها، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص182.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص73، سليمان الباروني: المرجع نفسه، ج2، ص- ص 182-183.

ومظهر تام لها، تحمل طابعها في الحضارة و تحنو حنوها في كل شيء¹، فإنه يضيف عادة أخرى تتمثل في كون الرستميين كانوا يحبون حياة استقلالية هنيئة كريمة، لكل أسرة دار تملكها تتكون من طبقتين أو أكثر لا يشاركها فيها غيرها، و هذه الحياة الاستقلالية في الديار الخاصة الجميلة الواسعة و الصحية المصونة لا زالت موجودة بوادي ميزاب في جنوب الجزائر²، كما اعتنا الرستميون بالنظافة في كل نواحيها لأنها مصدر للصحة و العافية و كذا الإيمان، فاتخذ الأغنياء والفقراء الحمامات التي أكد البكري وجودها في تيهري يسمي منها اثني عشر حماما³.

و قد ذكر ابن الصغير طهارة الإمام يعقوب بن أفلح بقوله: "و كان وضوؤه طاهرا في الموضع الذي يكون فيه"⁴

2- الألبسة و المأكولات:

كانت تيهري جميلة في مبانيها، جميلة في ناسها، فوجههم تسيل بالملاحة، و قدودهم وألبستهم تفيض بالحسن⁵.

لقد دلت المصادر التاريخية أن الإمام عبد الرحمن بن رستم كان تغذى بقرص مسخنة ملتوة بسمن و بشيء من الملح، و كان ينام على حصير فوقه جلد و وسادة ينام عليها و سيف و رمح و فرس⁶، و أن عبد الوهاب بن الجفان و أطعم فيها، هذه الجفان أو الأواني استعملها أيضا جبهة الضرائب و عمال الزكاة في إخراج الصدقات⁷، و أن الإمام يعقوب كان قوته اللبن⁸، حيث

1 - محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص546.

2 - نفسه، ج3، ص554.

3 - البكري: المصدر السابق، ص68.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص98، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص359.

5 - محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص283، سليمان الباروني: نفسه، ج2، ص329.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص29، لخضر سيقر: المرجع السابق، ج1، ص94، الشماحي: المصدر السابق، ج1، ص140.

7 - ابن الصغير: نفسه، ص- ص53-35.

8 - رشيد بورويو و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص110، لخضر سيقر: المرجع السابق، ج1، ص94، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص359.

كانت له بقرات يأمر بحلبها بين يديه في إناء حديد، فإذا امتلأ شربه أجمع، و كانت له أخلاق في لباسه و ركوبه تخرج عن طبع البشر، حجزه سراويله في جنبه و ركوبه فرسه من بين يديه، و كان له فرس أشقر لم يكن بالمغرب قبله و لا بعده، به يضرب المثل إلى اليوم¹.

و إنه كان لأبي اليقظان سرداق أتى به من العراق²، و أنه كان يوزع على الفقراء حبوبا وزيتا و أكسية و حجاب من صوف و فراء³، و من هنا نستنتج أن سكان تيهيرت لبسوا أكسية و حجاب من الصوف لوفرة الأغنام حيث ذكر ابن الصغير: "أن الإمام عبد الرحمن بن رستم كان يقوم بإحصاء ما في الأهراء⁴، و من الطعام ثم أمر بجميع ما يفي من مال الصدقة فاشترى منه أكسية صوفا و حجابا صوفا و فراء و زيتا⁵، أما ألوان الطعام فيما أن القبائل كانت تمتهن الرعي حيث امتلكت مراعي غنية بالكلاء⁶، فبدون شك ألما اتخذت من لحوم الأغنام و الأبقار و الإبل و ألبانها طعاما، إضافة إلى السمن والعسل و الفواكه و قد دلت لنا المصادر على وجودها بكثرة في تيهيرت.

و يضيف محمد علي دبوز أن ألبسة التيهيرتين هي نفسها ألبسة أهل المغرب الأوسط عامة و منها الجبة، و السراويل⁷ العريية، كما كانوا يتخذون العمام⁸ الجميلة البيضاء و الصفراء

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 98، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 359، و بخصوص الفرس الذي كان يملكه يعقوب و الذي هرب به من قبضة العبيدين سنة 296هـ إلى وارجلان، ذكرها المصادر الإباضية مثل أبي زكرياء: المصدر السابق، ص 124، الدرجيني: المصدر السابق، ص 104، سليمان الباروني: نفسه، ص نفسها.

2 - ابن الصغير: نفسه، ص 76.

3 - رشيد بوروية و آخرون: المرجع السابق، ج 2، ص 110، لخضر سيفر: المرجع السابق، ج 1، ص 94.

4 - الأهراء: جمع هري و هو بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان ابن منظور: المصدر السابق، ج 3، ص 801.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 38.

6 - و هذا ما نفهمه من قول ابن الصغير: "كانوا يتجمعون أوطلم إلى تاهرت و أحوازها لما حوفا من الكلاء"، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص 41.

7 - و هذا ما يستنتجه في ذكر الشماخي للإمام عبد الوهاب عندما أنه الكتب من المشرق بقوله: "و قيل أنه كان يبرد نيابه إلا السراويل"، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 162.

8 - ذكر أبو زكرياء: "العمائم بقوله عن الإمام عبد الوهاب بقوله: بلغنا أنه سمر ذات ليلة هو و أخوه... و كانا يقيدان مصباحا يجعل له عبد الوهاب الفئائل من عمامته..." و ذكر أيضا: "الشاشية في سرد المناظرة بين المهدي و الفتي المعتزلي: فلما غلبه المهدي، أخذ الشاشية فزاعها عن رأسه"، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص - ص 65-71.

المزركشة و السوداء و كذا البرنوس، و هي أجمل نيرة إسلامية و أجملها و هي أجمل لباس أهل المشرق¹.

و كانت المرأة الرسمية كغيرها من نساء ذلك الوقت ترغب في احراز كل أنواع الحلبي الذهبية والفضية و خاصة أن تيهت كانت لها علاقات تجارية واسعة مع السودان الغربي أين يتوفر الذهب، فقد وصف مثلاً الإدريسي لباس أهل مدينة كوكو: "و لباس عامة أهل كوكو الجلود، و تجارهم يلبسون الجلب و الأكسية و على رؤوسهم الكرازي و حليهم الذهب..."²، و لا شك أنهن كانت تتقلدن القلائد و الأسورة و الخواتم و الأقراط و تتزين بها باعتبار المرأة بغريزها تحرص على جمال مظهرها و حسن أناقتها، و الرستميات جميلات، يذكر محمد علي دبور: "و مع جمال البشرة في النساء الأنوثة، و مع قوة الأنوثة حياء الدين الذي هو رأس الجمال و سبب البهاء في المرأة"³.

و كان الجنود يحملون أعلاما خافقة و يلبسون الخوذ و الدروع و يضعون فوق رؤوسهم البيضة⁴، و أسلحتهم تشتمل على سيوف و رماح و درق⁵.

3- الاحتفالات:

إن انتماء الدولة الرسمية للحضارة الإسلامية جعلها تعطي اهتماما لبعض الاحتفالات الدينية و منها عيد الأضحى و عيد الفطر، إضافة إلى الاحتفالات العسكرية و هذا استعدادا للمعركة و ما يصحب ذلك من مظاهر الفرح التي كانت تعم السكان، فقد كان الجنود مثلاً يعبرون عن الفرح بضرب الطبول لحشد و جمع الجنود⁶.

1 - محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص556.

2 - الإدريسي: المصدر السابق، ص45.

3 - محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص- ص 283-284.

4 - البيضة: لباس الرأس الحديدي كالذي يلبسه الجنود الآن، محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص367.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص73، عمار عمورة: المرجع السابق، ص94، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص109.

6 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع نفسه، ج2، ص109، عمار عمورة: المرجع السابق، ص94.

و قد اعتنت الدولة الرسمية بتعليم أبنائها التربية العسكرية و تعلم الفروسية، فكان أحسن ألعاب الشباب في أعيادهم و أفراحهم سباق الخيل و ألعاب الفروسية، حتى أن المعتزلة طلبوا من أيوب بن العباس¹ أن يعلم أبنائهم أساليب الحرب و فنون الفروسية².

و كان للدولة الرسمية غناؤها، تقيم حفلات أعراسها و أعياد و ليالي سمرها، و لكن غناها نظيف طاهر لا يخالف الدين، فأكثره كان في تمجيد البطولات و مدح الرسول صلى الله عليه و سلم و الصحابة³، و كانت لهم أغان شعبية بالبربرية و أخرى بالعربية الفصحى يتغنون فيها بالشعر الفصيح، لا يزال هذا النوع من الغناء في وادي ميزاب إلى اليوم، و هو من تركة الدولة الرسمية⁴.

لكن للأسف هذه الآثار و غيرها بالخصوص الأحوال الصحية و كيف كان التيهريون يواجهون الأمراض و كذا الكوارث منها الجفاف التي جاءت على لسان ابن الصغير لم نجد لها أي ذكر في المصادر الإباضية أو غير الإباضية.

المبحث الثاني: الأنشطة الاقتصادية المتداولة

أولا- الزراعة و ازدهارها:

لقد عرفت تيهرت الرسمية أوائل القرن الثالث هجري التاسع ميلادي، مرحلة استقرار وهدوء، و هذا ما كفل ازدهار الزراعة بما⁵ حيث أنه عندما هدأت الأوضاع السياسية في البلاد، و مال الناس إلى الاستقرار و الطمأنينة، حتى عرف المغرب نتيجة لذلك نهوضا اقتصاديا سريعا

1 - فارس المغرب لشجاعته و بداعته في أساليب الحروب و الفروسية، كان إذا ركب للحرب و التزال رمى في الحو بخرته و سنان رمح، و كانت تزن ثمانية عشر رطلا، فتعلو حتى تكاد تغيب عن الأنظار فيهي لها رمح فتتل فيه مستوية متمكنة لا تحتاج إلى تركيب، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص72، الترجيبي: المصدر السابق، ج1، ص63، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص167.

2 - أبو زكرياء: المصدر نفسه، ص نفسها، و عن قصة استدعاء المعتزلة لأبي العباس، و حين أمرهم ما رأوا منه...، سليمان الباروني: المرجع نفسه، ج2، ص168.

3 - محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص556.

4 - نفسه، ج3، ص557.

5- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص102، الأوضاع الاقتصادية: المرجع السابق، ص35.

وتطورا ملموسا و ظهرت معالمه للعيان، فقد حظيت أقاليم الدولة الرستمية خاصة العاصمة تيهرت باهتمام الجغرافيين الذين عاصروا تلك الفترة¹ حيث كانت تيهرت مقرا لحياة اقتصادية مزدهرة، فقد ذكر ابن الصغير أن نمو المدينة كان سريعا في ولاية الإمام عبد الرحمن بن رستم و الإمام أفلح حيث قال: " كان أفلح قد عمر في عمراته ما لم يعمر أحد من قبله ... فأطعم فيها أيام الجفاف، و عم الرخاء في عصره، و كثرت الأموال و المستغلات... حتى ابتنى الضياع خارج المدينة وأحروا الأنهار"². وقال ابن عذاري في هذا الصدد أنها " كان حولها بساتين من كل أنواع الثمار. و كثيرة الأشجار، و هي شديدة البرودة و الأمطار"³. و لقد ساعد تيهرت الرستمية عدة عوامل نذكر منها موقعها الاستراتيجي الممتاز، فقد كانت نقطة التقاء القوافل القادمة إليها من كل البلاد العربية، كما ساعدها أيضا كثرة المنابع، و خصوبة ضواحيها⁴.

كما كان للري⁵ دور كبير في رفع مردودية الإنتاج، فقد اعتمد الفلاحون على مياه الأنهار و الوديان، و الأعين، و الآبار خاصة أن تيهرت تقع على ثلاثة أنهار⁶ و أقام الحكام في تيهرت خزانات للماء و أحواضا، و كانت محكمة التصميم و الهندسة، بحيث يحافظ على الحياة في أيام الضيف البخيلة الأمطار، و أثناء الجفاف، و توصل إلى المناطق المرتفعة في أحواز تيهرت وهي موجودة بكثرة⁷ و نظرا للضروريات اليومية فقد فكروا في هذا فقد شقوا القنوات وأوصلوها بالدور و البساتين، و وضعوا أنابيب لهذا الغرض⁸ و هذا ما ذكره ابن الصغير فيقول ثم " شرعوا

1- إبراهيم مجازة الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 53.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 53.

3- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 198، و يصفها المقديسي بأنها: " التفت بها الأشجار و غابت في البساتين" المقديسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص 229

4- رشيد بورية و آخرون: المرجع السابق، ص 110.

5- و يقول الإدريسي: " و لم عن هذه المياه بساتين و أشجار تحمل ضروبا من الفاكهة الحسنة و بالجملة فهي بقعة حسنة " ينظر الإدريسي: المصدر السابق، ص 87.

6- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 198.

7- إبراهيم مجازة الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 156.

8- و يقول سلمان كروي: " إذ لا توجد غالبا في ذلك الوقت أنابيب من حديد، و ربما كانت من الفجار المغني". سلمان الكروي: المرجع السابق، ج2، ص 22.

في العمارات... و إحياء الموات و غرس البساتين و إجراء الأنهار و شقوا الترع"¹. و قول الإدريسي: "و بمدينة تيهـرت مياه متدفقة و عيون جارية تدخل أكثر ديارهم و يتصرفون فيها"². كما كان للاستقرار السياسي البعيد عن الثورات المذهبية و النزاعات القومية، أثر كبير في دفع سير عجلة الازدهار، و الرخاء الزراعي و التقدم الاقتصادي³ الذي عم بالفائدة على السكان الأهلين في تيهـرت و في كامل الدولة المرستمية.

و قد كانت الفلاحة في رقي بحيث أعيدت إحياء موات الأرض، و اتخذت البساتين على ضفاف وادي تيهـرت⁴ و لقد كانت لها وديان تنفجر منها عيون، و أهمها وادي الشلف، الذي يتفرع منه وادي مينة⁵، و يمتد مجراه حتى يصل تيهـرت من جهة الجنوب، ومنها وادي عين سوفجج، و هو وادي ينبع من عين بجبل سوفجج و يتجه شرقا، فيلتقي بوادي الفرعة، ثم بوادي الوحش، و يتألف من ذلك وادي بحر جنوبي مدينة شلالة و يلتقي بوادي سوفجج من الشمال واد آخر يسمى "قسنى". بالإضافة إلى الأمطار الغزيرة التي كان لها أثر في تكوين السهول الخصبة في المغرب الأوسط مثل سهول أسرسو في جنوب تيهـرت، و سهول وادي شلف، و سهول الساحل⁶ أما مناخها فيذكر يعقوبي، أنها تمتاز بالبرد الشديد، و فيها رياح قوية، و شمس توقد و تحرق.

و لم تكن تيهـرت مقتصرة على زراعة البساتين، و ما تحتويه من الأشجار المختلفة و إنما هي منطقة زراعية خاصة لزراعة الحبوب لكثرة مياهها⁷ و برودة مناخها و وقوعها قرب التلال الصالحة لزراعة تلك الغلال، و ما دل على وفرة الإنتاج الزراعي و لا سيما الحبوب ما ذكره بن

1- ابن الصغور: المصدر السابق، ص 31.

2- الإدريسي: المصدر السابق، ص 87.

3- G. Marçais: la berberie musulmane, Op, cit, p 104.

4- عثمان لكعالك: المرجع السابق، ص 123.

5 اس عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 280، رشيد بورويبة: المرجع السابق، ج 2، ص 576.

6- محمد علي ديوز: المرجع السابق، ج 3، ص 257-258، رشيد بورويبة و آحرون: المرجع السابق، ج 2، ص 576.

7- الإصطخري: المصدر السابق، ص 34.

الصغير أن من بين أبواب تيهرت باب يعرف باسم المطاحن¹ لطحن الحبوب و قد اشتهرت بلاد المغرب الأوسط بمحاصلها الزراعية المتنوعة و الوفيرة، فكانت البساتين و المزارع تحتوي على:

❖ القمح و الشعير: لقد كانت أكثر الزراعات المنتشرة، لأنها المادة الغذائية الرئيسية فمنها كان خبزهم، كما أنها لا تحتاج إلى أمطار غزيرة، و لا تتطلب الري بشكل كبير و هذا ما يسهل زراعتها في كل مكان، و مما ساعد على زراعتها بكثرة، إمكانية تخزينها حيث أن المدة تتجاوز المائة سنة في مطامير² تحت الأرض³، و مما يدل على غزارة المتوج تلك القصص التي ينقلها الدرجيني عن العالم أبي مرداس مهاضر الذي توجه نحو تيهرت بقوله "أنه كان إذا قدم تاهرت فحصد الناس زروعهم، ولقط اللقاطون السنابل التي تبقى بعد اللقطين، و رعي المواشي تعقبهم أبو مرداس فيلقط ما يقوم بقوت عام، فيعتقد أن الذي بقي بعد اللقطين و رعي المواشي إنما هو متروك"⁴.

❖ البقول: كانت هذه المزروعات تعم المغرب الأوسط، فنجد منها اللفت، و الجزر و الفجل و الثوم، و البصل و الكراث، و الكرنب، و القرنيط، و السلق، و الخس و غيرها. و يضيف جودت نقلا عن أبي فضل الله العمري، نفس الخضر بالإضافة إلى الباذنجان و الملوخيا و الخيار، و اللوبيا، و غيرها⁵.

❖ الفواكه: كانت توجد بالمغرب الأوسط و خاصة تيهرت فواكه مختلفة مثل: الرمان و الإحاص و المشمش و العنب، و غيرها، و لعل من أهمها السفرجل: حيث اشتهرت بلاد المغرب الأوسط بالسفرجل، فأشاد الرحالة بمجودته، و يبدو أن تيهرت فاقت سواها في سفرجلها فكان يفوق طعمه سفرجل الآفاق حسا و طعما و رائحة⁶ و يعود الاهتمام به، إلى أكله طازجا،

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 53.

2- المطامير: هي أحواف عميقة تحت الأرض و تخزن فيها الحبوب، و لابد من توفر بعض الشروط في هذا المخازن فيكون ناشفا من السل و النداوة، و إن كانت الأرضية مبلطة فذلك أحسن، أنظر: جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 41.

3- جودت عبد الكريم: نفسه، ص 41، ص 42.

4- الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 293.

5- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 42.

1- البكري: المصدر السابق، ص 66، القزويني، المصدر السابق، ج 1، ص 813، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج 2، ص 576.

ويستعمل في صنع المعاجين و المربى، فكانت تيهرت تملك الفواكه الحسنة و السفرجل الذي ليس له نظير¹ فكانت مدينة واسعة البرية و الزروع و المياه².

❖ الزيتون: شجرة مباركة نزل ذكرها في القرآن الكريم³ و لها أهمية، فحبه يعصر و يستعمل طعاما و يستعمل للإضاءة، و علاجا لقوله صلى الله عليه و سلم: "إتلموا بالزيت و ادهنوا به فإنه شجرة مباركة".

و كان الزيت يحفظ في قلال أو زقاق من جلود الأغنام، و يذكر الدرجيني إنها كانت تحفظ في الخواوي⁴.

❖ نباتات أخرى: و منها الغابات التي كانت تشمل على أنواع مختلفة مثل السرو والصنوبر والبلوط و العرعار، و لعل الاهتمام بالغابات إما نتيجة الطلب المتزايد على الأخشاب، التي تدخل في صناعات عديدة خاصة الخشبية، و صنع الفحم كوقود⁵ بالإضافة إلى نباتات و التي تميز منها نوعين:

أ. النباتات الطبية: حيث كانت تنمو بتهجرت نباتات تستعمل لأغراض طبية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: شرس يدعى شوكة مغلية، و تفيد في إدرار البول، و تفتيت الحصى و تسكين آلام الأسنان و كذلك نجد حوز مائل. و شجرة المرقد عند عامة المغرب و الأندلس، و يستعمل مخدرا و مسكنا و مسكرا، كما توجد نباتات قاتلة مثل خمالاون مالس، التي تستعمل في قتل الحيوانات المتوحشة⁶.

ب. النباتات الزراعية: نجد منها: الكتان الذي كانت زراعته واسعة في تيهرت و كانت بوفرة لاستعمالها في صنع الملابس والأنسجة ضف إلى ذلك أيضا زراعة القطن لما لها من نفس الاستعمالات، ضف إلى ذلك مجموعة من النباتات الأخرى، كالنيلة و الحلفاء و الحناء، و غيرها⁷.

1- القلقشندي: صبح الأعشى، المصدر السابق، ج 5، ص 111.

2- الاصطخري: المصدر السابق، ص 34.

3- سورة النور: الآية 35.

4- الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 164.

5- ابن عذاري: المصدر السابق، ص 196.

6- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 50.

7- مبارك الملي: المرجع السابق، ج 2، ص 76.

ثانيا- الرعي و نظمه:

قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾¹

لقد كانت لتربية الحيوان منافع كثيرة، فقد كانت تربية الماشية تسير جنبا إلى جنب مع الزراعة فكلاهما وجهان لعملة واحدة من الرخاء الاقتصادي، و قد عرفت تيهـرت في العهد الرسمي هذا النشاط، و وصف اليعقوبي بعض المناطق الرسمية قوله أنها " بلد زرع و ضرع"² وقد استعملت هذه في أمور شتى، فكانت جلودها تستعمل في صناعة القرب، و توضع أيضا تحت المطحنة، كما يستفاد من حليها و أوبارها في صناعة الملابس، و الخيام و الأغطية و استعملت الحيوانات للحمل، و النقل و الركوب، و في الحرب، و تعتبر أيضا مالا كالمهر مثلا و منها نذكر فرس يعقوب بن أفلاح الذي يضرب به المثل في المغرب لما فيه من صفات الهيبة و الحرب³.

و تعود أسباب تربية الحيوانات الناحجة إلى توفر الأمن، و التفقد الدائم من طرف المالك ووجود أعوان خبيرين بسياستها و ادخار ما تحتاجه من أعلاف كما ساعد أيضا المناخ من أمطار و زراعة خاصة في القرن الثالث، فقد كانت هذه المناطق كثيرة الغنم أو الماشية طيبة المراعي⁴ ولعل مجموع هذه الحيوانات نذكر الخيول و البغال و الأغنام، و الأبقار، و الإبل، و كذا تربية النحل، نظرا لأهميته في علاج بعض الأمراض. و يذكر ابن حوقل عن تيهـرت أنها: " أصبحت أحد معادن الدواب و الماشية و الغنم و البغال و البرادين الفراهية، و يكثر عندهم العسل و السمن و ضروب الغلات"⁵

1- سورة النحل: الآية 05.

2- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 104، ص 108. ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86.

3- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 124.

4- جردت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 65، و يقول الإدريسي: " و أما القر و الغنم فكثير ما حلتا"، الإدريسي: المصدر السابق، ص 87.

5- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 22.

و تجدر الإشارة إلى توفر الأغنام في تيهرت، حيث ذكر الشماحي أنه كان لـ: "ليب بن زلعين أحد ملاك الماشية ثلاثون ألف ناقة و ثلاثة مائة شاة، واثنا عشر حمرا، و كان رعايته من العبيد"¹.

و لعل ما دل على هذا القول الإمام عبد الوهاب: "لولا أنا و محمد بن جربي بالخرث، و ابن زلعين بالأنعام"².

فقد كانت المدن الرستمية و خاصة بتيهرت غوج بالمواشي و الخيول، و كانت غالبية أهلها يشتغلون بالرعي³، و لم تقتصر الرعي على القبائل المتنقلة، فحسب، بل تعدت بحكم وفرة المراعي الصالحة إلى الحكام و الأئمة الرستميين، فنجد من بين ملاكها أبي اليقطان و أبي حاتم، فكانوا يملكون الدواب و المواشي لمملكة تيهرت، و يكثر بها الغنم و الخيل و البقر و كان رعايتهم من العبيد⁴ و كان ليعقوب بن أفلاح بقرات يحلبها و يشرها و يقوم عليها ثلاثا⁵. و قد يتولى صاحب الحيوانات الخروج بها إلى المراعي، يمكث بها هناك نهارا أو بعضه، مصطحبا معه زاده و عصاه، و يعود وقت الغروب، و كان أحيانا يكلف أصحاب الحيوانات أحياء راعيا، و قد يكلف بمهام أخرى خارجة عن نطاق الرعي، و الراعي السمع و الطاعة⁶، و يمكن أن تكون الأراضي خاصة، فيرسل مالك الأرض حيواناته، لترعى في أرضه، و قد تكون عامة مشاعة تخرج كل راع بمواشيه إليها على حدى، و اتبع أيضا نظاما على طريقة البربر يسمى: "المشتى" و فيها يتعهد القبيلة أو مجموعة من السكان إلى راع مسؤول، يساعده عدد من الرعاة، و هم على معرفة أو دراية عامة

1 - الشماحي: المصدر السابق، ج1، ص159، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص81.

2 - الشماحي: نفسه، ص161، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص234.

3 - رابع بونارة: المرجع السابق، ص43.

4 - ابن صعيبر: المصدر السابق، ص54.

5 - نفسه، ص98.

6 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص71.

بالرعي، وقد كانت تدفع أجرة الراعي بدينارين¹ في السنة² كما كان للحمال والخيل أثر واسع في اقتحام الصحراء و أعماقها³، بحيث كانت الوسيلة الأولى في نقل الذهب، ونقل القوافل القادمة من السودان باتجاه تيهرت، وغيرها من العواصم التجارية في المغرب الإسلامي، وهذا كان الرعي النشاط الأساسي لسكان الصحراء بحيث كانوا يسبرون بقوله تعالى: ﴿كُلُّوا وَارْعَوْا أَعْمَالَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾⁴

وقد كانت قطعان الغنم والجمال كثيرة، ينتقل وراءها البدو صيفا نحو الشمال و يرجعون إلى الصحراء في فصل الشتاء عندما تكثر الأمطار و الثلوج، التي تؤثر سلبا على الحيوانات خاصة حديثة الولادة⁵.

وهكذا قد ينتجع الرحل في فصل الصيف، و يبدلون محصول ماشيتهم الجنوب التل و كان رؤساؤهم يبادرون عند وصولهم الاتصال بأعيان المدينة، ثم يرجعون إلى موضع خيامهم حتى الرحيل⁶.

وعلى إثر هذا يمكن القول أن تيهرت الرسمية، عرفت نشاطا واسعا في الزراعة، و قد ساعدتها في ذلك مجموعة عوامل في مقدمتها، اتساع رقعتها و مناخها و كان لهذا الازدهار الزراعي، و الرعي أثره البارز في النشاط الحرفي.

1- يعرف ابن خلدون الدينار و الدرهم بقوله: " و ذلك أن الدينار و الدرهم مختلفا السكة في المقدار و الموازين بالآفاق والأمطار و سائر الأعمال، فالدرهم هو سبعة أعشار الدينار"، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 268.

2- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 72.

3- حيث يقول ابن الصغير: " و عجب ملك السودان ما أراه... و فروسيته إذا ركب الخيل..." ينظر ابن الصغير، المصدر السابق، ص 31، و يقول ابن خلدون أن " الإبل أعانت العرب على التوحش في القفر، و الأعراق في البدو"، عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 408.

4- سورة طه: الآيتان 53، 54.

5- إبراهيم محاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص 157.

6- شارل أندري جولييان: المرجع السابق، ص 42، ص 43.

ثالثا - الحرف وازدهارها:

لعل الملاحظ من خلال دراستنا قلة المصادر المراجع التي تدرس الجوانب الصناعية في مدينة تيهريه إلا الترر القليل فمثلا نجد ابن الصغير يذكر أهل الحروف¹ و هذا دليل على وجود حروف يدوية بسيطة² و بالتالي نشطت المهن و الحرف لهذه المدينة الصحراوية³ و كانت هذه الأخيرة مشتركة بين بربرية و فارسية و عربية و رومانية⁴ و بهذا لا يستبعد بأن يكون بتيهريه أعداد من الحرفيين النجارين⁵ و الحدادين و الخياطين⁶ و الطحانين و الدباغين و غيرها من الصنائع المشهورة آنذاك، حيث يذكر ابن الصغير: " و اتسعوا في البلاد، و تفسحوا فيها، و أتهم الوفود، و الرفاق من كل الأمصار، و أقاصي الأقطار"⁷ و قد عرفت الحرف تطورا كبيرا و خاصة في عهد عهد الرحمن لعموم الأمن و الاستقرار فظهرت صناعة الأقمشة الكتانية و القطنية و المصنوعات الجلدية والدروع وأنواع أخرى من الأسلحة، و كانت أكثر الجهات تقدما هي الركن الجنوبي الشرقي المواجهة للبحر، و المقابلة لبلاد المغرب، و افريقية⁸.

و لعل الصناعة تختلف من وسط لآخر باختلاف التطور، فإننا نجد صنائع المجتمع الحضري تختلف عن المجتمع البدوي، فنجد مثلا صناعات هذا الأخير تركز على توفير الطعام، و الملابس والخيام، و بعض الأدوات التي تستعمل في توفير الأمن للناس، و بالتالي فهي تعتمد على ما هو

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 75.

2- حدود عبد الكريم: العلاقات الاقتصادية، المرجع السابق، ص 36.

3- رابح بونارة: المرجع السابق، ص 43.

4- عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 123.

5- يعرفها عبد الرحمن بن خلدون بقوله: " هذه الصناعة من ضروريات العمران و مادتها الخشب... و لها منافع كثيرة لأهل البدو والحضر"، عبد الرحمن بن خلدون: المقلمة، المصدر السابق، ص 414.

6- يعرفها ابن خلدون بالحياكة و الخياطة و يقول: " و هاتان الصناعتان ضرورتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرء أو الدفء"، عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص 416.

7- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 31، عمار عمورة: المرجع السابق، ص 95.

8- عبد العزيز فيلاي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص 105.

أساسي و ضروري، و منه كان التصنيع في هذا المجتمع ضيق فنجد النجار و الحداد و الخياط و الحائك و غيرها¹.

و من بين الصناعات حسب طبيعة البلاد، الصناديق الخشبية و الأسرة و الخزائن البسيطة و الأبواب، كما كانوا يهذبون الخشب لاستعماله في بناء القصور و البيوت و لعل الأمر يختلف بالنسبة للمجتمع الحضري، حيث أنه عندما كثر السكان² زاد تطلعهم إلى ما وراء الضروري، تقدم نحو حياة التقدم و البذخ و الترف و بالتالي زاد النشاط الصناعي، و يذكر ابن خلدون " إذا زخر بحر العمران و طلبت فيه الكماليات، كان من جملة ما التفت في الصنائع و استحدثاتها، و بالتالي تزايدت صنائع أخرى معها، مما تدعوا إليه عوائد الترف و أحواله من زجاج و دباغ و حزار و صائغ و دهان و طباخ"³ و نظرا لتزايد الرقي و العمران، ظهرت حرف أخرى كالدهان و الحمامي و الطباخ و الشماع و كذا معلم الغناء و الرقص و قرع الطبول، و أصبحت تيهرت إحدى المراكز الصناعية الكبيرة و التي تسمى " بقصبة الإقليم"، و قد تحولت الصناعة من بدوية إلى مدنية، و لعل من الضروري لهذه الصناعات أن يتخذ الصانعون مكانا يديره بنفسه، و أحيانا يكون في بيته، و مجموعة من المتدربين و الصبيان، و يكون هو المسؤول أي " المعلم" وهم الأجراء، و أحيانا يستلزم الأمر أن يكون جميعا شركاء و كان الصانعون يرتدون أزياء خاصة بصناعتهم⁴.

و من العوامل التي ساعدت على ازدهار الصناعة، أجمعها في اتساع العمران و السكان و بالتالي كثرة الطلب على السلع، كما كان لتوفر المواد الصناعية، سواء الحيوانية أو النباتية أثرا واسعا في ازدهار الصناعة، و كان من أهم الصناعات البارزة في تيهرت:

1- جردت عبد الكريم: العلاقات الاقتصادية، المرجع السابق، ص 77، ص 78.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 54.

3- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 381.

4- جردت عبد الكريم: العلاقات الاقتصادية، المرجع السابق، ص 80.

أ. الصناعة النسيجية: المعتمدة أساسا على انتاج الصوف و الكتان و الحرير، و ينتج منها أنواع عدة من الملابس و الفراش و الستائر و القوط، و التي كانت المرأة تقسوم بصناعتها في البيت و توظف معها الجوارري¹، و لعل هذه الصناعة كانت منتشرة في تيهرت، حيث ذكر ابن الصغير أن عبد الرحمن بن رستم كان يجمع ما بقي من الصلقات، و يشتري بها أكسية صوفا و جبابا صوفا وفراء².

و قد كانت المنسوجات مختلفة الأشكال و الألوان، و عرفت تيهرت صناعة الخز، و هي مصنوعة من الصوف و الحرير، و يبدو أن هذا النسيج كان قيما، و لعل أشهر صناعات هذه الحرفة أحمد بن فتح المعروف بابن الخزاز التيهري، و كانت تصنع منه القلنسوة و الجبة، و كان يعتمد في ذلك على أدوات خاصة مثل المناسج و المغازل و الأنوال من آلات الغزل³.

ب. الصناعات المعدنية: لا شك أن تيهرت قد عرفت صناعة معدنية متنامية تتماشى مع ازدهار المدينة، لا سيما في مجال الأسلحة، حيث أن هذه الصناعات تحتاج إلى المواد الخام و مواد الخشب، فقد كان الحديد ضروريا لكل دار و لكل شخص خاصة لصناعة السيوف، فنجد أنه رغم بساطة عبد الرحمن بن رستم، فإن بيته لم يخل من السيف⁴ و كان سكان تيهرت يتفنون في صناعته، ضف إلى صناعة الأبواب فقد اتخذ الإمام أفلح بابا من حديد⁵ كما استعمل منه الملاعق و الكلاليب و أمواس الخلاقة و المواقد و السلاسل⁶ ضف إلى التحف المعدنية⁷ أما الذهب و الفضة فقد كانا متوفران حيث أن القوافل المتجهة إلى بلاد السودان الغربي كقبيلة بتوفيرها، و قد كانت لهما استعمالات متعددة، فتصنع نقودا و دنائير و تصنع منها حللي للنساء من أقراط، و أساور و عقود و دبابيس ترين الصدر و خواتم و خلاخيل، كما صنعت منها الأقداح و غير أن استعماله كان مقتصرًا على الأثرياء و كان الممتن لهذه الحرفة يسمى بالصائغ،

1- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص 206.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36.

3- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 98.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 29.

5- نفسه، ص 53.

6- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 101.

7- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 577.

بالإضافة إلى الصناعات المعدنية السابقة نجد الرصاص و النحاس و غيرها من المعادن¹.

ج. الصناعة الفخارية: لعل من أبرز ما خلفته الصناعة في العهد الرسمي هو الأواني الفخارية أو الخزفية التي عثر عليها جورج مارسيه، و دومس لمار في خرائب تيهـرت سنة 1941 و انتهيا إلى أن تيهـرت كانت تضم أفرانا للفخار، فقد وجدوا قطعتان من بقايا قرن رسمي و كذا القفل والصحون، و جزء من حرة كبيرة و كانت قليلة الزر كشة².

د. الصناعة التحويلية: اشتملت بلاد أهل تيهـرت على الأرحاء، فقد ذكر لنا ابن الصغير أن الرستميين شرعوا في اتخاذ الرحي و المستغلات³ و خاصة في عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم حيث قال: "... تغيرت المدينة... و نصبت الأرحاء..."⁴ و اتخذت لطحن القمح والشعير، و نظرا للازدهار الفلاحي في المنطقة، و لعل هذه الصناعة كانت مرتبطة ارتباطا بالحجاز و الغرابلي⁵.

كما ظهرت مهن أخرى كالطباخ، الذي يستعمل عند الطبقة الراقية، و العطار الذي يقوم بصناعة العطور باعتماده على أزهار الريحان، ضف إلى ذلك صناعة الخمر، فقد ذكر ابن الصغير أن تيهـرت قد فسدت، و فسد أهلها من ترك الحروب، و اتخذوا للمسكر أسواقا⁶.

هـ. الصناعة الجلدية: لقد كانت للثروة الحيوانية أثر و اسع المدى في ظهور بعض المهن، فقد قال ابن الصغير في هذا الصدد أن بتيهـرت يوجد القصابين واللبنانيين، بالإضافة إلى ظهور الدباغة و هي صناعة تحويلية حيث يعتمد على جلود الماشية و تحول إلى نعال و سروج و أغطية، و كذا الطبول و الدفوف، و أدوات حافظة للحليب و السمن وكذلك استخدمت حصيرا⁷.

و. الصناعات الخشبية: لعل من بين الصناعات المرتبطة بطبيعة منطقة تيهـرت صناعة الخشب، إذ تتوفر هذه المنطقة على ثروة غابية كبيرة، حيث أنها تتوسط غابة كثيفة الأشجار، وبالتالي كان

1- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 103.

2- إبراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص G, Marçais et L, dessus: Tahert Tagdamt, op, cit p.p 26-56, /172.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 31.

4- نفسه، ص 33.

5- الغرابلي: هو المتخصص في صناعة أداة لإعداد الحبز و هو الغرابل، أنظر: هامش جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 101.

6- جودت عبد الكريم: نفسه، ص 112.

7- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 29.

النجارون يصنعون مختلف الآلات، و الأدوات المستعملة آنذاك كالصناديق و الأسرة و الخزائن والقوارب الضرورية للملاحة النهرية¹.

و لعل من بين المهن الأخرى التي كانت تمارس في تيهيرت نجد البناء و كذا الحمامي و هذا نفهمه من قول ابن عذاري: "أن في مدينة تيهيرت حمامات كثيرة يسمى منها اثنا عشر حماماً"² هذا إلى جانب عدد من الأعمال و المهن و الصناعات التي يصعب حصرها، ذكرنا بعضها على سبيل المثال لا الإجمال.

و على العموم كانت بتهيرت خصوصاً، صناعة مزدهرة تعتمد على أدوات مختلفة غمرت الأسواق و مهدت بذلك الطريق لازدهار التجارة سواء الداخلية أو الخارجية.

المبحث الثالث: الموارد المالية.

تتم الدولة الإسلامية، بمواردها المالية التي تدر عليها أموالاً تودعها في بيت يعرف ببيت مال المسلمين، أو بيت المال، و قد كان في الدولة الرستمية، بيوت أموال محلية عديدة، و بيت مال مركزي مقره العاصمة تيهيرت³ و قد تعددت هذه البيوت في عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم حيث يذكر ابن الصغير: "... و بيوت أمواله ممتلئة"⁴.

و كان الاهتمام بأمر جباية الأموال، يختلف من دولة إلى أخرى، و من طور إلى آخر فالدولة في طورها الأول - طور التأسيس - لا تكون بحاجة إلى المال، مثلما يكون الأمر في طورها الأخير - طور الثرف و الرفاهية-، كما يختلف الحاجة إلى المال باختلاف الدول و سياستها، فإن حاجة الدولة الرستمية كدولة داخلية، ليست لها سياسة توسعية، و بحسب حاجتها تتنوع مواردها، فقد تكتفي بالموارد الشرعية.

1- حودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 98، ص 99.

2- ابن عذاري: المصادر السابق، ج 1، ص 125.

3- إبراهيم محاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 237.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 35.

شرطته، و القائمين بأموره ما يكفيهم في سنتهم ثم إن فضل فضل صرفه في مصالح المسلمين¹، وقد كان الإباضيون لا يرون أن تخرج الزكاة من بلد إلى آخر و أهل بلدها أحق بها، و لو كانوا فساقاً² و لعل مدلول الزكاة إنما هو مرتبط بالصدقات حيث قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾³ و نظراً للازدهار التجاري والصناعي و الزراعي، و نظراً لتوفر الذهب فقد فرضت على النساء التصدق من حليهن، فقد كانت بهذا دور الزكاة ممتلئة بمختلف الموارد و الزكوات و الصدقات، غير أن المصادر لم تشر مبالغ الزكاة و الصدقة التي تدخل بيت المال.

2- الجزية:

قال تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾⁴ لقد فرضت الجزية مقابل حمايتهم، و هي أشبه بضريبة للدفاع الوطني، فكان لا يدفعها إلا الرجل القادر على حمل السلاح، و كانت تجنى من أحرار أهل الذمة و الرجال البالغين، و لا يدفعها الأطفال و لا النساء و لا العبيد و لا ذوا العاهات كالمقعدين و المجانين⁵ و حتى الرستميون الجزية، يذكر ابن الصغير أن الإمام عبد الرحمن بن رستم، كان ينظر إلى ما اجتمع من مال الجزية⁶ و إنما يدل هذا على وجود أهل الذمة بتيهزت و قد يطلق على الجزية مصطلح " الجوالي" و هما كلمتان مترادفتان، غير أن ابن الصغير لم يذكر مبلغ الجزية، و لا عدد أهل الذمة، ولهذا كانت مورداً شرعياً يضاف إلى قائمة الموارد المالية لتيهزت.

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 35- 36.

2- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 393.

3- سورة التوبة: الآية 103.

4- سورة التوبة: الآية 29.

5- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 396.

6- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36.

3- الخراج:

هو مورد شرعي من موارد بيت المال الرستمي، و قد كان أول من ابتدأ جبايته الإمام عبد الرحمن بن رستم، حيث ذكر ابن الصغير، أن الإمام عبد الرحمن كان ينظر إلى ما اجتمع من مال... و خراج الأرضين، و ما أشبه ذلك¹، و كانت أموال الخراج، لا تبقى في المواطن التي جبيت فيها، و إنما تنتقل إلى بيت المال بتيهت، و هذا ما نستنتجه من ذكر اليعقوبي أن أهل جبل نفوسه، لا يؤدون خراجا إلى السلطان، و لا يعطون طاعة إلا إلى رئيس لهم بتيهت²، و كانت الجباية سنوية، بعدما ينتهي الناس من جمع محصولهم³، و هذا ما نفهمه من قول ابن الصغير: "فيقطع لنفسه و حشمه... ما يكفيهم في سنتهم"⁴.

4- العشور:

هي ضريبة، و رسوم تؤخذ على الأراضي التي يزرعها المسلمون و على أموال و عروض تجارة أهل الحروب و أهل الذمة، و يذكر ابن الصغير أن أهل الصدقة على صدقاتهم، يخرجون في أواني الطعام، فيقبضون أعشارهم⁵ و كان الرستميون يجبونها على المحاصيل الزراعية، وإن اختلف بعض العلماء في المحاصيل التي تفرض عليها العشر. و لعل جباية العشور على أهل الذمة قليلة، إن لم نقل منعدمة، و ذلك لأن تيهت منطقة داخلية، و بالتالي تقلل العشور الجببة من أهل الذمة. و يضيف جودت عبد الكريم أن الرستميين، واصلوا جباية العشور على المحاصيل الزراعية،

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 37.

2- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 196.

3- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 398.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36.

5- ابن الصغير: نفسه، ص 35، و عن كيفية توزيع الإمام الأعشار قال ابن الصغير: "يخرجون في أوان الطعام فيقبضون أعشارهم في حلال كل... من أهل الشاة و البعير، يقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يظلمون و لا يظلمون، فإذا حضر جميع ذلك صرف الطعام إلى الفقراء و بيعت الشاة و البعير، فإذا صارت أموالا دفع منها إلى العمال بقدر ما يستحقون عسى عملهم، ثم نظر في باق سائر المال، فإذا عرف مبلغه أمر بإحصاء من في البلد و فيما حول البلد، ثم أمر بإحصاء الفقراء و المساكين، فإذا علم عددهم أمر بإحصاء ما في الإهداء من الطعام، ثم أمر بجمع ما بقي منه مال الصدقة فاشترى منه أكسبة صوفا و فراء، ثم دفع في كل بيت بقدر ذلك، و يؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه"، ينظر ابن الصغير، المصدر السابق، ص 22.

ويذكر أن الشراة لم تكن تطعن الإمام أفلح في شيء من أحكامه و لا في صدقاته و لا في أعشاره. و لعلنا لا نجد أي تقدير لمبلغ هذه الضرائب، و لا حتى طريقة جبايتها¹.

و يضاف إلى جملة هذه الموارد الشرعية التي تدخل في بيت مال تيهريه، نجد أنه كان تدخله أموال عن طريق الوصايا، فقد كان أبو مرداس مهاصر السدراني، إذ أراد زيارة تيهريه أخذ الوصايا من أهل الدعوة من أهل الجبل - جبل المسلمين نفوسة - فرفعها إلى تيهريه لنفع بيت مال المسلمين و لنفع أرباب الوصايا².

و منه يمكن القول أن العشور تشكل أحد أهم الموارد المالية التي كانت تيهريه تسدد من احتياجها.

ثانيا - نظام الجباية:

كان يتولى الإشراف على جباية الأموال و إنفاقها موظف يعرف في العهد الرسمي " بصاحب بيت المال"، و كانت الأموال تودع بيت المال أو بيت مال المسلمين، و يبدو أن صاحب بيت المال يشمل جمع الموارد المالية³، حيث كانت وظائف الدولة في أيدي ثلاثة موظفين، هم صاحب الشرطة أو القاضي و صاحب بيت المال⁴ و كان هذا الأخير يعمل بمعية عدد من الموظفين منهم السعادة و العاملين عليها، و كان للخراج ديوان خاص، و لعل الإمام عبد الرحمن كان يفضل أموال الجزية و الخراج على أموال الزكاة، كما أن الإمام له السلطة الكلية في تعيين العامل، حيث عين الإمام أبو اليقطان أفلح بن العباس عاملا على نفوسة⁵ و أيضا من بين العمال سلام بن عمر اللواتي عاملا للإمام عبد الوهاب على سرت، و أبي يونس و سيم النفوسي على قنطرة⁶. و يبدو أن الرستميين كان لهم نفوذ اقتصادي على هذه المناطق، حيث أن الإمام عبد الوهاب،

1- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 402، ص 403.

2- نفسه، ص 413.

3- نفسه، ص 414.

4- ابن الصغيرة: المصدر السابق، ص 35.

5- نفسه، ص 86.

6- سيمان الباروني: المرجع السابق، ح 2، ص 163، صالح ياحية: المرجع السابق، ص 81.

اقتطع أرضا للخارجين عليه في جبل نفوسة، في منطقة الساحل و كتب عليها " اغرسوا فيه بأمرنا، و احثروا فيه بإذننا"¹ و كانت هذه المناصب المالية هامة و حساسة، فهي بحاجة إلى شخصية قوية الإيمان و الإدارة، لا يضعف أمام الأحوال المكدسة، فتحدث بعض الاختلاسات مثلما يظهر في العهد الرستمي، حيث ذكر ابن الصغير قائلا من مقدمي مزاةة و سدراتة إلى رؤساء قبائلهم، و طعنهم في استقامة و أمانة أصحاب المال في عهد الإمام عبد الوهاب، فقالوا: "صاحب بيت مالنا خائن، و صاحب شرطتنا حائر، و إمامنا لا يغير من ذلك شيئا"² أما عن أسلوب الجباية، فقد سبق الإشارة إليه، إلا أن أهل الصدقة و السعة، كانوا يخرجون ليحييوا الأموال المستحقة في العهد الرستمي و قد كان القائمون على جباية الأموال رجال من البربر، إذ أنهم عصب الدولة.

و لقد كان أهل البادية يمتنعون عن دفع هذه الضرائب، لغلبة الطابع القبلي عندهم فلم يكونوا يألفون دفع مثل هذه الضرائب³.

ثالثا- نظام النفقات:

لعل كل بيت مال يتغذى من الموارد المالية المختلفة، التي تدخل خزينة تيهرت و بطرق شتى، و بموارد متباينة، تعتبر الممول الرئيسي لتيهت التي تأخذ منها نصيب تصرف في أمور مختلفة، و منه يمكن حصر النفقات في رواتب الموظفين من حشم و قضاة و شرطة و قائمين بأمور الدولة عامة، إضافة إلى أجر الإمام نفسه و الذي كانت تدفع مرة واحدة في السنة⁴ فقد كان للدولة، موظفون يقومون بإدارة شؤونها، فهناك قضاة و أعوانهم، و كان لتيهت ديوان خاص

1- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 417.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 41.

3- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 418.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 23، إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 243.

بالقضاة، فاشترى له خدما و أجروا عليه من بيت المال قوته¹ كما كان له أعوان وأصحاب دواوين مختلفة² و كلهم يتقاضون رواتب على أعمالهم.

كما كانت ظروف الحياة تلزم على الرستميين حشد كبير من المقاتلين، فقد عد الإمام عبد الوهاب في عسكره ألف فرس، و كان الإمام أبو حاتم، قد أخرج له أبوه على يد جيش، و هؤلاء يكلفون بيت المال أموالا ضخمة³، فكانوا يدفعون لهم رواتبهم، و يؤمنون لهم المؤن و العتاد الحربي، إلى جانب نفقات المتطوعين، كما أنهم أيضا كانوا يتكفلون بأسر الجنود⁴، و يضاف إلى جملة هذه النفقات، تلك التي تصرف في مصالح المسلمين عامة كبناء المساجد و الأسواق والحمامات وإصلاح الطرق و الجسور، و مد القنوات و إصلاحها بل و بناء المدن، و بيوت الضيافة، والإنفاق على طلبة العلم⁵ و لعل الازدهار الاقتصادي الذي عرفته تيهت، كان من شأنه أن يغذي كلا من دار الزكاة، و بيوت الأموال في الدولة الرستمية عموما، و لم تكن النفقات كبيرة بحجم الموارد، لذلك فجزء منها يصرف في الصالح العام⁶، و لعل هذا ما يفسر ذلك الرخاء الذي شهدته تيهت الرستمية والازدهار الذي واكبها خلال كل مراحل حكمها، و كانت كل دار زكاة، و بيوت مال، ومواردها و نفقاتها مؤسسة وفقا لتعاليم الشريعة الإسلامية.

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 42.

2- من بين الدواوين: ديوان المظالم، ديوان الكشف، ديوان العطاء، ديوان الضياع، ديوان البريد، و غيرها، أنظر: هامش جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 422.

3- جودت عبد الكريم: نفسه، ص 422.

4- نفسه، ص 423.

5- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 243.

6- نفسه، ص 245.

المبحث الرابع: التجارة الداخلية و مبادلات تيهرت الخارجية

أولاً- التجارة الداخلية:

تعد تيهرت إحدى محطات العالم الاقتصادية الكبرى، فهي واسعة الأخذ و العطاء، فكانت الحبوب و الأزهار بأنواعها تزرع بأرضها، و الأسواق ملأى بمختلف البضائع و المصنوعات¹ وبالتالي كانت لها تجارة داخلية مزدهرة و لعل ما ساعد على ذلك هو تشابك مجموعة من العوامل، نوجزها فيما يلي:

إن موقع تيهرت هو منشأ ازدهارها، بحيث تعد نقطة التقاء القوافل القادمة إليها من كل بلاد العالم العربي، و كانت نقطة اتصال بين البدو و الرعاة، و بين المقيمين بالمدن، ضف إلى ذلك كثرة منابعها و خصوبة أراضيها و ضواحيها².

كما أسهم الأئمة الرستميين، و حرصهم على التجارة في ازدهارها، فقد كان الإمام عبد الروهاب تاجراً، و كذا أبو حاتم، فقد كان يخرج ليجر القوافل الآتية من المشرق³.

و كم كان لتعداد الحرف أثر واسع، فكانت الحاجيات مختلفة من حرفي إلى آخر، و لهذا استدعت الضرورة إلى التبادل فيما بينهم، و ذلك في أسواق منظمة، و مراقبة من طرف المحتسب⁴. و لعل الأمن و الاستقرار الذي كان سائدا آنذاك هو العامل الرئيسي لنمو التجارة وازدهارها و كان من أبرز البضائع التي تتبادل بين مدن تيهرت و أسواقها بضائع الشمال ببضائع الجنوب، والعكس هي التي كان يقوم بها الرعاة البدو، باستبدال ما لديهم من الغنم والصوف والجلود

1- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 175، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 13.

2- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص 110.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 91.

4- ترجع التسمية إلى الحسبة: و هي خطة دينية جامعة بين الشرع و السياسة، تنظم سير للمعاملات بين التجار و الحرفيين، أنظر: موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 255، و قد عرفها أيضا ابن خلدون: أنها وظيفة دينية تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر، و تعتبر الإمام أبي القبطان بن الأفلح مؤسس نظام الحسبة في الدولة الرستمية و يطبق على المحتسب آنذاك -المشرف- أنظر: موسى لقبال: الحسبة المنهية في بلاد المغرب العربي، المرجع السابق، ص 16.

والشحم وغيرها، ببضائع العاصمة من حبوب و قمح و بعض المواد الضرورية كالمالح والسكر والزيت أو الألبسة والأفرشة المجلوبة من بلاد الأندلس و السودان أو من مدن الغرب والمشرق¹.

و مما لا ريب فيه أن التجارة كانت تؤدي في نطاق الأسواق، حيث ألها كانت تقام أين توجد التجمعات السكانية، كما كانت لكل قبيلة أو قبائل سوق محلية، و تقام في نطاق دائرة أمير يكون قادرا على الحماية و الأمن، و غالبا ما يحمل السوق اسمه. كما أن وظيفة السوق تتعدى التجارة، فهذه وظائف اجتماعية، و ثقافية و دينية و غيرها و تستعمل في السوق عدة أنظمة من أجل تنظيمه و منع الاحتكار و الاستغلال و منها²:

1- نظام النقود: يذكر إبراهيم بحاز أن الإشارات إلى العملة الرسمية قليلة، خاصة في تيهريته لكننا نجد ابن الصغير يشير إلى العملة في قوله عن الإمام يعقوب بن أفلاح، كان نزيه النفس ما حس بيده دينارا ولا درهما³ و هما عملتان متداولتان في العالم الإسلامي⁴ و لعل العملة كانت تضرب ذهباً لقول أبي اليقطين:

و كم ضربوا ذهباً سكة رأينا له قطعة كأثر

و يضيف عبد الرحمن الجليلي، أن لتيهريته الإباضية سكة⁵ مضروبة باسمها⁶ و هذا ما أكدته محمد الطمار بحيث قال أن أهل تيهريته ضربوا في بلادهم سكة باسم بلادهم الإباضية⁷ وضربت

1- إبراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص 178.

2- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 149.

3- حدد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن الدينار الإسلامي كان يساوي الدينار البيزنطي، و كان هذا الأخير يساوي 25، 4 غراما ذهباً أما درهم الإسلامي يساوي 14 قيراطا و بالتالي الدينار يعادل عشرين درهما، أنظر: ابن خلدون، المقدمة،

المصدر السابق، ص 267، إبراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص 182.

4- إبراهيم بحاز: نفسه، ص 183.

5- السكة: هي الختم على الدنانير و الدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيها صور أو كلمات مقلوبة، يظن عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 266.

6- عبد الرحمن الجليلي: المرجع السابق، ج 1، ص 121.

7- محمد عمرو الطمار: الروابط الثقافية، المرجع السابق، ص 97.

هذه النقود في عهد الإمام عبد الرحمن، حيث ضربت من قبل الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليميني، و كتب عليها في الوجه الأول:

ضرب هذا الفلّس بافريقية، و على الوجه الآخر ستة و اثنين و أربعين و مائة، و لهذه الدلائل يمكن أن يثبت أن تيهرت عملة يتعاملون بها¹.

2- المكايل و الأوزان: استعملت الأوزان و الوحدات الضرورية لتسهيل عملية التعامل بين التجار، و لعل من بين هذه المكايل و الأوزان التيهرتية نجد: المد²، و الذي يكتالون به القمح وغيره من الحبوب و الذي يعادل خمسة أقفزة³ و نصف قرطبية⁴ أما قنطار الزيت، و غيره، فهو عندهم قنطاران غير ثلث بالوزن العادي، أما رطل اللحم فهو بمثابة خمسة أرطال⁵، بالمقارنة مع مكايل قرطبة، هذا بالنسبة للمواد الضرورية، ذات الأشغال اليومية و التي تنتج في تيهرت وضواحيها، و هي بخسة الثمن لو قرّمها، فهي لا تباع بالمكيال العادي و إنما بالزيادة أضعافاً، أما المواد الغذائية المستوردة كالفلّفل و البهارات فهي تكتال بالمكيال العادي و هو قنطار عدل لا أكثر ولا أقل، لأن المادة مطلوبة بكثرة، لا تكون موجودة باستمرار في المدينة فيبقى كيلها ثابتاً، وباختلاف المناطق و المدن تختلف المقادير و المكايل من واحدة إلى أخرى⁶ و منه ساعدت هذه الأوزان على تسهيل عملية التبادل التجاري داخل المدينة على الرغم من اختلافها، و هذا لا يتوافق مع التجارة الخارجية، وقد كان المحتسب هو الذي يقوم بعملية الفصل بين التجار في حال حدوث تجاوزات أو شيء من هذا القبيل، فيأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، مصداقاً لقوله تعالى:

1- إبراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص 183، ص 186.

2- ذكر البكري " أن مذهبهم الذي يكتالون به خمسة أقفزة و نصف قرطبية"، البكري، المصدر السابق، ص 69، و ذكر ابن الأثير أنه في سنة 207 هـ أثناء المجاعة في الأندلس بلغ اللد في بعض البلاد ثلاثين ديناراً، ينظر، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج 5، ص 205، ابن عنان: المصدر السابق، ج 1، ص 81.

3- القفيز: يستعمل لكل السوائل كالزيت و كذلك الحبوب، أنظر: جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 185، و حول المكايل و الموازين ينظر: موسى لقبال: الحسبة، للرجع السابق، ص 73-78.

4- نسبة إلى الكيل القرطبي، أنظر: جودت عبد الكريم: نفسه، ص 185، العالقات الخارجية، المرجع السابق، ص 121.

5- البكري: المصدر السابق، ص 69.

6- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 184.

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾¹.

و لقد اشتهرت تيهرت بتجارها، فنظم الرستميون الأسواق، و جعلوا لكل حرفة سوقا، وعينوا المحتسبين فعمرت أسواقها².

ثانيا - التجارة الخارجية و مبادلات تيهرت التجارية:

أصبحت تيهرت الخصبه عاصمة الرستميين مزدهرة ازدهارا كبيرا حتى صارت مجمعا للتجارة و الشهرة العالمية، إذ سميت " بالعراق الصغير" أو عراق المغرب أو بلخ المغرب³ تشبها ببلاد العراق الصاخبة بمختلف الأجناس و الملل⁴، فاتسع نطاقها و أمنت طرقها، و تحولت قراها إلى مدن ومراكز عامرة بالتجارة و أصحاب الأموال و الأسواق؛ و عرجت عليها طرق التجارة الزاهية، من شمال إلى جنوب، أو من شرق إلى غرب⁵ فكانت من مصر و إفريقية و المغرب⁶.

و قد لعبت الإباضية دورا كبيرا في إنعاش التجارة في المغرب الأوسط، و ببلاد الصحراء فضمنت جماعات كبيرة من التجار الذين وجدوا الأمن في ظل الأئمة⁷، و لهذا تحولت تيهرت إلى مركز تجاري نشيط خلال القرنين الثالث الهجري و التاسع الميلادي، بحيث كانت قوافل التجار تدخل من تيهرت و تخرج جنوبا حتى واحة الأغواط في جنوب الجزائر الحالية، و من ثم يتجه بعضها شرقا إلى فزان⁸ و من ثم إلى جبل نفوسة و طرابلس و يتجه بعضها إلى وارجلان، التي تعد

1- سورة آل عمران: الآية 104.

3- G. Marçais: la berberie musulmane, op, cit, p 104

3- سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 10.

4- حسن أحمد محمود و منى حسن محمود: تاريخ المغرب و الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، ط1، دار الفكر العربي، بورسعيد، القاهرة، 1999، ص 121.

5- حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته، المرجع السابق، ص 332.

6- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 35.

7- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 120.

8- و هم قوم يعلب عليهم اللون الأسود و الفزان ولاية فيها فخل و تمر كثير، أنظرو: اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 184.

مركزا تجاريا على أبواب الصحراء الكبرى¹ ، كما كانت القوافل التجارية، تصل إليها من فاس والقيروان و سيجلماسة و بلاد كوكرو في شمال السودان.

لقد نشطت الحركة التجارية في تيهرت و توسعت علاقاتها في اتجاهات عديدة، نذكر

منها:

1- العلاقة مع القيروان: لقد ازدهرت القيروان اقتصاديا خاصة في عهد الأغالبة² حيث انتشرت الزراعة، من حبوب خاصة القمح³ و زيتون و نخيل و استخراج المعادن مثل الفضة و الزجاج والنسيج، هذه العوامل جعلت القيروان تلعب دورا بارزا في الحركة التجارية المغربية⁴ و في نفس الوقت تمتعت تيهرت بموقع تجاري هام⁵ و كان هذا مشجعا لممارسة التجارة فسارت القوافل من القيروان إلى تيهرت أو مرورا بها نحو سجلماسة ، كما مارست المدينتان تجارة برية مارست أيضا تجارة بحرية حيث كان للقيروان أسطولها التجاري، و لتيهرت مراكب ترسو بمرسى فروخ⁶ و كان التجار يسلكون ثلاثة طرق مختلفة:

الطريق الأول: هو الطريق البحري فكانت القوافل تنقل السلع من تيهرت إلى تنس و منها إلى برقة ثم إلى ميناء تونس ثم تقوم القوافل البرية بنقلها إلى داخل إفريقيا كالقيروان⁷.

1- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 577.

2- حسن محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط1، مطبعة المدني، ص 418.

3- المقدسي: المصدر السابق، ص 227.

4- حيث يذكر صاحب الاستبصار: "أن قوافلها سارت إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي و السودان"، ينظر: مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 224.

5- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 115.

6- يعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 353، و يقع هذا الميناء بين مستغانم و أرزيو و يعرف حاليا بمرسى الحجاج، ينظر: عبد العزيز قيبلاي: العلاقات بين الدولة الأموية، المرجع السابق، ص 100.

7- و يقول يعقوبي: " كانت هذه المراكب تسير مسلحة غير موعلة " ينظر يعقوبي: البلدان، المصدر نفسه، ص نفسها، و يذكر أن هذا الطريق لا يسلكه إلا الأقوياء ممن لا يخشى ركوب البحر بحيث كانوا عرضة لأخطار القرصنة. " ينظر المالكي: المصدر السابق، ص 348.

الطريق الثاني: يمتد من منطقة الهضاب العليا إلى الزاب ثم إلى القيروان عبر جبال الأوراس و عبر مدينة سطيف و تستغرق الرحلة مسير شهر على الإبل¹.

أما الطريق الثالث: يخرج من تيهت إلى ورجلاي عبر جبال عمور و من ثم إلى القيروان و هو طريق صحراوي حافل بالمتاعب. و هكذا فإن المدينتان كانت ترتبط بعلاقات تجارية مباشرة أو غير مباشرة² و كانت تيهت تصدر من المنتوجات الزراعية مثل:

السمن و الزعفران و الكتان و الفواكه المجففة و الحبوب و العسل و الحيوانات كالأغنام³ مصنعة من الصوف و الجلود أما الواردات من القيروان منها: الفستق من قفصة و الزيتون و مواد مصنعة مثل الآلات الحديدية و السيوف و سروج الخيل و المنسوجات الحريرية⁴.

2- العلاقة بالأندلس: كانت العلاقة السياسية طيبة بين أمراء بني أمية في قرطبة⁵ و الأئمة الرسميين و هذا يرجع بالدرجة الأولى لأن عدوهم واحد هو الدولة العباسية لذلك قامت بين الأندلس و تيهت علاقات و تجارية و كانت السفن تتردد بين وهران و الميرية⁶ كما أن تيهت كانت تضم جالية أندلسية كبيرة فحتى عبد الرحمن ابن رستم عين مجلس للشورى كان منهم مسعود الأنديسي و عثمان ابن مروان الأنديسي⁷ و هذا دليل على وجود الجالية الأندلسية. و كان التجار يسلكون طريقين إلى الأنديس طريق أول بري من تيهت إلى طنجة و سبتة

1- و هناك فرع آخر ينح من سطيف إلى بسكرة و منها إلى القيروان عبر بلاد الجريد، و يذكر القاضي النعمان أن هذا الطريق سلكه المهدي إلى سحلماسة، ينظر القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 152-129.

2- أي تتم في مراكز تجارية أخرى مثل زويلة و سحلماسة، و يكون التبادل بسلع محلية أو مستوردة أي قيام كل منها بدور الوسيط التجاري، ينظر أرشيبالد: المرجع السابق، ص 188.

3- الحبيب الجناحاني: تاهرت عاصمة الدولة الرسمية، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية عدد 40-43، تونس 1975، ص 35-40.

4- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 118، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 418.

5 - مدينة عظيمة مشيدة على أطراف الوادي الكبير الجامع لأودية الأنديس، و هي قاعدة الأنديس و دار الخلافة الأموية ومدينة العلم و العلماء، ينظر، ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول، تحقيق احسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981، ص 33.

6- عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 569، أهم مدن ألميرية: ألميرية، برجة، بيرة، لسان الدين بن الخطيب: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003، ص- ص 13-15.

7- محمد ابن عميرة، المرجع السابق، ص 118.

مرورا بمدينة تلمسان¹ و من ثم إلى الأندلس عبر مضيق جبل طارق² أما الطريق الثاني فهو طريق بحري حيث تنقل السلع من تيهروت إلى موانئ وهران و تنس و مرسى الحجاج و مرسى فروخ ومنها بحرا إلى الأندلس³ فقد كان الطريق البحري هو المساعد في اتصال تيهروت بالأندلس عن طريق ميناء فروخ على البحر الذي يواجه موانئ شاطية و تدمير⁴ و مرسى أقلة الأندلسية⁵ كما يذكر ابن حوقل أن تنس كان يقصدها الأندلسيون بمراكبهم و يقصدونها بمتاجرهم و ينهضون منها إلى ما سواها⁶ و من صادرات الأندلس إلى تيهروت: الحديد، الرصاص، النحاس، قصب السكر، الحرير، الياقوت الأحمر، الزئبق، القطن و هناك من يضيف الخدم الصقالبة و الجوارى الروميات و الأندلسيات⁷.

و كانت هذه السلع تستقر في تيهروت أو تنتقل إلى مناطق أخرى باعتبار أن تيهروت كانت مركزا تجاريا، أما صادرات تيهروت إلى الأندلس فقد تمثلت في مواد غذائية خاصة الحبوب، الغلال⁸، الأغنام⁹ و الخيول و المنسوجات الصوفية و التمور و بعض سلع بلاد السودان كالعييد والعاج¹⁰ و هكذا فقد ازدهرت التجارة بين المنطقتين خاصة و أن تيهروت كانت تقع على الطريق الرابط بين الأندلس و الشرق و هذا ما زاد في أهميتها الاقتصادية بالنسبة للأندلس و في مساهمتها في الحركة التجارية عموما.

1- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 88.

2- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 153، و سمي أيضا بجبل الفتح، لسان الدين: المصدر السابق، ص 263.

3- جودت عبد الكريم: نفسه، ص 155.

4- كورة بالأندلس: و هي شرقي قرطبة، سميت باسم ملكتها، تعد عن قرطبة مسيرة سبعة أيام بالنسبة للراكب، اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 193، الإدريسي: المصدر السابق، ص 281.

5- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص 207.

6- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 77.

7- ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص 92، ص 153.

8- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 78، و يقول صاحب الاستبصار عن مدينة تنس بأنها: "... منها يحمل الطعام إلى الأندلس" ينظر مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 127، الحبيب الجيلاني: المرجع السابق، ص 38.

9- مؤلف مجهول: نفسه، ص 178.

10 عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص 577، و أيضا: CH. Bekri: le royaume Rositomide : op. cit, p 17.

3- العلاقة التجارية بين تيهـرت و سـجلماسة: كانت العلاقة السياسية بين تيهـرت و سـجلماسة طيبة حسنة تربطها المصاهرة كما كانت العلاقة التجارية مزدهرة بفضل الطريق الذي يربط تيهـرت بتلمسان ثم سـجلماسة و هناك طريق آخر مباشر من تيهـرت إلى فاس ثم سـجلماسة¹. و رغم أن سـجلماسة كانت فقيرة زراعيًا إلا أن وقوعها في الطريق من المغرب الإسلامي إلى السودان جذب إليها سلع الشرق و منتجات الغرب، و هكذا فقد ربطت سـجلماسة بتيهـرت علاقة تجارية نشيطة أثـمرت بالنسبة للطرفين فعاشت سـجلماسة في جو يسوده الأمن و الاستقرار و ضمنت تدفق التجار إليها باعتبارها محطة على الطريق التجاري نحو السودان كما ضمنت تيهـرت الأمن لطرقها التجارية نحو السودان أيضًا².

4- العلاقة مع بلاد السودان: ارتبطت تيهـرت بالسودان اتصالًا تجاريًا و ذلك عن طريق القوافل التجارية نحو أقطار السودان الوسطى و الغربية و الشرقية فتصل إلى ساحل الذهب و ساحل العاج و تشاد و النيجر و نيجيريا و بلاد الداهومي و غانا و غينيا و مالي و ليبيرية³. و كان هذا الارتباط عبر طريقين رئيسيين:

الأول طريق غربي، عبر سـجلماسة⁴ و الثاني شرقي عبر ورجلان و كانت هذه الطريق من أصعب الطرق التجارية لوقوعها في منطقة حارة جافة لذلك كان السفر في أوقات معينة و هي فصل الشتاء⁵ و هناك العديد ممن أشاروا إلى معانات المسافرين إلى السودان من شدة الحر، حيث ذكر كل من القزويني و الحموي و البكري حكاية السودان بقولهم: " دخل أعرابي من اليمن يقال له

1- الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 41، أبو الفداء: المصدر السابق، ص 123، و يذكر ابن أبي ذرع أن هذا الطريق كان متعبًا مما دفع الإمام إدريس إلى بناء باب الفوارة، من جهة القبلة للجزء الأندلسي من فاس، و منها يخرج إلى سـجلماسة" ينظر ابن زرع: المصدر السابق، ص 20.

2- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 230.

3- هذه الأسماء جديدة أغلبها استعمال في الكتب القديمة فلا نجد فيها إلا اسمًا واحدًا لهذا القطر و هو السودان، ينظر محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص 346.

4- ذكر اليعقوبي أن الطريق تبدأ " من سـجلماسة لمن سلك متوجها إلى القبلة يريد أرض السودان " ينظر اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 360، و يؤكد ذلك الحموي بقوله: " أن التجار تسافر من سـجلماسة إلى مدينة في حدود السودان يقال لها غانة " ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج 2، ص 361، كما ذكر صاحب الاستبصار أنه بين " سـجلماسة و غانة صحراء مسيرة شهرين في رمال و جبال غير عامرة قليلة الماء " ينظر مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 201.

5- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 103.

أبو هلال تاهرت ثم خرج منها إلى أرض السودان مع ركب التجار، فأتى عليه يوم له وهج و حر شديد و سموم في تلك الرمال فنظر إلى الشمس مصحرة راكدة فقال: " أما والله لقد غرزت في هذه الرمال لطالما رأيتك ذليلة بتيهـرت"¹.

و كان تجار تيهـرت يصلون إلى السودان المنتوجات الصوفية و القطنية و الكتانية و أواني الزجاج و الملح و يستوردون من السودان الذهب و العاج و جلود الحيوانات² و كذا العبيد من أجل جعلهم خدما³، حيث كانت تيهـرت الرستمـية تسيطر على معظم منافذ الطرق المؤدية إلى السودان، و قد امتلكت تيهـرت عددا من القواعد الصحراوية التي تقع على طرق التجارة مع بلاد السودان خاصة وارجلان التي ارتبطت بها ارتباطا وثيقا و السفر منها إلى هذه البلاد كان كثيرا يقول ابن سعيد: "و السفر منها (وارجلان) في الصحراء إلى بلاد السودان كثير"⁴. وكان تجار تيهـرت يحملون المنتوجات الصوفية و القطنية و الكتانية و أواني الزجاج، و الفخار والخزف ذي البريق المعدني، و الملح إلى بلاد السودان لندرتهم عندهم فيبيعونه هناك بأسعار مرتفعة للغاية، ويعودون محملين بالذهب و العاج و جلود الحيوانات و كان أهل ورجلان يقدون هذه القوافل التجارية إلى بلاد السودان⁵.

و أشهر ممالك السودان التي كانت لها كانت لها علاقة وثيقة بأئمة تيهـرت، مملكة كوكو التي تقع في شرق نيل غانا الذي ينبع من بحيرة كوري (تشاد)⁶، و هي مملكة تبعد عن تيهـرت

1- القرويني: المصدر السابق، ص 169، الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 813، البكري: المصدر السابق، ص 67، للمزيد عن هذه الحكاية ينظر: سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص ص 30-31.

2- مبارك الملي: المرجع السابق، ص 75.

3- يقول جودت عبد الكريم أن من العبيد كان رخيصا لكثرة عددهم و أن قيمة العبد لم تصل قيمة حصان، ينظر جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 226.

4 - ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1970، ص126.

5- الإدريسي: المصدر السابق، ص120، محمد علي دهبوز: المرجع السابق، ج3، ص347.

6 - ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص93.

مسافة ثلاثة أشهر سيرا تقريبا¹، و قام لها محمد بن عرفة و قد أعجب الملك بعظمة هذا السفير الرستمي الذي جاء يحمل هدايا أفلح بن عبد الوهاب. و قد علق ابن الصغير عن إعجاب الملك السفير، فقال: "و عجب ملك السودان ما أراه من هيئته و جماله و فروسيته إذ ركب الخيل فهز بيده (محمد بن عرفة) و قال له ملك السودان كلمة بالسودانية معناها أنت حسن الوجه و الهيبة والفعال².

و قد ظهرت آثار الإتصال بين تجار تيهـرت و أهالي هذه البلاد واضحة في سلوكهم و ملابسهم و طرق معيشتهم و تجارهم، و أهل كوكو يلبسون القداوير (الجبب) و الأكيسة و على رؤوسهم الكرازي و حليهم الذهب و خاصتهم يلبسون الأزرق و هم يداخلون التجار و يجالسوهم و يبضعوهم بالبضائع على جهة المقايضة³.

و كما حمل تجار تيهـرت هذه الألوان الحضارية، حملوا معهم الإسلام إلى هذه الجهات، و كثيرا ما كان يرافق القوافل التجارية عدد من فقهاء المسلمين الذين خالطوا أهل بلاد السودان و تركوا فيهم آثارا بعيدة المدى، و بطبيعة الحال كان الأثر الذي تركه التجار المسلمون في نفوس الأهالي أكثر بكثير من المذهب الذي كانوا يحصلون عليه، و تعتبر جهود هؤلاء الفقهاء الأسس التي قامت عليها دولة مالي الإسلامية التي كان غالبية سكانها مسلمين لهم مساجدهم و فقهاؤهم.

1 - الإدريسي: المصدر السابق، ص- ص 44- 45، صلاح الدين المنجي: المرجع السابق، ص- ص 103- 110.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص31، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص240.

3- الإدريسي: المصدر السابق، ص45، سليمان الباروني: نفسه، ص نفسها، جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص- ص 248- 249.

و قد ظهرت في هذه المناطق بعض المـوثرات الإباضية التي تركها تجار الإباضية تمثـلت في بعض من شاهدهم ابن بطوطة من إباضية الخـوارج في بلاد السودان¹، و صاحب انتشار الإسلام اللغة العربية، فكان الكثير ممن يتكلمون أو يحيدون الحديث باللغة العربية إلى جانب لغتهم الخاصة².

ارتبطت تيهـرت أيضا بعلاقات تجارية مع مصر خاصة و أن حدود الرستميين كانت تصل شرقا إلى سرت و وجد في مصر الكثير من الإباضية و قد أعجبت مصر بحضارة الرستميين و عدل أئمة تيهـرت، لذلك فقد تدفقت القوافل التجارية نحوها محملة بالسلع الرسمية³، و من جهتها كانت قوافل تيهـرت التجارية تجوب صحراء سرت ذهابا و إيابا بين المدن الرسمية في المغربين، الأوسط و الأدنى و بين مصر محملة بالسلع، و قد كانت هذه القوافل تؤمن من طرف الأئمة الرستميين، فكانوا يرسلون إليها قادة يجيرونها، مثلما قام به أبو حاتم لحماية قوافل آتية من المشرق⁴ و قد كانت القوافل التجارية تأتي من بغداد و البصرة إلى بلاد المغرب، مارة بالأنبار و هيت و الرقة و حران و الرها و حلب و دمشق و الإسكندرية، و منها إلى برقة ثم إلى تيهـرت فباقي المدن الرسمية.

ثالثا - نظام المبادلات التجارية:

و قد استخدمت تيهـرت الرسمية عددا من النظم في تجارتها الخارجية نـميز منها:

1- النقود: خدمت النقود الحركة التجارية و سهلت عملية التبادل التجاري و لم يكن اختلافها بين الدول الإسلامية عائقا، إذ أن نفوذ دولة ما كانت مقبولة في الدول الأخرى، و لعل ما يؤكد هذا هو تلك النقود التي بعث بها محمد بن عبد الرحمن أمير قرطبة، و التي قدرت بمائة ألف درهم، إلى الإمام أفلح بن عبد الوهاب⁵ و كذلك دفع زيادة الله الأغـلبي بكيس فيه ألف دينار إلى الخليفة المأمون، و كانت هذه الدنانير مضروبة باسم - إدريس -.

1 - ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 67.

2 - محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 213، صلاح الدين المتحد: المرجع السابق، ص 62.

3 - عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج 2، ص 573، محمد عمرو الطمار: الروابط الثقافية، المرجع السابق، ص 99.

4 - ابن الصغـير: المصدر السابق، ص 91.

5 - ماريا حبسوس: المرجع السابق، ص 71.

و بهذا فعل المرجح في مسألة قبول النقود الأجنبية، اختلاف السكة في الوزن، فالتجار كانوا يجنون وزنا لا عددا، و كان لزاما على التاجر، أن يحمل نقوده معه في ترحاله، و هذا ما يعرضه للغزو و قطاع الطرق، إلا أن هذا الأمر خفت حدته بوجود الصيارفة¹.

2-الصيارفة: أشار ابن الصغير إلى وجود الصيارفة في تيهريه و منهم أبو محمد الصيرفي في القرن الثالث، و هي دلالة كافية و شافية على وجودهم بتيهريه، و الأوساط التجارية² حيث أن المصرفي كان له ضلع كبير فهذه المهنة - الصرف و الصيرفة - تدل على وفرة السائل النقدي وتنوعه، الأمر الذي يطلبه صيارفة لاستبدال العملات ببعضها البعض، أو تقييم أوزان بعضها الآخر، و فرز المغشوش منها عن صحيحها³ و هذا يمثل أرقى مظاهر النشاط التجاري و التقدم الاقتصادي و قد استفادت تيهريه خاصة و الرستميون عامة اقتصاديا و اجتماعيا من تجارتهم مع السودان خاصة أهم أفادوا العالم الإسلامي، و ساهموا في تزويده بالمعدن الثمين و بهذا حتى الرستميون أطيب الثمار، حيث ذكر ابن الصغير، أن سكان تيهريه علت وجوههم سماء الحضارة و الرفاهية، و بدت في محياهم آثار النعمة و الغنى و لعل ما زاد في هذا الازدهار الاقتصادي، هو صك الأئمة الرستميين للعملة⁴، و مساهمتها في إنعاش الأحوال الاقتصادية، ضف إلى موقعها الجغرافي، إذ تعتبر جسرا و معبرا و ملتقى القوافل التجارية⁵ من جميع الجهات، حيث أنها كانت تستورد السلع والبضائع من بلاد معينة، لتصديرها إلى بلاد أخرى، فلم يكن الذهب المألوف من بلاد السودان، يستقر كله في تيهريه و المغرب الأوسط و مثله العبيد، بل كان يعاد تصدير بعضه إلى الخارج، و تتحقق فوائد و أرباح من وراء ذلك.⁶

إن ما تستشفه من خلال تعرضنا لمظاهر العلاقات و المبادلات التجارية بين تيهريه والدول المجاورة لها هو على الرغم من سوء العلاقات السياسية بين تيهريه و سجلماسة، و بين بغداد والقيروان و فاس، إلا أن قوافل التجار كانت تجتاز بلاد المغرب إل سجلماسة التي غصت

1- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 236.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 38، ص 39.

3- نفسه، ص 39.

4- نفسه، ص 39.

5- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 212.

6- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 245.

بالعراقيين من بغداد و الكوفة و البصرة، و كانت هذه القوافل تحمل السلع إلى هذه البلدان، ثم تعود محملة بالمتاجر السودانية في صحبة أهل محلماسة و بالتالي انتقل إلى تيهرت أهل الأموال و التجار من مصر و افريقية و المغرب¹ و وفد إليها جماعة من الأندلسيين، و سكنها التجار المسيحيين²، و المسلمون و اليهود و أصحاب المذاهب و السنية و المعتزلة و غيرهم³ بحيث أقاموا فيها، فكانت لهم منازلهم و مساجدهم و فنادقهم و أسواقهم⁴.

لقد كانت تيهرت قوافل منظمة إلى السودان، و غيرها من الأقطار الشرقية كمصر و غيرها، تذهب معبأة بالصادرات و ترجع مثقلة بالواردات⁵، و كانت تيهرت موصولة بشبكة من الطرق التجارية لكل الجهات، فازدهرت التجارة و الصناعة فيها كل الازدهار، فأحملت القروان و غيرها من قواعد المغرب فصارت هي السوق العالمية في افريقية⁶.

و بهذا عرفت التجارة الخارجية ازدهارا واسعا عاد على تيهرت و الدولة الرستمية عموما بالرخاء الاقتصادي و الاستقرار و الرقي التجاري.

1- الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص 35.

A. Iaraoui: l'histoire du maghreb, op. cit, p 104.

- 2

3- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 35.

4- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 207.

5- محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص 281.

6- نفسه، ج3، ص نفسها.

الفصل الثالث

المظاهر العمرانية و الفكرية في تيمهرت الرسمية

المبحث الأول: خطا المدينة و تطورها

المبحث الثاني: البنية العمرانية لمدينة تيمهرت

المبحث الثالث: الحياة الدينية و الفكرية في تيمهرت

المبحث الرابع: معالم تائر و تأثير تيمهرت الحضاري

المبحث الأول: خطط المدينة و تطورها

أولا- تطور مدينة تيهرت قبل العهد الرسمي:

مرت مدينة تيهرت بمراحل عديدة منذ نشأتها، وعبر مراحل تاريخها القديم والوسيط لأن تيهرت من أقدم مدن المغرب الأوسط، عرفت الاستقرار البشري منذ العصور القديمة¹، ويتضح ذلك من خلال الحفريات و الأبحاث التي أجريت عليها من قبل بعض الباحثين الغربيين على وجه الخصوص، ومنها:

* حفرة جورج مارسيه و دوسوس لامار²:

لقد قاما بما عام 1941 و أسفرت عن اكتشاف مباني و مطامير و قطع فخارية وخزانات للمياه، كما أعطت لنا تخطيطا لقصة الأمير، إلا أنها كانت أبحاثا سطحية لم تكن نتائجها كبيرة من الناحيتين التاريخية و الأثرية حيث انتهت إلى وصف و جرد ما عثر عليه.

* حفرة كدنا³ Cadenat:

عرفت هذه الحفرة جدية أكثر وشمولية، قام بها كدنا سنة 1979 و عمد إلى سير في مناطق مختلفة من الموقع، بعدد 5 أسبار شمل إثنان منها الجانب المعماري، حيث أعطى لنا تخطيطا لما تحصل عليه من بقايا معمارية بينما شمل الثلاث الباقية الجانب الصناعي، أي الأفران والقطع الفخارية مع بعض من الأدوات التي عثر عليها و كمية قليلة من النقود، وكانت دراسته أكثر دقة حيث حاول دراسة كل نوع على حدى من مباني إلى فخار وزجاج وحلي، و لكونه مختصا في مراحل ما قبل التاريخ فلم يتمكن هذا الباحث من إعطاء تحليل كاف، و اقتصر على الوصف والإحصاء فقط.

1 - مختار حساني: المرجع السابق، ص 285.

2 - G.Marcais et L.Dessus : Tahert Tagdamt, Revue Africaine, tome XI, 9^{eme} année, Alger, 1946, p – p 26- 56.

3 - P.Cadenat : recherche à Tihert Tagdemt, Bulletin d'archeologie Algerienne, T. VII, 1977- 1979, p – p 393- 463.

* حفرة تريبيزي¹ Tribuzi:

قام بها سنة 1979 ضمن أبحاث عن الأماكن المحصنة في الجزائر في القرون الوسطى، فكانت تيهرة أول موقع حظي بهذه الأبحاث، وكانت هذه الحفرة أكثر دقة و موضوعية من سابقاتها لاستعمالها الوسائل الحديثة و تحديد موضوع البحث الذي اقتصر على العمارة الرسمية في تيهرة الرسمية، اعتمد الباحثون في هذه الحفرة على الخرائط و الصور الجيولوجية، فتوصلوا إلى تحديد القسبة معماريا وإعطاء وصف لكل جانب مع وضع بعض الفرضيات بالنسبة للأسوار والمواد المستعملة، ولقد أعطينا هذه الحفرة معلومات مهمة عن هذا الموقع، خاصة الجانب العسكري².

وهذا ما جعل بعض الرحالة يرجعونها إلى عصر العماليق من خلال بقايا لعظام بني آدم طول قسبة الساق 6 أشبار دون المفاصل، وبها رؤوس تحتوي على بعض الأضراس، الضرس منها أكبر من ثلاثة أشبار و وزنها ثلاثة أرطال³، وعلى الرغم مما نُجده في هذا النص من مبالغة في وصف تلك العظام، إلا أنه يؤكد لنا أن تيهرة عرفت استقرارا للسكان منذ العصور القديمة، فقد تم اكتشاف نقوش صخرية و هي بقايا قطع قديمة على امتداد نهر واصل أو نهر مرجيحة وكدية بوغرة وسيدي الحسني تعود للعصر الحجري القديم⁴، كما تم اكتشاف قطع قديمة استعملت لأغراض متعددة منها الكاشطات و النحاتات و أدوات الصيد إضافة إلى بقايا الإنسان البدائية في عدة مناطق كسيدي الحسني، قرطوفة، دحمري تعود للعصر الحجري الوسيط⁵، وتم أيضا اكتشاف منحوتات صخرية بكاف بوبكر تعود للعصر الحجري الأخير (أو الحديث 8000 ق.م)⁶.

فالأثار القديمة التي تم اكتشافها تعود إلى العهد النيوليتيكي وهي عبارة عن نقوش على

الصخور على بعد بضعة كيلومترات شرق المدينة والتي تشبه النقوش التي وجدت في فزان جنوب

1 - S.Tribuzi et autres : Les places fortes de L'Algerie médiévale, centre de recherche en architecture et en urbanisme, Alger, 1978- 1979.

2 - و للإشارة فإن موقع تيهرة عرف بعض المحاولات للبحث، إلا أنها ارتبطت أكثر بالفخار لاتباع الباحثين في دراسة الصخر دون الآثار الأخرى.

3 - مختار حساني: المرجع السابق، ص 285.

4 - الموقع الإلكتروني: 2004/2005 www.univ-tiaret.org

5 - الموقع الإلكتروني نفسه.

6 - أحمد سليمان: المرجع السابق، ص 185.

المغرب، وهي عبارة عن صور لحيوانات منقرضة حاليا، أو انتقلت لمناطق أخرى، و تجمعات بشرية تعبر عن طقوس دينية اعتقادية بدائية¹، وفي منطقة قرطوفة على حافة الطريق إلى مستغانم، يوجد أحد أهم المواقع الأثرية، وهو عبارة عن صخرة ضخمة مسطحة بها ثلاثة أحواض تتصل فيما بينها بسواق يطلق عليها صخرة القربان أو النصب الحجري القديم². و من أهم العهود التي عاشتها تيهرت قبل الرومانيين:

أ/ العهد الروماني:

أما الرومان فحصدوا الموقع و أسسوا فيه قلعة في أعالي المدينة، سميت تينغارتيا الذي يعتقد أنه كان مقاطعة أسقفية بين القرنين الرابع و الخامس الميلاديين، و كان الرومان يسيطرون على هذه المناطق و المواقع الحساسة لتكون نقطة لانطلاق توسعاتهم العسكرية³، لأنها من المراكز الهامة و الحصون المنيعة، فكانت تتميز بعلو أسوارها، وهذا ما حال دون السيطرة عليها من قبل عقبة بن نافع في المرة الأولى⁴.

وفي بداية القرن الثالث الميلادي و بالضبط في عهد الإمبراطور سيبتيم سيفير⁵ تحققت السيطرة الرومانية و ما يؤكد ذلك، اللوحة الحجرية التي تحمل كتابات رومانية تعبر عن إهداء إلى إله الرومان من طرف فيروس⁶.

و في بداية القرن الخامس الميلادي كان الإحتياح الوندالي لشمال إفريقيا، ورغم عدم وجود أدلة على هذا الإحتياح للمنطقة، لكن من المؤكد أن هذا التحول لم يكن بدون آثار

1 - حبيب خنقار: المرجع السابق، ص4.

2 - نفسه، ص نفسها.

3 - M.Fabre : note sur la ville romain de tiaret, société géographique d'archéologie la province d'oran, fondée en 1878, tome22, 1902, p.46.

4 - مختار حساني: المرجع السابق، ص285.

5 - هو امبراطور روماني، حكم في الفترة ما بين 161م- 180م، لقب بالإمبراطور الفيلسوف لتأليفه (التأملات الفلسفية) أو (مناجاة النفس)، عبد اللطيف أحمد علي: الإمبراطورية الرومانية، طبع بمكتب كريدية إخوان، 1976 ، ص 317.

6 - إسمه ليكوييس فيروس و شقيق سيبتيم سيفير بالتبني و عهد إليه بقيادة الحرب ضد بارثيا، عبد اللطيف أحمد علي: المرجع نفسه، ص319.

تدميرية و تخريبية لهذا الإقليم¹، و في منتصف هذا القرن (533م) تمكن اليونانيون من طرد الويندال في عهد بيليسير²، و لكنهم لم يحكموا سيطرتهم على المنطقة مما سمح بظهور عمالك بربرية و التي ما زالت قبورهم بالمرتفعات القريبة من تيهرت هي التي تعرف بالأجدار³.

و أهم ما توصلت إليه الباحثة فاطمة قدرية قادرة، أن في القرن الخامس الميلادي كانت حدود السيطرة الويندالية و البيزنطية مجهولة و غير محددة و محدودة، خاصة بعد تراجع السيطرة الرومانية و استقلال مناطق كثيرة مثل نوميديا الغربية و موريتانيا في سطيف و موريتانيا القيصرية و أغلب منطقة تينجيتان، كانت خارج السيطرة الويندالية⁴.

و من المؤرخين الذين تحدثوا عن الممالك البربرية المؤرخ بروكوب⁵ الذي أرخ للحملات التي قام بها البيزنطيون ضد القبائل البربرية بعد نهاية التواجد الويندالي، و حسب المؤرخ بروكوب فإن المملكة التي عرفت إنجازات معمارية هي مملكة ورسنيس أي الأجدار حاليا و كانت تحت حكم ماستيناس أو ماستيغاس⁶، و جاء بإسم ماسيناس قائد قبائل موريطانيا⁷.

و يجمع الكثير من الباحثين على أن مدينة فرندة⁸ كانت حصنا رومانيا إلى جانب قلعة

1 - حبيب خنفار: المرجع السابق، ص6.

2 - هو جنرال بيزنطي: كان قائدا للجيش في عهد جوستينيان الأول الذي أرسله على رأس حملة عسكرية سنة 533م إلى شمال إفريقيا ضد الوندال، عبد اللطيف أحمد علي: المرجع السابق، ص319.

3 - على بعد 15 كلم شرق مدينة فردة، و هي مشتقة من الجندل أو الجدران، و أول من استعمل هذه التسمية هم المكتشفون العسكريون الفرنسيون منذ سنة 1843، ينظر: Fatima Kadaría Kadra : les djedars Monuments Funéraire berbères de la région de frenda O.P.U.1983.p8.

4 - Ibid, p – p 7- 8.

5 - هو مؤرخ بيزنطي إسمه بروكوبيوس، عاش ما بين 500 و 562م، مؤلف كتاب "تاريخ حروب جوستينيان"، ينظر:

G.pascal : Nouvelle Encyclopédie Bordas, T.2,Ed, Bordas, paris, 1985, p4472.

6 - F.Kadaría Kadra : op.cit, p – p 354- 355.

7 - Ernest Mercier : histoire de L'afrique septentrionale (berbères) depuis les temps les plus recules jusqu a la conquete Française, T1, Ed Ernest leroux, 1888, p 151.

8 - فرنلة: تقع على بعد 45 كلم غرب تيهرت، و هي كلمة بربرية مركبة من "فرن" بمعنى احتفى و كلمة "دا" بمعنى هنا أي احتبوا هنا أو تعود إلى كلمة "إفري" بمعنى المغارة أو المغارات، حبيب خنفار: المرجع السابق، ص9.

تاوغروت¹ و حصون أخرى في إطار استراتيجية دفاعية عن مدينة سيبية² الرومانية القديمة.

ب/ العهد الإسلامي:

وصل الإسلام إلى المنطقة على يد الصحابي الجليل عقبة بن نافع -رضي الله عنه- بعد استعادة ولايته سنة 62هـ/682م، حيث صمم العزم على إتمام الفتح، فتوغل في شمال شرق البلاد و استولى على ليس ثم بغايا، ثم تيهرت³، و يقول الشيخ الدباغ في هذا الصدد: "و كان بها حصن بيزنطي قديم اقتتل فيه العرب و الروم و الأفارقة و انتصر المسلمون و فتحت تاهرت و نزل بها الصحابي الجليل عقبة بن نافع و منها اتجه نحو تلمسان و المغرب الأقصى"⁴.

و من بين الذين تعرضوا لهذه المعركة، المالكى الذي قال: "أنه عندما وصل عقبة من تيهرت استغاث الروم بالبربر فأجابوهم و ناصرهم"⁵، و عندما توافدت قراهم على حصون البيزنطيين، قام عقبة بن نافع و قال: "إن أشرافكم و أعياركم الذين رضي الله تعالى عنهم و انزل فيهم كتابه بايعوا إلى يوم القيامة و هم أشرافكم و السابقون منهم إلى البيعة باعوا أنفسهم من رب العالمين بيعة رابحة و أنتم اليوم في دار عربة، و إنما بايعتم رب العالمين و قد نظر إليكم من مكانكم و لم تبلغوا هذه البلاد إلا طلبا لرضاه و اعتزازا لدينه بما أبشروا فكلما كثر العدو كان أحزى لهم و أذل إن شاء الله تعالى"⁶.

أما الرقيق القيرواني فيستعرض أحداث هذه المعركة بقوله: "لما بلغ الروم خبره (أي مقدم

عقبة بن نافع) استعانوا بالبربر فأعانوهم و نصرهم غير أنهم لم يكن لهم بقتالهم من طاقة فولوا

1 - تاوغروت: من أهم المعالم الأثرية في المنطقة، استعملها الرومان كحصن أو قلعة في عهد الإمبراطور سيبتيم سيفير و كانت خلوة بن خلدون فيما بعد، ينظر، عبد اللطيف أحمد علي: المرجع السابق، ص321.

2 - هي "عين سيبية": كانت أحد الطرق الحدودية المتقدمة للرومان، تمر من جنوب منطقة بوغار في المدينة حتى كويلوماتا حانيا سيدي الحسني في شمال شرق تيارت و تمر جنوب هذه المدينة إلى نواحي فرانة أين يوجد حصن عين سيبية أو أويديم سان و معناها المكان المحصن أو المدينة المحصنة، ينظر، حبيب خنتار: المرجع السابق، ص10.

3 - إبراهيم بحار: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص123، عبد الرحمن الجليلي: المرجع السابق، ج1، ص128.

4 - الدباغ: المصدر السابق، ج1، ص35، الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص130.

5 - المالكى: المصدر السابق، ج2، ص26.

6 - نفسه، ج2، ص136.

هارين فقتلهم قتلا ذريعا و فر جميع الروم من المدينة (أي تاهرت) و قتلوا حيث أدركوا¹.
إن وجود تجمعات سكانية رومانية قبل مجيء العرب الفاتحين دفع بعض المؤرخين إلى ترجيح وجود إمارات لها مثلما ادعى المؤرخ "كاركوينو" وجود أسرة حكمت ناحية تيهيرت في القرنين 5 و 6 الميلاديين و التي استدل على اعتناقها النصرانية بمعالم ثلاثة عشر جدارا (أي قبرا) في التعبير المحلي²، و لقد كانت تابعة لإمارة وهران التي تعتبر تيهيرت امتدادا لها، ذلك أن تلك الأجدار كانت بها علامات تدل على نصرانية أهل ذلك الزمان حيث تحمل إسم الماصونة و هذا الإسم قريب من ماسينيسن و يحتمل أن يكون قد أصبح لقبا بعد أن كان إسم شخص³.

نستنتج أن مدينة تيهيرت عرفت استقرار الإنسان منذ أقدم العصور ابتداء من ما قبل التاريخ من خلال الصور الجدارية لكاف بوبكر إلى الفترة الإسلامية مروراً بالفترة القديمة من خلال آثار سيدي الحسي، عين السبية... تاركة لنا مواقع عديدة ترجع إلى هذه الفترات، و لقد اعتبرت فترة الفتح الإسلامي هي الفترة الحاسمة في بروز المنطقة على مسرح الأحداث بشكل لافت إلى تاريخ هذه المنطقة.

ثانيا- أصل التسمية و معانيها:

لقد عرفت مدينة تيهيرت⁴ تسميات عديدة تناقلتها المصادر التاريخية و المراجع من أهمها اسم تيهيرت⁵ و هو السائد في معظم المصادر، و نجد أيضا اسم المعصومة و القصبة، و أطلق عليها

1 - الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص- ص 43- 44.

2 - عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ج1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط5، 2000، ص51.

3 - نفسه، ص113.

4 - لقد اختلف المؤرخون في كتابة هذا الإسم فهناك من يكتب "تاهرت" كالبلاذري و يعقوبي و ابن حوقل و الإدريسي و ياقوت الحموي و ابن خلدون، بينما يرى البعض أنه من الأصح كتابتها "تيهيرت" و من أشهرهم البكري و ابن الصعر الذي عاش في الدولة الرسمية، يقول أبو الفداء في ذلك: "و في خط ابن سعيد عوض الألف ياء مثناة من تحت و هو الأصح عندي لأن ابن سعيد المغربي فاضل"، تقوم البلدان، تصحيح وينود و آخرين، دار الطباعة السلطانية، ص138، باريس، 1840، أما جورج مارسيه و دوسوس لامار فيرجحان إسم "تاهرت". من خلال هذا العرض و باعتبار ابن الصعر من المصادر الأولى للدولة الرسمية، نرجح أن يكون إذن اسم "تيهيرت" أصبح من اسم "تاهرت".

5 - أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص88.

أيضا اسم أم العسكر¹ و العسكر المبارك، و قلعة عبد الرحمن أما في فترة عبد الوهاب بن عبد الرحمن فسميت بالعسكرية²، و يقول الشماخي: "و كانت تيهيرت مدينة عظيمة بناها عبد الرحمن بن رستم في موضع مربع، لذا سميت تاقدمت و تفسرها الدف"³

نشير إلى أن اسم تيهيرت الذي عرفت به المدينة اختلف الباحثون في أصله و معناه الحقيقي، و تضارب العلماء في مصدره و إلى أية لغة يمكن ارجاعه، فذهب الباحثان إليس راكلس و ماك كرتي⁴ أن تيهيرت كلمة بربرية و تعني بالنسبة له "محطة" و قد يكون لهذا التعريف صلة بوجود محطة قطار تعود للفترة الإستعمارية أو لكونها مثلت محطة و ملتقى القوافل التجارية القادمة من مختلف الاتجاهات من تونس شرقا و من فاس و تلمسان و غيرها غربا و الصحراء جنوبا، ولا شك أن تيهيرت لعبت هذين الدورين منذ العهد الروماني فالرستمي حتى يومنا هذا، و هما بشيران بوضوح إلى دور تيهيرت التجاري بين الشمال و الجنوب و الشرق و الغرب⁵، بينما الأب دوفوكو⁶، فيرى أن كلمة تيهيرت جذرها بربري وهو "إهر و يعني "سد الفتحة" في حين يلاحظ بلكران⁷ أن كثيرا من أسماء مدن الجزائر هي مؤنث لأسماء حيوانات فاسم الأسد يوجد في البربرية في حالتين جذرها (آر) و بجمع (إرن) - (إرد) و بجمع (إردن) تأنيثه (ترت) أو تيهيرت قد يكون لهذا التفسير علاقة مع الأسطورة التي تذكر أن عند تحضير الأرض للبناء "نادى مناد بسباعها ووحوشها و هوامها أن أخرجوا فإننا أردنا عمارة هذه الأرض فأجلوها ثلاثة أيام⁸، و بلغنا أهم رأوا ووحوشها تحمل أولادها خارجة بها منها و قبل رأوا لبوة حاملة أولادها خارجة منها فقد يكون لهذه الأسطورة أثرها في تفسير بلكران خاصة إذا علمنا أنه التفسير المتداول بين الناس حاليا في المنطقة و غيرها لذا رجحنا هذا التفسير عن غيره، لكن مهما يكن من أمر فإن المدينة عرفت

1 - G.Dangel : op.cit, p246.

2 - Ibid : p246.

3 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص- ص 146 - 147.

4 - أنظر (نقلا عن الباحثين): Brahim Zerrouki : L'imama de tahert, p28.

5 - ابراهيم محاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص90، علي كبريت: المرجع السابق، ج1، ص61.

6 - أنظر نقلا عن (Père de Foucault): Brahim Zerrouki : Idem

7 - Pellegrin.A : Essai Sur Les Noms des Lieux D'Algerie, p 49.

8 - أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص53.

شهرتها بعمارها و ازدهارها لا بما تحمله من معان لأسمائها، فابن خلدون مثلاً ذكرها بتاهرت دون أن يعلق على هذه الصيغة و كذلك الأمير عبد القادر ما عدا مرتين باسم تيارت¹، أما ابراهيم بحاز و هو من المحدثين فيرى أن الصيغة الصحيحة هي تيهرت و أنها حرفت بمرور الزمن².

ثالثاً - بناء المدينة تيهرت:

عرف المغرب وضعية سياسية حادة فرضت على الإباضية إقامة مدينة تكون حرزا و حصنا لهم، فخرجت طائفة من مختصي علم الأرض ليرتادوا موزعا صالحا لإنشاء هذا المشروع الكبير المتمثل في بناء مدينة خاصة بهم فاخترت موضع تيهرت، و لا يوجد هناك تاريخ محدد لبناء هذه المدينة، رغم أن بعض المصادر قد جعلت من سنة 144هـ³ ابتداء بنائها، و ذكر الرقيق القيرواني أن عبد الرحمن قد وصل تيهرت منهزما ما إثر حصار طينة⁴ سنة 154هـ/771م⁵، و هذا يعني إما أنها كانت قائمة في هذا التاريخ أو أنه يقصد أن عبد الرحمن قد وصل إلى حيث قامت

1 - تيارت: هي تسمية حديثة بدأ في استعمالها منذ الفترة الإستعمارية الحديثة و هي نطق لحجي جاء من الكتابة الفرنسية للكلمة حيث كانت على النحو التالي (Tiharet)، و حيث أن (H) لا تنطق عند الفرنسيين، لذا كان نطقها لديهم تيارت، فأخذ الجزائريون عنهم هذا النطق بسبب المعاملات الإدارية و الإستعمارية و الكتابات على الألواح و الإعلانات، ينظر، علي كبريت: المرجع السابق، ص61، حبيب خنفار: المرجع السابق، ص3، و يذكر الباروني أنه رأى عملة نحاسية صغيرة لا إقنان في نقوشها فوقها ورقة فيها هكذا (تأقدمات 1255) و بحسبها ورقة أخرى فيها إسم الأمير عبد القادر... و قد بنى تيهرت بعض بناء لما نوى أن يجعلها مركزا لحكومته، و لم يطل أمره و لعله ضرب تلك العملة، ينظر، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص36.

2 - ابراهيم بحاز: المرجع السابق، ص81، أحمد بوزيان، تيارت عاصمة الدولة في عهد الرستميين، عهد بني توجين، عهد الأمير عبد القادر، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص- ص 12-13.

3 - حيث يقول السكري: في صفر سنة أربعة و أربعين و مئة هرب عبد الرحمن بأهله... و اتفقوا على تقديمه و بنين مدينة بجمعهم، فزلوا موضع تاهرت اليوم"، البكري، المصدر السابق، ص68.

4 - طينة: هي أعظم مدن الزاب القديمة، سكنها أختلاط من قريش و العرب و المعجم و الأمازيغ و الروم، و كان أبو جعفر عمر بن حفص المهدي هو الذي جدد بنائها حوالي سنة 153هـ ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج5، ص31، البعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص89.

5 - ابراهيم الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص143.

تيهت فيما بعد¹، لكن المؤكد أن هذه للمدينة تأسست في سنة 160هـ، أي السنة التي تم فيها انتخاب عبد الرحمن بن رستم إمام على رأس الدولة الرستمية².

و كانت المنطقة كما تشير إليها المصادر عبارة عن رياض لا عمارة فيه³، فحضر الموقع للبناء حيث تسرد علينا المصادر الإباضية أسطورة ارتبطت ببناء مدينة شأنها شأن المدن الإسلامية في تلك الفترة و هي قصة عجيبة أشبه بقصة عقبة بن نافع⁴ في بناء القيروان، حيث كان موعدها موضعها مليئا بالأشجار الكثيفة يسكنها أنواع السباع و الوحوش⁵، حيث يذكر الدرجيني أنهم لما أرادوا عمارتها أمروا مناديا ينادي بسباعها و وحوشها و هوامها أن اخرجوا فإننا أردنا عمارة هذه الأرض فأجلوها ثلاثة أيام و بلغنا أنهم رأوا و حوشها تحمل أولادها خارجة بها منها⁶.

هذه الرواية تشبه إلى حد كبير أسطورة بناء القيروان، و الأمر المقبول أن الإباضيين قاموا بتنظيف المكان فأشعلوا النيران من أجل حرق الأعشاب و الأشجار و ربما كان ذلك سببا معقولا لهروب السباع و الحيوانات المفترسة، فأحرقت الأشجار و جعلوا في جذورها الحيس فجاءها الخنازير ليلا مقتلعة لتلك الجذور من أجل أكل الحيس، و هكذا حضرت أرضا لعمارها⁷. و ينفرد البكري دون غيره بذكر أن الإباضية في أول الأمر قرروا عمارة تيهت العليا أو القديمة، إما

1 - و هذا ما نفهمه من خلال كلام البكري: "...و نزل عبد الرحمن موضعا مربعا لا شعراء فيه، فقالت البربر: نزل تاهرت وفسره الدف لتريعه"، أي أن إسم تيهت لم يكن موجودا قبل نزول الإمام بهذا المكان بل كان إسما لتيهت القديمة،

البكري: المصدر السابق، ص 68، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 36.

2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص - ص 40 - 41.

3 - البكري: المصدر السابق، ص - ص 67 - 68.

4 - عقبة بن نافع: هو عقبة بن نافع الفهري، بعثه معاوية إلى إفريقية في عشرة آلاف مقاتل فافتحها و اختط القيروان، و كان موضعها عيضة لا ترام من السباع و الحيات، فدعى الله تعالى فبدؤوا يخرجون منها بأولادهم من الأوكار و من ثم قام بسائها وبقى فيها حتى غزا أقواما من البربر و الروم فقتل شهيدا رضي الله عنه، ابن الكثير: البداية و النهاية، المصدر السابق، ج 8، ص 217.

5 - الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 139، محمود السيد: المرجع السابق، ص 147، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 37، أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 20، و أيضا: Abdallah laroui : L'histoire du magreb (un essai de synthese) tome1, petite collection maspero, paris 1976, p104.

6 - الدرجيني: المصدر السابق، ص 140، أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 39، الشماخي: نفسه، ص نفسها.

7 - البكري: المصدر السابق، ص 67.

لتوسيعها أو تحصينها، فكانوا كلما بنوا ليلا وجلوه قد تهدم في الصباح فعزفوا عن ذلك الموضع و توجهوا إلى تيهرت السفلى أو الحديثة على خمسة أميال جنوب غرب القديمة¹، و هكذا أجاد البكري عن تساؤلات عديدة عن سبب عزوف بن رستم عن تيهرت القديمة خاصة و أنها توفر له وقتا أقل و موقعا محصنا. و لما استوت الأرض فكروا في البداية في تأسيس المسجد الجامع فاقتنعوا لذلك أربعة مواضع و شرعوا في بنائه²، ثم اختطوا المدينة دورا و قصورا و بيوتا³.

فكان المسجد من أربع بلطات و قطعوا خشبه من تلك الشعراء⁴، و قاموا ببناء المدينة من الخشب و الطين و غرس البساتين و إجرء الأنهار و غير ذلك⁵، و اتسعوا في البلاد و تفسحوا فيها، و أنتهم الوفود و الرفاق من كل الأمصار و أقاصي الأقطار، فقلما يتزل بهم أحد من الغرباء⁶ إلا استوطن معهم، و ابثنى عندهم لما يرى عندهم من رخاء البلد و حسن سيرة الإمام وعدله في رعيته و أماناته على نفسه، و لعل ما دل على ذلك الديار من مختلف الربع، فنجد هذه الدار لفلان كوفي و أخرى لفلان بصري و تلك لفلان قروي⁷، و لهذا أصبحت في فترة وجيزة مدينة عامرة بالناس متجهة نحو التطور و الازدهار.

و ما يلاحظ عدم وجود دار الإمارة حيث أن الوفد البصري عندما قدم إلى المدينة حاملا الإعانات، استقبله عبد الرحمن بن رستم بالجامع عوض دار الإمارة⁸، و لكن إذا تصفحنا المصادر

1 - البكري: حيث نجد عنده أقدم نص عن بناء مدينة تيهرت يقول فيه: "إن الإباضية في أول الأمر توجهوا إلى تيهرت القديمة أو العليا، و لما أرادوا بناءها من جديد وضعوا صوراً لها فكانوا كلما بنوا شيئا في الليل وجلوه قد تهدم في الصباح، فقاموا ببناء تيهرت الحديثة التي تقع على بعد خمسة أميال من القديمة غربا"، البكري: المصدر السابق، ص 67.

2 - الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 139، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي: المرجع السابق، ج 2، ص 298، الباروني: المرجع السابق، ص 37.

3 - ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 196، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 29، الشماخي: نفسه، ص نفسها.

4 - الشعراء: شجر الحمض و هو كل شجر مالح أو مر في طعمه و ضرب من الخوخ جمعها كواحد، فقول لا شعراء فيه أي لا شجر فيه، ينظر هامش سليمان البارونيك المرجع السابق، ج 2، ص 36.

5 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 32.

6 - محمد برمضان شاوش و بن حمدان الغوي: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر من الفتح العربي إلى عصرنا، ج 1، ص 26، داود بريكسي للإشهار، الكيفان، ط 1، تلمسان 2001، ص 26.

7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 13.

8 - نفسه، ص 29.

التاريخية، نجد أن هناك بعض المؤسسات التي عرفتها المدينة كالقنصبة المشرفة على السوق المسماة "بالمعصومة"¹، بينما ذكر هذا الاسم في بعض المصادر على أنه اسم المكتبة، إلا أن اليعقوبي و بن الصغير المؤرخان القرييان من الدولة الرستمية لم يذكر اسم المعصومة و لا القنصبة و هذا ربما راجع لحي هاتين المؤسساتين في وقت لاحق.

إن بناء مدينة تيهرت عرف إشكالية مفادها: هل بنيت على أرض بكر أو فوق بقايا رومانية؟ و ذلك على الأقل حسب آراء المستشرقين الذين يرون أن المدينة موحودة على آثار رومانية أو أنها بنيت على آثار منزل ريفي روماني في المنطقة، و ذهب ليون روش إلى القول أن قنصبة الأمير عبد القادر بنيت على أنقاض آثار رومانية بينما سجين الأمير N.M de france² لم يذكر أن الأمير بنى على آثار رومانية و هذا ما لا يهمله إذا صح ذلك الكلام، و ما يمكن قوله أن كل المصادر التاريخية تذكر أن الموقع كان عبارة عن غابة أو رياض لا عمارة فيه، و تحضر الأرضية بحرق الغابة و نزع جذورها و بناء أول مؤسسة في المدينة و هي المسجد.

أما الشيء الذي أدى بالمستشرقين إلى هذا الإدعاء فلكون المنطقة تزخر بمواقع أثرية رومانية ومنها تيهرت القديمة، بينما تيهرت الحديثة أو "تاقدامت"³ ليس بها بقايا رومانية، لذا نعتقد أن هناك خلطاً بين المدينتين، و أمام ضعف أدلة الباحثين المستشرقين و إجماع المصادر المتوفرة لدينا نتأكد بأن عبد الرحمن بن رستم بنى على أرض محضرة، ليكون بها ثاني مدينة إسلامية بالمنطقة بعد القيروان و التي أخذت شهرتها و مكانتها عبر مر العصور لتستقطب إليها القريب و البعيد من كل حذب و صوب.

1 - البكري: المصدر السابق، ص 68، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص 27.

2 - نقلا عن ليون روش: G.dangel : op.cit, p – p 242- 243.

3 - تاقدامت: أي قديمة و عتيقة على حد قول الحسن الوزان: "مدينة -تاقدامت- قديمة جدا"، حسن الوزان: المصدر السابق، ص - ص 40- 41.

رابعاً - أهمية موقع تيهرت و أسباب اختياره:

لقد طرح العديد من المؤرخين عدة أسئلة لم تجد لديهم الرد اللازم عليها و المتعلقة أساسا بأسباب اختيار عبد الرحمن بن رستم لتيهرت دون غيرها من المدن، و يمكننا أن نتساءل لماذا أهمل عبد الرحمن بن رستم المدينة العتيقة الواقعة قريبا من تيارت الحالية و التي كانت محصنة بقلعة و بجدارين ضخمين، و كانت تتمتع بموقع حصين ممتاز ليستقر على مسافة ثمانية كيلومترات غربي المدينة القديمة؟ فهل اختار الأمير الرستمي الأول موقعا بكرا جديدا لم يسبق إليه يؤسس فيه عاصمة أملا في تخليد ذكراه كما صنع سلفه من قبل عقبة بن نافع مؤسس مدينة القيروان، وإدريس الأول المخطط لمدينة فاس¹، إضافة إلى ذلك أن المدينة القديمة عتيقة ليست على الهندسة الإسلامية البارعة و أن إصلاح العتيق يكون أكثر تعباً و إرهاقا من إنشاء الحديث²، أم كما ظن جورج مارسيه أن هذا الاختيار سببه إنشغال البال بهدف عملي هو أشبه باهتمام المهندسين المعماريين البناء للمدن الحديثة، و هو بشكل خاص أقرب إلى رغبة المسلمين المعنيين بتشييد المدن، و هي رغبة التقرب إلى الماء و تزويد سكان الخواضر، حيث كانت تيهرت غنية بالماء، و هذا ما أكدته جل المصادر التاريخية، فمثلا البكري يذكر ذلك في الفقرة التالية: "و هي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة و هو في قبليها، و نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى قاتش و منه شرب أهلها و أرضها و هو في شرقيها"³، و يقول اليعقوبي: "تاهرت مدينة كبيرة أهلة بين جبال وأودية... و شرب أهلها من أنهار و عيون"⁴.

أما صاحب الاستبصار فيقول: "و هي على نهر يأتيها من الغرب يسمى منة و لها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تانس"⁵، و يقول الإدريسي: "و بمدينة تاهرت الحديثة مياه متدفقة، و عيون جارية تدخل أكثر ديارهم و يتصرفون فيها، و طم على هذه المياه بساتين و أشجار"⁶.

1 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص79.

2 - مختار حساني: المرجع السابق، ص287.

3 - البكري: المصدر السابق، ص- ص66-67.

4 - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ص149.

5 - مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص66.

6 - الإدريسي: المصدر السابق، ص87، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص274.

لقد ساهمت جملة من العوامل الجيولوجية و المناخية و الاجتماعية و الاقتصادية و حتى السياسية و المذهبية في اختيار موضع تيهرت دون غيره فجعلها فيما يلي:

* يأتي في مقدمة تلك العوامل أن المنطقة عرفت نموا و استقرارا للسكان منذ العصور القديمة، ضف إلى ذلك أنها منطقة داخلية منطوية على نفسها، فرغم أن تيهرت تقع على رأس الطريق الذي يصل منطقة التلول بأسافل وادي الشلف¹ المؤدي إلى البحر، و رغم أنها مغلقة في أعلى منطقة جبلية "تلول منداس" إلا أنها تقع على السفح الجنوبي للجبل "جبل جزول"²، بمعنى أنها توجه أنظارها نحو الداخل و تدير ظهرها إلى البحر و هذا يمثل موقعا استراتيجيا ممتازا بالنسبة لجماعة يحيط بها الأعداء من كل جانب و ترجو أن تعيش في أمان، كما أن موقعها ما بين جبال الأطلس جعلها تقيمن على بلاد المغرب من جهاتها الأربع³، فهي بعيدة عن القيروان تفصل بينهما منطقة الزاب و جبال الأوراس، و هي بمأمن من ضربات الأسطول البيزنطي لبعدها عن الساحل⁴ و من خصائص هذا المكان أنه يمتاز بلطف و نقاوة الهواء، و خصوبة الأراضي، كما أنه قابل للعمارة، مأمون عن العدو و هي شروط المدينة التي ستكون حصنا للإسلام⁵، كما أنه يتوسط التل و الصحراء، ففيه من التل خصبة و لطافة جوه، و فيه من الصحراء جوها الصحي ومناخها النقي، و الصحراء هي طريقها إلى السودان تلك الأقطار الواسعة التي ستنتشر فيها الإسلام و تنقل إليها الحضارة و تتاجر مع أهلها، إن هذا المكان يتوسط الشمال و الجنوب، مما يورث لتيهرت وللدولة كلها خصائص الشمال الجميلة و ميزات الصحراء العظيمة⁶.

1 - البعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 197، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 20.

2 - جزول أو كزول، نسبة إلى قبيلة بربرية تدعى كزولة أو جزولة و أهم مواطنهم أرض السوس و موزعون بين القبائل في المغرب الأوسط و ينسب إليهم جبل كزول القريب من تيهرت، ينظر، بوزيان الدراجي: القبائل العربية، ج 2، در الكتاب العربي، الجزائر، 2000، ص - ص 167 - 171، سعد زغلول: المرجع السابق، ج 2، ص 291، ابن خلدون: العرب، المصدر السابق، م 2، ص

3 - عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص 166، مختار حساني: المرجع السابق، ص 286.

4 - آرشيبالد: القوى البحرية والتجارية في البحر الأبيض المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مطبعة مصر، القاهرة، ص 162.

5 - ابراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص 30، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص - ص 5 - 6.

6 - محمد علي دبو: المرجع السابق، ج 3، ص 266.

* لجوء عبد الرحمن بن رستم إلى قبيلة لماية، كان بدافع مذهبي إذ تعد لماية من أهم القبائل الإباضية في المغرب الأوسط آنذاك، كما كان يرغب عبد الرحمن بن رستم من خلال اختياره لهذا الموقع في السيطرة و التحكم في القبائل الصحراوية البدوية¹، خاصة و أن تيهرة تقع في قلب منطقة تسكنها قبائل إباضية متعددة².

* وقوع تيهرة على طريق القوافل التجارية المارة من و إلى المشرق و السودان، لعب دورا في اختيارها، فهي تتوسط قبائل الناحية مما جعل منها سوقا تقصدها القبائل و تصلها القوافل التجارية التي تربط الواحات الصحراوية بموانئ الساحل³.

* تمتاز المنطقة بترتبتها الحمراء بأسفل الجبل و بالحجارة الكلسية البيضاء و الرملية، مما يساعد على تركز المياه الباطنية، كما يوفر أراض خصبة و غنية تساعد على الزراعة و الرعي لتوفر المياه، و يتسم مناخ تيهرة ببرودة و ضباب كثيف في الشتاء و حار معتدل في الصيف، حيث يصف يعقوبي مناخها بقوله: "أما تمتاز بالبرد الشديد و فيها رياح قوية، و الشمس توقد وتحرق"⁴، و من خلال الأبيات الشعرية لبكر بن حماد الشاعر التيهري (ت. 296هـ) نستنتج برودة الطقس و قلة ظهور الشمس حيث قال:

ما أخشن البرد و ريعانه و أطرف الشمس بتاهرت
تبدو من الغيم إذا ما بدت كأنها تنتشر من تحت
فنحن في بحر بلا لحي تجري بنا الرياح على السم
نفرح بالشمس إذا بدت كفرحة الذمي بالسبت⁵

و مما يؤكد أن المناخ كان ممطرا و مثلجا أعطى للمنطقة ميزة خاصة، حتى نرى رجلا من

1 - ابراهيم بحار: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 89، يوزياني الدراجي: القبائل، المرجع السابق، ص 105.

2 - Ch.Bekri : Le karigisme, op.cit, p - p 64- 65.

3 - لحضر سيفر: المرجع السابق، ج 1، ص 41، مختار حساني: المرجع السابق، ص 286.

4 - يعقوبي: تاريخ يعقوبي: المصدر السابق، ص 109.

5 - ابراهيم بحار: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 144، Ch.Bekri: Le royaume, op.cit, p157.

تیهرت، لما كان بالحجاز قال مخاطباً للشمس: "أحرقني ما شئت فو الله إنك بتاهرت
لذيلة"¹، و يقول القزويني: "...كثرة الأمطار و الأنداء و الضباب و شدة البرد قلما ترى الشمس
بها"²

أما عن عدم تمسك الإمام الرستمي بالمدينة القديمة التي كانت عامرة قبل بناء المدينة
الحديثة، فيرجع بالدرجة الأولى إلى مقاومة سكانها له و هو ما يتأكد من قول البكري الذي أشار
بأنه توجه إلى تيهرت القديمة أو العليا، فكان كلما بنى شيئاً في الليل وجده قد انهار في الصباح،
فعزف عن ذلك الموضع و انتقل إلى تيهرت الحديثة³، و من خلال هذا النص يتبين أن سكان
المدينة عارضوا البناء و أن عبد الرحمن بن رستم فضل عدم المواجهة للحفاظ على الأنصار في بداية
تأسيس دولته، واتفق معهم على أخذ خراج السوق⁴، حيث يذكر محمد دبور: "أن أهل المدينة
القديمة قد علموا أن مدينتهم ستصبح عاصمة الدولة، و بذلك تفتح أبوابها لكل الطوائف، فرفضوا
هذا الوضع و أن عبد الرحمن لم يرغب هؤلاء على بيعهم أرضهم"⁵.

و هكذا كانت هذه العوامل دافعا و حافزا لعبد الرحمن بن رستم و أصحابه في اختيار
تیهرت عاصمة لدولتهم المنتظرة، و التي أصبحت حرزا و حصنا لجماعة المسلمين و سميت بأم
العسكر و العسكر المبارك⁶.

1 - البكري: المصدر السابق، ص 67، الحموي: المصدر السابق، ج 1، ص 813.

2 - القزويني: آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر بيروت، د.ت، ص 169، و يذكر أيضا حكاية السودان التي
مغادها: "دخل أعراي من اليمن قاحرت ثم خرج إلى أرض السودان فنظر إلى الشمس مضحية... فقال مشيرا إليها، أما و الله
لإن عززت في هذا المكان لظالما وأيتك ذليلة بتاهرت"، ينظر، القزويني: المصدر نفسه، ص نفسها، الحموي: المصدر نفسه،
ج 1، ص 813، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص - ص 30 - 31.

3 - البكري: المصدر نفسه، ص 66، مختار حساني: المرجع السابق، ص 287.

4 - ذكر الشماخي: "فاتفق رأي المسلمين على بنائها فجعوا أهلها عليها خراجا معلوما، يأخذونه من غلتها"،

الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 146.

5 - محمد علي دبور: المرجع السابق، ج 3، ص - ص 266 - 267.

6 - ابن الصعير: المصدر السابق، ص 54، لحضر سيفر: المرجع السابق، ج 1، ص 42.

المبحث الثاني: البنية العمرانية لمدينة تيجرت

إن التحليل المورفولوجي للمخطط العمراني لمدينة ما، يتطلب الإختصاص الدقيق في ميدان العمران والآثار، ويعتمد أيضا على نتائج التنقيبات و الحفريات التي يقوم بها الأثريون و المهندسون، ولندرة المعطيات في هذا المجال، سنحاول دراسة المخطط العمراني لتيجرت و بنيتها الداخلية بالاعتماد على نتائج بعض الدراسات و الحفريات و إن كانت نتائجها ما زالت قليلة و محدودة، وكذا اللجوء إلى النصوص التاريخية و التي هي الأخرى لا تعطينا النتائج الدقيقة خاصة فيما يتعلق بتحديد أماكن الأحياء و الدروب و الأزقة و القصور بسبب اندثار و زوال معالمها العمرانية، ويمكن تقسيم الآثار العمرانية من منشآت و مرافق عمومية إلى عمارة دينية و مدنية و حربية.

أولا- العمارة الدينية:

إن جورج مارسيه في بحثه الوحيد في الفن الإسلامي ربط تطور العمارة الإسلامية بالتطور السياسي و الحضاري، حيث اعتبرها مظهرا من مظاهر هذا التطور الذي شهده العالم الإسلامي¹. و تتميز المدينة الإسلامية عموما، سواء في بلاد المشرق أو في بلاد المغرب بسمات مشتركة بغض النظر، عن المميزات التي تفرضها البيئة الطبيعية، و التقاليد المحلية، لأن تشييد المدينة الإسلامية مرتبط بضوابط و شروط معمارية أساسية، و ضرورة توفر بعض المعالم العمرانية على رأسها المسجد الذي يعتبر النواة الأولى للعمران، و يقع في وسط المدينة، و هو مكان لأداء فريضة الصلاة، و مقر لاجتماع سكان المدينة، لتداول أمورهم الاجتماعية و الإقتصادية و تعليم أبنائهم مختلف العلوم العقلية و النقلية².

لقد كان ظهور المسجد قبل ظهور المدارس و الزوايا في المغرب الإسلامي عموما حيث كان هو المؤسسة التي تستقبل الطلبة و المصلين في حلقات دراسية داخل المسجد، فكان بذلك عبارة عن جامعة أو معهد بالإضافة إلى كونه مقرا للعبادة تلقى فيه دروس الوعظ و الإرشاد وتعدّد فيه حلقات البحث، وتنظم فيه المناظرات العلمية، و الحوارات الفقهية، و المطارحات الأدبية

G.Marçais :l'art en Algerie, op.cit, p – p 81- 82.

- 1

2 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص106.

والغوية ودروس الوعظ والإرشاد والإفتاء، و يجتمع فيه أصحاب المصالح العامة و الخاصة، كما كانت تقرأ فيه البلاغات الرسمية في للدولة، و يجتمع فيه الأولياء لتدبير زواج بناتهم و أبنائهم، و تمضي فيه العقود التجارية و تؤخذ إليه الجنائز قبل الدفن للصلاة عليها¹.

فالمساجد حسب تصنيف أرنست كونل² تتميز بالأصالة و الوضوح و التطابق التام مع روح الإسلام الشاملة و الواضحة، فهو ساحة نظيفة مستوية ظاهرة يحيط بها سور وظيفته تعيين حدود المكان المخصص للصلاة³.

لقد خضعت المدينة تيهيرت إلى مخطط عمراي طبقت فيه أحكام الشريعة الإسلامية و قانون العمارة الإسلامية على غرار المدن الإسلامية، لهذا فأول ما شيد فيها هو المسجد الجامع الذي تم اختيار مكانه عن طريق القرعة، و يذكر أبو زكرياء يحيى في هذا الصدد: "قصدوا إلى اختيار محل ليؤسسوا فيه المسجد الجامع قبل كل شيء، فانتخبوا أربعة أماكن و رموا القرعة عليها، فجاءت على المكان الذي أصلحوه للصلاة أيام إقامتهم في تنقية الأشجار⁴.

و يذكر ابن حوقل: "تيهيرت مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة و الأخرى محدثة، و القديمة ذات سور و بها جامع، و في المحدثه أيضا جامع"⁵، و يقول المقدسي: "تاهرت اسم لقصبة... لها جامعان عن ثلثي البلد قد بني بالحجارة و الجير"⁶، و يقول ابن عذاري: "فترلوا بموضع تيهيرت... فبنوا مسجدا من أربع بلاطات"⁷.

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)، ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص34، هوارة بكاي: العلاقات الثقافية بين الدولة المرينية و الدولة الزيدانية، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2007-2008، ص42.

2 - يعتبر من أبرز النصيفات لنظائر المعماري الإسلامي و قد أورده في كتابه المختصر "فنون الإسلام" ترجمه إلى العربية أحمد موسى، حبيب خنفار: المربع السابق، ص123.

3 - حسين مؤنس: المساجد، سلسلة عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، يناير، 1981، ص83.

4 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص53، الضماحي: المصدر السابق، ج1، ص139.

5 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

6 - المقدسي: المصدر السابق، ص127.

7 - ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص203.

أما مواد البناء التي استعملت في أول الأمر، فكانت عبارة عن خشب الشعراء¹ الذي جلب من غابات المنطقة و طين كان يمد به الخادم إلى ابن رستم لإصلاح الشقوق عند وصول الوفد إلى المدينة، و هذا ما ذكره ابن الصغير أن وفد البصرة قد وجد بباب عبد الرحمن "غلاما يعجن طينا ورجلا على سطح يصلح شقاقا فيه، و الغلام ينأوله ما يصلح به"².

و هذا يدل على بساطة المواد المستعملة و فقر الدولة عند إنشائها، و سياسة عبد الرحمن القائمة على التواضع و التقشف، أما عن التخطيط للجامع فيذكر البكري أنه ظل على حالة إلى أيامه أو إلى أيام محمد بن يوسف الذي ينقل هو عنه مكونا من أربعة بلاطات³، و ما نلاحظه أن الرستميين خرجوا عن قاعدة بناء دار الإمارة بعد المسجد الجامع، فقد بنوا هذا المسجد حقا، لكن ابن الصغير لا يشير إلى وجود دار الإمارة في تيهرة حيث ذكر أن عبد الرحمن بن رستم كان يصرف أمور الرستميين في الجامع⁴.

و بجانب مسجدها الجامع الموجود في المدينة، وجدت أيضا مساجد أخرى في الأحياء، وينسب بعضها إلى الأقليات التي استقرت بتيهرة، و منها على سبيل المثال مسجد القرويين ومسجد الكوفيين و هذا ما يفهم من قول ابن الصغير: "...فكان مسجد للقرويين و للكوفيين ومسجد للبصريين"⁵.

و يقول جودت عبد الكريم أنه بما أن كل جماعة كانت تسكن منفصلة عن الأخرى، كان لها مسجدها الخاص بها⁶، إن المساجد كانت متعددة و كثيرة، و هذا نفهمه من قول أبي زكرياء: "فشرعوا في تأسيسها و اختطوها بيوتا و قصورا و أسواقا و مساجد"⁷.

1 - ذكر البكري أنهم بنوا في ذلك المكان مسجدا و قطعوا خشبه من تلك الشعراء، البكري، المصدر السابق، ص 66.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 11، أبو زكرياء المصدر السابق، ص 54.

3 - البكري: المصدر السابق، ص 68.

4 - حين قدم وفد من البصرة قال لهم عبد الرحمن: "مخرج إلى المسجد الجامع، نصلي و الناس، و نعلمهم بما حثم به، و تم ذلك"، ينظر، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 12.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 32، أحمد سليمان: المرجع السابق، ص 83.

6 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 33.

7 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 53.

كما أن الفرق الدينية التي وجدت في تيهرت كان لكل منها مسجدها و علماءها وحلقات دروسها، فقد ذكر ابن الصغير: "...من أتى إلى حلقات الإباضية ناظره أطف منظره، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلقات غيرهم كان سبيله ذلك"، و قد وجد في تيهرت الأحناف، خاصة في عهد عبد الرحمن بن رستم، و غالبيتهم من أهل الكوفة حتى أنهم بنوا مسجدا خاصا بهم سموه مسجد الكوفيين¹.

إن العمارة الدينية تشمل إلى جانب المساجد و الجوامع المدارس، و التي تبني عادة خارج المسجد، و قد تأخر ظهورها في بلاد المغرب إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري²، لهذا لم نجد لها أثرا في تيهرت في حل المصادر، خاصة و أن مدلول المدرسة يختلف عن مدلول الأماكن التعليمية و الدينية السابقة لها كالمساجد و الكتاتيب و الرباط، و هو مفهوم ظهر مع ظهور المدرسة الشرقية في منتصف القرن الخامس الهجري في حرسان³.

فهي عبارة عن بناية مستقلة عن أي بناية عمومية كالمسجد و القصر و غيرها⁴.

و يمكن اعتبار العمائر الجنائزية من ضمن العمارة الدينية مثل المقابر و المدافن خاصة و أنه في تيهرت وجد مصلى خاص بالجنائز و هذا نفهمه من قول ابن الصغير عند حديثه عن أبي اليقظان، فيقول "وقد جلس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي، و رأيته يوما ثانيا في مصلى الجنائز، و قد رميت له وسادة من آدم، فجلس ينتظر فراغ دفن رجل مات من وجوه الناس"⁵.

و قد أكد المستشرق كدنا⁶ وجود مقبرة في الجهة الغربية من المدينة من خلال وجود مجموعة من الأحجار مندثرة هنا و هناك و منتظمة الاتجاه، إلا أننا نعلم أن المقبرة في المدينة

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص13، لحضر سفر: المرجع السابق، ص78.

2 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص141.

3 - D.Sourdél : reflexions sur la diffusion de la madrasa en orient du 11^{eme} et 12^{eme} siècle in l'enseignement en islam et on orient en moyen age, Colloques internationaux de la Napoule, paris 1977, p165.

4 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص141.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص80.

6 - P.Cardénat : Recherche à Tihert, op.cit, p397.

الإسلامية موقعها يكون خارج المدينة، لهذا إذا أخذنا برأي "كدنا" فإننا نقول أنه أخذ توسع المدينة على حسابها، فارتبطت بالمساكن في الفترات اللاحقة من تطور المدينة، و هناك أيضا افتراض آخر لموقع آخر يرجح أنه كان مقبرة، و هو في الجهة الشمالية عند نهاية المنحدر في منبع إحدى العيون التي يمكن أن تكون عين "تاتش" التي ذكرها المصادر التاريخية، و يتضمن هذا الموقع أحجارا مرتبة غير مبنية وضعت على هيئة القبور الصحراوية يرجح أن تكون مقبرة الأئمة لصغرها بالنسبة للمجتمع التيهري، و لا يوجد في هذه المقبرة أية كتابة تبرز أنها مقبرة الأئمة، و إن كان هذا صحيحا فإنه يعطينا فكرة عن عدم اهتمام الأئمة بقبورهم و تجميلها، و هو ما كان يحدث عند بعض الأسر، خاصة الغنية منها، و مازالت لحد الآن في تلمسان و قسنطينة، و هذه الظاهرة غريبة عن الإسلام.

ثانيا- العمارة المدنية:

و تشمل عدة معالم عمرانية و مرافق عمومية، و منها ما هو متعلق بالعمائر السكنية، مثل القصبة و الدور و القصور و الضياع، و منها ما هو متعلق بالنظافة و الصحة كالحمامات، و منها ما يتعلق بالتجارة و المنافع العامة كالخانات و الفنادق و الأسيلة و السبل و غيرها من المرافق والمنشآت الضرورية نذكر منها:

1- القصبة:

و هي الحلي الذي يسكنه الأمير أو الإمام أو السلطان و أسرته و حاشيته و جنده، مكونة من مباني مخصصة لهذه الطبقة الاجتماعية التي تتصلر الهرم الاجتماعي في المدينة و ترتفع عليه و لها أبواب خاصة بها¹، و قد ذكر المقديسي أن "تاهرت هي اسم لقصبة، هي بلخ المغرب"²، و ذكر البكري أن "تاهرت قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة"³، و قال صاحب الاستبصار: "مدينة

1 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص107.

2 - المقديسي: المصدر السابق، ص229.

3 - البكري: المصدر السابق، ص66.

تاهرت مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور و لها قصبة منيعة تسمى المعصومة¹، و شرح سليمان الباروني قول أبي اسحاق الفارسي عن تيهرت: "و مدينة كورة اسمها تاهرت و هي مدينة كبيرة"، بأن الكورة هي اسم لكل صقع أي ناحية تشمل على عدة قرى، و لها قصبة أي مدينة ينسب ذلك الصقع كله إليها كما هنا²، و ما نستنتجه من قول المقدسي و شرح سليمان الباروني لقول أبي اسحاق الفارسي أن مدينة تيهرت هي نفسها القصبة و تضم عدة أحياء و قرى، و ليس كما نعرفه أن القصبة هي جزء من المدينة أو كما عرفها عبد العزيز فيلاي.

و ما ورد لدى هؤلاء أكدته حفريات الأثريين جورج مارسيه و دوسوس لامار³ حيث اكتشفا سور المدينة الذي كان محاطا بميكل مستطيل الشكل اعتقدا أن يكون هذا المستطيل هو القصبة، أو بعبارة أخرى أول تمركز للمدينة في مرحلتها الأولى دون التوسعات التي عرفتها في الفترات اللاحقة خاصة فترة أفلاح بن عبد الوهاب حيث بنيت القصور و اتسعت البلاد، و من مميزات ما بنيت بأحجار مطروقة مستوية، و تحتل شكلا مستطيلا يصل طوله إلى 100 متر تقريبا و عرضه إلى 33.65 مترا من خلال تقرير الباحثين جورج مارسيه و دوسوس لامار⁴.

و رغم عدم ظهور الأسوار التي تحيط بالقصبة، توصل الباحثان⁵ إلى وضع فرضية للمدخل الرئيسي في الجهة الشمالية الشرقية، و هو عبارة عن ممر على جانبيه مقاعد حجرية، و يؤدي المدخل مباشرة إلى ساحة في الوسط طولها 53.20 مترا و عرضها 22 مترا يحدها من الجوانب الأربعة غرف تختلف مقاساتها و اتجاهاتها من غرفة إلى أخرى، و على يسار المدخل مباشرة في الجهة الشمالية الشرقية غرفتان عريضتان خصصتا للإستقبال، و من الجهة الجنوبية الشرقية حوالي خمسة غرف، غرفة هما مدخلان يعتقد أن تكون غرفة الحرس أو الإسطبل، و تحتل أيضا الجهة

1 - مؤلف مجهول: الإستبصار، المصدر السابق، ص66، و يعلق سليمان الباروني على كلامه بأن اسم هذه القصبة بالمعصومة يدل على القوة التي كانت لها المدينة و قصبتها، فإن العصمة لغة المنعة، فقد طابق اسمها وصفها، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص27.

2 - سليمان الباروني: المرجع نفسه، ج2، ص نفسها.

3 - G.Marçais et L.Dessus : Tihert, op.cit, p32- 33, R.Bouruiba : Tahert à l'époque rostomide, Algerie Actualité n 495, 1975, p14.

4 - Ibid, p - p 42 - 53.

5 - Ibid, p 46.

الجنوبية الغربية غرف يصل عمق الواحدة منها 4.50 مترا و عرض يتراوح ما بين 2 متر إلى 2.50 متر، و قد عثر في غرفة على فحم اعتبرها الباحثان¹ مطبخا، و الغرف المجاورة لها ملحقات، و في الجهة الشمالية الغربية غرف طويلة عمقها 20 مترا و عرضها 2.75 مترا يعتقد أن تكون مخصصة للتخزين يقطعها عمران بها سلام، مما يؤكد وجود طابق علوي للقصة يحتمل أن يكون على نفس تخطيط الطابق الأرضي، أما مواد البناء المستعملة، فقد غطيت أرضيت الغرفة بالآجر و طلاء من الجير، أما الجدران فطلبت بطلاء أملس، أو استعملت في هذه القصة تقنيتان للبناء، الأولى عبارة عن أحجار مختلفة الأحجام تتخللها أحجار صغيرة و في اتجاهات مختلفة، أما الطريقة الثانية فهي عبارة عن أحجار متساوية و مطروقة بطريقة متقنة، و يرى الباحثان أن هذه القصة لها نفس تخطيط القصور الأموية باتخاذها فناء كبيرا و غرفا طويلة على الجانبين و كذا المدخل الرئيسي بمقاعد الحجرية، نذكر أن الوصف الذي قدمه الباحثان و المخطط الذي وضعوه لا نجد له أثرا في الموقع سوى بعض البقايا، لما عرفته من تدهور و تدمير أفقدها معالمها الأساسية.

لكن اليعقوبي و ابن الصغير لم يشيرا إلى وجود قصة في تيهرة مع أنهما ذكرا عددا من القلاع والحصون سنذكرها لاحقا، و هذا يجعلنا نستنتج أن ما اكتشفه الأثريان جورج مارسيه ودوسوس لامار يرجع إلى فترات متأخرة من العهد الرستمي، وهذا ما لاحظته أيضا موسى لقبال، حيث رأى أن بعض المنشآت التي ورد ذكرها عند الجغرافيين و الرحالة العرب كقلعة المعصومة قد ظهرت في فترات متأخرة في العهد الرستمي، و ربما في العهد الفاطمي².

2- أبواب المدينة:

لقد جرت العادة عند المسلمين أن يؤسسوا أبوابا في اتجاه المدن الكبيرة سواء داخل السلا أو خارجها، ويسمونها في بعض الأحيان بأسماء هذه المدن مثل باب فاس في تلمسان³.

G.Marçais et L.Dessus,Op.cit, p-p 49- 50.

- 1

2 - موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 235.

3 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج 1، ص 107.

أما بخصوص مدينة تيهرة، فقد أشار ابن الصغير إلى وجود أبواب المدينة، فنذكر باب الصفا بقوله عند دخول وفد البصرة تيهرة: "حتى دخلوا من الباب المعروف بباب الصفا... حتى وقفوا عليها وأصابوا عند بابها"¹، وأضاف "أن يعقوب بن أفلاح أمر بأبواب المدينة فغلقت إلا بابا واحدا"²، و يضيف البكري إلى باب الصفا أبوابا أخرى بقوله: "مدينة تاهرت لها أربعة أبواب، باب الصفا و باب المنازل و باب الأندلس و باب المطاحن"³.

و يشرح سليمان الباروني شرحا وافيا و باستحسان لأسماء هذه الأبواب بقوله: "ما ألطف هذه الأسماء و ما أحسن هذا التقسيم المحكم الذي لم يدع للازدحام مجالا، إذ خصص لكل شغل من هذه الأسماء الأربعة التي عليها مدار حركات الناس بابا، فالذين ينقلون أنواع الحبوب لأجل الطحن لهم باب المطاحن و الذين يريدون السفر أو عبور البحر إلى الأندلس من التجار و غيرهم لهم باب الأندلس، و المشتغلون بالعمل في البساتين لهم باب المنازل، و الذين يريدون الترهة والرياضة البدنية و تسلية النفس لهم باب الصفا"⁴، و بهذا يعلم ما كان في هذه المدينة من حسن الانتظام و الترتيب"⁵، و لا يستبعد أن هذه الأبواب الرئيسية كانت مصفحة بالحديد و لها مصاريع حديدية تغلق بها، و هذا نستشفه من قول ابن الصغير عن الإمام أفلاح بن عبد الوهاب: "و ابني القصور و اتخذ بابا من حديد"⁶.

و يحدد أحمد سليمان⁷ موقع هذه الأبواب على الشكل التالي:

- 1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 29، و قد جاءت عند البكري باسم "الصبا"، البكري: المصدر السابق، ص 66، رشيد بورويّة: الفن الرسمي، تاهرت و سدراتة، مجلة الأصالة، العدد 41، حافى 1977، ص 184.
- 2 - ابن الصغير: المصدر نفسه، ص 97، و يقول سليمان الباروني: "فأمر يعقوب بأبواب المدينة فأغلقت و ترك واحدا وقف عليه بنفسه مع من كان معه"، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 360.
- 3 - البكري: المصدر السابق، ص 66، رشيد بورويّة: الفن الرسمي، المرجع السابق، ص 184، القلقشندي: المصدر السابق، ج 5، ص 111.
- 4 - جودت عبد الكريم عن باب الصفا أنه من المرجح أنه على الصورة التي وردت عند ابن الصغير، إذ بما أنه الباب الشرقي، فربما قصد به باب الحن مثلما قيل باب الأندلس، و ربما تيمنا بباب الصفا أحد أبواب مكة المكرمة، جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 34.
- 5 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص - ص 32 - 33.
- 6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 53.
- 7 - أحمد سليمان: المرجع السابق، ص - ص 82 - 83.

- باب الصفا من الجهة الشرقية.

- باب المطاحن من الجهة الغربية.

- باب الأندلس في شمال المدينة.

- باب المنازل في جنوب المدينة و تستعمله القوافل القادمة من الصحراء.

3- الدور و المساكن:

تخضع مساكن بلاد المغرب الأوسط إلى عاملين يحددان طرازها و أثاثها، و هما يتمثلان بالتراث المتوارث عبر الأجيال، و المستوى الحضاري الذي بلغه المسلمون في القرنين الثالث و الرابع الهجري، و هي إن اختلفت من منطقة إلى أخرى¹، و قد كانت بعض المنازل تبني بالطوب، و آخر بالحجارة المنحوتة، أما سقفها فكانت من الخشب كبيت الإمام يعقوب بن أفلاح، كما كانت المنازل متلاصقة، ليكون بالإمكان إحاطتها بسور، و تشقها أزقة و شوارع تؤدي إلى الساحة العامة، و الأسواق و أبواب المدينة، و يتكون المنزل من عدة حجرات، أما بابها فمن خشب، و يتكون عادة من مصراعين يسمح بدخول الأحمال²، أما أثاثها فيتكون من فراش محشو بالصوف و الريش، و الحصير بحيث كان في بيت عبد الرحمن بن رستم حصير فوقه جلد، و هذا ما ذكره ابن الصغير ابن الصغير بقوله: "فوجدوا رجلا جالسا على حصير فوقه جلد و ليس في بيته شيء سوى وسادته التي ينام عليها و سيفه و رمحه و فرسه مربوط في ناحية من داره"³، و كان القنديل ضروريا جدا في البيت، يضاء باستعمال الزيت كوقود له⁴، و كانت الدور تتألف كل منها من عدة بيوت، فقد ذكر ابن حوقل: "أن لسكان تاهرت مياه كثيرة تدخل عن أكثر دورهم"⁵، و على كل حال فإن تيجرت اتسعت و تطورت حيث ذكر ابن الصغير: "و اتسعوا في البلاد و تفسحوا فيها و أتتهم الوفود و الرفاق من كل الأمصار و أقاص الأقطار، ليس أحد يتزل بهم من الغرباء إلا

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص- ص 384 - 385.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 237.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 29.

4 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص- ص 388 - 389.

5 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86.

استوطن معهم و ابنتى بين أظهرهم... حتى لا يرى دارا إلا قليل إنما لفلان الكوفي و هذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي...¹، و قد اكتشف جورج مارسيه و دوسوس لامار² عدة مبان تتكون من عدة غرف، أخذت كلها شكلا مستطيلا مع عدم وجود الأعمدة و الدعامات، و هذا راجع إلى مادة التسقيف حيث تذكر لنا المصادر التاريخية أنه استعمل الشعراء في التغطية، و هذا ما لم يسمح للغرف بأن تكون عريضة لصغر طول خشب التسقيف، فجاءت الغرف ضيقة أعطت لها ميزة خاصة.

4- القصور³:

تعتبر القصور ظاهرة حية تعبر عن المستوى الحضاري العالي و الذي بلغته المنطقة، و هي نتيجة الثراء، نظرا لما عرفته مدينة تيهرت من رخاء اقتصادي، و خاصة في عهد الإمام أفلح حيث تنافس الناس في البنيان، حتى أنه ابنتى الناس القصور و الضياع⁴ خارج المدينة⁵.

و قد كان للإمام أبي بكر قصره، و لأبي اليقظان كذلك، و كان لأبي حاتم قصر على مهر مينة، و كانت تبني وسط البساتين و على ضفاف الأهر ليضفي عليها جمالا و رونقا أكثر⁶.

و يظهر الإهتمام و التنافس على بناء القصور من خلال ما ذكره ابن الصغير: "فابنتى أباان و حمويه القصرين المعروفين لهما باملاق، و ابنتى عبد الواحد قصره الذي يعرف به اليوم و غيره مما يطول ذكره، و لقد حدثني بعض من أثق به أن أباان و حمويه خرجا يوما إلى قصورهما متترهين ومعهما جماعة إخوانهما، فذكر بعضهم أنه قال، لما أشرفنا على القصرين سبق بنا بعض عبيدهما فأعلموا ناس القصرين بقدومهما قال فتشوف من كان بالقصرين بهما، فو الله ما رأيت شرافة من القصرين إلا عليها ثوب أحمر و أصفر على الجدار كالبلور، و انتشرت القبائل و عمرت العمائر،

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 31- 32.

2 - G.Marçais et L.Dessus : op.cit, p - p 24- 57.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 53- 54.

4 - الضياع: جمع ضيعة أي العقار و الأرض المغلة، و ما يكون منها عطية لبعض الناس من طرف الملوك يسمى قطعة كما كان يفعل بعض بني أمية و بني العباس، للمزيد، ينظر، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج1، ص- ص 21- 22.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص53.

6 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص- ص 384- 385.

و كثرت الأموال بأيديهم، و كانت العجم قد ابتنت القصور و نفوسة قد ابتنت العدو و الجند القادمون من افريقية قد بنت المدينة العامرة اليوم¹.

هذا النص يبين لنا أن تيهرة تعددت بها القصور حتى بالنسبة للعجم و للجند الوافدين إليها من افريقية، و أنها كانت لا تخلوا من المتزهات.

5- الدروب:

كانت تيهرة كغيرها من مدن المغرب الإسلامي تحتوي على دروب و شوارع و ساحات عمومية أطلق عليها أسماء الفئات التي تقطنها، مثل درب النفوسيين، و عدوة نفوسة و رحبة القرويين²، ولعل ما يثبت وجود هذه الدروب و الساحات وصف المقدسي لتيهرة في القرن الرابع الهجري أي بعد سقوط دولة بني رستم، و بعدما فقدت تيهرة جزء هاماً من سكانها و حضارتها حيث قال: "انتعش فيها الغريب و استطاعها اللبيب، يفضلونها على دمشق... و قرطبة... و من دروبها³ المعروفة أربعة، درب "بحانة"⁴، درب "المعصومة"، درب "راها"⁵ درب حارة الخفير، درب البساتين⁶.

يعتبر وصف المقدسي شاملاً لتيهرة رغم أنه عرف بالإختصار عندما يصف مدن المغرب الإسلامي لأنه لم يزرها، بل اكتفى بما وصله من مؤلفات المشاركة أو أخبار من المغاربة الذين رحلوا للمشرق لأن النص لا يرتبط بعصره بل بالقرن الثالث الهجري الذي وصلت فيه الدولة الرستمية

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- 53- 54، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص123، محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص442.

2 - أحمد سليمان: المرجع السابق، ص83.

3 - شرح الدروب: و درب باب السكة الواسع، و يقصد بالدرب الشوارع الكبرى التي تتفرع عنها أزقة كثيرة، و هذه لها أبواب تعلق بالليل كما مشاهد اليوم في مدينة تونس في الشوارع القديمة كمسوق العطارين و غيره، فيكون لحارات أبوابها وأسوارها كما للبلد سوره العام، و هذا مبالغة في تحصين المدينة، محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص271.

4 - بحانة: جاءت عند ابن الصغير في حديثه عن ابن وردة: "قال و كان الرجل من وجوه العجم الذين بقيت اليوم بقية تسمى من بحانة"، و يقول المحقق لعل المقصود بها مدينة بحانة في المغرب الأدنى، ينظر، ابن الصغير: المصدر السابق، ص54، البكري: المصدر السابق، ص63.

5 - المقديسي: المصدر السابق، ص229، مختار حساني: المرجع السابق، ج4، ص315، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص- 543- 544.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص53.

إلى مراحل قوتها، لكن في عصره عرفت هذه الدولة الحروب المتواصلة و تدمير منشآتها، حيث تحولت من مدينة ذات حضارة إلى تكتة عسكرية.

و ما يؤكد لنا هذا النص هو أن المدينة كانت تحاف بمجموعة من الأحياء و كل حي يحتوي على جميع المرافق و المنشآت الضرورية من ساحات و أسواق و مساجد، و ذكر ابن الصغير عن عهد أفلح : "و أمنت الساحات و كثرت الأموال"¹.

6- الفنادق² و الخانات³:

جاء في كلام أبي زكرياء أن الرستميين شرعوا في تأسيس تيهرت و اختطوها بيوتا و قصورا وفنادق⁴، و فيما يتعلق بالخانات، فإن ابن حوقل هو الوحيد الذي أشار إلى وجودها في تيهرت، وهي تعود إلى عهد الدولة الرستمية حيث كانت القوافل تأتيها من المشرق و المغرب و بلاد السودان الغربي و الواحات الصحراوية مما يقتضي وجود خانات لإقامة هؤلاء، و هي تحتوي على غرف للسكن و مخزن للسلع و إسطبلات للمواشي⁵، و لعل الحفريات التي ستقوم في المستقبل ستؤكد ذلك.

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص53.

2 - الفنادق: هناك ما يرى أنها لفظة عربية تعني المحزن أو السوق، و هناك من يرى أنها لفظة إغريقية الأصل تعني الزل الذي يأوي إليه الأشخاص و الحيوانات، فهو مثل الخان في بلاد المشرق، ينظر: Mas.latrie : traités de prix et de commerce et document divers concernant les relations chretiens avec les arabes de l'Afrique septrionale au moyen age, paris 1872, p167.

أما سليمان الباروني فيعرفه لغة بالخان أي محل التجارة و في اصطلاح عصرنا يطلق على محل كبير ذي بيوت معدة لزول المسافرين بالأجرة، و يختلف باختلاف المدن و البلاد في معداته و ترتيباته، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص10.

3 - الخان هو الخانات و أماكن التجارة و محل نزول التجار الغرباء الذي يتاجرون فيه، علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص280.

4 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص53، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص10، علي دبور: نفسه، ج3، ص نفسها.

5 - مختار حساني: المرجع السابق، ص317.

كما يظهر وصف ابن حوقل أن مرافق تيهرت الحديثة أكثر من الأولى، فهي تحتوي على مرافق عاصمة للدولة حيث يقول: "...و التجار و التجارة بتيهرت المحدثه أكثر و لهم...بساتين كثيرة... و محانات"¹.

7- الحمامات² و خزانات المياه:

يعتبر الإغتسال في الحمامات ظاهرة قديمة، عرفته الشعوب القديمة كالمصريين و الكنعانيين واليونانيين و الرومانيين، و قد وصلت هذه العادة إلى سلوك المسلمين مبكرا، لأن الإسلام يحث على الإغتسال و الطهارة ، و أصبحت هذه المؤسسة الاجتماعية مرتبطة ارتباطا عضويا بالنظافة وبفريضة الوضوء، و لذا اعتبرها الفقهاء من الأماكن الدينية، لأن الطهارة لا يستغني عنها المسلمون و لا يمكنهم أداء فريضتهم إلا بها³، فكان المسلمون يترددون باستمرار على الحمامات لتطهير أجسامهم و تنظيفها، و كانت الحمامات في أغلب الأحيان تلحق بالبناءات الدينية والاجتماعية بما في ذلك بيوت الله⁴، و كانت تيهرت تحتوي على حمامات كثيرة بلغت اثني عشر حماما، و هذا ما ذكره البكري بقوله عن تيهرت: "و بتاهرت بساتين كثيرة و حمامات كثيرة يسمى منها اثنا عشر حماما و حوايلها من البربر أمم كثير"⁵، و هذا ما أكدته أيضا ابن حوقل بقوله: "و لهم (سكان تيهرت) بساتين كثيرة و حمامات"⁶، و من خلال الحفريات تبين وجود هذه الحمامات، فمثلا حفرة الأستاذة سوفي التي اكتشفت مبنى في مستوى أعلى من القصبة يفترض أن يكون حماما لما له من مميزات، لكن لعدم وجود أي تقرير من الباحثة عن هذا الحمام، نكتفي

1 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

2 - الحمام: معناه الغروي هو الماء الساخن، ينظر، عطا الله دهينة: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية للدولة بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984، ص491.

3 - عطا الله دهينة: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، ضمن كتاب الجزائر و التاريخ، المرجع السابق، ص364.

4 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ص- ص 139-140.

5 - البكري: المصدر السابق، ص- ص 68-69.

6 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص78، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص49، محمد علي دوز: المرجع السابق، ج3، ص442.

يوصف سطحي له حيث يتكون من ثلاثة غرف تشكل الأولى مربعا لها أرضية مبلطة بالآجر ذو المقاسات التالية:

- السمك: 4.9 سنتيمتر - الطول: ما بين 26.5 سنتيمتر إلى 28 سنتيمتر - العرض: بين 13.5 سنتيمتر إلى 14 سنتيمتر.

و تحيط بها جدران يتراوح علوها ما بين 0.80 متر إلى 1.20 متر و من خلال مدخل بارز بعرض 0.65 متر تدخل إلى الغرفة الثانية التي تأخذ شكلا مستطيلا و به فرن أرضي غطي بحجارة كبيرة، و يحتوي هذا الفرن على أربع فتحات للتهوية يفترض أن تكون هذه الغرفة الساخنة، و في الجهة الشرقية للغرفة الساخنة يوجد هيكل مستطيل يحتوي على حوض به أرضية مغطاة بالآجر، وبحواره قناة تتجه من الجنوب إلى الشمال يعتقد أنها لصرف المياه لأنها مائلة قليلا نحو الخارج.

و ما نستنتجه أن المصادر التاريخية أكدت كلها على وفرة المياه في تيهرت، فهذا ابن حوقل مثلا يقول: "أن لسكان تاهرت مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم"¹، و هذا ما جعلهم يهتمون بغرس البساتين، فإن إِباضبي العراق في رحلتهم الثانية إلى تيهرت وجدوا الأمور قد تبدلت والأحوال المدنية و الأشياء قد حالت و ذلك أنهم نظروا إلى قصور قد بنيت و إلى بساتين قد غرست²، كما أن وصف المقدسي لتيهرت: "قد أحرق بها الأهر"³، و التفت بها الأشجار و غابت في البساتين و نبعت حولها الأعين"⁴، تبين اهتمام سكان تيهرت بغرس الأشجار حول المدينة فزادت بها البساتين و هذه الظاهرة تكاد تكون عامة بالنسبة للمدن الجزائرية خلال العصور الوسطى و حتى الحديثة، فالبساتين كانت تزود تلك المدن بما تحتاج إليه من خضر و فواكه و حتى الحليب و مشتقاته لوفرة الأبقار و الأغنام بتلك الضيعات و تربية النحل فالعسل كان كثيرا و سائر غلاتها كانت مباركة⁵، و قول الإدريسي في ذلك: "و بمدينة تاهرت مياه متدفقة و عيون جارية

1 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص86، جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص32.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص33، رشيد بوروي و آخرون: المرجع السابق، ج3، ص123.

3 - الأهر: و قد جاءت أيضا في كلام ابن الصغير: "و أحرروا الأهر"، إلا أن الصحيح هو أهر و همر و هور، ابن الصغير: المصدر السابق، ص53، ابن منظور: المصدر السابق، ج1، ص1144.

4 - المقدسي: المصدر السابق، ص229.

5 - الإدريسي: المصدر السابق، ص154، مختار حساني: المرجع السابق، ص316.

تدخل أكثر ديارهم و يتصرفون فيها¹ يظهر لنا أن سكان تيهرت استفادوا من هذه المياه الكثيرة، فأوصلوها إلى دورهم و أقاموا عليها بساتين و أشجارا عن طرق قنوات و خزانات من الفخار المطبي، و هذا ما دلت عليه الحفريات خاصة في الجزء الموجود جنوب الطريق الوطني رقم 11 والذي يربط تيارت بمشرع الصفاء، و قد عرف هذا الجزء تشويها كبيرا خاصة في الجهة الشرقية منه بسبب تشييد القرية الفلاحية، و التي دمرت آثارا و أشكالا عديدة لبنايات مغمورة تحت التراب قضت عليها أسس هذه القرية الجديدة.

ففي الجهة الغربية من القرية وجدت بقايا الخزانات التي قام فيها جورج مارسيه و دوسوس لامار² بحفريتهما و هي في مجموعها خمسة خزانات³، و يفترض جورج مارسيه⁴ أن لهذه الخزانات دخلات بعرض 0.18 متر تحمل حنفيات يراقب منها مستوى المياه خاصة في موسم الجفاف.

أما مواد البناء فقد استعملت الحجارة و الديش بينما طليت الجدران بطبقة سميكة من الملاط، و نجعل ما إذا كانت هذه الخزانات مغطاة أو بقيت عارية، و نذكر أنه يجب أن تكون لها قنوات تجلب المياه و تصرف من خلالها و هذا ما لم نعثر عليه بعد، و وجودها خارج القصبة ليس من المعهود، فقد تكون هذه الخزانات في مرحلة متقدمة حيث اتسعت المدينة و جاءت الخزانات داخل الأسوار و شأنها شأن الخزانات في المدينة الإسلامية للإحتياط لأي حصار يرقب.

و قد ساعد تزويد أهل تيهرت بالمياه المخدر الأهم من أعالي الجبال و كثرة الينابيع والعيون، و هذا ما نفهمه من قول اليعقوبي: "شرب أهل مدينة تاهرت من عيون يأتي بعضها من صحراء و بعضها من جبل قبلي يقال له جزول"⁵، و قول البكري: "و هي في سطح جبلي يقال له

1 - الإدريسي: المصدر السابق، ص 154، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص22.

2 - G.Marçais et L.Dessus : Tihert Tagdamt, op.cit, p – p 32- 33.

3 - و يشتمل الخزان على ثلاثة أحواض رئيسية ذات شكل مستطيل و متلاصقة، و جدرانها مبنية بأحجار ملتحمة بالملاط و مدهونة بطلاء كثيف، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج3، ص124.

4 - G.Marçais et L.Dessus : op.cit, p33.

5 - اليعقوبي: البلدان، للمصدر السابق، ص358.

جزول... و هي على هر يأتيها من جهة القبلة تسمى مينة و هر آخر يجري من عيون تتجمع تسمى تاتش، و من تاتش شرب أهلها و بساينها"¹.

8- الأسواق:

ذكر البكري: "و بتاهرت أسواق عامرة"، و في موضع آخر قال: "لها قسبة مشرفة على السوق"²، إلا أن المقدسي يضيف لنا شيئا جديدا لهذه المظاهر العمرانية تتمثل في تحديد موقع الأسواق حيث ذكر: "بها (أي تيهرت) جامعان على ثلثي البلد... قريبان من الأسواق"³، أي أن الأسواق قريبة من أماكن العبادة أي المساجد، و هذا ما نلاحظه أيضا أغلب المدن الإسلامية و أحسن مثال على ذلك تلمسان و قسنطينة و فاس و تونس.

و لقد كثرت الأسواق في تيهرت إلى درجة أن أطلقت أسماء بعض منها على الأشخاص حيث ذكر ابن الصغير سوق ابن وردة⁴، و كذا بعض المدن التي نسبت إلى تيهرت مثل سوق ابن جبلة و سوق كري و سوق ابراهيم⁵، و عن مدينة غزة يقول الإدريسي: "هي مدينة صغيرة القدر فيها أسواق مشهورة لها يوم معلوم"⁶، و ذكر أيضا ابن حوقل بمثل هذا و قال: "هي مدينة صالحة"⁷، و نفهم من هذا أنه كان لكل حي أو منطقة سوق خاص بها يسمى باسمها أو اسم شخص أو حتى باسم اليوم الذي تقام فيه السوق.

1 - البكري: المصدر السابق، ص- ص 66- 67.

2 - نفسه، ص- ص 66- 68.

3 - المقدسي: المصدر السابق، ص 229، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص- ص 46- 47.

4 - ابن وردة: و هو من العجم، كان مقدم العجم و قد ابتغى سوقا يعرف به، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 54.

5 - و هي مدينة صغيرة فيها حمام و سوق و هي على هر الشلف، ابن حوقل: المصدر السابق، ص 78.

6 - الإدريسي: المصدر السابق، ص 152.

7 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص 79.

ثالثا- العمارة الحربية:

تشمل الأسوار و الأبراج و القلاع و الحصون و القصبات، و لعل من أهمها في تيهرت:

1- الأسوار و الأبراج:

تحيط الأسوار¹ و الأبراج بالمدينة عموما و تدور حولها من جميع الجهات، و هي التي تفصلها عن البادية و الحقول الزراعية و تحميها من الغزاة².

إن الدولة الرستمية رغم أنها حددت مسارها باتجاه المسالمة و حسن الجوار³ لكن هذا لا يعني أنها أهملت كلية تحصين مدينتها من الغزاة و تقوية ملكها و أمنها بالسلاح و الجيش، فقد أثار ابن الصغير مثلا الإمام عبد الرحمن أمر أن يجعل من معونة إياضية المشرق ثلثا في الكراع⁴ و ثلثا في السلاح... و اشتروا للقوم الكراع و السلاح و قوى الضعيف... و خافهم جميع من اتصل به خبرهم، و أمنوا ممن كان يغزوهم من عدوهم و رأوا أنهم قادرون على غيرهم و من كانوا يخافون أن يغزوهم...⁵.

لقد كانت تيهرت العاصمة السياسية و الإدارية و كانت في نفس الوقت قاعدة عسكرية محصنة بسور من حجر ذات قصبة محكمة التحصين قادرة على أن تصمد لكل هجوم يأتيها من الخارج⁶.

لقد كانت حاجة المدن إلى بناء الأسوار ضرورية، يحتمون وراعاها من الهجمات و اعتلوا الأبراج بحيث كانوا يرشقون منهم عدوهم، و لهذا وجب إحاطة كل مدينة تبرز إلى الوجود بسور⁷، و رغم أن اليعقوبي يصف تيهرت دون أن يشير إلى إحاطتها بسور⁸، و ابن حوقل أيضا

1 - السور: يقصد به الأبنية فهو كل منزلة من البناء، ابن منظور: المصدر السابق، م2، ص287.

2 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص107.

3 - M.Talbi : L'émirat aghlabide, paris, 1967, p353.

4 - الكراع: اسم يجمع الخيل و السلاح لكن في هذا النص نفهم منه الخيل فقط لأن السلاح يذكر بعد هذا الاسم مباشرة، ابن منظور: المصدر السابق، م3، ص1245.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص30-31.

6 - رشيد برورية و آخرون: المرجع السابق، ج3، ص109.

7 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص379.

8 - اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص358.

رغم إشارته لتيهرت القديمة بأنها ذات سور فإنه لا يشير إلى محل وجود السور في تيهرت المحدث¹، لكن ابن الصغير بإشارته إلى أبواب تيهرت يدل ذلك على أنها كانت محاطة بسور، وهذا ما ذكره البكري: "مدينة تيهرت مسورة و لها أربعة أبواب"²، و قال صاحب الإستبصار: "مدينة تاهرت وهي مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور صخر (أي حجر) و لها قصبة منيعة"³ و يحتمل أن يكون قد بني من لبن و طين تأثرا بالفن المعماري القروي⁴.

و قد دلت حفريات جورج مارسيه و دوسوس لامار⁵ الأسوار و الأبراج و هو ما لاحظته في الجزء المهم الذي به أكثر الآثار إذ به شكل مستطيل طوله 1100 متر و عرضه 400 متر يتكون من سور يحيط به من كل الجهات و بني بالحجارة المطروقة في صفوف مستقيمة و يتخلل السور من الداخل أكوام من الأحجار تبين استمراره و يعلوه انتفاخ في نقاط عديدة متساوية الأبعاد، يعتقد أنه مكان أبراج ثانوية مكونة للسور، أما في الزاوية الشرقية من السور فتظهر كومة من الأحجار المتراسة على شكل مستطيل قد تكون الجزء السفلي للبرج الرئيسي، و في الركن الغربي أيضا مبنى من الأحجار غير منتظمة في شكل مربع تقريبا قد يكون هو الآخر البرج الرئيسي الثاني.

لهذا يجب إجراء حفريات منتظمة للكشف عن قواعد و أسرار هذه الأسوار و الأبراج وإلى ذلك الحين تبقى هذه مجرد افتراضات فقط.

2- الحصون و القلاع:

دعت الضرورة الدفاعية إلى ظهور عدد من الحصون، و قد كانت منتشرة في أرجاء المغرب الأوسط، يلتجئون إليها حالة تعرضهم لهجوم خارجي، و بالتالي انتشرت حول تيهرت، و قد

1 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86.

2 - البكري: المصدر السابق، ص 66، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 32.

3 - مؤلف مجهول: الإستبصار، المصدر السابق، ص 66، سليمان الباروني: المرجع نفسه، ج 2، ص 27، محمد عبي دبور:

المرجع السابق، ج 3، ص 274.

4 - عبد الكريم جودت: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 34، و قد ذكر المقدسي و يعقوبي أن "القيروان كان عليها سور من لبن و طين" المقدسي: المصدر السابق، ص 229.

G.Marçais et L.Dessus : Tihert, op.cit, p57.

أشار ابن الصغير إلى ذلك، فذكر حصن لواتة¹، و كان للرستميين حصنهم بـ "تماليت" في طرف لواتة، يقع على غر' مينة، فيه مواشيهم و عبيدهم.

كما ذكر كل من يعقوبي و ابن الصغير عددا من الحصون و القلاع المحيطة بها مثل اسكدال² و تسلون³، حيث ورد في قول ابن الصغير أن: "محمود بن الوليد (نائر بتيهت) قد صعد إلى أعلى موضع بالمدينة يعرف بالكنيسة"⁴، و قال أيضا أن أبا اليقظان: "أتى الظاهر المشرف على المدينة المعروفة بقلعة نفوسة"⁵

و كان هناك أيضا حصن تالغمت⁶ خارج المدينة، و قد كانت الحاجة الملحة إليها خاصة أثناء الفتن التي شهدتها عهد الإمام أبي بكر⁷.

و من القلاع المنتشرة في المغرب الأوسط، نذكر قلعة "ابن هرب" و قلعة "مغيلة" و منها حصن "برقحانة"، المعروف بتيهت القديمة⁸.

و هكذا نستنتج أن الأئمة الرستميين و حكماء تيهت اتخذوا القصور البديعة لسكنائهم و أسسوا دولة شاملة و كافية بنيت دعائمها على البر و الإسلام و عملت على نشره و تعميم مظاهر الرفاهية و الرخاء، فوسعت نطاق التجارة مع كل البلاد، و أقبل البربر و المسلمون على خدمة الأرض، فأصبحت مملكة تيهت حديقة غناء فيها من كل فاكهة زوجان⁹.

1 - حصن لواتة: نسبة إلى قبيلة لواتة التي عندما تسلطت عليها هولة ضغنت عن المدينة و حلت عنها و نزلت بحصنها المعروف بحصن لواتة، ابن الصغير، المصدر السابق، ص 74.

2 - اسكدال: و هو بقية تيهت على مسيرة يوم و أزيد قليلا في مجتمع الإباضية، ابن الصغير، المصدر نفسه، ص 73.

3 - تسلون: هو على مسيرة أميال عن حصن لواتة و منه مخرج حيون غر مية الجاري من قبلة تيهت، كما يعرف أيضا بحصن تاملون أو تماليت و يقع على طرف لواتة الذي نزل به أبو اليقظان أثناء الفتنة بين هولة و لواتة، ابن الصغير، المصدر السابق، ص - ص 74 - 93، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص ص 329 - 355.

4 - الكنيسة: تطبق على دار أبي دهبس: أحمد و محمد، ابن الصغير، نفسه، ص 100.

5 - هو عبارة عن حصن بناه النفوسيون والرستميون في علوة نفوسة، ابن الصغير، المصدر السابق، ص - ص 72 - 73.

6 - تالغمت: لعلها هي القرية المعروفة بتلغمت في صحراء الجزائر بين الأغواط و غرداية على بعد 90 كم، ابن الصغير، المصدر نفسه، ص 94، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص 336.

7 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 383.

8 - ابن عذاري: للمصدر السابق، ج 1، ص - ص 153 - 163.

9 - محمد بلغراد: المرجع السابق، ص 46.

نستنتج من خلال عرضنا للمظاهر العمرانية أن اتساع دائرة تيهرت و عظم ملكها ودخول عدة مدن تحت طاعتها و ولائها، فقد كانت تيهرت شمالها و جنوبها و شرقها و غربها محفوفة بمدن كثيرة متحضرة و راقية، مما جعل المؤرخين و الرحالة ينسبون عدة مدن إليها و يتبعونها لها، و من هؤلاء، المقدسي الذي يذكر أهم هذه المدن فيقول: "و يقرب تيهرت مدينة تسمى رها، و قد خربت، و تنس مسورة عن البحر، شرهم من نهر، و قصر الفلوس و تيهرت السفلى أي القديمة على واد عظيم ذات أعين و بساتين، و أفكان مسورة على واد جار ذات بساتين، و يبل و جبل توجان على ما ذكرنا سواء مسورة مما يدل على رقيها ذات بساتين، و هو دليل على حضارتها وعمرانها، و وهران بحرية مسورة يقلعون منها إلى الأندلس في يوم و ليلة، ترى منها البرين، و هي أحد المقابر المشهورة، و جبل زلاغ مدينة على جبل عال يطل على كورة فاس، بناها خلوف بن أحمد المعتلي و بقية المدن أكثر من مسورات ذات بساتين"¹.

و هذا سليمان الباروني ينقل لنا نصا عن البشاري الحرفي ينسب ما يقارب أربعين مدينة لتيهت بقوله: "و لتيهت بحمة، تاغليسة، قاعة ابن الهرب، حرارة، جعابة، غدير، الدروع، لماية، منداي، سوق ابراهيم، رهاية، البطحة، الزيتون، نمما، يعود، الخضراء، واريفن، تنس، قصر الفلوس، بحرية، سوق كري، منحصة، أوزكي، تبرين، سوق بن مبلول، رها، تاويلت أبي مغلول، تمزيت، تاويلت لغو، أفكان (و بها نهر يأتي إلى تيهت)"².

و من خلال هذين النصين نستنتج بعض المدن التي نسبت إلى تيهت و منها مثلا مدينة إفكان التي يؤكد كل من الإدريسي و ابن حوقل على أنها كانت تابعة لتيهت³ و مدن أخرى كتنس و شلف و حتى وهران⁴.

1 - المقدسي: المصدر السابق، ص230، محمد علي دبور: المرجع السابق، ج3، ص- ص 231- 232.

2 - البشاري الحنفي نقلا عن سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص39.

3 - الإدريسي: المصدر السابق، ص151.

4 - لمزيد أكثر عن المدن المنسوبة إلى تيهت، ينظر، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 55- 82.

المبحث الثالث: الحياة الدينية و الفكرية في تيهرت

أولاً- المذهب الإباضي و آراؤه الفكرية

المذهب في مفهومه اللغوي هو الطريقة و المسلك، يقال ذهب الشخص أي سار في طريقه و مسلكه، أما مفهومه الاصطلاحي فهو استنتاج و استنباط الأحكام الفقهية تفسيراً لما ورد في القرآن الكريم و السنة النبوية، أو عن طريق الاجتهاد، و هو أيضاً مجموعة من الأفكار و النظريات العلمية و الفلسفية¹.

1- نشأة المذهب الإباضي:

بعد المذهب الإباضي أول المذاهب الفقهية في نشأته حيث تذكر المصادر الإباضية أن أول من جاء يدعو إلى مذهب الإباضية هو سلمة بن سعد² الذي قدم من أرض البصرة إلى المغرب³ ومعه عكرمة⁴ مولى بن العباس على بعير واحد، فسلمة بن سعد يدعو إلى الإباضية و عكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية، و يروي الدرجيني على لسان عبد الرحمن بن رستم نفسه فيقول: "أول من جاء يطلب مذهب الإباضية و نحن بقيروان إفريقية، سلمة بن سعد، قال: قدم علينا من أرض

1 - مجموعة من اللغويين: المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، 1989، ص- ص 487-488.

2 - سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي اليمني، عالم و داعية إباضي، أخذ العلم من أبي عبيدة مسلم، و هو أول داعية قدم إلى المغرب لنشر المذهب الإباضي رفقة الداعية الصفري عكرمة مولى بن عباس، و دخل بلاد المغرب سنة 95هـ، توفي أثناء هودته إلى المشرق لأداء فريضة الحج، ينظر، الدرجيني: المصدر السابق، ص- ص 11-12، بلحاح معروف: العمارة الدينية، المرجع السابق، ص32، الشماحي: المصدر السابق، ج1، ص123.

3 - لكننا لا نعلم على وجه الدقة متى وفد هؤلاء الدعاة، و من المرجح أن يكون ذلك مع نهاية القرن 1هـ أو مطلع القرن 2هـ، ينظر، عبيد بوداود: ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي و تداعياتها، مجلة للمواقف، عدد خاص، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطيمبولي، معسكر، أفريل 2008، ص303.

4 - ذكره الشهرستاني من بين رجال الخوارج دون أن يحدد أي فرقة منهم، ينظر، الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص137، أما بن خلكان فقال فيه: "و قد تكلم الناس فيه لأنهم يرى رأي الخوارج"، ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص265، أما المالكي فيقول عنه: "دخل عكرمة إفريقية و أقام بالقيروان و بث بها العلم و كان مجلسه في مؤخر جامع القيروان في غربي الصومعة"، للملكي، المصدر السابق، ج1، ص146.

البصرة... فسمعت سلمة يقول: وددت أن لو ظهر هذا الأمر... يوما واحدا، فلا آسف علي الحياة بعده¹.

اشتهرت الإباضية ضمن فرقة الخوارج و كان ظهورها مرتبطا بتلك الحركة، إلا أنها انشقت عنها لما ظهر غلو بعض المتطرفين من الخوارج، و كان الخلاف حول مسألة الخروج لمحاربة السلطة الأموية المناهضة لهم حيث أن فريق رأي الخروج واجبا بينما الفريق الآخر التزم القعود واعتبر الخروج لا يحل لأن المخالفين لهم يريؤون من الشرك، و بالتالي لا يجوز لهم مقاتلتهم²، وابتداء من هذا الاختلاف الذي وقع حوالي 64هـ، انقسم الخوارج إلى معتدلين ومتطرفين³ والتي قيل أنها تصل إلى العشرين فرقة تقريبا⁴ لا تجمع بينهم سوى نظريتين، أولهما: نظرية الخلافة التي لم يرفضون أن تكون من قريش، و ثانيهما: نظرية اعتبار العمل جزءا من الإيمان⁵.

و من أشهر هذه الفرق الإباضية التي تمتاز بالاعتدال في نظريتها إلى مخالفيها، حيث أنهم لا يحكمون بتكفيرهم، بل يعتبرون التزواج و الميراث مع غيرهم من المسلمين حلالا، و لا يستبيحون قتل غير الخوارج من المسلمين إلا في حالة إعلان الحرب عكس الأزارقة⁶، و أول من تزعم الإباضية هم أبو بلال مرداس بن حدير التميمي⁷ الذي وصفه الدرجيني بالورع و الديانة و العلم الصيانة و الفضائل التي لا تحصى⁸، ثم تولى بعد ذلك الزعامة السياسية أو قيادة الحركة عبد الله بن

1 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- 11- 12، صالح باحية: المرجع السابق، ص- 24- 25، ابراهيم بحاز:

عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص11، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص123.

2 - ابراهيم بحاز: المرجع السابق، ص74، محمد بلقراة: المرجع السابق، ص43.

3 - محمد الطمار: المرجع السابق، ص93، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص- 78- 79.

4 - الشهرستاني: المصدر السابق، ص34، بوزيانى الدراجي: المرجع السابق، ص30.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص3، و أيضا: Ch.Bekri : Le royaume, op.cit, p57.

6 - أبو زكرياء: نفسه، ص نفسها.

7 - عم القضاء علسه من طرف القائد الأموي عبد الله بن زياد أثناء الصلاة، كان في قرية أساك عام 61هـ و لم يكن في بية أبي بلال مرداس القتال و قد كان رفقة ثلاثين من أصحابه، محمد عليلي: المرجع السابق، ص 62، و ينظر أيضا:

Ch.B : Le royaume, op.cit, p60.

8 - الدرجيني: المصدر السابق، ص- 214- 215.

إباض التميمي¹، صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثالثة و قال عنه: "كان عبد الله بن إباض إمام أهل الطريق، و جامع الكلمة لما وقع التفريق، فهو العمدة في الاعتقادات و المبني لطرق الاستدلالات والإعتمادات، و المؤسس لأبنية مسندات الأسلاف، و المهتم لما اعتمده أهل الخلاف، و كان رأس العقد، و رئيس من البصرة و غيرها من الأمصار و المتقدم في حلبة الفضل بين أولئك الأخيار"²، كان معاصراً لمعاوية و عاش إلى أواخر عهد عبد الملك بن مروان، وصفه الشماخي بأنه: "إمام أهل التحقيق و العمدة" كما أن علاقته المتينة بعبد الملك بن مروان (26-86هـ) سمحت له بأن يقوم بدور المستشار لهذا الخليفة³، و تميز بقوة الحجة، و تم اختياره للمرافعة عن الإباضية، لما له من ملكة لسانية، فكان قوي المناظرة، إضافة إلى انتمائه إلى قبيلة بني تميم التي تولت الدفاع عنه، مما قد يدحقه الأمويين به⁴.

و يتجلى موقف عبد الله بن إباض من الخوارج من خلال الرسالة التي بعثها إلى عبد الملك بن مروان يعظه فيها و يدعوه إلى الاعتصام بكتاب الله و سنة رسوله حيث قال: "أنا براء إلى الله من ابن الأزرق و أتباعه، لقد كان خرج إلى الإسلام فيما ظهر لنا و لكنه أحدث و ارتد و كفر بعد إسلامه، ففتراً إلى الله منهم"⁵.

ب/ علماء و أعلام الإباضية:

ومن بين أشهر أعلام و علماء المذهب الإباضي نذكر:

* جابر بن زيد الأزدي:

أما الزعامة الروحية للمذهب الإباضي، فالمصادر الإباضية تؤكد على أنها كانت في يد

- 1 - الميرد: الكامل، المصدر السابق، ج3، ص297، جمعية التراث: المرجع السابق، ص- ص 5-551، محمد عليبي: المرجع السابق، ص62، و ذكره الشماخي ب: عبد الله بن إباض المري التميمي: الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص77.
- 2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص214، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص77.
- 3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص3، الشماخي: المصدر نفسه، ج1، ص نفسها، صالح باحية: المرجع السابق، ص106.
- 4 - الشيخ بلحاج: المرجع السابق، ص27 و أيضاً لحضر سيفر: المرجع السابق، ص21.
- 5 - الحاج سعيد عيسى: المرجع السابق، ص268، قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج: المرجع نفسه، ص23.

جابر بن زيد الأزدي العماني البصري المتوفى سنة 93هـ / 711م¹، و يكنى بأبي الشعثاء²، صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثالثة و وصفه ببحر العلوم العجاج، و سراج التقوى ناهيك به من سراج أصل المذهب و رأسه و منار الدين، و من انتصبت به أعلامه، صاحب بن العباس رضي الله عنه، و كان أمهر من صحبه، و قرأ عليه³، أخذ العلم عن كثير من الصحابة أمثال عائشة و ابن مالك و عبد الله بن عباس⁴، و قد كان أبو عباس يمتدح علمه فيقول: "سألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق و المغرب لو سعه علمه"، و قال أيضا: "جابر بن زيد أعلم الناس، عجا لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا و عندهم جابر بن زيد، لو قصدوا نحوه لو سعه علما"، و لما مات جابر بن زيد قال أنسب بن مالك: "مات أعلم من على ظهر الأرض" أو "مات خير أهل الأرض"⁵.

اعتمد جابر بن زيد في دعوته استعمال التقية الدينية و جعلها منهاجا لعمله الدعوي، فلم يكن يعلم بنشاطه إلا الخاصة من أتباعه و كان يخفي انتماءه و يوصي أصحابه أن يحافظوا على السرية، فكانت التقية سببا في نسب المذهب الإباضي إلى عبد الله بن إباح الذي تولى التمثيل السياسي بعد جابر بن زيد⁶.

و النماذج التي تحلت فيها هذه التقية لدى الإمام جابر بن زيد أنه سار على سياسة ودية تجاه الأمويين، و ارتبط بعلاقات وثيقة مع الحجاج بن يوسف الثقفي (40-95هـ) إذ كانت له

1 - عون التابعين ولد بقرية هرق من أعمال نزوي بعمان، ولد حوالي سنة 21هـ، روى الحديث عن الكثير من الصحابة أمثال عائشة و عبد الله بن الزبير و عبد الله بن عباس، تعتبره الإباضية إمام المذهب الإباضي، و يعتبر بشهادة أبي زكرياء نفسه من أكبر علماء المذهب، جمعية التراث: المرجع السابق، ص- ص 117-118، البخاري: التاريخ الكبير، المصدر السابق، ج1، ص204، الذهبي: المصدر السابق، ص- ص 68-72، جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص40.

2 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص- ص 70-71، و الشعثاء هي بنت جابر التي كفى بها، و قد توفيت في مدينة الفرق بعمان، و قبرها معروف بها إلى الآن، ينظر هامش علي دبوز: المرجع السابق، ص139، و للمزيد عن أبي الشعثاء ينظر: يحيى بكوش: فقه الإمام جابر بن زيد، ج1، النار العربية، ط2، غرداية 1988، ص11، جمعية التراث: المرجع السابق، ص- ص 117-118.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ج2، ص205.

4 - كان عبد الله بن عباس أعلم الصحابة بالقرآن الكريم و صاحب حجة و اقتناع، و قد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه دعا له بقوله: "اللهم علمه الكتاب"، ينظر، البخاري: المصدر السابق، ص41.

5 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص205، الذهبي: المصدر السابق، ص72، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص70.

6 - محمد علي: المرجع السابق، ص63، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص21.

زيارات دورية له في قصره¹ بحيث عرض عليه عامل بني أمية منصب القضاء، و قد بلغت ثقة الحجاج به إلى أن عرض عليه منصب القضاء، و قد كان لجابر بن زيد كتاب ضخيم عنوانه "ديوان جابر" أُلّف عندما أحرقت مكتبة بغداد العظيمة².

* أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة:

بعد وفاة الإمام جابر بن زيد سنة 93هـ، خلفه على إمامة الإباضية، أبو عبيدة مسلم الذي كان مثالا للورع و التمسك بالدين، من أعلم تلامذة جابر بن زيد و أشدهم تفانيا في الدفاع عن الدعوة، شديد التمسك بمبادئ أستاذه³.

و قد اشتهر أبو كريمة بصناعة القفاف و كان زنجيا أسود اللون أعور و فقيرا، وصفه الشماخي قائلا: "تعلم العلوم و علمها، و رتب روايات الحديث و أحكامها، و هو الذي يشار إليه بالأصابع بين أقرانه و قال: "و قد اعترف مع ذلك بضيق الباع مع ما لديه من المتاع"⁴، و صنّفه الدرجيني ضمن الطبقة الثالثة قائلا في حقه: "منهم أبو عبيدة كبير تلامذته جابر، و ممن حسنت أخباره، تعلم العلوم و علمها، و رتب الأحاديث و أحكامها، وحافظ في خفية على الدين حتى ظهر على يد الخمسة الميامين، حسب ما تقدمه من ذكر دراستهم و حملهم العلوم، و كان عالما مع الزهد في الدنيا و التواضع مع نيل الدرجات العليا و الاعتراف بضيق الباع على ما عليه من الأتباع"⁵.

و لقد آثر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أسلوب المناقشة و الحوار مع معارضيه، و من بينهم الإباضية، فحاول أبو عبيدة و مشايخ الإباضية بالبصرة التقرب من الخليفة، فأرسلوا إليه وفدا

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص4.

2 - الحاج سعيد عيسى: المرجع السابق، ص264، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص4.

3 - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص534، لخضر سيفر، ص22.

4 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص83، لخضر سيفر: المرجع نفسه، ص23.

5 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص238.

برئاسة جعفر بن السماك¹ و الذي وصفه الدرجيني قائلا: "و منهم جعفر بن السماك، شيخ الصيانة و الزاها و ركن الديانة و الفقاها... له الكعب العالي في أهل زمانه، و التقدم في فضله و مكانه"² و قد رجع الوفد راضيا عن سياسته الخليفة³.

و لأن العلاقات اتسمت بالود بين الإباضية و السلطة في عهد الخليفين سليمان بن عبد الملك (96-99هـ) و عمر بن عبد العزيز، فإن أبا عبيدة استغل هذه المرحلة و هذه الظروف في حركته من أجل تأسيس إمامة الظهور، فقام بتطوير تنظيمات المجالس السرية التي كانت تقام بالبصرة، فشهدت الجماعة في عهده تنظيما محكما، قسم المهام على مجالس العلماء و الأعيان و العامة لتدعيم الدعوة، مما يسمح بوصولها إلى أبعد المناطق في العالم الإسلامي⁴، و يمكن تمييز ثلاثة أنواع من المجالس السرية:

*أولا- المجالس العامة: و كان يحضرها كل شخص من أهل الدعوة و تعقد سرا في بيت أحد المشايخ أو في سراديب أرضية، و تقدم فيها دروس في العقيدة.

*ثانيا- مجالس المشايخ: و كان يحضرها فقط زعماء الإباضية و تقرر فيها السياسة التي يجب اتباعها اتجاه المستجندات، و يقوم بدور التخطيط و التنظيم.

*ثالثا- مدارس حملة العلم: قام أبو عبيدة بإنشاء مدرسة يتلقى فيها الطلبة دروسا مباشرة من أبي عبيدة، و كان ظاهر المدرسة معملا لصناعة القفاف حتى سمي بالقفاف⁵، و هو عبارة عن سرداب وضع في مدخله سلاسل حديدية، ففي حالة ما إذا سمع صلصالها، انشغلوا بصناعة القفاف فلا يشتبه في أمرهم⁶. فلما أدرك أبو عبيدة صعوبة الدعوة للمذهب الإباضي بالشرق الإسلامي خاصة

1 - جعفر بن السماك: أحد تلامذة أبي عبيدة مسلم، عرف بحماسة الإباضية و بعلمه الغزير و تقواه و ورعه و بلاغته وفصاحته، موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص226.

2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص232.

3 - عوض خليفات: المرجع السابق، ص34.

4 - لحضر سيفر: المرجع السابق، ص22.

5 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص83، عوض خليفات: المرجع السابق، ص53.

6 - يذكر الشماخي: "في سرب و على فمه سلسلة..."، الشماخي: نفسه، ج1، ص164، بلحاح معروف: العمارة الدينية، المرجع السابق، ص30.

بعد وفاة عمر بن عبد العزيز و اعتلاء يزيد بن عبد الملك الخلافة (101-105هـ) حيث ظهرت نزاعات ثورية و برزت طائفة متطرفة من بين الإباضية تنادي بوجوب ثورة¹، أي أن ينطلق الإباضية بدعوتهم إلى أطراف الدولة و على الأخص بلاد المغرب، فاختار أحد تلامذته معروف بحماسة الإباضية و بعلمه الغزير و تقواه و ورعه و بلاغته و فصاحته لسانه و هو سلمة بن سعد، و الذي بدأ دعوته في سرت ثم طرابلس إلى أن وصل إلى إفريقية، كان يجمع الطلبة من جهات مختلفة و يكون منهم بعثة للسفر إلى البصرة، و منهم الخمسة، حملة العلم إلى إفريقية و هم عبد الرحمن بن رستم، و عاصم بن جميل السدراي، و اسماعيل بن درار الغدامسي و أبو داود القبلي النفزاوي²، ثم انضم إليهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، و قد اختاره أبو عبيدة مسلم رئيسا للإباضية التي ينوي البربر إقامتها في المغرب لغزارة علمه و مهارته في الاستنباط³.

و عاد حملة العلم الخمسة إلى المغرب الإسلامي بعد إقامة دامت خمس سنوات في البصرة، فلما أرادوا الخروج عنه سأله اسماعيل بن درار عن ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحكام فقال له أبو عبيدة، أتريد أن تكون قاضيا يا ابن درار؟ قال: رأيت إن أبليت بذلك، قال: لا تفت بما سمعت مني و لا بما لم تسمع، فمنعه من الفتوى كلية⁴.

*الربيع بن حبيب:

هو ابن عمر الأزدي الفراهدي، خرج إلى البصرة طالبا للعلم، من علمائها الأجلاء كيفية العمانيين الذين تلاحقوا على هذه المدينة منذ عهد عمر بن العاص⁵، و كان صاحباً لأبي عبيدة، فتصدر من بعده كل علماء المذهب، و أدرك في شبابه الإمام جابر، و لعل أكثر ما حماه الربيع بن حبيب و ضمما بن السائب أحد تلاميذه جابر بن زيد الأزدي، فكان الإمام الربيع بن حبيب

1 - بلحاج معروف: المرجع السابق، ص31.

2 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص164. موسى لقبال: المرجع السابق، ص227.

3 - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص353.

4 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص164، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص23.

5 - عمر بن العاص (تعريف بحث)

يقول: "أخذت الفقه عن ثلاثة، أبي عبيدة، أبي نوح و ضمام بن السائب"¹، و صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الرابعة (150-200هـ) قائلا: "منهم الربيع بن حبيب رحمه الله، طور المذهب الأشم، و علم العلوم الذي إليه للملجأ في معظمات الخطب، و من تشد إليه حبال الرواحل و تزم، صاحب أبا عبيدة فاغترف من بحره الزاخر، و لزم مجلسه، فكان الأول و الآخر، روى عنه "المستند" المشهور، المتعارف البركة على مر العهود، وله في الفروع كل قول و مذهب، أجوبته من المعتمدة في المذهب، بآمن من يخالف من حاضريه أهل العدل و الطوب و وصف في الإمامة و الولاية بالبراءة عند موافقة السنة و الكتاب و الصواب عندنا في كل ذلك جوابه، فإن سمعت بأصحابه فنحن و الحمد لله أصحابه"².

3- مبادئ المذهب الإباضي و آراؤه الفكرية:

مما لا شك فيه أن الصورة تبقى مبتورة إذا توقفنا عند هذا الحد، لهذا من الضروري ذكر بعض المبادئ و الأفكار الإباضية، و لعل المذهب الإباضي أقرب المذاهب إلى السنة، إذ يقول ابن إباض أقرب الأقاويل إلى السنة³، و ذكر الدرجيني في وصفه لابن إباض ما يلي: "و المهتم لما اعتمده أهل الخلاف... و على ما اعتقده بن الأزرق في الحمدية و عدل عن طريقي البيهسية والتجدية"⁴، و هذا يعني أن الإباضية لا يوافقون الأزارقة في دمويتهم و غلوهم و تحلة دماء و أموال أمة محمد عليه الصلاة و السلام، لهذا خالفوهم و تبرؤوا منهم، فانفصلوا عنهم و كان ذلك في سنة 65هـ/684م في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/675-705م).

و من هنا نستنتج أن الإباضية من الفرق الإسلامية المسالمة المعتدلة في آرائها و مبادئها، وهي أقرب إلى أهل السنة و الجماعة، و منه يمكن إجمال هذه المبادئ و الأفكار فيما يلي:

- 1 - مريم بن سعيد: المرجع السابق، ص23.
- 2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص273.
- 3 - الميرد: المصدر السابق، ج3، ص299، إبراهيم بخاز: المرجع السابق، ص77.
- 4 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص214.

- مصادر التشريع الإباضي هي القرآن و السنة و الإجماع و القياس و الاستدلال¹، كما يصف
تساو المتخصص في الإباضية أن البرهان يصدر من الكتاب و السنة و الإجماع و العقل و هو ما
يعادل القياس، و بالتالي، الأسس الأربعة للتشريع هي الكتاب و السنة و رأي المسلمين و العقل،
ومنه الإباضية متوافقة مع السنة².

- القرآن مخلوق عند قسم منها المغاربة خاصة، و غير مخلوق عند القسم الآخر³، و توجد في
"الجواهر المنتقاة" للبرادي رسالة مطولة لرابع الأئمة أبو اليقظان، يتحدث فيها عن خلق القرآن في
الفصل الخاص بالحياة الفكرية⁴.

- يرى فقهاء الطائفة أن مرتكب الكبيرة موحد و ليس مؤمنا، فمن أقوال عبد الله بن إباض: "لا
تقل فيمن خالفنا أنه مشرك لأنه معه التوحيد و الإقرار بالكتاب و الرسول صلى الله عليه و سلم و
إنما هو كافر للنعم، و موارثهم و مناصبهم و الإقامة معهم حل و دعوة الإسلام تجمعهم و قتالهم
غير جائز إلا بعد إقامة الحجة عليهم و دارهم دار السلام ما عدا معسكر السلطان"⁵.

فكانت بذلك نزعتهم أميل إلى السلم، فلم يتعالوا في الحكم على مخالفهم كالأزارقة، فهم
يرون أن مخالفهم براء من الشرك و الإيمان، و أنهم ليسوا مؤمنين و لا مشركين، و لكنهم كفار،
و أجازوا شهادتهم و حرموا دماءهم في السر و استحلوا في العلانية، و صححوا مناصبهم
والتوارث منهم، و قاموا باستحلال بعض أموالهم دون بعض، و الذي استحلوه الخيل و السلاح،
أما الذهب و الفضة فأنهم يردونها إلى أصحابها عند الغنيمة⁶.

- رؤية الله مستحيلة و لا تتحقق للإنسان أبدا، لا في الدنيا و لا في الآخرة، كما جاء في الفصل
الثالث من "الرسالة الشافية" لمحمد أطفيش المتوفي سنة 914⁷.

1 - بلحاج معروف: العمارة الدينية، المرجع السابق، ص- ص 42- 43.

2 - سلفادور عومث نوغاليس: الرستميون قطرة ضلة بين الجزائر و الأندلس من خلال الإباضية، العدد 46، رجب 1977.
الملتقى الفكري الحادي عشر للفكر الإسلامي، وارجلان، ص16.

3 - Ch.Bekri :le karijisme op.cit, p58.

Ibid : p59.

4 - البرادي عن:

5 - موسى لقبال: المرجع السابق، ص- ص 229- 230.

6 - العدادي: الفرق، المصدر السابق، ص83.

7 - Louis Garder : op.cit, p - p 214- 215.

- 7

-الإتفاق مع المذاهب السنية في أن أفعال الإنسان من خلق الله، لكن للإنسان حرية اكتساب الأفعال، فهو ليس مجبراً على القيام بها¹.

-الإيمان يكون بتطبيق أركان الإسلام، و من مات على كبيرة و لم يتب خلد في النار²، أي أن الخلود في الجنة و النار أبدي، لا يشقى من سعد في الآخرة و لا يسعد من شقى في الآخرة أبداً.
-الإنكار معلوم من الدين بالضرورة شرك³.

-الصفات الإلهية هي عين ذات الله.

-النفاق منزلة من الشرك و الإيمان و لا منزلة بين الإيمان و الكفر.

-الإيمان قول تصديق و عمل و ليس قولاً و تصديقاً فقط دون عمل.

-شفاعة الرسول ثانية⁴.

-يعتبرون الجوانب المادية و الروحية متكاملة، لذلك أنكروا التصوف⁵.

- الإمامة فرض و لا ينحصر في عنصر خاص، وإنما شرطها هو الكفاءة و الشرعية⁶.

-الإمامة أربعة أنواع و تعرف عند الإباضية بمسالك الدين وهي: الظهور، الدفاع، الشراء و الكتمان⁷.

الإمامة الظهور: وهي واجبة عندما تتوفر شروطها لتأسيس دولة إباضية المذهب و شروطها هي أن يكون مسلمو الإباضية أقوى من غيرهم بحيث يستطيعون انتخاب من يحكم علناً و ذلك طبقاً لكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و سيرة الخلفاء الراشدين، من بعد فيقوم إمام

1 - الحاج سعيد عيسى: المرجع السابق، ص272، إبراهيم مجاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص- ص 77- 78،

أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص- ص 289- 290.

2 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص64.

3 - نفسه، ص نفسها.

4 - بلحاج معروف: العمارة الدينية، المرجع السابق، ص43.

5 - الحاج سعيد عيسى: المرجع السابق، ص272.

6 - محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص78.

7 - عوض خليفات: المرجع السابق، ص- ص 113- 190.

الظهور بالقطع و الجلد و الرحم و أخذ الحقوق¹، و الظهور بمعنى تولية إمام عدل تسند إليه الأمور².

ب/ إمامة الدفاع: هي مرحلة بين الظهور و الكتمان³، فإن كان الإباضية في طور الكتمان و داهمهم العدو، فتجب عليهم أن يعلنوا حالة الدفاع عن انفسهم، و يعتقدوا إمامتها لمن يعرف بالشجاعة و الخبرة العسكرية و من يطلق عليه إسم إمام الدفاع⁴، و مهمته الدفاع عن الوطن حتى نهاية الحرب، و تزول إمامته بزوال الخطر الداهم⁵.

د/ إمامة الكتمان: و تعبر عن مرحلة الضعف بحيث يركنون إلى السرية و استعمال التقنية و ينتخبون إماما عليهم، يكون عادة هو أعلم كجابر بن زيد الأزدي، و أي عبدة مسلم، و يقومون بنشر الدعوة سرا.

و لعل هذه الأفكار و المبادئ الإباضية و التي يكون مسك ختامها ما ذكره الإمام الإباضي في القرن الرابع عشر الشيخ أطفيش قطب الأئمة حيث قال: "إن الحق ما نحن عليه و الباطل ما عليه خصوصنا، لأن الحق عند الله الواحد، و مذهبنا في الفروع صواب يحتمل الخطأ، و مذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصدق"⁶.

نستنتج من خلال الحياة الدينية في الدولة الرستمية أن أغلب سكان تيهرت كانوا يعتقدون المذهب الإباضي، لكن هذا لا يمنع وجود أقليات مذهبية و دينية كالصفرية و المالكية و المعتزلة بالإضافة إلى النصارى و اليهود عاشوا مع الإباضيين في سلام و وئام طيلة حكم الرستميين، و هذا ما يشير إليه بن الصغير عندما ذكر تسامح الإباضية بقوله: "و لا يمنعون أحدا من الصلاة في

1 - محمد أبو زهرة: للرجع السابق، ص 79.

2 - الدرر جيني: للمصدر السابق، ج 1، ص 6.

3 - الكتمان: ملازمة الأمر سرا بلا إمام، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 25.

4 - إمامة الدفاع: أن يدعم أهل الكتمان

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 5، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، ص 80.

6 - أطفيش نقلا عن ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، للرجع السابق، ص 88.

مساجدهم و لا يكشفون عن حاله ما على المسجد الجامع، فإنهم إذا رأوا فيه من رفع يديه منعه و زجروه، فإذا أعاد ضربه¹.

ثانيا- عوامل ازدهار الحركة العلمية و الفكرية بتهرت

لقد تضافرت عدة ظروف سياسية و اقتصادية و اجتماعية إضافة إلى جهود الأئمة الرسميين أنفسهم في النهضة الثقافية و الثراء المعرفي نذكر على سبيل المثال:

1- تشجيع الأئمة الرسميين للحركة الفكرية:

مما لا شك فيه أن الطابع الذي كان غالبا على الأئمة الرسميين زهدهم في شؤون الحياة الدنيا، و علوهم عن شهواتها و ملذاتها، حيث كان همهم الوحيد هو الظفر بمروضة الله تعالى، لذلك كانت عنايتهم الكبيرة بالعلوم خاصة الدينية منها².

و لذا فقد بذل الأئمة الرسميون جهودهم في سبيل تنشيط الحركة الفكرية و العلمية في ربوع دولتهم من تشييد للمساجد و الدور العلمية و جلب الكتب من المشرق، فكان لاهتمامهم أثر في تفعيل المجال العلمي³، كما اهتمت أيضا الدولة الرسمية بإنشاء المكتبات العلمية اللاحقة بمختلف فنون العلم و الآثار، و لعل من أشهر مكتباتها، مكتبة المعصومة التي كانت تحوي آلاف من المجلدات و الكتب، قدرها الباحثون بثلاثة آلاف مجلد⁴، فمن بين ما كانت تحويه، كتب الحرف و الفنون الدينية و الدنيوية⁵، و لعل تسامح الأئمة هو الذي زاد و أفاد توسع النطاق المعرفي،

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص.

2 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص111.

3 - معروف بلحاج: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص241.

4 - المعصومة: ربما يكون قد أطلق عليها هذا الاسم لقرنها من القصبة التي كانت مشرفة على السوق المسماة المعصومة، البكري، المصدر السابق، ص66، ياقوت الحموي: للمصدر السابق، ج2، ص8، مهنا السعدي: النولة الرسمية دولة جهديها التاريخ، على موقع www.FRWLA.com، نظر يوم، 11-02-2006، 10:45.

5 - موسى لقبال: من قصايا التاريخ الرسمي، مكتبة المعصومة، هل أحرقت؟ أم نقلت عيوها إلى سدرانة في حوار بني وارجلان؟ مجلة الأصالة، العدد 44، وارجلان، 1977م.

وأصبحت بهذا تيهرت توازي القيروان حاضرة العلم¹، حيث أهتم كرسوا حياتهم للعلوم و شرائها و نشرها في كل طبقات المجتمع، و ذلك بشجيعهم على طلب العلم، حتى وصل بهم الأمر إلى لتدريس بأنفسهم في جامع تيهرت و بجبل نفوسة²، حيث أنه كان من بين الشروط التي تؤخذ بعين الاعتبار عند اختيار الإمام، و مبايعته أن يكون عالما ورعا³، و هذا ما لمسناه من أغلب الأئمة الرستميين لا سيما الأولين منهم. فالإمام عبد الرحمن بن رستم كان قد أخذ العلم من المشرق، واعتبر من حملة العلم كم ذكرنا⁴، و كان له من العلم الغزير، حيث قال عنه

أحد معاصريه: "لا أعلم من يخرج مسائل الدماء، أهل القبلة في زماننا إلا عبد الرحمن بن رستم بالمغرب كما كان سمحا غير متشدد في الدين"⁵، بارعا في علوم الدين و اللغة و الفلك، و كان محبا للعلم فأقبل على التأليف على قلة ما كان يجده من الوقت، فصنف كتابا في التفسير⁶، هذا الذي تنافس عليه الإباضية الوهبية و النكارية على اقتنائه، ذلك لأن الكتاب هو لأول إمام لم يقع عليه الاختلاف، و تولته الطائفتان معا، أما كتابه الثاني فقد جمع في خطبه التي كان يلقيها و ما أسهم به ذلك في نشر الدين و الفقه و الثقافة⁷، ليليه فيمات بعد ابنه الإمام الرستمي الثاني عبد

1 - صالح باحية: المرجع السابق، ص57، و قد تحدث عنها ابن حوقل فقال: "فكانت القيروان أعظم مدينة بالمغرب و أكثرها تمرا و أموالا و أحسنها منازل و أسواقا، و كان فيها ديوان جمع المغرب و إليها تجي الأموال و بها دار سلطاتها و بظاهرها المكان المدعو رقادة كانت منازل لآل الأغلب"، ابن حوقل: المصدر السابق، ص96، خاصة الدور الذي لعبه مسجدها الجامع حيث قيل: "لم يبن عقبه مدينة لها جامع بل بنى جامعا له مدينة"، أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته و نظمته، دار الفكر، ط2، دمشق، 1982، ص358.

2 - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص574.

3 - معروف بلحاج: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص241.

4 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص26.

5 - ابراهيم محاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص265.

6 - محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبد التاريخ، ج1، دحلب للنشر، الجزائر، ص- ص 34-36، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص574، و رغم أن البرادي و موتلنسكي بذكران عبد الرحمن ألف شرحا للقرآن، و قد احتفى هذا الشرح و هو أقدم شرح للقرآن ذكرته الآثار الأدبية الإباضية، إلا أن ابن الصغير يذكر أن عبد الرحمن لم يكن له كتاب معروف من تأليفه، تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة ريم جزار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 2000، ص- ص 38-39.

7 - مهنا السعدي: المقال السابق، في الموقع الإلكتروني السابق.

الوهاب بن عبد الرحمن (171-208هـ)، والذي سار على خطى أبيه، فكان عالماً يلقي دروساً في مساجد جبل نفوسة¹.

و من المؤلفات التي نسبها إليه ابن الصغير هي نوازل² نفوسة الجبل، و يضيف ابن الصغير أن هذا الكتاب كان في أيدي الإباضية، مشهوراً عندهم، معلوماً يتداولونه قرناً بعد قرن، و قد كان هذا الإمام يبعث بالأموال إلى العراق لشراء الكتب، و لا يمل قراءتها شتاءً أو صيفاً³.

أما الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ) فيعتبر عهده من أزهى عصور الدولة الرستمية ثقافة و فكراً، و رخاء اقتصادياً، فقد كان قبل توليه الإمامة يقعد بين يديه ثلاث حلقات في علم الفقه و الكلام و اللغة⁴، و له أجوبة و نوازل تخص المسائل الفقهية، حيث نقل عنه العديد من المؤرخين أمثال أبي زكرياء في الحديث و الشعر و غيرهم⁵، فأصبح من العلماء المشهورين، و انفرد بأقوال في علم الكلام، و اعتبر من أهلها إماماً، كما بلغ مبلغاً في حساب الغبار، و النجامة، كما حث على دراسة الكتب حيث قال: "عليكم بدراسة كتب المسلمين، لا سيما كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل"⁶، و الإمام محمد بن أفلح بن عبد الوهاب الذي قال عنه الدرجيني: "فكانت نفوسة فيما قيل لا يعدلون أيامه و سيرته إلا بأيام جده عبد الرحمن وسيرته، و ذلك أنهم اتخذوا مجلسه حينئذ كالمسجد، فطائفة يصلون و طائفة يقرأون الكتاب، و طائفة يتذاكرون في فنون العلم... و له تأليف في الرد على أهل الخلاف لا يشق فيها غباره"⁷.

1 - بلحاج معروف: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص 241.

2 - هي التي تنزل على العباد مما ليس لهم عهد من كتاب الله و لا سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فيسرع لهم الجهاد بين محطى و مصيب، و الكل محمول عنهم، أو مسائل نفوسة، يجب فيه عن 300 سؤال، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 45، هامش إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 267، ذكر المخطوطة رقم تادبوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص 42.

3 - الشماحي: المصدر السابق، ج 1، ص 162، محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج 3، ص - ص 272-273، تادبوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص نفسها.

4 - الوسياني نقلاً عن تادبوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص 143، و ستتطرق للعلوم في الحياة الفكرية.

5 - بلحاج معروف: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص 242، و لقد نحا نحو أبيه الإمام عبد الوهاب و ألف كتاباً سماه "جوابات الإمام أفلح"، محمد علي: المرجع السابق، ص 84.

6 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 81.

7 - الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص - ص 83-84.

إن المدن المغربية عامة و تيهرة خاصة و التي شيدت على الأسس المادية و الفكرية للحضارة الإسلامية¹، لعبت دورا كبيرا في إثراء الثقافة و الفكر الإسلاميين، فقد ظلت زمنا طويلا كمراكز لإنتاج علمي و فكري غزير في ظل مؤسسات علمية و دينية زخرت بها المدن المغربية، ومن أبرز المدن التي قادت هذا الدور الفعال في بلاد المغرب، تيهرة التي عرفت توسعا عمرانيا كبيرا، خاصة في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب²، فقد أصبحت مقعدا للعلماء و الفقهاء والأدباء بمختلف أفكارهم المذهبية، فكان شأنها كبيرا بين المدن الإسلامية الأخرى، و ما مقارنتها بحواضر العالم الإسلامي في هذه الفترة إلا دليل على المكانة التي بلغتها في مجالات في مجالات عدة و خاصة الثقافية، فقد شبهها بعض المؤرخين بقرطبة و دمشق و بغداد³.

إن مدينة تيهرة لم تكن فقط العاصمة السياسية للرستمين، بل كانت عاصمتهم الثقافية والحضارية، و من أكبر المؤسسات الثقافية و العلمية في تيهرة مسجدها الجامع و هو ثاني معلمة دينية و حضارية في المغرب الإسلامي بعد القيروان، و الذي كان بمثابة مدرسة الإباضية⁴، ليس فقط لإباضي الدولة الرستمية بل لمعتقي هذا المذهب من كل مكان لدور و اهتمام أئمتهم في إنشاء الفقه الإباضي و تطويره، دون أن ننسى دور مكتبة المعصومة التي جسدت جهود أئمة الدولة الرستمية و حققت مساعيهم في تحويل حاضرة دولتهم إلى مركز إشعاع فكري يضاهي لا بل ينافس المراكز الثقافية الأخرى في العالم الإسلامي في زمانها⁵، خاصة و أن الأئمة الرستميين قاموا بتزويد مكتبتهم بأمهات الكتب و نفائسها، فكانت عامرة بمختلف ألوان الأدب و فروع العلم،

1 - محمد حسين سليمان: التراث العربي الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص 57.

2 - إحسان عباس: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، المجلد 1، 1977، ص 126.

3 - عبد العزيز النوري: التكوين التاريخي للأمة العربية (دراسة في الهوية و الوعي)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، 1984، ص 79.

4 - سليمان داود بن يوسف: مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية و تركيزها، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، م 1، ص - ص 82 - 83.

5 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص 51.

وما يفسر ضخامة الكتب التي حوتها أنه قيل أنها قدرت ب300 ألف مجلد¹ في شتى صنوف العلم والأدب.

إن موقع تيهرت الوسطي في المغرب الإسلامي جعلها ملتقا تجاريا و علميا و مذهبيا، فقد توافد عليها عدد كبير من الناس إما لغرض الإقامة الدائمة أو ارتحالا طلبا للعلم، كما كانت التجارة و ما توفره من مكاسب عاملا مهما في الترحال إليها، فقد سكن تيهرت أهل المشرق والقيروان و من الأندلس، فضلا عن بعض المسيحيين و حتى اليهود²، و بما أن أصول الدول التي تأسست في المغرب كانت عربية، فقد حرص أمراءها و أئمتها على تنشيط حركة التعريب³، و قد واكب انتشار اللغة العربية، التعريب الجنسي⁴، و هو يعني استقرار القبائل العربية في المدن و بناء مدن حديثة انصهر فيها العنصر العربي و البربري في مجتمع واحد ولاءه للعقيدة أو المذهب الديني الذي ينتمي إليه، كما أن ازدهار التجارة في المدن ترتب عنه تحول في البنية الاجتماعية فقد شهد القرنان الثاني و الثالث الهجريين⁵، انتقال قبائل بلوية إلى المدن و هو انتقال من البداوة إلى التحضر، ما يعني زيادة فرص تعلم العربية بين هذه القبائل.

إن المدن المختلطة⁶ التي يسكنها العرب و البربر و التي أسهمت في نشر العربية بشكل واسع، فالبربري المسلم كان يرى لزاما عليه تعلم العربية حتى يفهم دينه، فالإسلام إذا هو الحافز الذي دفع البربر إلى الإقبال على تعلم اللغة العربية، فضلا على أن اكتساب العلم و الثقافة في ذلك العصر يتطلب معرفة اللغة العربية.

1 - عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص86، عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ص60.

2 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص60.

3 - عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص77.

4 - شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، لبنان، 1981، ص- ص 157-160.

5 - عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص77.

6 - نفسه، ص نفسها.

و ما يمكن قوله هو أن المدينة تيهرت و حواضر أخرى كالقيروان و فاس كانت بوثة انصهرت فيها عناصر الإشعاع الحضاري و هو ما يعني النهضة¹.

3- تعايش المذاهب و الفرق الدينية في تيهرت:

كان المغرب الإسلامي تربة خصبة لاحتضان و نمو الفرق و المذاهب الدينية و الإسلامية التي نشأت في المشرق، و تسربت إلى المغرب في فترات مختلفة، إما نتيجة صراعات جعلت زعماءها يفرون بأفكارهم لبثها في أوساط البربر أو نتيجة وفود العلماء و الفقهاء القادمين من المشرق خاصة في عصر الولاة².

إن المتتبع لتاريخ المغرب الإسلامي يجد أنه معلوم من معالم الحضارة الإسلامية أو يظهر له هذا جليا في الحياة الفكرية بمختلف اتجاهاتها لا سيما منها الدينية و المتمثلة أساسا في المذاهب الإسلامية بمختلف أنواعها السياسية و العقائدية من خوارج و شيعة و معتزلة و الفقهية من حنفية و مالكية و شافعية و حنبلية، احتفت في غالبيتها من حواضر المغرب الإسلامي، و بقي منها راسخا المذهب المالكي.

و قبل معرفة ما دور الاختلاف المذهبي من إثراء الجانب الثقافي و الفكري، و هل كان هناك صراع أو حوار مذهبي؟ يجب علينا أن نقف على نشأة هذه المذاهب و الفرق الإسلامية، والتي كان لها بدون شك أثر بارز في المغرب الإسلامي سياسيا و ثقافيا، و منها المذاهب الفقهية أو السنية و الفرق الدينية.

أ/ المذاهب السنية³:

نشأت المذاهب السنية الأربعة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، إلا أن المغرب تأثر أكثر بالمذهب المالكي و الحنفي.

R.Cornevin : op.cit, p265.

1 -

2 - محمد علي دبور: المرجع السابق، ص58.

3 - المذاهب السنية المشهورة في الفقه هي: المذهب المالكي اتبعه بصفة خاصة أهل المغرب الإسلامي، المذهب الشافعي اتبعه أهل مصر، الخليلي اتبعه أهل الشام و بغداد و المذهب الحنفي، اتبعه أهل الهند و الصين و خراسان... ينظر: عبد الرحمن بن حلدون: المقنعة، المصدر السابق، ص- ص 496-497.

- المذهب المالكي: نسبة إلى الإمام مالك بن أنس¹، وهو من وضع أصولاً للمذهب وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وعمل أهل المدينة وقول الصحابة والاستحسان².
وقد نال الإمام مالك من ثناء العلماء³، ما لم يتله عالم قبله حيث يقول عنه شيوخ من أهل المدينة: "ما بقي على ظهرها - يعني الأرض - أعلم بسنة ما فيه ولا بقية منك يا مالك"⁴.
خلف الإمام مالك عدة مؤلفات ورسائل ومصنفات في مقدمتها الموطأ⁵ والمدونة التي ألفها الفقيه عبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون⁶ (160هـ/240م)، وهي عبارة عن مجموعة رسائل جمعها أسد بن الفرات⁷، ما سمعه من مالك في الموطأ وكانت تسمى الأسدية⁸ وجمعها ابن القاسم أحسن تلاميذ الإمام مالك⁹.

- 1 - مالك بن أنس: هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث يقول عنه ابن فرحون: "كان طويلاً جسماً، عظيم الهامة، شديد البياض يميل إلى الصفرة، حسن الصورة"، ابن فرحون إبراهيم بن علي: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق برهان الدين إبراهيم، مطبعة الفحامين، مصر، 1351هـ، ص 18، الزرقاوي: موطأ مالك، دار الجليل، بيروت، ج 1، ص 02.
- 2 - شهاب الدين عبد الرحمن: إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك، ب. ط، المكتبة الثقافية، لبنان، ب. ت، ص 74.
- 3 - ابن فرحون: المصدر السابق، ص 20، محمد أبو زهرة: مالك بن أنس، المرجع السابق، ص 66، الزرقاوي: المرجع السابق، ص 4.
- 4 - ابن فرحون: نفسه، ص 22.
- 5 - قبل ممي بالموطأ لأن الإمام مالك على بضعة عشر تابعياً، وكلهم واطفوه على صحته، ينظر بن محمد مخلوف: المصادر السابق، ص 59.
- 6 - هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، أصله من الشام وهو مفتي القيروان وقاضيتها، أخذ عن أبي القاسم وابن وهب وأشهب، ينظر أبي الفلاح عبد الحفيظ بن عماد الخليلي: شذرات المذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، 1979، ط 2، ج 2، ص 12، أبو العرب التميمي: المصدر السابق، ص 83، بن محمد بن مخلوف، المصدر نفسه، ص - ص 69-70.
- 7 - أسد بن الفرات: ولد 145هـ، وتوفي سنة 214هـ، يكنى بأبي عبد الله مولى بني سليم، من أصل خراساني، رحل إلى المشرق، سمع من مالك موطأه، ينظر، أبو العرب: المصدر نفسه، ص - ص 81-83، بن مخلوف، نفسه، ص 62.
- 8 - الأسدية نسبة إلى أسد بن الفرات، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 458.
- 9 - أحمد بابا التمبكتي: نيل الإتيهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة، ص 27، عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص نفسها.

انتشر المذهب المالكي انتشارا واسعا، وقد أخذ به أهل المغرب حتى أصبح مذهبا مميزا لهم منذ القرن الثاني الهجري إلى يومنا هذا، وانتشر مذهب مالك بالمغرب الإسلامي جاء نتيجة جهود تلامذته منهم: الليث بن سعد المتوفي 165هـ/783م¹ وعبد الرحمن بن القاسم المتوفي سنة 191هـ/806م² وعبد الله بن وهب المتوفي سنة 197هـ/812م³، وأشهب بن عبد العزيز القيسي المتوفي سنة 204هـ/819م⁴ سنة 213هـ/828م⁵ في صقلية⁶ الذي جمع بين المذاهبين الحنفي والمالكي.

لقد كان أول تواجد للمذهب المالكي بمنطقة تيجرت، في عهد عبد الرحمن بن رستم (144-168هـ) لأن عصره تميز بسيادة التعايش الفكري وتنوع المذاهب والمساجد، فهذا مذهب البصريين والقيروانيين الذين يتمون للمذهب المالكي⁷.

و قد كان لهذا التواجد مظاهر فيما بعد، تجسدت في مجموعة من العلماء الذين مثلوا المذهب المالكي ومنهم: ابن الصغير الذي تذكر المصادر عنه الكثير، إلا أنه عاش بتيجرت في العصر الرستمي الأخير في فترة أبي اليقظان بن أفلح (242-281هـ)⁸، كشيخ من شيوخ المالكية، ولم يقف ابن الصغير موقف عداء من الإمارة الرستمية بالرغم من مخالفاته للمذهب

1 - و هو من أصحاب مالك محدث استقل بالفتوى في مصر، له كتاب "مسائل في الفقه"، ينظر، محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر للطباعة والنشر، 1958، ج7، ص517، ابن الجوزي، ذكر أن وفاته كانت سنة 175هـ، و كذلك ابن قنفذ القسنطيني، ينظر ابن الجوزي: صفوة الصفوة، المجلد2، دار الجيل، ط1، بيروت، 1992، ص458 و ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس بن الخطيب: كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة، دار النشر، بيروت، 1982، ص139، وكذلك النديم: الفهرست، ضبط و شرح يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص339.

2 - و هو الذي راجع كتاب المدونة مع قاضي القيروان سمحون بن سعيد التنوخي، أحمد فراج حسين: المرجع السابق، ص194.

3 - محمد مصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص138، ينظر، ابن القيم الجوزي: المصدر السابق، 1992، ص459، و أيضا ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق، ص153.

4 - محمد مصطفى الشكعة: نفسه، ص141، ابن قنفذ القسنطيني: نفسه، ص147.

5 - الدباغ: المصدر السابق، ص255، عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص203.

6 - صقلية: جزيرة عظيمة تحادي بلاد إفريقية، ينظر، القيسي الغرناطي: للمصدر السابق، ورقة رقم 5.

7 - قادة سيع: المرجع السابق، ص45.

8 - رابع بونار: المرجع السابق، ص37، وداد القاضي: المرجع السابق، ص233.

الإباضي، و قد كان له دور في نشر الفقه المالكي، و تجلّى في محاوراته و مناظراته المذهبية مع رؤساء الإباضية والمعتزلة خاصة في المسائل الفقهية¹، و بكر بن حماد بن سهل بن أبي اسماعيل الزناتي، إمام فقيه عالم بالحديث²، نشأ بتيهرتن و برز دوره في نشر المذهب المالكي، من خلال رحلته إلى المشرق 217هـ، فاجتمع بعلمائه و سمع الحديث منهم ثم عاد إلى القيروان، و سمع من سحنون و غيره³، و تصدر للعلم بجامعة الكبير، فرحل إليه أهل إفريقية و الأندلس⁴.

إن إقبال أهل المغرب على هذا المذهب يعود خاصة إلى رحلة طلب العلم و التي كانت وجهتها في معظمها إلى الحجاز أي المدينة و ميلهم إلى الحجاز يفسره ابن خلدون بكون البداوة كانت غالبية عليهم، و الحجاز أنسب لبداوتهم⁵، فأخذوا الكثير عن شيوخها و فقهاءها.

- المذهب الحنفي: ينسب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت من أصل فارسي⁶، ولد بالكوفة سنة 80هـ/700م، و توفي بها سنة 150هـ/768م، لقب بالإمام الأعظم⁷. اعتمد الإمام أبو حنيفة في منهجيته على القرآن و السنة أولا ثم أقوال الصحابة و القياس⁸ و الاستحسان⁹، أي إعمال الرأي إذا لم يجد نصا في القرآن و السنة، كما اعتمد على الفقه التقديري أو الافتراضي أي استنباط الحكم لأحداث أو وقائع يحتمل وقوعها في المستقبل¹⁰، و كان يرى أن أقوال فقهاء

1 - رشيد بوروية و آخرون: المرجع السابق، ص20.

2 - بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص72.

3 - رشيد بوروية و آخرون: المرجع السابق، ص120.

4 - مبارك محمد الملي: المرجع السابق، ج2، ص86.

5 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص431.

6 - محمد اسماعيل إبراهيم: المرجع السابق، ص45.

7 - أحمد فراج حسين: تاريخ الفقه الإسلامي، الدار الجامعية، القاهرة، 1989، ص168.

8 - يقصد به إلحاق أمر غير منصوص على حكمه، بأمر منصوص على حكمه، ينظر محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، المرجع السابق، ص417.

9 - و هي مصلحة لم يشهد لها من الشرع، لقب معين بالبطلان و حل النزاع في العمل بما إذا عارضت دليلا آخر من نص أو قياس، ينظر، أبو زهرة: المرجع نفسه، ص418.

10 - مصطفى محمد الشكعة: المرجع السابق، ص1661.

الصحابة، حجة تقدم على القياس، وهذا ما كان يراه و يأخذ به الإمام مالك، غير أن الشافعي خالفهما، و ذهب إلى أن الحجة في أقوال المعصوم و هم غير معصومين¹.

انتشر المذهب الحنفي في مناطق واسعة من العالم الإسلامي و منها بلاد المغرب في عهد الدولة الأغلبية²، حيث كان أمراؤها مرتبطين اسميا و مذهبيا بالعباسيين، لكن الرعية اعتنقت المذهب المالكي الذي ترسخ في عهد الفقيه سحنون الذي أثر تأثيرا بالغا في دولة الأغلبية و أمرائها الذين عرفوا مكانتهن فولوه القضاء سنة 234هـ فلم يتعرضوا له في أمره و نهي، و لو كان ذلك ضد مصالحهم، و هذا ما يعلل غلبة المذهب المالكي بالمغرب و تمسك أهل هذه البلاد به، لأن سحنون بتوليه القضاء قام بتفريق حلقات جميع المخالفين و منع الفتوى بغير مذهب مالك³.

و هو العامل الذي أدى إلى تراجع نفوذ المذهب الحنفي في بلاد المغرب، كما أن اتصال أصحابه بالمعتزلة حسم الموقف لصالح المالكية، و جعل الأمراء الأغلبية يخضعون للرأي العام، فيجبرون إلى تعيين قضاة القيروان من الفقهاء المالكيين⁴، و هو ما جعل العلاقة بين الأحناف و المالكية في القيروان تشهد تنافسا حادا⁵، و قد تواجد الأحناف أيضا في تيهرة منذ إمامة عبد الرحمن بن رستم، و كان غالبيتهم من أهل الكوفة حتى أنهم بنوا مسجدا خاصا بهم يسمى مسجد الكوفيين⁶. ساد المذهب الحنفي بلاد المغرب إلى حوالي 400هـ/1900م و انقطع على يد المعز بن

1 - محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب، المرجع السابق، ص 417.

2 - أحمد أمين: المرجع السابق، ج 1، ص 293.

3 - أبو العرب: المصدر السابق، ص 83، بن محمد بن مخلوف: المصدر السابق، ص 69، كمال السيد مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل فتاوي المعيار العرب اللوشريسي، مركز الإسكندرية، مصر، 1996، ص 14.

4 - شارل أندري حوليان: المرجع السابق، ص 65.

5 - رايح بونار: المرجع السابق، ص 84.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 13.

الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي كرم الله وجهه - كانوا يفضلون أبا بكر و عمر¹، ولهذا سمي الطاعنون على الشيخين بالرافضة² لأنهم لا يستحقون وصف التشيع³، و يقول الذهبي بضربين من التشيع، تشيع أصغر أو بدعة صغرى كالتشيع بلا غلو، و بدعة كبرى كالرفض الكامل و الغلو فيه، فالشيعة الغالي في زمان السلف هو من تكلم في عثمان و الزبير و طلحة و معاوية و طائفة ممن حارب عليا - كرم الله وجهه - و تعرض لسبهم، و الغالي في زماننا هو الذي يكفر هؤلاء السادة و تبرأ من الشيخين، فهذا ضال مفتر⁴.

إن التشيع درجات و أطوار و مراحل، كما أنه فرق و طوائف، فقد انقسم إلى عدة فرق حسب الشهرستاني⁵، و كل فرقة تشعبت إلى فرق عديدة و من أشهرها و التي كانت لها دور في المغرب الإسلامي:

* الزيدية:

و هم أتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط⁶، الذين كانوا يفضلون عليا عن سائر الصحابة، و يتولون أبا بكر و عمر⁷، و هي أقرب الفرق الشيعية إلى السنة، فقد اعترفوا

1 - ابن تيمية: مجموع الفتاوى، دار الفضاء بالنصورة، مكتبة العبيدات، الرياض، ط1، 1418هـ/1998، ج3، ص153.

2 - الرافضة: هي إحدى الفرق المنسوبة للتشيع لآل البيت، مع البراءة من أبي بكر و عمر و سائر أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم إلا القليل منهم، و تكفيرهم لهم و سبهم إياهم، و قال الإمام أحمد: "الرافضة هم الذين يتبرأون من أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم يسبونهم و ينتقصونهم"، ينظر، أبو يعلى: طبقات الحنابلة، المصدر السابق، ج1، ص33، و يقول الأشعري: "أهم سموا بالرافضة لرفضهم إمامة الشيخين، أي رفضهم إمامة أبي بكر و عمر"، ينظر، أبو حسن الأشعري: مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، المصدر السابق، ج1، ص89.

3 - ناصر القفاري: المرجع السابق، ج1، ص - ص 66 - 67.

4 - الذهبي: ميزان الاعتدال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص - ص 5 - 6، ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، بيروت، 1390هـ، ج1، ص - ص 9 - 10.

5 - الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص147.

6 - السبط: ولد البنت و لذلك يطلق على الحسن و الحسين ابني الإمام علي بن فاطمة الزهراء، فكل منهما سبط الرسول صلى الله عليه و سلم، ينظر، عبد ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص - ص 208 - 210، العبر، م1، ص1420.

7 - أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، المصدر السابق، ج1، ص - ص 37 - 66 - 88.

بخلافة أبي بكر و عمر -رضي الله عنهما- بمبدأ جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل¹ و هو علي -كرم الله وجهه- و هؤلاء يسمون بالإمامية²، و هم أبعدهم عن الغلو و الإنحراف³.

*الإسماعيلية:

نسبة إلى القول بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقي بن علي زيد العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-⁴، و يسمون بالباطنية نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن أي المستور، و يسمون أيضا الملحدة لما في ضمن مقالاتهم من الإلحاد⁵.

انتقل المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى المغرب بفرار إدريس بن عبد الله الفاطمي⁶ و هو علي مذهب الزيدية⁷ لحق إدريس بن عبد الله بالمغرب الأقصى هو و مولاه راشد، فترل بوليلي و بها يومئذ إسحاق بن محمد بن عبد الحميد أمير أوربة سنة 172هـ⁸.

و بدأ في الإنتشار علي يد الداعي أبي عبيد الله الشيعي الذي دخل ديار كتامة سنة 280هـ/893م⁹، و قد قام هذا الداعية بجهود كبيرة حتى استطاع التغلب على الأغلبية،

1 - أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص272، ناصر القفاري: المرجع السابق، ج1، ص71.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص208.

3 - عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1420.

4 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص211.

5 - نفسه، ص نفسها.

6 - مؤلف مغربي مجهول: الإستبصار، المصدر السابق، ص280، حيث لقبه بالفاطمي و كذا ابن أبي ديار الذي يسمي الإدارة بالفواطم، ينظر، ابن أبي ديار: المصدر السابق، ص99، و في جمهرة الأنساب بجله "إدريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي كرم الله وجهه"، ابن حزم: جمهرة الأنساب، المصدر السابق، ص49.

7 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص210، كما يذكر بن خلدون: "كان واضح، يتشيع.."، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1428.

8 - عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر نفسه، ص نفسها، ابن عثاري: المصدر السابق، ج1، ص210.

9 - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص127.

وإخضاع ممالك أخرى بالمغرب الأوسط كمملكة بني رستم و مملكة بني مدرار، و قد عرف بالمحتسب، و المعلم، فهو المؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية¹.

لقد ضيق الشيعة الإسماعيلية على فقهاء المغرب من السنة و الإباضية على حد سواء، خاصة بعد ما تمكن الداعية الشعبي من إخضاع العشائر الكتامية و حتى بعض القبائل الأخرى مثل عجيسة و زوارة²، فكانوا يجبرون الناس على اعتناق المذهب الشعبي و الذي يرفض منهم يحبس أو يقتل³.

* المعزلة:

اختلف المؤرخون في أصل التسمية من حيث دلالتها التاريخية و الإصطلاحية، فهناك من أطلق تسمية الاعتزال على الفئة التي وقفت على الحياد في الفتنة الكبرى سواء في معركة الجمل⁴، أو في معركة صفين⁵، و هناك من أرجعها إلى اعتزال قول الأمة أي أهل السنة و الجماعة، إذ اعتبروا أن الفاسق من المسلمين لا مؤمن و لا كافر بالقول المتزلة بين المتزلتين⁶، و في الفهرست يرجع التسمية إلى اعتزالهم أقوال الخوارج و المرجئة و الإباضية في صفة مرتكب الكبيرة من حيث الشرك و الكفر و النفاق و الإيمان بقولهم بأن مرتكب الكبيرة فاسق و هي الصفة التي أجمعت عليها هذه الفرق⁷، و قد ذهب بعضهم إلى القول بأن الاعتزال يعني الأخذ بموقف الحياد من

1 - أبو حنيفة النعمان: رسالة افتتاح الدولة، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، 1970، ص71، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر نفسه، ص133، موسى لقبال: دور كتامة في الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979، ص- ص 231-329.

2 - أبو حنيفة النعمان: المصدر السابق، ص- ص 121-122، حيث يقول: "و استولت أمور أبي عبد الله الشعبي على عامة كتامة و غلب أمره عليها و لم يبق فيها إلا من بدخل دعوته، إما راغبا و إما راهبا أو مخلولا".

3 - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص158.

4 - لسميرد من المعومات عن وقفة الجمل، ينظر، ابن طهطا: المصدر السابق، ص- ص 84-86، يعقوبي: تاريخ يعقوبي، المصدر السابق، ص193.

5 - أحمد أمين: فجر الإسلام، للرجع السابق، ص290.

6 - حنا فاختوري و خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، دار الجيل، ط1، بيروت، 1993، ج1، ص140.

7 - النديم: الفهرست، المصدر السابق، ص282.

الفتنة، فهو موقف سياسي عكس حالة دينية¹، إلا أن دلالة التسمية ارتبطت تاريخياً بأبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال الألع² من خلال القصة الشهيرة و التي مفادها أن أحدهم دخل على الحسن البصري فقال له: "يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج من الملة وهم وعبيدة الخوارج، و جماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان و لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر الطاعة، و هم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً فتفكر الحسن في ذلك و قبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: "أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً و لا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن و لا كافر ثم اعتزل في جانب من المسجد، فقال الحسن البصري اعتزل عنا واصل³."

و ما نستنتجه أن اسم المعتزلة أطلقه فقهاء أهل السنة و الجماعة على من اشتغل بمسائل الجدل كصفات الله عز و جل، و الوعد و الوعيد لهذا التهموهم بالخروج عن السنة، إلا أن أهل هذه الفرقة اعتبروا الاعتزال خروجاً عن الباطل و ليس خروجاً عن السنة و الجماعة⁴.

1 - D.sourdel et J.sourdel : La civilisation de l'islam classique, les edition Arthand, paris, 1983, p139.

2 - تنسب إليه الجماعة المسماة بالواصلية، و هم من المعتزلة حيث يقول الشهرستاني: "لواصلية أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال الألع، كان تلميذاً للحسن البصري، يقرأ عليه العلوم و الأخبار، و كانا في أيام عبد الملك بن مروان، و هشام ابن عبد الملك، و بالمغرب الآن منهم شذمة قليلة في بلد إدريس بن عبد الله الحسني، الذي خرج بالمغرب في أيام أبي جعفر المنصور"، الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص46.

3 - نفسه، ص48.

4 - علي الشابي و حسن أبو لبابة و عبد الحميد النجار: المعتزلة بين الفكر و العمل، الشركة التونسية للتوزيع، 1986، ص25.

نشأت المعتزلة بالبصرة حيث نشأ واصل بن عطاء¹ و عمرو بن عبيد المولود سنة 80هـ/699م²، و هما من تلامذة الحسن البصري المتوفي سنة 110هـ/728م³، ثم انتشرت في كامل بلاد العراق حيث أصبحت المدرسة الثانية للإعتزال⁴، و يقول أحمد أمين أن الفترة الممتدة من 100هـ إلى 255هـ 718م - 869م، يحق فترة العصر الذهبي للمعتزلة⁵، و من علماء المعتزلة في هذه الفترة أبو الهذيل العلاف المتوفي سنة 235هـ/849م⁶، و قد تلقى على يده الخليفة العباسي المأمون أفكار الإعتزال⁷، و كان يتميز بالفصاحة و قوة الجدل و البراعة في المناظرة مع الزنادقة و الجحوس إذ يقال إنه أسلم على يديه ثلاثة آلاف رجل⁸.

دخل مذهب الإعتزال إلى بلاد المغرب في أوائل القرن 2هـ/8م⁹ تزامنا مع المذاهب الأخرى مثل الإباضية و الصفرية، إذ تشير بعض المصادر أن جماعة من بربر زناتة كانت قد اعتنقت الواصلية، ذلك أن واصل بن عطاء بعث عبد الله بن الحارث إلى المغرب¹⁰، و يبدو أن انتشاره في المغرب الأوسط كان واسعا بين قبائل زناتة حيث ذكر البكري أن مجمع الواصلية في عهد الرستميين كان قريبا من تاهرت و كان عددهم نحو ثلاثين ألفا في بيوت كيبوت الأعراب

1 - هو من أئمة البلاغة و علم الكلام، ولد بالمدينة المنورة (80-131هـ/699-848م) و نشأ بالبصرة، و قد كان ممن بايع محمد بن عبد الله بن الحسين و له عدد من المؤلفات منها: "المعتزلة بين المذاهب"، "و أصناف المرجئة"، ينظر أبو زكرياء: المصدر السابق، ص74.

2 - محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي، دار المعرفة الجامعية، ط4، ص1986، ص267، و أيضا: Abdurrahman Badawi: Histoire de la philosophie en Islam, Librairie philosophique, place de la sorbonne, paris, 1972, p 35, 36, 37.

3 - محمد علي أبو ريان: نفسه، ص نفسها.

4 - أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص299.

5 - أحمد أمين: ضحى الإسلام، المرجع السابق، ج3، ص90.

6 - نفسه، ص98.

7 - الدبنوري أبو حنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال، ص401.

8 - أحمد أمين: ضحى الإسلام، المرجع السابق، ص99.

9 - محمد منصور الراوي: المرجع السابق، ص38، و يفهم مما ذكره القاضي عياض: "قال المهدي: أحترق بعض نقاض المعتزلة

من القرويين، قال: أتيت مالك بن أنس..."، القاضي عياض: ترتيب المدارك و ترتيب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير عمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ج1، ص90.

10 - محمد منصور الزاوي: نفسه، ص38.

يحملونها¹، و كان أول ظهور لهم على مسرح الأحداث في تيهرت في عهد الإمام عبد الوهاب الذي كانت له مناظرات معهم حسب ما يورده ابن الصغير².
بينما كان وجود المذهب في المغرب الأدنى بصورة محدودة إلا ما كان من ميل بعض أمراء الأغلبية لفكر الاعتزال مثل زيادة الله الأول و محمد بن الأغلب³.

*المرجئة:

هي فرقة عبرت عن موقفها بالحياد تجاه الأحداث التي وقعت المسلمين، و قولها بالإرجاء أي أنهم لم يكفروا أي فريق من المتخاصمين، بل يرجعون أمره إلى يوم القيامة⁴، فإذا قالت الإباضية أن من أذنب ذنب فهو من أهل النار، فإن المرجئة تقول: "لا تضر الذنوب مع التوحيد"⁵ أو كما قال أحمد أمين: "لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة"⁶.
و المرجئة على النقيض من الخوارج فهم لا يكفرون أحداً لأنهم يرون أن الإيمان هو الإنقياد بالقلب⁷، هذه المبادئ جعلتهم يقفون موقف الحياد في الصراعات السياسية خاصة فيما تعلق بمسألة الخلافة و الحكم⁸.

وصلت أفكار المرجئة إلى المغرب في النص الثاني من القرن الثاني الهجري⁹.

1 - البكري: المصدر السابق، ص 67، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 74، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 3، ص 8،
2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص - ص 93 - 94، الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص - ص 62 - 67، و ما يوضح كثرة عددهم في تيهرت قولهم: "إذا كنا جماعة و كان الغالب عندنا أنا نكفي غالفينا عقدنا للإمام و نحضنا فقتنا السلطان"، ينظر أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، المصدر السابق، ص 466.

3 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 102، و أيضاً، A.Laroui : L'histoire du Maghreb, op.cit, p110.

4 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص 71.

5 - سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ج 2، ص 109.

6 - أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص 279.

7 - الحاج سعيد عيسى: المذهب الإباضي و علاقه بالمذاهب الأخرى، محاضرات الملتقى الخامس للفكر الإسلامي، و رارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية من 27 جمادى 1 إلى 10 جمادى 2، 1391هـ / 7/20، إلى 8/10، ص 269، أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص 218.

8 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص 71.

9 - سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ج 2، ص 109.



و لكن ما نستنتجه من هذا المذهب لم يكن له اتباع في المغرب مثل المذاهب الأخرى إنما اقتصر عن أفكار فقط.

و مما لا شك فيه أن تعدد المذاهب و الفرق الدينية في المغرب الإسلامي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، لم يكن فقط عاملا للفتن و الصراعات و التي حددت العلاقة بين أتباع هذه المذاهب و الخلافة في المشرق سواء الأموية أو العباسية بل كان له أثر إيجابي في الحركة الفكرية والثقافية في هذه الفترة، فإنه و أن حرية الفكر و التسامح المذهبي عنصران امتاز بهما أئمة الدولة الرستمية، ضف إلى ذلك تمسك الرستميين بالفتح الفكري و الدليل على ذلك هو عقد مجالس للمناظرة تشجعا على طلب القلم و إقبال عليه في جو يسوده التنافس العلمي، و كان من نتائج حرية الفكر و تعدد المذاهب، تعدد حلقات المناظرة و الجدل مما أسفر عن نشاط في حركة التأليف، فكثرت الكتب للرد على المخالفين¹.

3- التبادل التجاري و الثقافي:

للتجارة دور كبير في تنشيط و تفعيل الحركة الفكرية و الثقافية، فتبهرت ذات الموقع الوسطي كان لها شأن كبير في المبادلات التجارية، فتوافد عليها التجار من أماكن بعيدة كبلاد فارس²، و العراق و مصر و القيروان، و حتى التجار المسيحيون³، على أن العلماء و الحجاج الخارجين من تيهرت و القادمين إليها مقيمون أو عابرون شرقا أو غاربا، قد أسهموا أيضا في نقل مختلف العلوم و الفنون⁴، إن عبارة ابن الصغير "واستعملت السبل إلى بلد السودان و إلى جميع البلدان من مشرق و مغرب بالتجارة و ضروب الأمتعة"⁵، تعطينا صورة عن اتساع المبادلات التجارية الرستمية مما سمح للتجار أو الذين كانوا يرافقوهم من طلبة العلم أن يجلبوا معهم نفائس الكتب من المشرق من مختلف إيقاع العلوم لتزويد مكتبة تيهرت، و بهذا كانت التجارة وسيلة

1 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص109.

2 - إيف لاکوست: المرجع السابق، ص62.

3 - A.Laroui : L'histoire du Maghreb, op.cit, p104.

4 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص108.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص36.

لتبادل السلع و الأفكار إذ أن التاجر غالبا ما يكون من العلماء¹، فالتاجر النشط صار بإمكانه أن ينتقل بين قطر و آخر و مدينة و أخرى يشتري و يبيع و ما كان له أن يمر بالبلد دون أن يتعرف على أهله و يخبر أحوالهم، و كانت هذه المعرفة تنقل رواية و أخبار، فأصبحت جزءا من التراث الأدبي للرحلة²، خاصة و أن التجار الرسميين اتصفوا بالحدق و البراعة و الأمانة في المعاملات التجارية³، هذه الصفات الحميدة التي تميز بها تجار تيهرة جعلت أهل السودان الغربي يتقربون منهم، فكانت الآثار الثقافية، تعريب جزء كبير من تلك المناطق و دخولهم في دين الإسلام، دون أن تحمل أثر و دور الرحلة العلمية و التي كانت من المسائل المحمودة في المغرب الإسلامي عموما، إذ نتج عنها تبادل المعارف و الآراء في مختلف العلوم العقلية و النقلية حيث كان علماء المغرب يتصلون بعلماء المشرق و الأندلس و يتداولون معهم الكتب و المصنفات و شتى العلوم، فكانت الحركة متواصلة للإستزادة من العلوم⁴، فلم تكن أمام الطلبة في تبليغ العلم حدود بل كانت الرحلة في طلبه من أقوى الدوافع في تذليل الصعاب و مشقة السفر⁵، و هذه الرحلات احتك علماء المغرب الأوسط بعلماء باقي دول المغرب و المشرق بدافع حب العلم و الإستطلاع⁶، و يقول ابن خلدون في أهمية و فائدة الرحلة: "...فلقاء أهل العلم و تعدد المشايخ يفيد تمييز الإصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها و يعلم أنها أنحاء تعليم و طرق توصيل... فالرحلة لا بد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد و الكمال بقاء المشايخ و مباشرة الرجال"⁷.

1 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 282.

2 - نكولا زيادة: الجغرافيا و الرحلات عند العرب، مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، بيروت، 1962، ص 147.

3 - موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول (القرن 2 - 5هـ / 8 - 11م)، ترجمة و تعليق اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية لكتاب، ط 1، الجزائر، 1979، ص 324.

4 - رشيد الزرواوي: التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 1، 1993، ص - ص 324 - 339، هوارى بكاي: العلاقات الثقافية للزيانيين و المرينيين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، تلمسان، 2007 - 2008، ص 227.

5 - لخضر لعبدلي، المرجع السابق، ص 160.

6 - الفلصادي علي بن محمد القرشي الأندلسي: رحلة الفلصادي، دراسة و تحقيق محمد أبو الأحفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص 59.

7 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص - ص 559 - 560.

و لا يخفى دور الوراقين و النساخ في عملية انتشار العلوم و تنشيط التبادل الثقافي، فقد كانوا يتنقلون بين الأقاليم الإسلامية شرقها و غربها بحرية تامة، و كانوا يحفظون بالمكانة المرموقة والتقدير لدى الأمراء و العلماء¹، مما أدى إلى انتشار الكتب التي كان يتهافت طلاب العلم على شرائها حتى و لو اقتضى ذلك السفر إلى مدن بعيدة للحصول عليها شراء أو استنساخها، و انتقال صناعة الورق و الكاغد و كذا الخبز من بغداد إلى القيروان²، هي أهم الوسائل التي ساهمت في تسيير العلم و انتشاره.

و لعل الرحلة العلمية كانت أقوى في عهد التفرق السياسي³، فلما ذهبت الوحدة السياسية، بقيت وحدة الدين و هيأت و ربطت الحجاج و طلاب العلم و رسل السلاطين و حملة البضائع و زعماء الصنائع فاحتفظوا بالصلة⁴، و هذا ما يفسر لنا عدم تأثر التواصل الفكري بالزراع السياسي بين الأغلبة و الرستميين، إن الاختلاف السياسي و كذا المذهبي مثلا بين القيروان و تيهيرت لو يكن حائلا دون إقامة جسر من التواصل الفكري و الثقافي بين الحاضرتين لوجود مساحة ثقافية مشتركة صنعها العلماء و التحار في حركة انتقالهم بين المدينتين⁵، فقد ساهمت جماعة من القرويين في الحركة العلمية في تيهيرت، فظهر فيها عدد من العلماء العرب و البربر منهم محكم الهواري وابنه هود الذي وضع كتابا في تفسير القرآن من جزأين⁶، و عبد الله بن اللمطي وهو الذي كان يتولى المناظرة المعتزلة، و أبو عبيدة الأعرج الذي قال عنه ابن الصغير أنه: "كان عالما بالفقه و الكلام و النحو و اللغة"⁷، و عبد العزيز بن الأوز (الأوس) و هو صاحب فقه و رحلة نحو المشرق⁸، و غيرهم كثير و استمرت رحلة العلماء و وظيفة العلم بين القيروان و تيهيرت، و كانت

1 - محمد الفاضل بن عاشور: المرجع السابق، ص 8.

2 - عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ص 62.

3 - نكولا زيادة: المرجع السابق، ص 15.

4 - نفسه، ص نفسها.

5 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص 74.

6 - البرادي نقلا عن جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 108.

7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 46.

8 - نفسه، ص 47.

تشد الرحال إلى المشرق قصد الحصول على العلم و الفقه من منابعه الأصلية وممن صاحب الأئمة الكبار و كانت العراق و الحجاز بمواضرها منتهى من يرغب في التحصيل العلمي و التفقه من أهل المغرب كل على متحمس لمذهبه فالقيروان و تاهرت هي المحطة الأولى لتلقي المراحل الأولى من العلم ثم تكون وجهته إلى المشرق و غالبا ما تكون مناسبة الحج فرصة للتزود بالعلم (الحج العلمي)¹.

و يقول خالد بلعري أن هذه الرحلات شدت إلى هذه الأماكن في سبيل طلبة العلم والإستزادة منه، سواء من تيهرة أو إليها، فكانت الصلة قوية بين تيهرة و بين غيرها من مراكز الفكر، و يضيف قائلا أن تيهرة: "عراق المغرب تعد إحدى معاقل الفكر الإسلامي في القارة الإفريقية، بل امتدت إلى جزر البحر المتوسط و أوروبا²، و بالتالي حدوث تقارب ثقافي واجتماعي، و ربما عسكري و سياسي و كذا اقتصادي و حضاري بين الرستمية و عدة دول أخرى تدفعهم مصالح متباينة.

و خلاصة القول أن الرحلات العلمية و التجارية بين تيهرة و عواصم الدول المجاورة، ساهمت في التقارب الثقافي و إثراء المعارف و العلوم كما أدت إلى حدوث التآلف الاجتماعي رغم الاختلاف المذهبي، و هذا ما حصل بين الأغلبة و الرستميين، فقد ذكر الونشريسي أن رجلا من الإباضية الوهية تزوج امرأة مالكية لتقوى شوكته بمصاهرة أهل السنة³.

و بهذا تكاملت مجموعة من العوامل و على رأسها اهتمام أئمة تيهرة في إضفاء صبغة فكرية متقدمة، أسهمت إسهاما بالغا في تحريك عجلة الحركة الثقافية، و عكس بذلك الوجه الحقيقي الثقافي لمدينة تيهرة خاصة و الدولة الرستمية عموما.

1 - عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ص 59.

2 - خالد بلعري: العلاقات الثقافية بين تيهرة و مراكز الفكر في المغرب الإسلامي حتى القرن 5هـ/11م، مجلة القضاء المغاربي، العدد 2، خاص بالملتقى الوطني الثاني، مخبر الدراسات الأدبية و النقدية في المغرب العربي، تلمسان، 2004، ص 252.

3 - الونشريسي: المصدر السابق، ج 2، ص 446.

ثالثا - المؤسسات التعليمية و العلوم المتداولة

تعددت و تنوعت مراكز و مؤسسات التعليم في تيهرت، كما احتوى البيت التيهرتي على علوم كثيرة و متنوعة¹.

1- المؤسسات التعليمية و مراحل التعليم:

مما لا شك فيه أن طلاب العلم كانوا يحصنونه في مساجد تيهرت و نفوسة، على أيدي كبار الإباضية، في أصول الدين و الشريعة و الرياضيات، التي ساهمت بدورها في ازدهار الحياة العلمية².

و بالتالي اعتبر المسجد أهم هذه المؤسسات التعليمية في دولة تيهرت الرستمية، و غيرها من الدول الإسلامية حيث كان يؤدي دوره التثقيفي و التعليمي، إضافة إلى إقامة الشعائر الدينية حيث أن أول ما اهتم به عبد الرحمن بن رستم في تأسيس الدولة الرستمية هو بناء المسجد، و تعددت في عهده، فكان مسجدا للكونيين، و آخر للقيروان و مسجد للبصريين و غيرها³.

أ- الكتابات:

يذكر بحاز ابراهيم أن المعلومات الخاصة بهذه المدرسة جد منعومة، و يعتبرها البنية الأولى في التعليم في المغرب، و هو من أشهر أنواع التعليم الابتدائي فكان الصبية يتلقون دروسا دينية بحتة، و يتعلمون مبادئ اللغة العربية و حفظ القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة بطريقة التكرار و التريديد وراء الشيخ⁴، و الكتابات عبارة عن حجرات صغيرة مجاورة للمساجد، تخصص لتعليم الصبيان الصغار، بدلا من تدريسهم في المساجد المخصصة للصلاة، حفاظا على طهارتها⁵ و لعل هذه الطريقة ما زالت متداولة إلى حد الآن في الكتابات، و بنفس الوتيرة بالنسبة للصبية الذين لو يبلغوا سن الرشد، و قد أشار أبو زكرياء إلى الكتاب، و ذلك عندما أشار إلى

1 - الشماحي: المصدر السابق، ج1، ص162.

2 - السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص575.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص32.

4 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص276.

5 - محمد بن سحنون: كتاب آداب المعلمين، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981،

أحد الإباضيين الذين انشقوا عن المذهب، و يعرف باسم الشكاس¹، و قال بأنه أدخله أبوه في الكتاب فقرأ و حفظا²، و كان يعتمد في تلقين الدروس على لوح من خشب و دواة، بحيث يكتب على الألواح القرآن بواسطة الدواة، و بقيت متوارثة إلى حد الساعة، و لعل أول من علم القرآن رجل يدعى عمر بن يمكن³ بجبل نفوسة، و كانت تسلك نفس الطريقة في الكتابة على الألواح، فإذا أتم الصبي حفظ ما عليها يقوم بحمها⁴، و قد كانت عناية الرستميين ببناء المساجد كبيرة، حتى أنهم وصلوا إلى جزيرة جربة و يسمى هذا الجامع "بتاجديت".

كما وجدت أيضا بوارجلان و أريغ و قنطرار، هذا الأخير الذي كان يقصده كبار العلماء و الطلبة لأخذ العلم فقد كان عبد الله محمد بن بكر يسأل أبا نوح محراب هذا المسجد عن عدة مسائل، و لعل مرحلة التعليم الابتدائي في الكتاب هي أرضية ممهدة و مساعدة لمهمة المساجد، حيث قال أبو زكرياء: "...فقرأ و حفظ، فلما اشتد، و بلغ الحلم، سولت له نفسه طلب العلوم"⁵.

ب- المكتبات:

تقوم المكتبات بدور ريادي في تنشيط عجلة الفكر النير و العلم المتوقد، و تغذية الحركة العلمية و دفعها إلى الإمام، و لعل هذه المكتبات، كانت نتاج عمل و جهد الأئمة و من بينهم عبد الوهاب، حيث أنه بعث ألف دينار إلى إخوانه من أهل المشرق بالبصرة، أن يشتروا له بها ورقا، فنسخوا له أربعين جملا من الكتب، و بعثوا بها إليه، فلما جاءته نشرها و قرأها، حتى أتى إلى آخرها⁶، و لعل ما زاد في إثراء المكتبات الرستمية، هو نشخ عمرو بن فتح النفوسي⁷، لدونة

1 - كان يكنى "أبدا لله"، و كان أبوه رجلا صالحا، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص133.

2 - أبو زكرياء: المصدر نفسه، ص134.

3 - من رجال القرن 2هـ، توفي مع أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة 144هـ، يطر هامش أبو زكرياء: المصدر نفسه، ص122.

4 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص277، عمار عمورة: المرجع السابق، ص97.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص134، صالح باجية: المرجع السابق، ص62.

6 - ذكر الشماخي أنه: "تشمر و جد لقراءتها ليلا و بعض أوقات النهار... فقال الحمد لله وجدت جميع ما فيها محفوظة عندي و لم أستفد منها إلا لسالتين، و لو سئلت عنهما لأجبت فيهما..". الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص162، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص65، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص112.

7 - عمرو بن فتح النفوسي من أعلم أهل زمانه النفوسيين (250هـ - 300هـ)، ابن الصغير: المصدر السابق، ص51.

أي غانم بشر بن غانم الخرساني¹، و بالتالي كانت عملية هذا النسخ مثالا من بين العديد من النسخ التي قاموا بها آنذاك، و التي أسهمت في إثراء المكتبة التيهرية و التي عرفت بالمعصومة و كذا مكتبة نفوسة الجامعة لآلاف الكتب، و لعل أغليتها كانت من إسهام الأئمة العلماء، و لعله سبب حرقها، حيث أن عبد الله الشيعي لما دخل تيهرة و اقتحم دار إمامتها في المعصومة، وجد تلك المكتبة، فانتقى منها ما يعجبه من كتب الصنائع و الحساب و سياسة الملك، و أضرم النار في الباقي من كتب الفقه و الفكر الإباضي²، و بالتالي كان هذا العمل قضاء على بعض الإرث الرسمي.

ج - حلقات التعليم في المساجد:

تعد هذه الطريقة من أنجح الطرق و أكثرها تأثيرا في نشر تعاليم الدين، و الأدب و غيرها حيث تلقى في المساجد مواعظ و دروسا للعامة و الخاصة، محاولين بث العلم، مثلما كان يفعل أبو خليل الدركلي³، و قال لتلامذته: "سيروا إلى الحلقة، واقصدها حيثما كانت باكسالي، فإن رجلا سار من الجبل "نفوسة" إلى فزان و إلى غدامس، و إلى الساحل رغبة في الحلقة، و فيما يستفاد منها".

و لم نجد في المصادر التي تمكنا من الرجوع إليها توضيح هذه الحلقات معادا ما ذكره ابن الصغير عن الإمام أبي اليقظان بقوله: "و كان إذا جلس (أبو اليقظان) في المسجد الجامع جلس على وسادة من آدم مستقبلا الباب البحري، و له سارية تعرف به يجلس إليها و لم يكن غيره يجلس إليها في حلقاته"⁴، و هو ما يدل بأن الحلقات كانت مرتبطة بالسواري، و ربما كان لكل عالم وقت خاص به لعقد حلقاته⁵، أو ما ذكره أبو زكرياء عن الإمام أفلح، "أنه كان هناك أربعة

1 - أبو غانم بشر بن غانم الخرساني: أحد علماء الإباضية بالشرق، زار الدولة الرستمية و قصد عاصمتها، و قد طبع كتابه في جزأين بسوريا، و نشره الشيخ سالم بن أحمد سليمان الحارثي العثماني، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 82.

2 - موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرسمي، المرجع السابق، ص 13.

3 - صالح باحية: المرجع نفسه، ص 65.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 81.

5 - مختار حساني: المرجع السابق، ص 305.

حلقات تدرس العلوم المختلفة على الإمام أفلح و ذلك قبل أن يبلغ سن الرشد¹، و كانت حلقة العلم تعقد في المساجد في غير أوقات الصلاة، ويذكر سليمان داوود أن الرستميين جعلوا يجزر كل مسجد كبيراً أو صغيراً مدرسة للصغار وحلقات العلم للكبار في المسجد، و في كل مسجد تخصص ناحية للنساء، و أما كل مسجد بيت للضيوف و أكثرهم من الحجاج، يقوم رواد المسجد بما يجب لإعالتهم و لا يزال هذا النظام ساري المفعول إلى اليوم²، بحيث لم يكن في المساجد أو الكتاتيب فحسب بل حتى في دور الأئمة و في الليل، و هذا ما نفهمه من قول أبي زكرياء عن محمد بن أفلح³، فكانت نفوسة تجعل باب داره كالمسجد يسهرون حوله يتحدثون ف فنون العلم⁴ و ما نستنتجه أن التعليم نال حظاً وافراً و عناية كبيرة من طرف الأئمة الرستميين ضف إلى ذلك أنه كان يشمل جميع النواحي التربوية من تعليم و سلوك، و حتى الفروسية⁵.

2- مراحل التعليم:

و كان التعليم مقسماً إلى ثلاث مراحل و هي:

- أ/ مرحلة التعليم الابتدائي: و يشمل تحفيظ القرآن و المبادئ الأولى للفقهاء، يتعلم فيه التلاميذ الصغار عن طريق الألواح، أي أنه يقتصر على الكتاتيب و يخص الأطفال و الصبيان⁶.
- ب/ مرحلة التعليم الثانوي: و يشمل العقيدة و الفروع و الأدب، يعتمد فيه الطالب على الكتب، وهو النوع الثاني الذي يأتي مباشرة بعد النوع الأول، و هو ما يتأكد من نص أبي زكرياء عن أهد الله الشكاس: "فنشأ الغلام، فلما احتمل الأدب أدخله أبوه في الكتاب، فقرأ و حفظ، فلما اشتد وبلغ الحلم سولت له نفسه طلب العلم"⁷.

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 89، كما ذكر الوسياني أنه أدار ثلاث حلقات علمية، الوسياني نقلاً عن تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص 143.

2 - سليمان داوود بن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص - ص 60 - 61.

3 - أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 98، الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 84.

4 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص 97.

5 - نفسه، ص 97، إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 277.

6 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 134، حسن حساني: المرجع السابق، ص 305.

ج/ مرحلة التعليم العالي: و يشمل التبحر في علوم التفسير و الفروع و علم الأموال و اللسان والنجوم¹، و كان التعليم مجانا مباحا للذكور و الإناث، تلقى الدروس في حلقات بالمساجد في إطار منظم و دقيق تراعى فيه كل قواعد التعليم سواء من حيث السيرة أو الحضور أو اللباس، ومتابعة الطيب هو من اختصاص الشيوخ الذين يصهرون على احترام أوقات الدراسة و كيفية السؤال و آدابه و الفواب و العقاب و مراقبة نتائج الطلبة و الأكل و النوم، إلا أن من سلبياته يعتمد على الحفظ أكثر من العقل كما يمتاز بالصرامة في تطبيق العقوبة البدنية².

و حتى الكهول كان لهم نصيب من التعليم في تيهرة يتمثل فيما يطرحونه من أسئلة على الشيوخ في حلقات الدروس و المناظرات التي تخص كل مسائل العقيدة و الشريعة.

و لعل نظام الحلقات تحول إلى نظام آخر خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية حيث تحولت الإباضية إلى مرحلة الكتمان، و استحدثوا نظاما يعرف بالعزابة³.

و لقد ظهرت فئة من العلماء و الفقهاء و الأدباء في هذه الحلقات، و منهم كان الشيخ أفلح بن عبد الوهاب الذي كان على قدر كبير من العلم و الفقه و اللغة العربية⁴، و كان ابن الصغير يقول عن ذلك من أتى إلى الإباضية و من غيرهم قربه و ناظروه ألطف مناظرة⁵، و قد كان المسجد الجامع بتيهرة أهم مركز لتعليم و تلقين الفقه الإباضي، و عقد اجتماعات و تدارس أوضاع الأمة باجتماع أعيان القبيلة و هذا ما قام به عبد الرحمن بن رستم عندما جاءه وفد من إباضية المشرق (البصرة) فجمع أعيان كل قبيلة، ينوبون أفراد القبائل من أجل النظر في هذا الموضوع⁶، صف إلى الأئمة في هذا الصدد، نجد بعض المشايخ (حملة العلم) كعاصم السديري الذي كان يشق طريقه

1 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص 97.

2 - نفسه، ص نفسها.

3 - أعزبوا عن الدنيا و تفرغوا للآخرة، فأقاموا حلقة العزابة الرئيسية، التي تفرغ عنها حلقات العلم، و أول من أحدث هذا النظام هو أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي في القرن 5هـ، الذي رتب قواعده و أسسه، ينظر، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 123، B.Fekar, op.cit, p – p 120- 121.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص - ص 56 - 57.

5 - مها السعدي: الموقع الإلكتروني السابق.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 30، الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 141.

بالأحياء الضاربة في الصحراء، و اتخذ في طريقه عدة مساجد صغيرة، تعرف بالمصليات و كذلك لأبي داوود القبلي (حملة العلم) الدور الواسع في تثقيف المغاربة و تعليمهم الديني خاصة¹.

و لم يكن التعليم في عهد الدولة الرسمية مقتصرًا على علوم الشريعة بل كان يشمل تعليم الحرف و هو ما يؤكدّه الوسياني بقوله: "ثلاثة نجارين أحدهم يحسن قطع الخشب و الثاني يشقها وينشرها و الثالث يركب الألواح و يسمرها فيما يصلح من الأدوات"².

3- أنواع المعارف و العلوم المتداولة:

يقول ابن خلدون: "أعلم أن العلوم التي يخوض فيه البشر و يتداولونها في الأمصار تحصيلًا و تعليمًا هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، و صنف نقلي يأخذه عن وضعه، و الأول هي العلوم الحكيمة الفلسفية العقلية يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، و الثاني هي العلوم النقلية الوضعية و هي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي و لا مجال فيها للعقل"³.

لعل الجور العلمي الذي كان سائدًا في الأسرة الرسمية الحاكمة، أثر في التجاوب الفعلي من طرف أفراد المجتمع التيهري خاصة، و بروز فئة من العلماء الأجلاء في مختلف المجالات: العلوم النقلية و العقلية التي حملت مشعل العلم في الأوساط الرسمية خاصة و البلاد الإسلامية عامة.

و من بين هذه العلوم نذكر:

أ- العلوم النقلية:

و تشمل العلوم الدينية و الدنيوية أي اللسانية و الاجتماعية، يقول ابن خلدون: "و أصناف هذه العلوم النقلية كثيرة، و أصلها كلها هي الشرعيات من الكتاب و السنة، و ما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيوها للإفادة ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي... فمنها العلوم الدينية من علم

1 - إبراهيم بحار: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص - ص 283 - 284.

2 - الوسياني نقلًا عن مختار حساني: المرجع السابق، ص 305.

3 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص - ص 442 - 443.

صفوفها فقد خرج مهدي للمناظرة بين الصفيين و من معه من أصحابه و جماعة المسلمين فخرج معهم الإمام بوجود أصحابه فخرج الفتي المناظر من المعتزلة و وجوه المعتزلة معه فقال مهدي¹ ل محمد بن يانس أخرج عليه فناظره فقال له بن يانس فأخرج إليه أنت و لست بأعلم مني، قال خرج المهدي و تقدم إلى الفتي المعتزل و قد كان قبل ذلك أسلمته نفسه و ظنت به الظنون فأرسل المهدي في سر من أصحابه يقول له أي إذا ناظرتك و غلبتني أريد أن تستر علي و إن غلبتك سترت عليك و ليس فينا أحد يدري من الدائرة على صاحبه فاتفق المهدي مع أصحابه إذا غلبته يترع الشاشية عن رأسه و يضعها تحت ركبته².

و كانت أهم و أشهر المناظرات التي احتضنتها تيهوت تلك التي دارت بين الإباضية والمعتزلة، إذ تذكر المصادر و المراجع أن علماء الفريقين كانوا يلتقون بوادي مينة³، في حلقات مناظرة تدور حول مواضيع فقهية بالأساس إلى جانب العلوم الأخرى كعلم الكلام و اللغة. لا شك أن هذه المناظرات كان لها محاسن و آثار إيجابية من حيث أنها أسهمت في ظهور مؤلفات أظهرت جهود العلماء و الفقهاء في حركة التأليف اعتبرت ذخيرة علمية و أدبية للمؤسسات العلمية في هذا العصر.

* التفسير:

هو من أعظم العلوم الدينية مقدارا، و أرفعها شأنا و منارا لكونه رئيس العلوم الدينية و رأسها، و مبني قواعد الشرع و أساسها⁴، و التفسير هو شرح كلام الله تعالى ليفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه لفهم اللغة العربية⁵.

1 - قال عنه الشماخي أنه كان شيخا فاضلا فقيها، و كان ممن أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم، ينظر الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص143، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص - ص 69-78.

2 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص70.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص94.

4 - أحمد محمد الصاوي المالكي: حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، ج1، مطبعة مصطفى محمد مصر، 1934، ص2، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص - ص 484-486.

5 - خضر عبدلي: المرجع السابق، ص150.

لقد كان اهتمام العلماء المسلمين به كثيرا و خاصة بالقرآن الكريم، كونه المصدر الأساسي والأول للتشريع الإسلامي، و نظرا لما ورد من الترغيب فيه من النصوص الشرعية كقوله تعالى:

﴿لَوْ أَرْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹، و قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "كتاب الله تبارك و تعالى، فيه نبا من قبلكم و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قسمه الله و من ابغى الهدى في غيره أضله الله..."²، و من هنا فقد تفرغ بعضهم لتفسيره، قصد تيسير و تسهيل فهمه على العرب، لأن نزوله بلغة العرب لا يعني أن كل العرب يفقهون أحكامه و معانيه و لأن فهم أي كتاب لا يتوقف على اللغة وحدها إنما يتطلب درجة عقلية خاصة تتفق و درجة الكتاب في رقيه³، و بما أن المجتمع الرستمي كان معظم تركيبته البشرية من الجنس البربري، فقد كان الاحتياج الأكبر إلى فهم ما جاء في القرآن الكريم⁴، و بحاجة ماسة إلى تفسير بعض الآيات التي شكلت عليهم، وقد تفرغ بعضهم إلى هذا، و اهتموا بالتفسير للألفاظ و الكلمات و شرح معانيها و معاني الآيات، و عرفوا بالمفسرين لكتاب الله، و ذكر الدرجيني أن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن طلب من أهل نفوسة أن يعثروا له وفدا من علمائهم، يضم من كل صنف من العلوم مائة عالم، بما في ذلك التفسير، ليتناظروا مع المعتزلة بتيهت⁵.

و لعل أهل نفوسة أرسلوا له مفسرا واحدا، يمكنه أن يحل محل المائة مفسر المطلوبة، و هو محمد بن يانس⁶ الدركلي النفوسي المعروف بـ "ابن أبي المنيب"، عاش ما بين (200-250هـ/ 815-864م)⁷، و هو أشهر مفسري نفوسة و أعلمهم، و من أشهر علماء التفسير أيضا:

-لواب من سلام التوزري المزائي: من علماء قبيلة مزانة، كان شيخا و إماما عالما بالأصول

1 - سورة الحشر: الآية 21.

2 - أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص 196.

3 - معروف بلحاج: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص 242، مختار حساني: المرجع السابق، ص 307.

4 - الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص - ص 57-58.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 67.

6 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج 4، ص 828، إبراهيم بحازة: الدولة الرستمية، ص 299.

والفروع¹، و قد قام بتفسير جزء من سورة الشورى² في كتابه "شرائع الدين" باعتماده على الحسن البصري و ابن العباس³، كما تطرق إلى حكم حجاب المرأة، و فسر الآيات التي تحتويها لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾⁴ وليس في تفسيره أي غموض أو إهمام.

- هود بن محكم الهواري: كان أبوه محكم الهواري قاضي تيهرة في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ/823-871م)⁵، و هو أشهر مفسر عرفته الدولة الرستمية و تداولته المصادر و المراجع الإباضية و غير الإباضية.

تلقى هود بن محكم تعليمه في تيهرة و كان يفسر القرآن الكريم بالمأثور من الأقوال، و قد اتبع في ذلك شروطا ثمانية هي: معرفة المكي و المدني، الناسخ و المنسوخ، التقدم و التأخير، المقطوع و الموصول و الخاص و العام و الإضمار و اللغة العربية⁶، ألف كتابا في التفسير فيه أربعة أجزاء⁷، و يعتبر تفسيره مرجعا أساسيا للإباضية بالإضافة إلى الأحاديث النبوية⁸.

* الفقه:

الفقه لغة هو الفهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسِّحْ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾⁹، أي لا تفهمون، وقيل الفقه هو معرفة الأشياء الدقيقة،

1 - جمعية التراث: المرجع نفسه، ج4، ص733.

2 - قال الله تعالى: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الآية 13.

3 - معروف بلحاج: المرجع السابق، ص143، إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص299.

4 - سورة الأحزاب: الآية 59.

5 - محمد مختار اسكندر: المرجع السابق، ص40، موسى لقبال: دور كتامة، المرجع السابق، ص77.

6 - محمد مختار اسكندر: نفسه، ص41.

7 - هود بن محكم الهواري: تفسير كتاب الله العزيز 4 أجزاء، تحقيق شريفي بلحاج، دار العرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، و يذكر الشيخ سليمان داود بن يوسف أنه رغم ضياع كتب الإباضية فإنني وجدت نسخة كاملة من هذا الكتاب في خزانة حدي الشيخ أحمد ابن أيوب التتوني، كتبه بخطه سنة 1050هـ و هو بصدد التقدم للطبع، و قد وجدت بعض الأجزاء من الكتاب متفرقة في وادي مزاب و جربة، ينظر، سليمان داود بن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص60.

8 - صالح باجحة: المرجع السابق، ص54.

9 - سورة الإسراء: الآية 44.

واصطلاحا هو معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الإجتهد¹، و عرفه عبد الرحمن بن خلدون بقوله: "هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين"²

يعتبر هذا العلم في نظر الإسلام جزء من الدين و من أمور الدنيا، حيث يتناول الفقه حياة الإنسان كلها من الصغر إلى آخر مراسم الدفن و هو إذن قواعد عملية نتيجة التطور و اختلاف البيئات، و لعل الخطوات الأولى للفقه الإسلامي وضعت وقت الرسول صلى الله عليه و سلم وصحابته، و ذلك قبل الإنقسامات السياسية و الخلافات العقائدية³، و لقد كان التنافس على أشده بين المذاهب الإسلامية داخل العاصمة، و على شكل مناظرات بين الإباضية و المالكية والحنفية و المعتزلة و الصفرية، هذا الجو التنافسي أثر في توجيه اهتمام العديد من العلماء إلى هذا العلم.

إن التنافس بين الفقهاء على اختلاف مذاهبهم أفضى إلى غزارة التأليف، فكثرت بذلك المدونات الفقهية، و لا أدل على ذلك ما قاله ابن الصغير: "...و من بالبلد من فقهاء الإباضية وغيرهم من الكوفيين و المدينيين (أي المالكية) لم يطلب بعضهم بعضا، و لا يسعى بعضهم ببعض..إلا أن الفقهاء تباحثت المسائل فيما بينها، و تناظرت و اشتتت كل فرقة أن تعلم ما خالفتها فيها صاحبها..."⁴.

و الجدير بالذكر أن الحلقات العلمية و المناظرات التي كانت تقام في تيهرة بإشراف الأئمة الرستمين عليها في بعض الأحيان كان لها دور فعال في إثراء الفقه كانت حلقات الجدل والمناظرة تعقد بين فقهاء المالكية و الإباضية، يورد بحاز إبراهيم جانباً من مناظرة فقهية بين ابن الصغير المالكي و أبي الربيع الإباضي حول تفسير الآية (وَاللَّائِي يَتِمْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ

1 - أحمد بن زكريا لنمساني: غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق محمد أو إدريس مشان، المجلد الأول، ط1، دار التراث،

دار ابن حرم، الجزائر، 2005، ص- ص 281-282.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص443.

3 - صالح باحية: المرجع السابق، ص53.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص117.

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا¹، فابن الصغير فسر "لم" بأنها لا تعني النفي القاطع إنما تنطبق على الفتيات الصغيرات اللاتي لن يبلغن سن الحيض، بينما أبو الربيع فسرهما على أنها تعني النساء المسنات².

كذلك الأمر بين فقهاء الحنفية و الإباضية، حيث يتفق المذهب الإباضي و المذهب الحنفي على الكتاب و السنة و القياس و الإجماع و الاختلاف هو أن الإباضيين يأخذون بقتاوى الصحابة والتابعين، أما الأحناف فلا يأخذون إلا بقتاوى الصحابة³.

كما أن الفقه الإباضي⁴ تميز بالتشدد و هو ما كان عليه شيوخ المذهب الأوائل، و الدافع إلى ذلك هو الرغبة في زيادة الأحرار و الحيلة من الوقوع في الحرام، إذ يذكر أن أبا مرداس رأى على غير قصد امرأة مكشوفة الرأس فصام سنة كفارة على ذلك⁵، و من بين الأحكام الفقهية التي يتميز بها المذهب الإباضي عن سائر المذاهب الأخرى، سواء السنية أو الشيعية، فمثلا في نطاق العبادات و ما يتصل بها: تعتبر الصلاة بدون البسمة قبل الفاتحة باطلة، و كذلك الأذان بدون أربع تكبيرات إحرار، و ما تتميز به صلاتهم أن كل ركعة سرية يكتفي فيها بالفاتحة، و الأفضل عند الصلاة أفراد لباس خاص بها تبريا من نجاسة قد تعلق بالثوب، أما في مسألة الصيام، فمن أصبح جنباً أصبح مفطراً (إذا كان عمداً كان عليه القضاء و الكفارة)، و في نطاق المحرمات: من زنى بامرأة فلا يجوز له الزواج بها، و كذلك التدخين، و لعب الشطرنج و الغناء و الموسيقى، و حلق اللحية، و الصيد و الذبيحة على يد اليهود، و بناء القبور على الموتى⁶.

إن الاجتهاد الفقهي في المغرب خاصة بالنسبة للمذهب الإباضي بدأت معالمه تظهر بشكل جلي و نهائي، مع ظهور عدد كبير من الشيوخ و الفقهاء، الذين كانوا قد خدموا الفقه في المغرب

1 - سورة الطلاق: الآية 5.

2 - محار إبراهيم: المرجع السابق، ص 300، ابن الصغير: المصدر السابق، ص - ص 117 - 118 - 119.

3 - عبد الكريم جودت: العلاقات، المرجع السابق، ص 96، محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص 269.

4 - للإباضية آراء فقهية جيدة اقتبست القوانين المصرية في الموارث بعض آرائهم، محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد، ج 1، دار الفكر العربي، ص 85.

5 - صالح باحجة: المرجع السابق، ص 66.

6 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص 99.

الأوسط و ساهموا في تنشيط الحياة الفقهية في الدولة الرستمية¹ سواء كانوا إباضيين أو غير إباضيين، نذكر منهم:

▲ الفقهاء الإباضيون:

كان الأئمة الرستميون أنفسهم علماء و فقهاء و منهم الإمام عبد الوهاب الذي ألف كتابا في الفقه الإباضي سماه نوازل نفوسة²، جاءت في حوالي ثلاثة مائة سؤال يجيب فيها عن أسئلة النفوسيين³، كما ألف الإمام أفلح بن عبد الوهاب كتاب الجوابات التي بحث فيها عن أسئلة فقهية، و ما زال هذا الكتاب عبارة عن مخطوط يشمل ثمانين ورقة و يحتاج إلى التحقيق⁴.

و من بين العلماء و الفقهاء من غير البيت الرستمي و الذين أسهموا في ازدهار الحياة الفكرية نذكر منهم:

- أبو عبيدة الأعرج: عاش في القرن 3هـ/9م، و عاصر الإمام أبا اليقظان، كان عالما بالفقه⁵ و علم الكلام و البلاغة و النحو، قال عنه ابن الصغير: "كلهم مقرون له بالفضل، معترفون له بالعلم، مسلمون له في الورع إذ اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه"⁶، و مما ذكر عن خصاله قلة تردده على الأمراء و حسن أدبه⁷، و ابن الصغير كان أحد تلامذته، كان مشهورا له بالورع حتى أن إباضية سحلماسة يبعثون إليه زكاتهم ليصرفها حيث يشاء⁸، و لقد احتضنت تاهرت فقهاء آخرين تمتعوا بنفس المكان الفقهية، و نذكر منهم:

1 - رابع بونار: المرجع السابق، ص 85.

2 - حسين مؤس: تاريخ المغرب و منارته، المرجع السابق، ص 332، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36، و يذكر محمد علي دبور بأن هذا الكتاب لا زال موجودا في مدن ميزاب و جيل نفوسة و جربة، محمد علي دبور: المغرب الكبير، المرجع السابق، ج 3، ص - ص 272-273.

3 - ابن الصغير: نفسه، ص 45.

4 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص 244.

5 - و داد القاضي: المرجع السابق، م 1، ص 233.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 84.

7 - و قال عنه ابن الصغير: "و كان قليل الدخول على أبي اليقظان، و لم يكن يجمعه و إياه سوى المسجد الجامع"، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص 83.

8 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج 3، ص 596.

-عبد العزيز بن الأوز: عاش في تيهرة في عهد الإمام أفلح و الإمام أبي اليقطان، و كان فقيها بارزا رغم أن البعض أخذ عليه فكره السطحي¹ يقول عنه ابن الصغير أنه كان صاحب فقه ورحلة نحو المشرق².

-عبد الله بن الخير: و تلمذ عل يد أبان بن وسيم، و لغزارة فقهه برز في الإفتاء³، اشتهر بعلمه و قيل عنه من ضيع كتابا كمن ضيع خمسة عشر عالما مثل الخير⁴، و نبغ أيضا في الفقه عيسى بن فرناس النفوسي و أبو ربيع سليمان و عثمان بن أحمد بن يحتاج و أبو ميمون الجيلاطي⁵.
كما لا ننسى جهود حملة العلم الفقهية، أمثال اسماعيل بن درار الغدامسي الذي أدى دورا هاما في التعليم، و نشر الفقه الإباضي، و أيضا داورد القبلي النفزاوي الذي أخذ عنه الإمام عبد الوهاب العلم⁶، و لم تكن تيهرة وحدها المدينة الرسمية التي كانت تحتضن الفقهاء، فقد ظهر أيضا في جبل نفوسة عدد من الفقهاء، و رأينا أن نذكر و لو البعض منهم لأن الأئمة الرسميين استعانوا بهم في المناظرات و في القضاء و من أشهر هؤلاء العلماء و الفقهاء:

-عمروس بن فتح المساكني النفوسي: عاش في عهد الإمام أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح، تولى القضاء بجبل نفوسة، قام بامتنساخ مدونة أبي غانم⁷ التي لها أهمية في الفقه الإباضي حيث

1 - تادبوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص 36.

2 - قال عنه ابن الصغير: "و كان له فقه بارع و له رحلة نحو الشرق، ولكنه سفیه اللسان خفيف العقل، يزهون بحالسهن عن حضوره، و يستغنون عنه في معضلات مسائلهم"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 86.

3 - ابراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص - ص 318 - 319.

4 - الدرر جيني: المصدر السابق، ج 1، ص 179.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص - ص 81 - 110.

6 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص 245، جمعية التراث: المرجع السابق، ص - ص 109 - 2856 - 499 - 505 - 515.

7 - و يذكرني هذا السياق أن أبا غانم بشر بن غانم الخرماني خرج من المشرق متوجها نحو المغرب قاصدا الإمام عبد الوهاب و معه مدونته، و أثناء مروره بجبل نفوسة استودعها عند عمروس بن فتح الذي عكف هو و أخته على استنساخها، ينظر، حبيب الخنحاني: دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، لسان، 1990، ص 105.

يعتمد عليها بعد القرآن و السنة، و مسند الربيع مثل ملونة أبي سحنون من أهمية عند المالكية¹، و كان من الفقهاء الذين قتلوا في موقعة مانوا سنة 283هـ/896م، حيث أخذ أسرا إلى الأمير الأغلي ابراهيم الثاني ثم قتل بطريقة بشعة².

- عيسى بن فرناس و محمود بن بكر: امتعان بهما الإمام أبو اليقظان في أمور الدين و السياسة³، حيث يذكر ابن الصغير: "و كان إذا جلس (أبو اليقظان) في المسجد الجامع... كان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فرناس، و كان عندهم من الورع بمكان... و كان عن يمينه و عن يساره و بين يديه وجود الناس، و كان محمود بن بكر يدافع عن الإباضية و يرد عن الفرق الأخرى بمقالاته و يولف الكتب في الرد على مخالفيه⁴.

- محكم الهواري: عينه الإمام أفلح بن عبد الوهاب قاضيا على تيهرة، قيل أنه كان شديدا في الحق، فلم يفرق بين أمير و مأمور و بين حاكم و رعية، لهذا ارتضاه الناس قاضيا يحكم بينهم بالعدل⁵، و كان حيا فيما بين 208 - 258هـ/823 - 871م⁶.

- عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ: محمد بن أفلح فقيه من تيهرة، عاصر الإمامين أبي اليقظان و أبي حاتم يوسف الذي عينه قاضيا، و قد كان متطلعا في الفقه⁷، و مجموعة أخرى من العلماء و الفقهاء أمثال ابن أبي عياض اللواتي الذي عاش في القرن 3هـ بين عهدي أبي حاتم يوسف و يعقوب بن أفلح⁸، و أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي الذي كان يستغل بالتدريس

1 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص 99.

2 - الدرر جيني: المصدر السابق، ج 1، ص 89.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 81.

4 - يقول ابراهيم مجاز: "لم تصل إلينا هذه الكتب التي رد بها محمود بن بكر عن مخالفيه الإباضية و لعلها ذهبت صحبة حرق مكتبة الرستميين"، ابراهيم مجاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص - ص 310 - 311، ابن الصغير: نفسه، ص نفسها.

5 - ابن الصغير: نفسه، ص - ص 59 - 60.

6 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج 4، ص - ص 745 - 746.

7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 89، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 178، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 86.

8 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج 3، ص 675، محمد علي: المرجع السابق، ص 87.

في الفقه و اللغة مجبل نفوسة¹، و ماطوس بن هارون المتوفي 283هـ/896م، له كتاب يسمى "كتاب ماطوس"²، و أبو حسان عامر بن عاصم السدراتي و هو من ذرية عاصم السدراتي، كان يعقد مجلسين، مجلس للقضاء و آخر للنساء، يعلمهن الأحكام و يفقهن في دينهن³، و من فقهاء و خطباء تيهيرت أيضا: أحمد التيه الذي برز في فن المناظرة، و عثمان بن القفار و أحمد بن منصور، و قد عاصروا الإمام أبا حاتم يوسف بن أبي اليقظان⁴، و غيرهم كثير.

و ما نستنتجه من خلال عرض هؤلاء العلماء و الفقهاء مكانتهم الكبيرة عند الأئمة الرسميين، الشيء الذي دفعهم إلى تعيين هؤلاء الفقهاء في منصب القضاء باعتباره جهازا إداريا له علاقة وطيدة بالفقه لأن إصدار الأحكام القضائية يجب أن يتطابق مع الأحكام الفقهية الشرعية، لا سيما إذا علمنا أن من شروط تولي مهمة القضاء، هو أن يكون المؤهل له درجة عالية من الفقه و الفتوى، و لعل أشهر قاض شهدته الدولة الرسمية هو عمرو بن فتح النفوسي، الذي وصف بالبحر الزاخر، و لعل أبرز تصنيف يعرف باسم العمروسي⁵.

• الفقهاء غير الإباضيين:

لم يقتصر الإنتاج الفقهي للمذهب الإباضي فحسب بل فتح المجال لمختلف العلماء و الفقهاء على اختلاف مذاهبهم و مشاربهم الفكرية مما مكن من وجود تعايش مذهبي جعل من تيهيرت رمزا لما يمكن أن نسميه "حوارا مذهبيا" إلا ما كان يعترض هذا التعايش من تصادم بين الإباضية و المعتزلة الواسلية و أسبابه في غالب الأحيان النزعة القبلية⁶، فقد فتحت تيهيرت أبوابها أمام الوافدين إليها من كل حذب و صوب دون تضييق أو تعصب و كان من الطبيعي أن يتواجد عدد من الفقهاء غير الإباضيين خاصة فقهاء المالكية، نذكر منهم: أبو الفضل عباس بن محمد العواف

1 - يحيى بوعرير: المرجع السابق، ص 121.

2 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج 4، ص 738.

3 - نفسه، ص - ص 244 - 245.

4 - ابراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص 266.

5 - الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 320.

6 - محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 120.

الغدامسي المتوفي سنة 309هـ/921م¹، و ابراهيم بن عبد الرحمن التنسي، سمع من أبي علي القالي، توفي 307هـ/919م²، و كذلك الفضل بن سالم البجائي المتوفي 319هـ/931م، كان له باع كبير في الفقه من تأليفه "جامع المسائل الموازنة و المستخرجة"³، و أيضا قاسم بن عبد الرحمن و زكرياء بن بكر و المؤرخ الفقيه المالكي بن الصغير⁴، كما كان للفقهاء الحنفية قدم راسخة في تهرت بدليل وجود مسجد خاص بهم و كان يطلق عليهم تسمية الكوفيين⁵، و منهم أبو مسعود و أبو دنون و كانا فقيهين على مذهب الكوفيين⁶، و قد كان لهما الفقيهين طلع بارز في إحداث المنافسات التي وقعت بين الإمام أبي حاتم و عمه يعقوب بن أفلح في سنوات 282هـ/286م⁷.

إن الانتاج الفكري الإباضي لا سيما الفقه منه لم ينته بعد انتهاء دولتهم و سقوط تيهرة بل استمر في واحات وارجلان و سدراتة و جربة، إذ نزح يعقوب بن أفلح إلى وارجلان عقب مقتل يوسف أبو يقظان، هذه المناطق كانت في الحقيقة معاقل لانطلاقة جديدة للفكر الإباضي بعد سقوط تيهرة فقد أنجبت هذه المدن علماء و فقهاء مثلوا استمرارية فكرية و مذهبية للدولة الرستمية و عرفوا بقوة الإسماتة في الدفاع عن مذهبهم⁸، إذ عاش العديد من أئمة الفكر الإباضي خلال القرن الرابع و الخامس الهجريين⁹ حتى يومنا هذا و من هؤلاء الفقهاء نذكر منهم:

1 - بلحاح معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص 246.

2 - رابع بونار: المرجع السابق، ص 92.

3 - نفسه، ص 93.

4 - محمد عيسى الحري: المرجع السابق، ص 237.

5 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 95، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36.

6 - النرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 180.

7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 134.

8 - محمد علي: المرجع السابق، ص 92.

9 - و للمزيد عن هؤلاء، ينظر، تاديوم ليفيتسكي: المرجع السابق، ص - ص 35 - 174.

أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم السلواقي المتوفى سنة 570هـ/1174م¹، سعيد بن زنجيل (أبو نوح) أوائل القرن 4هـ/10م²، أبو عبد الله محمد بن بكر الذي تتلمذ على أبي نوح سعيد بن زنجيل و قد أشاد بنبوغه في الفقه، رحل إلى القيروان لتعلم علوم اللغة العربية³.

إن جهود هؤلاء العلماء و الفقهاء في الحفاظ على المذهب الإباضي عملت على التواصل الفكري عبد العصور هو الأمر الذي أدى إلى استمرارية هذا المذهب حتى يومنا هذا إضافة إلى صفة الاعتدال التي لزمتم هذا المذهب منذ نشأته و هي في الحقيقة من عناصر قوته و عوامل انتشاره و بقاءه على غرار للمذاهب الأخرى التي ظهرت في المغرب ثم سرعان ما اندثرت بسبب جنوحها إلى القوة و الإكراه.

و من المظاهر و المعطيات التي نستنتجها بعد اطلاعنا على هذا العلم نذكر:

- أن الفقه طبع الحياة العلمية بتيهت طيلة وجود الدولة الرستمية، و ازدهار هذا العلم يرجع بالدرجة الأولى إلى التنافس الذي عرفته تيهت بين الفرق و للمذاهب المختلفة و حتى انشقت عن الإباضية النكارية، فقد برز في تيهت عدد هائل من هؤلاء الفقهاء أورد ابن الصغير البعض منهم أمثال أبو عبيدة الأعرج و عبد العزيز بن الأوز و عيسى بن فرناس النفوسي و ابن محكم الهواري، و منهم أيضا مسعود الأندلسي و أبو قدامة بن يزيد اليفريني و عمران بن مروان الأندلسي و أبو الموفق سعدوس بن عطية و سكر بن صالح الكتامي و مصعب بن سلمان و كلهم من فقهاء تيهت.

و يلاحظ من خلال سردنا لهذه الأسماء العلاقة بين الأندلس و تيهت و التي تعود إلى هذه المرحلة المبكرة و كذلك وجود علماء أجلاء ينسبون إلى القبائل الأمازيغية مثل قبيلة بني يفرن، مما يؤكد على أن الأمازيغ اهتموا بعلوم الشريعة منذ القرون الأولى، لكن أغلب مؤلفات علماء

1 - يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 127.

2 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج 3، ص - ص 364 - 365.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 173، الترجيبي: المصدر السابق، ج 1، ص 167.

تيهرة لا تزال مخطوطة بخزائن وادي ميزاب، نذكر منها على سبيل المثال جوابات الإمام أفلح ورسالة أبي عبيدة في الزكاة وديوان أبي سهل¹.

*الحديث:

عرف الإباضية بروايتهم للحديث عن شيوخهم بالمشرق منهم حملة العلم الخمسة بالإضافة إلى هؤلاء ذكر ابن الصغير أبو عبيدة الأعرج الذي كان يأتي إليه ليسمع منه كتاب اصلاح الغلط و هو تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة²، و لعل النقص في المصادر التي تتحدث على مؤلفات الإباضية في هذا العلم دال على عدم الاهتمام الكبير به، فتراجع و سير العلماء لا تأتي على ذكر المحدثين إلا قليلا، و لعل ذلك راجع إلى أن تعدد المذاهب في تيهرة جعل الفقه يحظى بالاهتمام الكبير في بيئة تميزت بالمنظرات الفقهية و الكلامية، و مع ذلك تشير هذه المصادر إلى أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258م) له روايات في الحديث³.

و لعل أبرز كتاب إباضي في الحديث هو مسند الربيع بن حبيب الأزدي⁴ الذي كان على اتصال بعلماء المغرب، وقد اعتمده الإباضية في الحديث و أولوه عناية كبيرة و اعتبروه سنداً صحيحاً، و هذا المسند يحتوي على أربعة أجزاء: الأول تناول فيه أحاديث الوحي و ذكر القرآن و العلم و الولاية و الصلاة و الزكاة و الطهارات، أما الثاني فقد ضم سبعة و خمسين باباً تناول فيه أحاديث الحج و الجهاد و الطلاق و الأحكام، أما الثالث فقد ضم أحاديث احتج فيها الربيع على

1 - أبو سهل النفوسي: و يعرف أيضا بالفارسي نسبة إلى والدته المتحصنة من عائلة الأئمة الرستميين، و تروي لنا الأخبار أنه كان ترجمان الإمام أفلح، و كتب حوالي اثني عشر كتاب شعر باللغة البربرية، الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص- ص 289-290، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص- ص 115-116.

2 - ابن قتيبة: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي، بما مولده و يقال له الدينوري لأنه كان قاضي الدينور، و توفي سنة 270هـ له كتاب "إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث"، ينظر، النديم: المصدر السابق، ص- ص 58-59، هامش ابن الصغير، ص84، مختار حساني: المرجع السابق، ص308.

3 - بلحاج معروف: الانتاح الفكري، المرجع السابق، ص242.

4 - هو مسند الربيع بن حبيب الأزدي الفراهيدي العماني، من علماء القرن الثاني هجري، تولى إمامة الإباضية بعد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، عاصر الإمام عبد الوهاب، يحتمل أنه توفي في 172هـ، بلحاج معروف: الانتاح الفكري، المرجع السابق، ص243.

خصومه كحجة تكفير أهل الكبائر، ككفر النعمة، أما الجزء الرابع فضم روايات محبوب بن الرحيل عن الربيع، و روايات الإمام أفلح عن أبي غانم بشير الخرساني، و مراسيل جابر بن زيد¹.

أما بالنسبة لإباضية المغرب، فنجد بعض رواة الحديث الذين اهتموا بالفقه الإباضي منهم الشيخ: أبو قاسم سدرات بن الحسن اليفطوري² و أبو ذر إيان بن وسيم، أبو خليل صال، من أهل دركلل، و كذا أبو المنيب محمد بن يانس³، و جابر بن زيد الأزدي، اعترضه نفاث في طريقه و أخذ عنه الديوان الذي جمع فيه أحاديث تسعين من الصحابة، و حوى ما عندهم و قام بحفر له و دفنه و لم يعرف وضعه إلى يومنا هذا، كله حسد و غيلة⁴، و لعل هذه الحادثة من حوادث الدهر آنذاك.

و يبدووا هذا الفراغ في مصنفات الحديث لعلماء إباضيين، هو الذي دعى أبا عبدة الأعرج التيهرتي، العالم الفقيه بالكلام و الوثائق و النحو و اللغة، إلى دراسة كتب غير الإباضية التي كانت من مخلفات العديد من رواة الحديث، نذكر منهم أبا عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن اسماعيل الوناتي التيهرتي⁵ الذي يعد من أشهر علماء الجزائر و أدبائها في هذا العصر عالما بالحديث، إماما، صدوقا، حافظا للحديث⁶، ولد بتيهت عام 200هـ، أخذ العلم عن علماء بلده، ثم ارتحل إلى القيروان، فأخذ عن صاحب المدونة سحنون بن سعيد، و قد أخذ الحديث عن بكر العديد من العلماء أمثال قاسم بن إصبع والذي نقل مسند مسدد بن مسرهد إلى الأندلس، و هو في عشرة أجزاء⁷، و أيضا ولده عبد الرحمن⁸، و كذا صالح القحطاني المعافري، و قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التيهرتي التميمي الذي كان من جلساء بكر بن حماد⁹.

1 - بلحاج معروف: المرجع نفسه، ص244.

2 - الشماحي المصدر السابق، ج1، ص155.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص96.

4 - ذكره الدباغ باسم بن سمك و بن عذاري باسم بن سمر، ينظر، الدباغ: المصدر السابق: ص281، ابن عذاري: المصدر السابق، ص103.

5 - ابن عذاري: المصدر السابق، صج1، ص153، مختار حساني: المرجع السابق، ص308.

6 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص174.

7 - إبراهيم مجاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص309.

8 - بلحاج معروف: الانتاج افكري، المرجع السابق، ص244.

و من المحدثين أيضا أبو سعيد مجيع بن خدّاش توزري، توفي بنفزاوة سنة 296هـ/909م، و قد روى الحديث عن محمد بن سحنون¹، و يظهر أن معظم هؤلاء المحدثين كانوا قد رحلوا إلى القيروان لتلقي العلم من شيوخها، و المؤلفات في هذا الباب شبه معدومة إلا ما كان قد استعين به في التفسير، و هي طريقة هود محكم²، السالف الذكر و يذكر أن نفثا بن نصر قد أتى معه بنسخة من ديوان جابر بن زيد الأزدي من بغداد، و هو مؤلف يعتقد أنه في الحديث³، لما كان يسمعه جابر عن الصحابة منهم بن عباس، يذكر الدرجيني أن ملونة أبي غانم احتوت على جملة من الأحاديث⁴.

*علم القراءات:

و هو معرفة القراءات المشهورة و كيفية أداء الحروف، كما يضاف إليه فن الرسم، و هي أوضاع حروف القرآن الكريم في المصحف و رسومه⁵.

هو من أفضل و أشرف العلوم لتعلقه بالقرآن الكريم⁶، واضعه من الناحية العملية هو سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، فهو أول من تلا القرآن الكريم بمجودا⁷ من البشر، أما واضعه من الناحية العملية فليل: أنه أبو الأسود الدؤلي و قيل: أبو عبيد القاسم بن سلام، و قيل: الخليل بن أحمد الفراهدي⁸، و من أعلام القراءة و أئمتها الذين اشتهروا بتفاصيل علم القراءات رواية و دراية

1 - معروف بالحاج: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص244.

2 - بحاز ابراهيم: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص301.

3 - نفسه، ص- ص 305-306.

4 - الدرجيني: المصدر السابق، ص10.

5 - لقي فن رسم القرآن الكريم عناية و اهتمام كبيرين و ألفت فيه العديد من المصنفات، ابراهيم بن محمد المغني: دليل الحيران على مورد الظمان في فن الرسم و الضبط باعتبار قراءة الإمام نافع محمد بن محمد الشريسي الخراز، دار الكتاب، الجزائر، د.ت، ص10.

6 - رحمة عساني: الميسر في أحكام الترتيل، مراجعة و تصحيح رمضان بخلف و صالح فريوي، دار الهدى عين ميله، الجزائر، 2000، ص11، و يقول عنه بن خلدون بأنه علم يتعلق بكتاب الله ببيان ألفاظه أولا ثم اسناد نقله و روايته إلى النبي صلى الله عليه و سلم و اختلاف روايات القراء في قراءته، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص443.

7 - أي تجويد القراءة و تلاوة القرآن الكريم بمهل و تودة و اطمئنان، و إخراج الحروف من مخارجها، بلقاسم مصباحي: هبة الرحمن في تجويد القرآن، دار الهدى، عين ميله، الجزائر، 2006، ص12.

8 - رحمة عساني: المرجع السابق، ص11.

تامة بما كان الصحابة رضوان الله عليهم يقرؤون القرآن كما تعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم و هم سبعة¹، الإمام نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائي. و زاد ابن الجزري ثلاثة قراء مختلف في توتر قراءتهم و هم: أبو جعفر في المدينة المنورة، ويعقوب في البصرة و خلف في بغداد².

لكن هذا العلم في تيهت لم نشر المصادر التي رجعنا إليها في تأليف في هذا العلم رغم وجود أئمة جودوا و رتلوا القرآن في المساجد طبقا لما جاء في الآيات الكريمة و التي تحت على الترتيل مثل قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾³، و كذا قوله عز وجل: ﴿وَرَتِّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾⁴، و هذا ما ذكره ابن الصغير⁵: "حضرت لهم خطبا كثيرة أولهم ابن أبي دريس، و الثاني أحمد التيه و الثالث أبو العباس بن فتحون، و الرابع عثمان بن الصفار، و الخامس أحمد بن منصور، فسمعت أحمد التيه يقرأ بعد فراغ إلى بلغ: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا﴾⁶، فقد كان هؤلاء الخطباء يؤمون الناس في الصلاة و من ثم كان عليهم تجويد القرآن و ترتيله بأحكامه لأنها فرض عين⁷.

ب/ العلوم اللسانية: (علم الكلام، اللغة، النحو، الأدب، التاريخ، الجغرافيا)

تنوعت العلوم اللسانية و الإجتماعية من أدب و ما يتصل به من فنون مثل الشعر و النثر، و علوم اللغة و قواعدها من نحو و علم كلام و كذا التاريخ و الجغرافيا، و قد حظيت هذه العلوم باهتمام و إقبال كبيرين من قبل أئمة تيهت حيث تذكر المصادر أن الإمام أبا بكر كان شغوفا باللغة و الأدب⁸، إذ أن المجالس العلمية و الحلقات التي كان يقيمها حملة العلم العائدون من المشرق كانت بمثابة مدرسة لتلقي الأتباع علم الأصول و الفروع و السير و آراء الفرق و علوم اللغة

1 - عبد الرحمن بن خلدون: القلمة، المصنر السابق، ص 444.

2 - بلقاسم مصباحي: المرجع السابق، ص - ص 10 - 11.

3 - سورة المزمل: الآية 4.

4 - سورة الفرقان: الآية 32.

5 - ابن الصغير: المصنر السابق، ص 105.

6 - سورة طه: الآية 4.

7 - مختار حساني: المرجع السابق، ص 308، و حجة عيساني: المرجع السابق، ص 12.

8 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 238.

والأدب، و قد تمثلت هذه العلوم فروعاً شتى من شعر و أدب و تاريخ، لكن حرق المكتبة بعد دخول العبيدين إلى تيهرة صعب الحصول على المؤلفات التي تفي هذه العلوم سواء النقلية أو العقلية¹.

و من هذه العلوم نذكر:

* علم الكلام:

يعرفه ابن خلدون بقوله: "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السنة"²، فهو العلم الذي يعتمد على الجدل للبحث في مسائل العقيدة الإسلامية بغرض الدفاع عنها بالحجة و الإقناع، أي الغوص في مسائل فلسفية بحتة، و قد اشتهرت تيهرة بالمناظرات التي تعتمد على علم الكلام و كان أغلبها يتم في المساجد والساحات العمومية³.

تعد الخلافات التي كانت تصدر عن الإباضية من أهم أسباب التفرق الملهي عن الإباضية الأم، التي احتفظت لنفسها باسم الوهبة، نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن⁴، و تعود الانشقاقات إلى أسباب فقهية سياسة الباطن، و لعل سببه الرئيسي هو مسألة الإمامة⁵، و قد كانت لهم عدة اجتهدات فقهية، انحرفوا فيها عن الإسلام، و كانت الوهبة، ترد عليهم و تدحض حججهم، و بالتالي ظهر النزاع و الجدل و المناظرة، و كانت الإباضية دائمة المناظرة الكلامية والمنافسة الفقهية⁶، فكانت مسألة خلق أسماء الله و مسألة الله هو الدهر الدائم من أهم الأفكار الكلامية التي أثارت هذه المناظرات، و لعل الرستميين فتحوا المجال واسعا أمام حرية الفكر، فلم يضايقوا أحدا و لا طردوا مخالفا، و كانت الإباضية يدعون في أغلب الأوقات أتباع الفرق

1 - عثمان سعدي: عروة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص 86.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 467.

3 - مختار حساني: المرجع السابق، ص 309.

4 - ابن الصغير: للمصدر السابق، ص 37.

5 - تعد الإمامة و شروطها من أهم المسائل التي أشغلت المسلمين، و كانت سببا لظهور الفرق الإسلامية، موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 202.

6 - موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 331.

الأخرى لحضور ندوات، و كان كل مشارك فيها حر للدفاع عن وجهة و عن مذهبه، و كان يشترط في الشيخ الإباضي أن يكون متطعاً في معرفة اللغة العربية، و القرآن الكريم و الحديث، والفقه و علم العقائد و تاريخ الخلفاء و تاريخ صحابة رسول الله عليه الصلاة و السلام¹، و كانت هذه المناظرات تقع بين المذاهب الواسلية و الحنفية²، و غيرها من المذاهب، و لعل ابن الصغير من الشخصيات البارزة في تيهوت، فكانت معرفته الفقهية خاصة تجعل له القدرة الكلامية في المناظرة على الرغم من علم عبد الوهاب الواسع، و ثقافته الكبيرة، فإنه لم يقدر على الرد على مناظرات الواسلية، و بالتالي استمد العون من نفوسة³.

و قد كان له ما طلب، فجاءه أشهر مناظر إباضي في علم الكلام، مهدي النفوسي الوغيوي المتوفي سنة 196هـ/811م⁴ الذي عاش في عهده، و كان رجلاً شديد الورع و الزهد في الحياة الدنيا⁵، فكان هو المقوم في علم الجدال الذي له اليد العليا في البرهان و الاستدلال، هو المحتج على أمكان الممكن و استحالة المحال، و على الفرق بين الحلال و الحرام الرادع لقيام أهل البدع والضلال⁶، و كان يغيب لعدة أيام قبل انعقاد المناظرة، فلما سئل عن مكان غيابه، قال: "إني رددت إلى مذهب الحق"⁷، و من أمثلة هذه المناظرات، تلك التي كانت بين النفوسي و الواسلي، الذين لم تذكر المصادر اسم هذا الأخير، حيث كان الناس في بداية الأمر يعملون ما يقولون، فلم يفلح أحدهما على الآخر، ثم أهما دخلا في فنون من العلم، فلم يفهمهما أحد من الناس سوى الإمام عبد الوهاب، و تعمقت المناظرة الكلامية، أكثر حتى أصبح لا يفهمها إلا المتناظران وحدهما، و استوى الإمام عبد الوهاب في هذه المرحلة مع العامة من الناس، فما كان أو شك من

1 - رشيد بوروية و آخرون: المرجع السابق، ص113.

2 - أهم أتباع الإمام أبي حنيفة النعمان المشهور بعلم الكلام، ثم تعرضه للعلوم الشرعية و عرف بآثاره الإجهادية، محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص82، ابن الصغير: المصدر السابق، ص92.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص171.

4 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج2، ص892، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص- 100-101.

5 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص143، رشيد بوروية و آخرون: المرجع السابق، ص113، يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص119.

6 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- 313-314.

7 - رشيد بوروية و آخرون: المرجع السابق، ص- 113-114.

أن ظفر به مهدي، فكبر أصحابه و انتصر على الواصلية¹، فتحوّلت هذه المناظرة بعد انتصار المهدي إلى مبارزة أفضت إلى مقتل المعتزلي²، و قال عنه الدرجيني: "هو المقوم في عم الجدال الذي له اليد العليا في البرهان و الاستدلال و هو المحتج على إمكان الممكن و استحالة المحال، و كلها للفرق بين الحرام و الحلال... الرادع لقيام أهل البدع و الضلال... استطاع أن يقنع سبعين عالما ممن سماهم بأهل الخلاف إلى مذهب الإباضية³، و ممن برع في علم الكلام و المناظرات أيضا عبد الله بن اللمطي الهواري، عاش في أواخر القرن 3هـ/9م⁴ من علماء تيهرة كان معاصرا للإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح (261-281هـ/874-894م) اشتهر في الجدل و المناظرة و التأليف له باع كبير في علم الكلام و كان يناظر المعتزلة الواصلية و نظرا لمكانته في الجدل و رسوخ قدمه في الحجة و البرهان اختاره الإمام يعقوب بن أفلح للتحكيم في الفتنة التي جرت بينه و بين ابن أخيه أبي حاتم يوسف⁵، و قد انتقلت روايته المتعلقة بالمناظرة بين الإباضيين و المعتزلة بواسطة بن بشير إلى ابن الصغير⁶، و نذكر أيضا محمود بن بكر⁷ الذي عاصر هو الآخر أبا اليقظان محمدا بن أفلح، تميز بشدة استماتته في الدفاع عن المذهب بالتصدي للفرق و الرد عليهم في مقالاته و كتبه و من المتكلمين أيضا عبد الله بن يزيد الفزازي عاش في القرن 3هـ/9م، له كتاب في علم الكلام عنوانه "الرد على الروافض"⁸.

كانت المناظرات تتم في جو تسوده الملائقة، إلا حينما كانت تتم مع المعتزلة الواصلية في أمور عقدية، و هؤلاء عظم نفوذهم في تيهرة و ما جاورها من مناطق و كان يستعان في

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص- ص 71-72.

2 - محمد بلغراد: المرجع السابق، ص114، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- ص 57-63.

3 - الدرجيني: المصدر السابق، المصدر السابق، ج1، ص60، إبراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص336.

4 - انتقلت روايته المتعلقة بالمناظرة بين القباضية و المعتزلة بواسطة أحمد بن بشير إلى ابن الصغير، ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 93-94، جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص55، تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة ماهر جرار و ربما جرار، دار العرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2000، ص43.

5 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ص362، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص113.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 93-94، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص43.

7 - البرادي نقلا عن محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص236، الباروني: ج2، ص119.

8 - جمعية التراث: المرجع السابق، ص589.

مناظرهم بقطاع الفقه و علم الكلام من النفوسيين و كانت المسائل المحورية في هذه المناظرات تدور حول خلق القرآن و التأويل المجازي مثل الميزان من الصراط و الاستواء على العرش¹.

و كان ممن يتواجدون في تيهرة عدد من اليهود الذين عرفوا باشتغالهم بعلم الكلام إذ كانت لهم علاقة بالأوساط العبرية البابلية².

و كانت أهم مسألة بحثها علم الكلام هي خلق القرآن، و نستشف رواج هذا العلم في تيهرة من خلال رسالة الإمام محمد بن أفلح في مسألة خلق القرآن بقوله: "اجتمعت الأمة على أن القرآن كلام الله و لا يخلو هذا الكلام من أن يكون شيئا أو ليس بشيء يختلف فيه المخالفون وينازع فيه و لو صح أنه ليس بشيء لبطل أن تكون رسل الله نجاءت بشيء"³.

هذه المسألة أثارت جدلا و جدالا⁴ في هذا العهد مما يجعلها موضوعا بمختلف المناظرات الفقهية و الكلامية، قال بها حتى الأئمة الرستميون، فالإمام أبو اليقظان كان يقول: "إذا قلنا أن نعترف أن القرآن هو الله لزم حينئذ أن نعترف له بنفس صفات الأبدية و القدرة والخلق... وبالتالي يجب أن يعبد و ذلك مستحيل.. إذا قلنا أن القرآن هو جزء من الله يصير الله تعالى حينئذ ممكن الانقسام إلى أجزاء و ذلك مستحيل إذن القرآن ليس هو عين الله أو جزء من الله بل هو منفصل عنه فليس أمامنا حينئذ إلا حالتان إما أن يكون قديما فهو إذا سرمدى مثل الله، و إما أن يكون مخلوقا، فإذا استحال أن يكون سرمديا من غير أن يكون جزء من الخالق فلا يكون إلا حقيقة غير الله و يكون الله هو الذي خلقها"⁵.

1 - صالح باحجة: المرجع السابق، ص50.

2 - محمد بلقراد: المرجع السابق، ص121.

3 - البرادي نقلا بصالح باحجة: المرجع السابق، ص213.

4 - الجدل: هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية و غيرهم، و قيل فيه: "إنه معرفة بالقواعد من الحدود و الآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو دمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره، و هي طريقتان: طريقة البردوي و هي حاصلة بالأدلة الشرعية من النص و الاستدلال و الإجماع، و طريقة العميدي و هي عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان، و أكثره استدلالا"، عبد الرحمن بن مخلون: المقدمة، المصدر السابق، ص466.

5 - محمد بلقراد: المرجع السابق، ص112، البرادي نقلا عن: CH.Bekri : Le royaume, op.cit, p151.

و منه كانت المسائل الكلامية من المواضيع الفكرية التي شغلت العلماء على حد سواء في الدولة الرسمية و أمدتها بأفكار جديدة¹.

* اللغة و النحو:

يقول ابن خلدون: "أركان علوم اللسان العربي أربعة و هي اللغة و النحو و البيان و الأدب و معرفتها ضرورية عند أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب و السنة و هي بلغة العرب، و نقلتها من الصحابة و التابعين عرب، و شرح مشكلاتها من لغتهم... فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة، و ليس كذلك اللغة"².

تعتبر اللغة العربية من أغنى اللغات السامية و أرقاها، لأنها تتميز بكثرة المفردات، و تتصف بالمرونة و القدرة على صياغة المشتقات من ألفاظها، مع سهولة التعبير الدقيق في إطار من الجزالة و سمو البلاغة و سحر البيان، و بفضل غنى اللغة العربية و قوتها و قدرتها على الإشتقاق و البحث و اللفظ المعبر، استطاعت أن تكون أداة التعبير عن حضارة سادت خلال العصور الوسطى³.

و لما كان فهم الدين الإسلامي و القرآن الكريم تحديا يتطلب معرفة اللغة العربية لأداء العبادات و فهمها بشكل صحيح، فإن تعلم قواعد اللغة العربية كانت ضرورة لغوية فضلا على أنها ضرورة دينية، و نستشف أهمية هذه العلاقة من قول أحد شيوخ الإباضية هو أبو عمران موسى بن زكرياء: "إن تعلم حرف من العربية كتعلم ثمانين مسألة من الفقه و تعلم مسألة من الفقه كعبادة ستين سنة"⁴.

احتضنت تيهوت أقواما عديدة، و بذلك تعددت فيها اللغات إلا أن اللغة العربية كانت هي اللغة الرسمية للدولة، لأن الرستميين عملوا ما في وسعهم لنشرها في أوساط البربر، كما أن اللغة البربرية عاشت بل تعايشت مع اللغة العربية، فقد كان يستعملها الفقهاء في خطبهم لأنها

1 - محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص 202.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص - ص 597 - 598.

3 - عبد العزيز قبلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج 2، ص 452.

4 - ابراهيم محاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص 348، جمعية التراث: المرجع السابق، ج 4، ص - ص 896 - 897.

كانت لغة العامة¹، فكانت صعوبة تمكن البربر من اللغة العربية سبب في اضطرارهم إلى اللجوء إلى مترجمين رستميين²، و لعل كتاب المهدي النفوسي أحد مشايخ نفوسة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري³، و هو كتاب رد به علي نفاث بن نصر الذي طعن في الإمام عبد الوهاب، و يعد هذا الكتاب أقدم كتاب إباضي بالبربري و ألف ثراء و وضع بهذه اللغة يتناقله البربر⁴، لأنها لغتها و هي أسهل عليهم، و لكن لا يستبعد أن يكونوا يتقنون اللغة العربية و ما دل على ذلك الانقلاب اللغوي الذي كان في عهد الخوارج، حيث قلبوا الخط البربري إلى العربي، و بالتالي توغلت اللغة العربية إلى اللسان البربري⁵، و منه عاشت اللغة العربية مع البربرية عيشة العامية مع الفصحى⁶.

و لقد خلفت بعض الكتابات النثرية التي كتبت بالبربرية كتلك الرسائل التي كان الأئمة يبعثونها إلى الرعية في الولايات، و لم تكن تصدر بالبربرية و إنما بالعربية و يقوم بترجمتها الشيخ أبو سهل النفوسي إلى البربرية، فقد كان فصيحاً بلغتهم و قد وصلت صدى هذه الترجمات إلى الواحات في الصحراء أو جبال نفوسة و الأوراس، و لعل منهم من يتحدث البربرية إلى اليوم⁷.

كما كان من البربر شعراء بالبربرية، فلائي سهل النفوسي دواوين شعرية حيث شبه أحد المؤرخين قصائد أبي سهل بقصائد عمران بن حطان الشاعر الخارجي حيث قال: "من أراد قراءة الشعر، فعليه بشعر أبي سهل الفارسي"، ضف إلى هذا نجد أبا ربيع سليمان بن علي بن يخلف، فكان شاعراً، يجيد الشعر باللغة الدارجة البربرية، و له قصيدة وعيظة بلسان البربر و هي مقفاة⁸، كما كانت تستعمل البربرية في حلقات الوعظ و الإرشاد في المساجد، تسهيلاً للبربر تتناول

1 - محمد عليبي: المرجع السابق، ص 101.

2 - صالح باجية: المرجع السابق، ص 150.

3 - تولى الترجمة للإمامين أفلح بن عبد الوهاب و أبي حاتم يوسف، ينظر، جمعية التراث: المرجع السابق، ج 3، ص 452، راجع بوبار: المرجع السابق، ص 91.

4 - الدرجيني: المصدر السابق، ج 2، ص - ص 372 - 375، صالح باجية: المرجع السابق، ص 158.

5 - مبارك الميلي: المرجع السابق، ص 77.

6 - نفسه، ص 78.

7 - صالح باجية: المرجع السابق، ص 158.

8 - للمزيد عن مصير هذه المؤلفات، الشماحي: المصدر السابق، ج 2، ص - ص 289 - 290، أيضاً، الوسياني نقلا عن تاديبوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص 116، صالح باجية: المرجع نفسه، ص 160.

الإسلام و تعلمه و فهمه¹، و بهذا يمكن القول أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، و قد تعايشت مع اللغة البربرية من أجل تنشيط الحركة الفكرية، و قد كانت تعتمد على المشافهة بها في التسيير و الشرح أكثر من كتابتها و التدوين بها.

أما النحو فقد بدأ في البصرة و الكوفة في القرن الأول الهجري على يد أبي الأسود الدؤلي الذي وضع قواعد اللغة العربية و يقال إنه تلقى أصول هذا العلم عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-²، و الدوافع التي اقتضت الإهتمام بهذا الجانب هي أن كثيراً من الموالي الفرس كانوا يختلطون بالعرب فتعرضت العبارات العربية إلى اللحن في النطق و حتى لا يتعرض القرآن الكريم للتحريف كان لا بد من تقويم اللسان العربي بوضع قواعد تحفظ سلامة النطق.

إذن تعد البصرة المركز الأم للنحو، و إحدى المدارس النحوية البارزة في ذلك الوقت، ولكن كانت تيهرة بعيدة عن مسaire البصرة في هذا الاختصاص، و ذلك لأن البربر كانوا في هذا الوقت يحاولون التحدث باللغة العربية، على أكثر تقدير دون النظر إلى النحو و القواعد، و يذكر بلحاج معروف أن المعلومات في هذا العلم قليلة جداً، فيقول إننا لا نعرف عن هؤلاء الكثير إلا ما صنّفه الزبيدي من النحويين الرسميين خطأً مع العلماء القرويين، أمثال الأخوين ابراهيم المهري، و أبو عبد الملك المهري ابن قطن، و أبو محمد عبد الله بن محمد المكفوف النحوي من مواليد سرت، التي كانت تابعة للدولة الرسمية، حيث قيل في شأنه: "كان من أعظم خلق الله بالعربية و الشعر و تفسير المشروحات... و له كتب كثيرة أملاها في اللغة العربية، و له كتاب في العروض، يفضله أهل العلم على سائر الكتب المؤلفة، و توفي سنة 920هـ³، ضف على ذلك أبو عبيدة الأعرج⁴ الذي قال عنه ابن الصغير: "كان عبيدة عالماً بالفقه و الكلام و الوثائق و النحو

1 - عثمان الكعاك: المصدر السابق، ص 218.

2 - يقول ابن خلدون: "و أول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة، و يقال بإشارة علي -رضي الله عنه- "...، عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 599، حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص 277.

3 - ابراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص 353.

4 - هو أبو عبيدة معمر بن المنذر التميمي من تيم قريش لا تيم الرباب له كتاب غريب الحديث، توفي أبو عبيدة سنة 210هـ، و قيل 211هـ، التلمذ: الفهرست، ص - ص 59 - 96، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 84.

واللغة¹، و أضاف قائلا: "قد أتيت يوما أسمع منه كتاب إصلاح الغلط الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة على أبي عبيدة، فلما افتتحت قراءته و قلت لعل ناظرا في كتابنا، هذا ينفر من عنوانه ويستنفذ من ترجمته و يربأ بأبي عبيدة عن الزلة، فلم أهزله و أمدته، فقال لي يربأ بأبي عبيدة، بهمز الألفن و ضمه و إنما ذكرت هذا الحرف لأدل على براعته في اللغة²، و لعل هذا التنوع في اللغات و اللهجات بالعاصمة الرسمية أنجبت شخصية ساهمت مساهمة فعالة في مجال اللغات هو يهوذا بن قريش التيهيري، و كان يحسن اللغات العربية و الأرامية و الفارسية و البربرية و الكنعانية و العبرية، هو الذي أكد في كتابته أن هذه اللغات ذات أصل واحد³، و بالتالي أول واضح للنحو التنظيري⁴، و يضيف عبد الرحمن الجليلي أن هذا الكتاب موجود في مكتبة أكسفورد الإنجليزية.

1 - النشر:

يقول ابن خلدون: "و أما النثر فمنه السجع الذي يوتى به قطعاً، و يلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا، و منه المرسل، و هو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً و لا يقطع أجزاء، بل يرسل إرسالا من غير تقييد بقافية و لا غيرها، و يستعمل في الخطب و الدعاء و ترغيب الجمهور و ترهيبهم، و أما القرآن و إن كان من المنشور إلا أنه خارج عن الوصفين و ليس يسمى مرسلا مطلقاً و لا مسجعا، بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها، و يثنى من غير التزام حرف يكون سجعا و لا قافية، و هو معنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾⁵.

لقد برز النثر في شكل خطب و وصايا و رسائل ديوانية أو أقاصيص تعليمية أو حكم أو أجوبة، و لعل من أشهر الرسائل الديوانية رسائل الإمام أفلح بن عبد الوهاب إلى جدبل نفوسة في

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 84.

2 - نفسه، ص نفسها.

3 - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص 80.

4 - عبد الرحمن الجليلي: المرجع السابق، ج 2، ص 174، رابح بونار: المرجع السابق، ص 91.

5 - سورة الزمر: الآية 23.

مسألة خلف بن سمح¹، جاء في مضمونها ما يلي: (بسم الله الرحمن الرحيم، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم، من أمير المؤمنين عبد الوهاب إلى جماعة المسلمين بطرابلس، أما بعد فإنني آمركم بتقوى الله و الإتياع لما أمركم به، و الإنتهاء عما نهاكم عنه، فقد بلغني ما كاتبتموني به من وفاة السمح، و استخلاف البعض خلفاء، و رد أهل الخير ذلك، فإن من ولي خلفا بغير رضا إمامه فقد أخطأ سيرة المسلمين و من أبي من توليته فقد أصاب، فإذا أتاكم كتابي هذا فليرجع كل عامل استعمله السمح إلى عمله الذي ولي عليه إلا خلف بن السمح فحتى يأتيه أمري و توبوا إلى ربكم لعلكم تفلحون)².

كما كان للإمام أفلح بن عبد الوهاب مجموعة من الرسائل التي وجهها إلى الرعية و عماله ينصحهم فيها بالتقوى و الصلاح³، كما وجه أيضا رسالة⁴ أخرى إلى نفاث بن نصر يتوعده فيها بعواقب صنيعه في ضيق عصي الطاعة⁵.

و قد امتازت كل هذه الرسائل بالإيجاز و صحة الألفاظ و التسلسل المنطقي، و ببساطة الخطاب و ترك ما لا يدخل في الموضوع، و هي توحى بجمال أسلوب الأئمة و قدرهم البلاغية وثقافتهم الدينية، و تميزت بثلاثة أبعاد، أو لهم أدبي و ثانيهم تاريخي و ثالثهم ديني⁶.

و هذه الرسائل كانت تمثل نموذجا لما كان عليه النشر في هذا العصر، من عمق في المعاني و البلاغة، ليس فقط في رسائل الأئمة و إنما حتى في الرد على تلك الرسائل من طرف الولاة و هذا ما نستشفه من خلال رد والي نفوسة أبي منصور الياس على العباس بن طولون حينما كان يحاصر طرابلس سنة 267هـ/880م، حيث قال: "قل لهذا الغلام إنك أقرب الكفار مني و أحقهم

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص80، بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص247.

2 - ورد اختلاف في بعض العبارات بين أبي زكرياء يحيى و الترميضي و هي (بتقوى الله)، (الانتهاه عما نهاكم عنه) و (توبوا إلى ربكم لعلكم تفلحون) وردت عند أبي زكرياء بالشكل التالي: (بتقوى الله العظيم)، (الانتهاه كما نهاكم عنه) و (راجعوا التوبة لعلكم تفلحون)، أبو زكرياء يحيى: نفسه، ص نفسها، الترميضي: المصدر السابق، ص69.

3 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص281-282.

4 - ستكون هذه الرسالة ضمن قائمة للملاحق، ص5.

5 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص267، و عن مسألة نفاث بن نصر، ينظر، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص- ص92-93-94.

6 - رابح بونار: المرجع السابق، ص152.

مجاهدي، فقد بلغني من قيح أفعالك ما لا يسعني التخلف عن جهادك، و أنا على أثر رسالي إليك¹.

و للفقهاء أيضا بصمات في مجال الشر و تستشف ذلك من خلال الوصايا المتضمنة للنصح و الوعظ أمثال أبي يعقوب يوسف بن سيلوس السدراي، كان شيخا عالما قال لابنه و هو يعظه ويرشده لعمل الخير: "لا يكن نديك الناس للخير أوكد من نديك نفسك، و لا يكن غيرك أسبق إلى خير منك، و كن للناس كالميزان و كالسيل للأدران و كالسما للماء"².

2 - الشعر:

يعرفه ابن خلدون بقوله: "هو فن من فنون كلام العرب... و هو في لسان العرب غريب التزعة عزيز المنحى، إذ هو كلام مفصل قطعاً قطعاً، متساوية في الوزن، متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة، و تسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً، و يسمى الحرف الأخير الذي تنفق فيه، رويًا و قافية، و يسمى جملة الكلام إلى آخره: قصيدة و كلمة، و ينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه، حتى كأنه كلام وحده، مستقل عما قبله و ما بعده، و إذا أفرد كان تاماً في بابه في مدح أو تشييب أو رثاء"³.

يعتبر الجو الثقافي الذي كان سائدا في تيهرت، هو الذي ساعد على ظهور الشعراء الذين ترعرعوا في كنف الدولة الرستمية فوجد للإمام أفلح قصيدة تقع في أربعة و أربعين⁴ بيتاً، يشيد فيها بفضائل العلم و يبحث فيها على العلم و طلبه فيقول في مطلعها:

و ليلهم بشموس العلم قد نارا	العلم بنى لأهل العلم آثارا
ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا	حتى و إن مات ذو علم و ذو ورع
في التلس يدري لذلك الدر مقدار	العلم در له فضل و لا أحد
في العلم أعظم عند الله أخطارا	للعلم فضل على الأعمال قاطبة

1 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ص340.

2 - راجع بونار: المرجع السابق، ص91.

3 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 621-622.

4 - محمد علي دهبوز: المرجع السابق، ج3، ص- ص 376-377.

يشرف العلم للإنسان منزلة
و يجتني من حناة العذب أثمارا
العلم فخر علا عن كل مرتبة
و يرفع العلم للإنسان أقدارا¹

و يقال عن هذه القصيدة أنها من نوع النظم التعليمي، و فيها تعابير فقهية و هي نتاج عربي في جو بربري و تمهيد لعبقرية بن حماد التيهري² الزناتي الذي ولد في تيهرة سنة 200هـ/815م، و ارتحل إلى المشرق سنة 217هـ/832م³، حيث تنقل بين البصرة و الكوفة و بغداد⁴ فالتقى بعظماء الشعراء أمثال أبي تمام و دعلج الخزاعي⁵، عاد إلى القيروان من المشرق سنة 239هـ/853م، و تفرغ للتدريس في جامع القيروان سنة 274هـ/887م⁶، لكن سوء علاقته مع الأمير الأغلي ابراهيم بن أحمد جعلته يخرج هاربا من القيروان يريد تيهرة سنة 295هـ/907م⁷، فاعترض سبيله قطاع الطرق بالقرب من تيهرة فقتل ولده عبد الرحمن و جرح بكر في بطنه، و لعل الجراح التي أصيب بها في الحادث المذكور⁸ كانت سبب وفاته في قلعة بن حمة بالقرب من تيهرة على ما ذكر ابن عذارى، و كان ذلك في شوال سنة 296هـ/جويلية 909م⁹.

و يعد بكر بن حماد من أعظم شعراء الدولة الرسمية، و كانت له مساجلات أدبية أسفرت عن ثبوت قدمه في الأدب و صناعة الشعر و النشر، و قد اتصل بالخلفاء العباسيين، و قال فيهم الشعر، و نال حبهم و عطفهم و إحسانهم، و لما عاد إلى بلاده إهال عليه الطلب من كل

1 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ص- ص 247 - 248 - 249، لحضر سيفر: المرجع السابق، ص- ص 106 - 107.

2 - رابع بونار: المرجع السابق، ص112، مختار حساني: المرجع السابق، ص309.

3 - الدباغ: المصدر السابق، ص282، يحيى بوعزير: المرجع السابق، ص122.

4 - يحيى بوعزير: المرجع نفسه، ص نفسها.

5 - هو أبو تمام حبيب بن أوس المعروف بأبي القاسم المتوفى سنة 228هـ/843م، شأ في دمشق و كان معظم شعره في المدح، أما دعلج المتوفى سنة 246هـ/860م، فقد ولد بالكوفة فهو عكس أبي تمام، اشتهر بالهجاء و قتل بسبب حدة لسانه في الهجاء، ينظر، حنا الفاخوري: المرجع السابق، ص- ص 729 - 731 - 738.

6 - يحيى بوعزير: المرجع السابق، ص123.

7 - المالكي: المصدر السابق، ج2، ص21.

8 - يحيى بوعزير: المرجع السابق، ص124.

9 - ابن عذارى: المصدر السابق، ص153.

فج و صوب حتى من الأندلس¹، و قد كان نابغة في الأدب و الشعر و له قصائد في جميع الأغراض الشعرية من غزل و وصف و مدح و زهد و رثاء و غيرها²، نذكر بعضها:
في موضوع الرثاء له قصيدة يرثي فيها ولده يقول فيها:

بكيت على الأحبة إذ تولوا	و لو أني هلكت بكوا عليا
فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا	و فقدك قد كوى الأكباد كيا
كفى حزنا بآني منك خلوا	و أنك ميت و بقيت حيا
و لم أك أسيا فيمست لما	رميت التراب فوقك من يديا
فلا تفرح بدنيا ليس تبقى	و لا تأسف عليها يا بنيا
فقد قطع البقاء غروب شمس	و مطلعا عليا يا أخيا
و ليس الهم يحلوه نهار	تدور له الفراق و الثريا ³

في موضوع الوصف لم نجد لبكر بن حماد إلا مقطوعة واحدة و هي في وصف تيهرت ذكرناها سابقا مطلعها:

ما أحسن البرد و ريحانه و أطرف الشمس بتاهرت⁴

و استعمل لونين من الشعر، المدح و الهجاء في قصيدة يمدح فيها علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- و يهجو في نفس الحين عمران بن حطان⁵ الذي مدح عبد الرحمن بن ملجم على قتله لعلي بن أبي طالب جاء فيها:

قل لابن ملجم و الأقدار غالبية	هدمت ويلك للإسلام أركانها
قتلت أفضل من يمشي على قدم	و أول الناس إسلاما و إيمانا

1 - محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، المرجع السابق، ص99.

2 - مبارك الميلي: المرجع السابق، ص81.

3 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص92.

CH.Bekri, op.cit, p157.

4 - رايح بونار: المرجع السابق، ص72، و أيضا:

5 - عمران بن حطان السدوسي الشيباني المتوفي سنة 89هـ/707م، نشأ في البصرة و كان مناصرا للخوارج من حلال شعره، و قد اعتبره الصفرية في ما بعد إمامهم، حنا الفاخوري: المرجع السابق، ص457، و كذلك: Laoust Henri op.cit, p37.

و أعلم الناس بالقرآن ثم بما
سن الرسول لنا شرعا و تبياناً
صهر النبي و مولاه و ناصره
أضحت مناقبه نورا و برهاناً¹

* في باب المدح كانت له قصائد عدة نذكر منها:

1 - قصيدته التي رد فيها على دعبل الخزاعي الذي هجأ الخليفة العباسي المعتصم قال فيها:

أيهجو أمير المؤمنين ورهطه
و يحشي على الأرض العريضة دعبل
أما و الذي أرسى ثبيرا مكانه
لقد كادت الدنيا لذلك تزلزل
و لكن أمير المؤمنين بفضله
يهم فيحفر أو يقول فيفعل
و عاتيني فيه حبيب و قال لي
لسانك محذور و سمك يقتل
و إني و إن صرفت في الشعر منطقي
لأنصف فيما قلت و أعدل²

2 - مدح أيضا أحمد بن القاسم أمير فاس قال فيها:

إن السماحة و المروءة و الندى
جمعوا لأحمد من بني القاسم
و إذا تفاخرت القبائل و انتمت
فافخر بفضل محمد و بفاطم
و يحفر الطيار في درج العلى
و علي العضب الحسام الصارم
إني مشتاق إليك و إنما
يسمو العقاب إذا سمى بقوادم
و أعلم بأنك لن تنال محبة
إلا ببعض ملابس و دراهم³

* و في الزهد له قصائد كثيرة منها:

لقد جمعت نفسي فصدت و أعرضت
و قد مرقت نفسي فطال مروقتها
فيا أسفي من جنح ليل يقودها
و ضوء نهار لا يزال يسوقها
إلى مشهد لا بد من شهوده
و من حزر للموت سوف أذوقها
ستأكلها ديدان في باطن الثرى
و ينهب عنها طيها و مخلوقها

1 - محمد عمرو الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1984، ص34، لحضر سيفر:

المرجع السابق، ص109.

2 - يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص122.

3 - ابن عذاري: المصدر السابق، ص236.

سحاب المنايا كل يوم يظله

فقد هطلت حولي و لاح بروقها

و للنفس حاجات تروح و تغتدي

و لكن حدثان الزمان يعوقها

تجهمت حمسا بعد سبعين حجة

و دام غروب الشمس لي و شروقها

و أيدي المنايا كل يوم و ليلة

إذا فتقت لا يستطيع رتوقها

يصبح أقوام على حين غفلة

و ياتيك في حين البيات طروقها¹

و في موضع آخر يقول:

كيف البقاء و هذا الموت يطلبنا

هيهات هيهات يا بكر بن حماد

بيننا ترى المرء في لهو و في لعب

حتى تراه على نعش و أعواد²

و ما يمكن أن نلاحظه من خلال استعراضنا لشعر بكر بن حماد أنه يمتاز بالبساطة،

والألفاظ السهلة و قلة الصور البيانية لأن شعره يغلب عليه طابع الزهد بسبب ثقافته الدينية

والأدبية و كذا انتقاله بين حواضر المغرب الإسلامي، كل ذلك جعل منه شاعرا و فقيها، وصل

صيته حتى إلى الأندلس، إذ انتقل علمه و أدبه إليها عن طريق تلامذته أو الأندلسيين الذين سمعوا

منه أثناء وجوده بالقبروان³.

و لعل من الشعراء الذين برزوا في هذه الفترة كذلك سعيد بن واشكل التيهري، نشأ

وعاش في تيهرة في القرن 3هـ/9م، ثم انتقل في آخر حياته إلى تنس له قصيدة يقول في بدايتها:

نأى النوم عني و اضمحلت عرى الصبر

و أصبحت عن دار الأحبة في أسر

و أصبحت عن تاهرت في دار معزل

و أسلمني مر القضاء من القدر⁴

1 - عبد الله شريط و محمد مبارك الميلي: مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي و الاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1985، ص84.

2 - الدباغ: المصدر السابق، ص284، المالك: المصدر السابق، ص25.

3 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص174، محمد علي: المرجع السابق، ص99.

4 - معروف بلحاج: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص248.

و شعراء آخرون أمثال أحمد بن فتح المعروف بابن خراز اتاهرتي قاضي تيهرت و الذي اشتهر بمدحه لعيسى بن ابراهيم بن القاسم حاكم طنجة 272هـ / 890م¹، و يقال أنه لما زار فاس فتن بنسائها، فقال في إحداهن شعرا جاء فيه:

قبح الله الدهر إلا قينة	بضرية في حمرة و بياض
الخمر في لحظتها و الورد في	وجنتها و الكشح غير نغاض
في شكل مرجي و نسك مهاجر	و عفاف سني و سمت إباح
تيهert أنت خلية و برقة	عوضت عنك ببصرة فاعتاض
لا عذر للحمراء في كلفي بها	أو تستفيض بأبجر و حياض ²

و أبو الفضل أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن التيهرتي المعروف باليزاز و ابراهيم بن علي المعروف بابن الهرمة الشاعر المضروب به المثل في إجادة النقد و حذق الشعر³، و أبو سهل الفارسي⁴ و هو شاعر و مؤرخ، عاش حوالي النصف الثاني من القرن الثالث، و سكن (بعد سقوط تيهرت) في مرسى الخرز أو في مرسى الدجاج⁵.

*التاريخ و الجغرافيا:

إن فن التاريخ فن غزير المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية إذ يوقفنا على أحوال الماضي من الأمم في أخلاقهم، و الأنبياء في سيرهم، و الملوك في دولتهم، و سياستهم حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يروونه في أحوال الدين و الدنيا⁶، و في موضع آخر قال: "فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم الأجيال، و تشد إليه الركائب و الرحال، و تسمو إلى معرفته السوق والأغفال، و تتنافس فيه الملوك و الأقبال، و تتساوى في فهمه العلماء و الجهال، إذ هو في ظاهره

1 - مختار حساني: المرجع السابق، ص 309.

2 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ص 101.

3 - مختار حساني: المرجع السابق، ص 309.

4 - سبقت لنا ترجمته و للمزيد عنه، ينظر، الشماخي: المصدر السابق، ج 2، ص 289، الوسياني نقلا عن تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص 115.

5 - الشماخي: المصدر السابق، ج 2، ص - ص 289 290، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص - ص 115 - 116.

6 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 23.

لا يزيد على إخبار عن الأيام و الدول، و السوابق من القرون الأول تنمو فيها الأقوال، و تضرب فيها الأمثال، و تطرف بها الأندية إذا غصها الإحتفال، و تؤدي إليها شأن الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال، و اتسع للدول فيها النطاق و المجال، و عمروا الأرض حتى نادى بهم الإرتحال، و حان منهم الزوال، و فى باطنه نظر و تحقيق، و تحليل للكائنات و مبادئها دقيق، و عدم بكيفيات الوقائع و أسبابها عميق، فهو لذلك أصيل فى الحكمة عريق، و جدير بأن يعد فى علومها و خليق¹.

و لكن التاريخ عدلوله هذا لا يتناسب مع تلك الفترة، حيث ذكر ابن الصغير قولاً عن الإمام أبي بكر و حبه للتاريخ، حيث قال: "كان يحب الآداب و الأشعار، و أخبار الماضين"².

فقد كان أبو بكر يحب التطلع إلى أخبار الماضين و الأولين و السلف من الأئمة، فضلاً عن تاريخ صدر الإسلام، و ما حدث فيه من أحداث، فنجد مثلاً لهذه الكتب التاريخية، كتاب لوأب بن سلام بن عمر³ بكتابه "شرائع الدين"، و قد روى فيه نبذة عن تاريخ أبي بكر و عمر -رضي الله عنه- و ما حدث فى عهدهم و لم يتطرق إلى الخليفتين عثمان بن عفان، و علي بن أبي

طالب، و تحدث أيضاً على معركة صفين، و اختصر فيها ثورتي أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري فى اليمنى، و إلى حاتم المزوزي بالمغرب⁴، و كان ما زال على قيد الحياة فى العام 260هـ/873م⁵، و هو صاحب مؤلف تاريخي عن إباضي شمال إفريقيا، يوجد فى مصنف الشماخي بعض المقتطفات منه⁶.

كما تذكر المصادر الإباضية أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب كان أحد الرواة المهمين للأثر الإباضي فى المغرب، و يذكر أبو زكرياء أنه نقل عن أبيه عبد الوهاب الأثر المتعلق بدخول

1 - عبد الرحمن بن خندون: المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 16- 17.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص62.

3 - أقدم مؤرخ إباضي رستمي سكن تيهرة سنة 240هـ/854م، إبراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص- ص 367- 368، نادىوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص48.

4 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص- ص 133 143، إبراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص369.

5 - الشماخي: نفسه، ج2، ص261.

6 - نفسه، ج1، ص- ص 133- 162، ج2، ص- ص 260- 262، نادىوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص- ص

الإباضية إلى إفريقية الشمالية و بالأئمة الإباضيين الأوائل الذين ظهرُوا في هذا البلد، و يرجع هذا الأثر على أي حال إلى عبد الرحمن بن رستم و لم يكن لعد الوهاب أو لأفلح سوى دور الوسيط¹.

و إذ نتحدث عن التاريخ فلا بد من ذكر مؤرخ هذه الدولة و هو ابن الصغير الذي عاش المراحل الأخيرة من الدولة إذ عاصر فترة حكم أبي اليقظان بن أفلح (261-281هـ/874-894م)²، و أبو حاتم، و هو على أرجح الروايات وُلِدَ في تيهرة بين سنتي 265-270هـ³، لم يشهد تاريخ نهاية الدولة الرستمية استقى أخباره من معارفه أمثال أحمد بن بشير⁴ الذي عاش في أواخر القرن 3هـ/4م⁵، كانت أسرته مقربة إلى الإمام أبي اليقظان بن أفلح فكان ذلك دافعا قويا في اعتماد روايته الشفوية في تدوين أخبار الأئمة الرستميين انطلاقا من ثقته في روايته لكون معلوماته مستقاة من مصادر صنع القرار بالدولة الرستمية⁶.

يمتاز تدوينه التاريخي بالبساطة في عرض الحوادث التاريخية، و يعتبر مؤلفه ابن الصغير تاريخا قصصيا أكثر منه سياسيا أو دراسة أحادية عن تيهرة الإباضية في حياته، كما يذكر موتيلنيسكي بحق⁷، فقد أشاد بالأئمة الرستميين رغم اختلاف مذهبه، عمل في التجارة في نفس الوقت، كان يتلقى الفقه و علم اللغة من فقهاء تيهرة منهم أبو عبيد بن الأعرج، الأمر الذي مكنه من أن يحصل على زاد معرفي كبير سواء في الفقه أو في العلوم الأخرى فكان قادرا علىولوج في العديد من المناظرات بكل ثقله المعرفي غير أن مبارك ميلي يعتبر لغته قريبة للعامية⁸، أما محمود اسماعيل فقد

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص89، تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص 143 144.

2 - محمد بلقراة: المرجع السابق، ص119.

3 - نفسه، ص120.

4 - أحمد بن بشير: راو من تيهرة و أحد مصادر المؤرخ ابن الصغير، كان على صلة طيبة مع عدد من أعلام الإباضية في تيهرة، و لعله ابن لآخر المعريين من الإمام أبي اليقظان الذي يدعى بشيرا، ابن الصغير: المصدر السابق، ص82، تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص144.

5 - جمعية التراث: المرجع السابق، ص- ص 82-83.

6 - نفسه، ص83.

7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 37-58.

8 - مبارك ميلي: المرجع السابق، ص80.

اعتبره شاهد عيان على أحداث و أطوار الدولة و سير أئمتها، و بهذا فهو أقرب إلى الواقع ومعاصر للأحداث¹، و بالتالي هذا الكتاب جامعا لأخبار الأئمة و أهم الفتن و الثورات التي وقعت في عهدهم، و تشير معظم المصادر التاريخية أن ابن الصغير كان مالكيًا في مذهبه² و لكن لم يمنعه ذلك من أن يكون لديه معرفة بالمذهب الإباضي، ألفت كتابه "أخبار الأئمة الرسميين"³، حيث سجل مختلف الأحداث التي وقعت في الدولة الرسمية منذ عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم حتى ولاية أبي حاتم يوسف بن محمد بن أبي يقظان بن أفلح⁴، و رغم ذلك يبقى من أهم المصادر التاريخية التي تؤرخ للدولة الرسمية، و من ثم لا يمكن الإستغناء عنه من حيث أنه يرصد حياة الأئمة الرسميين منذ نشأة الدولة.

و من بين المؤرخين أيضا:

- يعقوب بن أبي يعقوب: راو و يعتبر المرجع الرئيس لأبي زكرياء⁵ و للدرجيني⁶ الذي يعيد سرد روايته فيما يخص تاريخ التجمعات الإباضية في طرابلس و جزيرة جربة في عصر الأئمة الرسميين المتأخرين في تيهرة، و لا نعرف شيئا عن حياته أو عن عصره، و نستنتج من عبارة في تاريخ أبي زكرياء بأنه كان معاصرا، أكبر سنا لهذا المؤرخ و بأنه توفي قبل إتمام كتاب السيرة و أخبار الأئمة. - سليمان مولى محمد بن عبد الله: راو إباضي، أحد مصادر المؤرخ ابن الصغير (نحو بداية القرن العاشر الميلادي) عن فترة حكم الإمام الرسمي أبي يقظان (المتوفي سنة 894/281 - 95)، وهو مولى أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ القاضي الإباضي للإمام أبي يقظان في تيهرة⁷.

1 - محمود اسماعيل: المصدر السابق، ص 9.

2 - وداد القاضي: المرجع السابق، ص 233.

3 - كانت مجموعة الأخبار التاريخية لابن الصغير مقدرة جدا من قبل المؤرخين الإباضيين في المغرب و قام اثنان منهم، و هما أبو الفضل أبو القاسم الرادي و أبو العباس الشماخي، بنقل مقاطع كثيرة منها، تاديبوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص 148، كتب ابن الصغير، هذه المجموعة على الأرجح عام 290هـ/902م، المصدر السابق، ص - ص 148-149.

4 - وداد القاضي: المرجع نفسه، ص 234، تاديبوس ليفتسكي: نفسه، ص 149.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 39.

6 - الدرجيني: المصدر السابق، ورقة 30.

7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص - ص 90-91.

- سليمان بن زرقون: راو يعتمد عليه المؤرخ ابن سلام بن عمر في روايته المتعلقة بتاريخ إباضي المغرب تحت حكم الإمام أبي حاتم المزوزي¹، فهو على الأرجح معاصر لابن سلام بن عمر الذي كتب مصنفه بعد العام 260هـ/873م، و أكبر منه بقليل، و علينا التمييز بين سليمان ابن زرقون، مصدر ابن سلام بن عمر و بين الربيع سليمان بن زرقون النفوسي، عالم إباضي أصله من إقليم قسطلية كان يعيش في النصف الأول من القرن الرابع عشر، و كان معاصرا و زميلا في الدراسة لأبي يزيد مخلد بن كيداد "صاحب الحمار"، الرئيس النكاري الشهير الذي كاد أن يطيح بدولة الفاطميين².

و التاريخ عند الدولة الرستمية كان منصبا في مجمله على دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم و الصحابة و الأئمة الإباضيين أي دراسة تاريخ المذهب الإباضي، و هذا الإهتمام ندرکه في حرص أفلح بن عبد الوهاب على دراسة سيرة أئمة المذهب الأوائل في قوله: "عليكم بدراسة كتب أهل الدعوة لاسيما كتب أبي سفيان"³، و كان الإمام أبو بكر بن أفلح قد ولى اهتماما كبيرا بالتاريخ⁴، لهذا قال فيه ابن الصغير: "...و يحب الآداب و الأشعار و أخبار الماضين"⁵.

أما الجغرافيا فإنها لم تحظ باهتمام هذه الدولة، غير أن هذا لا يمنع أن يكون بعض الناس، اهتموا بالمسالك و الممالك، و معرفتها خاصة بعد ازدهار التجارة و طرقها، الأمر الذي تطلبت معرفة جغرافية للمواقع و البلدان و المدن و تأمين القوافل التجارية، و بخاصة في عهد الإمام أفلح الذي امتاز بتوثيق علاقات تهرت بعدد من ممالك السودان مثل مملكة كوكو و كذلك مع الأندلس⁶.

1 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص135، تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص168.

2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص164، يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص121.

3 - بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص296، أبو سفيان هو قنبر البصري المعروف بأبي سفيان، تتلمذ على يد

جابر بن زيد و قد عاصر عمر بن عبد العزيز، جمعية التراث: المرجع السابق، ج2، ص728.

4 - بحاز إبراهيم: المرجع نفسه، ص نفسها.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص62-71.

6 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص89.

ب- العلوم العقلية:

يقول ابن خلدون: "أما العلوم العقلية فهي طبيعية للإنسان من حيث أنه ذو فكر"¹، ويصنفها إلى علوم الفلسفة والحكمة و من فروعها المنطق مثلاً و العلوم الطبيعية و الفلك و من فروعها الطب و العلوم العددية و منها الحساب و الفلك و التنجيم، أما بالنسبة لثقل هذه العلوم من فروعها في الدولة الرستمية، فيشير معظم المؤرخين على أن عناية الرستميين كانت شاملة لكل العلوم بما فيها العلوم العقلية بمختلف أصنافها و منها:

* الطب:

يعرفه ابن خلدون بالتالي: "و من فروع الطبيعيات صناعة الطب و هي صناعة تنظر في بدن الإنسان... هذه الصناعة ضرورية في المدن و الأمصار لما عرف ما فائدها، فغن ثمرها حفظ الصحة للأصحاء و دفع المرض بالمداواة بالأدوية و الأغذية"².

إلا أن المصادر و المراجع التاريخية لا تعطينا إلا معلومات قليلة جداً عن الطب و الأطباء في الدولة الرستمية إلا ما يمكن استنتاجه من بعضها، و لما كانت هذه المهنة ضرورية في أي مجتمع فلا شك أن الرستميين اهتموا بهذا العلم إدراكاً منهم بأهميته، و لما عرف عنهم من تشجيع لكل العلوم و نقلها إلى بلادهم، حيث يذكر ابن الصغير أن طبقات الأطباء الذين ظهروا بتيهرة و أقاموا بها كان يعدون على الأصابع من اليهود و النصاري، و كان لهم درب في تيهرة يعرف بالرهانة³، كما يضيف دبرز إلى هذا وجود أطباء في تيهرة، فالطب في نظره يقوم الصحة، و لا يمكن للدولة كالدولة الرستمية أن تغفل عن هذا الجانب⁴، أو تغفل عن الكيمياء لتركيب العقاقير و الأدوية والأصباغ، أما أبو زكرياء، فيقول أن الرستميين أتقنوا الطب ما دام بيتهم بين علم⁵، فاشتهروا في

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 504.

2 - نفسه، ص 520.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 102، بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص 373.

4 - محمد علي دبور: المرجع السابق، ج 2، ص 372.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 85.

هذا المجال، حيث كانت المراكز العلمية في تيهرت، و مدينة شروس بجبل نفوسة، ولعل محمد بن سعيد أحد حفدة عبد الرحمن بن رستم قد نبغ في هذا المجال¹، لكنه كان مقيما في الأندلس².

*الحساب:

يعتبر علم الحساب أحد فروع العلوم العددية التي تلعب دورا بالغ الأهمية في العلوم العقلية (التجريبية) و غيرها من العلوم التي لا غنى لها عن الرياضيات³، و يعرفها ابن خلدون بأنها: "معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف إما على التوالي أو التضخيم"⁴، و يقول أيضا: "و هذه الصناعة الحسابية حادثة احتيج إليها للحسبان في المعاملات، و ألف الناس فيها كثيرا و تداولوها في الأمصار بالتعليم للولدان، و من أحسن التعليم عندهم الابتداء بها لأنها معارف متضحة و براهينها منتظمة، فينشأ عنها في الغالب عقل مضىء درب على الصواب، و قد يقال: "من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره، إنه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني و مناقشة النفس، فيصير ذلك له خلقا و يعود الصدق و يلازمه مذهب. و من أحسن التأليف المبسطة فيها لهذا العهد بالمغرب كتاب "الخصار الصغير" لابن البناء المراكشي⁵ فيه تلخيص ضابط لقوانين أعماله مفيد، ثم شرحه بكتاب سماه -رفع الحساب-"⁶.

و في الدولة الرسمية كان لعلم الحساب شأن كبير لأنه ارتبط بعدة عوامل أهمها:

-النشاط التجاري الذي تميز بربط علاقات تجارية مع الدول المجاورة و حتى البعيدة عنها فرض عملية العد و ما تتطلبه من أرقام في المعاملات التجارية.

-علاقة الحساب أو العد بالفروض الدينية خاصة ما تعلق منها بالمواريث، و في ذلك يقول ابن خلدون: "و هي صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثة إذا تعددت،

1 - ابراهيم محاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص374، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص575.

2 - محمد علي: المرجع السابق، ص108.

3 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص470.

4 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص508.

5 - ابن البناء المراكشي العددي التوفي سنة 721هـ/1321م، و للمزيد عن مصنفه في تلخيص أعمال الحساب "الخصار

الصغير" و "رفع الحساب"، عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص470.

6 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص509.

وهلك بعض الوارثين و انكسرت سهامه على ورثته، أو زادت الفروض عند اجتماعها و تراحمها على المال كله"¹.

-عملية تنظيم بيت المال من حيث حساب نفقات الدولة على القائمين بأمرها من قضاة وأصحاب الشرطة و غيرهم و كذلك الحاجة إلى إحصاء الفقراء و المساكين و تحديد متطلباتهم من الطعام و الصدقات².

عرف هذا العلم انتشارا واسعا في أوساط الرستميين، حيث ذكر أبو زكرياء و الشماخي عن الإمام أفلح أنه: "...بلغ في حساب الغبار و النجامة مبلغا عظيما، ضف إلى أخته التي برعت هي الأخرى في الحساب و الفلك و التنجيم³ و لعل الغبار نسبة للأرقام الغبارية، و سميت كذلك لأن أهل الهند كانوا يأخذون غبارا لطيفا و يسطونه على لوح من خشب أو غيره و يرسمون عليه الأرقام التي يحتاجون إليها في عملياته الحسابية و معاملاتهم التجارية و هي الأرقام المستعملة اليوم في المغرب العربي⁴ مثل: 0، 1، 2، 3...8، 9 و انتقلت إلى الأندلس و منه دخلت أوروبا، فعرفت فيما بعد بالأرقام العربية⁵، وقد دونت هذه العلوم في كتب إلى أن عبد الله الشيعي انتقى جملة من هذه الكتب وأحرق ما تبقى منها.

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص511.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 41-42.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص89، كما قيل عن أفلح أنه كان بارزا ذا معرفة شبه شاملة...و كان متطلعا جدا في علمي الحساب و الفلك على الخصوص، تاديرس ليفتسكي: المرجع السابق، ص143، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص193.

4 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص374.

5 - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص- ص 575-576، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص374، عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص472، لقد عرف أهل المغرب إلى جانب الأرقام العبارية المستعملة في الترقيم الشرطي، و هي الغالبة في تعمير جدول الأوقاف ببلاد المغرب الأقصى، هناك حساب الجمل تكتب بالحروف الأبجدية و به ترسم الحسابات الفلكية و أحيانا تستعمل في الرياضيات، كما أن الأرقام الرومية هي الأخرى كانت تستعمل في محاسبات الوثائق العملية بالتركات و تقدير النفقات و أحيانا في تاريخ المنتسحات و ترقيم صفحاتها، الونشريسي: المصدر السابق، ج10، ص142.

* علم الفلك (التنجيم):

يسميه ابن خلدون بعلم الهيئة و يقول عنه: "و هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة و المتغيرة، و يستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال و أوضاع للأفلاك"¹، اهتم الرستميون بعلم الفلك و التنجيم بنفس مستوى الإهتمام بالحساب لارتباط أحدهما بالآخر، ونستشف هذا من قول أبي زكرياء عن الإمام أفلح بن عبد الوهاب، و ذكروا عنه أنه قعد ذات ليلة هو و أخته، فقال لها، هلم نحسب ماذا يذبح في السوق غدا أولا إن شاء الله، فحسب فقال لها أفلح، إن أول ما يذبح في السوق بقرة صفراء، في بطنها عجل ذو غرة في جبهته، فقالت له، صدقت هي البقرة الصفراء و في بطنها عجل، غير أن الذي رأيته هو طرف ذنبه أبيض نعيمه على جبهته، فخلته أبيض الجبهة ذا غرة، وإنما ذلك طرف ذنبه"².

و من العوامل الأخرى التي دفعت الرستميين للإهتمام بهذا العلم نذكر:

-العلاقات التجارية المرتبطة بالمسالك و الطرق و رصد مواقع النجوم يسهل عملية الإهتمام إلى الطرق خاصة لتلك القوافل التي تسير ليلا، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَآتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾³.
-الفروض الدينية المتعلقة برؤية القمر و مصدقا لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِّتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾⁴.

و علاوة على ذلك فإن أهمية علم الفلك من رصد لحركة القمر و التنجيم و الكواكب هو تدبر و تأمل في خلق الله و في ذلك عبادة.

لقد كان بيت الرستميين بيت علم في فنونه من الأصول و الفقه و علم النجوم و غيرها من العلوم حيث ذكر كل من الدرجيني و أبي زكرياء و الشماخي عن أحد أفراد تلك الأسرة: "معاذ

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص513.

2 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص89.

3 - سورة النحل: الآية 16.

4 - سورة يونس: الآية 5.

الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم منزلة بيت فيها القمر"¹.

و يقول أيضا أبو زكرياء عن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن: "و بلغنا أن عبد الوهاب رضي الله عنه سمر ذات ليلة هو و أخوه يتعلما مسائل الفرائض، فلم يصبح عليهما إلا و هما يورثان أهل المشرق و أهل المغرب، و كانا في سمرهما يقدان مصباحا يجعل له عبد الوهاب الفتائل من عمامته حتى أتى عليها"².

و بالتالي أصبح هذا العلم متوارثا ابتداء من عبد الرحمن بن رستم حيث أن أباه رستم كان عنده من العلم أن ذريته ستلي أرض المغرب³ إلى آخر إمام و هو يعقوب، فقد كان أيضا متمكنا في الحساب و التنجيم، حيث قال عنه أبو زكرياء: "...أنه نظر إلى الطالع في طريقه ذلك، فالتفت إلى أصحابه، و قال لهم أنه لا يجتمع منكم اثنان إلا إذا كان عليهم الطلب، افترقوا، فقد انقضت أيامكم، و زال ملككم و لا يعود إليكم على يوم القيامة"⁴، و لهذا فعلم النجوم و مواقعها، و حساب الأمور قبل وقوعها، قد عرف ازدهارا و انتشارا في أوساط الأئمة الرستميين، كونه علما يعتمد على قواعد مضبوطة و حسابات مدققة و فكر نير.

رابعا- المرأة و دورها في الحياة العلمية و الفكرية:

احتلت المرأة مكانة محترمة في مجتمع بلاد المغرب الأوسط، و خاصة في الدولة الرستمية حيث كانت سواء في البادية أم في المدينة، فكانت المرأة تتمتع بحرية واسعة النفوذ⁵ كثيرة الإعتناء بالشعائر الدينية و حملته بأمانة، و أنشأت على نهج الأجيال و الخلف الصالح، فقد برز عدد كبير منهم في الفقه و العلم، و إسداد النصائح للرجال.

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص65، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص56، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص193، إبراهيم مجاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص375.

2 - أبو زكرياء: نفسه، ص65.

3 - نفسه، ص35.

4 - نفسه، ص124، و هذا ما جعل سليمان الباروني يصف الإمام يعقوب بن أفلح بالعلامة، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص358.

5 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص318.

و قد وصلت درجة العلم حتى الخدم و الإماء و الذي كان عاملا مساعدا في عتقهن و مثال ذلك الأمة السودانية التي تدعى غزالة¹، هاته التي كانت تخدم مولاها، و بعد نومهم تذهب لتحضر مجلس الذكر عند أبي محمد عبد الله بن الخير².

و لقد بلغت المرأة درجة ذكاء فائقة، و درجة عالية في الرأي الصائب و السديد، و لعل ما دل على ذلك هو استشارة أبو عبيدة عبد الحميد الحناوي، عجزوا من جبل نفوسة و هذه الأخيرة مشهورة بالعلم و الدين في تحمل مقاليد الحكم التي أوكلها إليه الإمام عبد الوهاب في توليه أمور الجبل و الصلاح³، و قد عرضت عليه القبول و أقامت عليه الحجج⁴، كما كانت المرأة الرستمية، تشهد المجالس العلمية، و لعل أخت الإمام عبد الوهاب لأحسن دليل، حيث كانا يتعلمان مسائل الفرائض و الحساب، فلم يطلع عليهما الفجر إلا و هما قد تعلماهما جميعا⁵، كما كان الأمر كذلك بالنسبة لأخت عمرو⁶ بن فتح، التي كان لها دور ثقافي في الدولة الرستمية، حيث كانت تمثل المساعد الرئيسي لأخيها في الاستنساخ لمونة أبي غانم بشير بن غانم الخرساني، و التي كانت في اثني عشر جزء، و بالتالي كانت المرأة الرستمية فقيهة، أفنت نساء تلك الفترة، و أظهرت دورا بالغا في الحياة الفكرية و العلمية حيث كانت ربة البيت، الفقيهة و الورعة الناضجة.

و مما لا شك فيه بأن اهتمام الرستميين بنشر العلم و التشجيع على طلبه لم يكن قاصرا على الرجال دون النساء إنما كان المجال مفتوحا أمام المرأة، فكسيرا من النساء بلغن منزلة كبيرة في

1 - كانت غزالة مالكة لأمر الإمام أبي اليقظان و حشمه، و هي أم لابنه يوسف المكنى بأبي حاتم يقول عنه ابن الصغير: "أنه كان شاميا يجمع الفتيان إلى نفسه، فيطعم و يكسي، و كانت له أم تسمى غزالة و كانت مالكة لأمر أبي يقظان و حشمه، فلما كان في بعض الأعياد و أبو اليقظان حي في قصره و لم يحضر المصلي مع الناس حملته العوام على درقة، و نادى بطاعته، فلما اتصل الخير بأبي اليقظان قال لأمه احذري يا غزالة، فقد أصبح اليوم ابنك باغيا، ابن الصغير، المصدر السابق، ص 89، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص - ص 348 - 349.

2 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 319.

3 - الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 71.

4 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 82.

5 - الشماخي: المصدر السابق، ج 1، ص 163، جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 318.

6 - عاشت في أواخر القرن 3 هـ/ 9 م، لم تذكر المصادر اسمها، ساعدت أختها على استنساخ مونة أبي غانم بشير، حيث كانت عملي عليه المونة، إبراهيم محاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 323، سليمان داود بن يوسف: حلقات تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 61.

العلم، و في الفقه بوجه خاص حيث اكتسب سمعة طيبة بين الفقهاء بل إن منهم من كانت في نفس مكانة الرجال في التطلع في الفقه و العلوم الشرعية الأخرى نذكر منهم:

— أم الربيع الوربورية 250هـ/912م:

امرأة فاضلة اشتهرت بالعلم و الكرم، ما جعل المشايخ يلجأون إليها للمشاورة و المناقشة العلمية. و امرأة أخرى يقال لها زيديت الملوشية، و هي شاعرة يقال أن شعرها نظمته باللهجة البربرية، لكن للأسف لم نجد أثرا لهذا الشعر¹.

و نختتم هذه المسيرة الثقافية لتيهرت الرسمية خاصة و الدولة الرسمية عامة بما قاله الشماحي عن البيت الرسمي: "و بيت الرسميين احتوى على علوم كثيرة من فقه و إعراب و لغة و فصاحة و علم نجوم"²، و هذا ما لاحظناه من خلال دراستنا للحياة الثقافية و الفكرية.

المبحث الرابع: معالم تأثر و تأثير تيهرت الحضاري

لا شك أن ما يبرز مدى تأثر و تأثير تيهرت الحضاري يتمثل في تلك الارتباطات و المبادلات التجارية الواسعة مع باقي دول المغرب الإسلامي و المشرق و كلها العلاقات الثقافية التي تعتبر مظهرا أساسيا من مظاهر التأثر و التأثير الحضاري لمدينة تيهرت.

و لعل الغاية المتوخاة من هذا البحث هو إعطاء الوجه الحقيقي لتلك العلاقة التي كانت تربط بين تيهرت و المراكز الفكرية في المغرب الإسلامي مع ذكر نماذج لبعض العلماء و الباحثين الذين كان لهم صيت في هذا المجال الحيوي، و الذين كانت لهم رحلات علمية إلى مراكز الفكر المختلفة على حسب ذكر خالد بلعربي الذي يقول أن هذه الرحلات شدت إلى هذه الأماكن في سبيل طلب العلم و الاستزادة منه، سواء من تيهرت أو إليها فكانت الصلة قوية بين تيهرت

1 - مختار سليمان: المرجع السابق، ص 84.

2 - الشماحي: المصدر السابق، ج 1، ص 163.

وعبرها من مراكز الفكر¹، و يضيف قائلاً أن تيهرة "عراق المغرب" تعد إحدى معادل الفكر الإسلامي في القارة الإفريقية، بل امتدت إلى جزر البحر المتوسط وأوروبا². وبالتالي حدوث تقارب ثقافي واجتماعي، وربما عسكري وسياسي، وكذا اقتصادي وحضاري بين تيهرة الرسمية وعدة دول أخرى، تدفعهم مصالح متباينة³، ومنه كانت لتيهرة علاقات ثقافية، خاصة مع بلدان المغرب والأندلس وكذا مع بلاد السودان و بلدان المشرق العربي⁴ ونذكر منها:

أولاً- علاقة تيهرة مع دول المغرب الإسلامي:

مما لا شك فيه أن تيهرة تعد مركز إشعاع قوي للإباضية، بحكم مركزها المتوسط في بلاد المغرب، حيث كانت تربط بين عواصم المغرب بعضها ببعض ومما سهل ذلك هو طرق التجارة، حيث كانت تحمل معالم الثقافة في بضائعها، وفي رحال التجار وكثيراً ما كان يتنقل العلماء مع قوافل التجارة وغالباً ما يمتحن العلماء هذه الحرفة، ومنه فقد واكبت التجارة، الحياة الفكرية.

إن وجود القيروانيين في تيهرة ساهم في تفعيل الحركة العلمية وذلك عن طريق مساجدهم، وما كانوا يقومون به من مناظرات مع علماء الإباضية والكوفة والبصرة⁵.

كانت تربط تيهرة بالقيروان علاقات ثقافية، ومما يدل على ذلك وجود شخصية يوسف الفتح، الذي درس بتيهرة، وانتقل إلى القيروان ليعلم إباضية ما كان قد أخذه من العاصمة الرسمية، وقد توفي سنة 260هـ⁶، لقد كانت القيروان مثابة للإباضيين الواردين من مختلف بقاع المغرب، ليعلم العربية وآدابها والتعلم ببيت الحكمة للتفقه في الدين، وتعلم العربية، ومن

1- خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 252، العلاقات الثقافية بين تيهرة ومراكز الفكر في المغرب الإسلامي حتى القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي، مجلة القضاء المغربي، العدد الثاني، خاص بالملتقى الوطني الثاني بحير الدراسات الأدبية والنقدية في المغرب العربي، تلمسان 2004، ص 252.

2- خالد بلعربي: نفسه، ص 252.

3- عبد العزيز فيلاي: العلاقات بين الدولة الأموية، المرجع السابق، ص 96.

4- مها السعدي: الموقع الإلكتروني السابق.

5- محمد الطمار: الروابط الثقافية، المرجع السابق، ص 93.

6- إبراهيم مجاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص 383.

طبة العلم الذين وفدوا إلى القيروان من تيهرة بكر بن حماد التيهري الذي ولد و شأ في تيهرة ثم رحل إلى القيروان و منها إلى المشرق لطلب العلم 217 هـ/832¹.
كما كانت لتيهرة علاقة بالأدارة ثقافيا حيث يقول الشاعر بكر بن حماد الذي مدح حكاما أدارة قائلا:

إني لمشتاق إليك و إنما يسمو العقاب إذا سما بقوادم

فابعث إلي بموكب أسمو به علي أكون عليك أول قادم

و أعلم بأنك لن تنال محبة ألا ببعض الملابس و داراهم²

أما المدراريون أصحاب سجلماسة، فقد وجد العديد من الإباضية في عاصمتهم³، ولعل المنافسة التي جرت بين ولدي مدرار بن اليسع قبيل سنة 253 هـ، على الحكم، و سببها اعتناق ابن الرسمية للإباضية⁴ و ميول والده إلى ابن أروى و هذا ما يدل على تأثير الإباضية في الدولة المدرارية، و بالتالي التأثير و التأثر الثقافي و المذهبي بين تيهرة الإباضية و سجلماسة الصفرية، فقد استوطن سجلماسة عدد من العلماء أمثال ابن الجمع الذي كان غزير العلم، و كان أبرز تلامذته الربيع سليمان بن زرقون النفوسي، و كذا أبو يزيد مخلد بن كيداد صاحب الثورة على العبيدين⁵ و استمرت العلاقة بين سجلماسة، و أبو الربيع بعد مغادرته لها، و ما دل على هذه العلاقة هي تلك المسألة التي استفتوه بها و كادوا يقتلون من أجلها لولا تدخله، و إرجاعهم إلى الصواب⁶.

1- إبراهيم مجاز: الدولة الرسمية، المرجع نفسه، ص 384، حوادث عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص

112، يقول الدباغ أنه: "سمع من سحنون... ثم رحل إلى البصرة"، ينظر، الدباغ: المصدر السابق، ج 2، ص 281.

2- ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 236.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 46.

4- أحدهما ابن أروى بنت عبد الرحمن، و يعرف باسم جده من أمه، و آخر من زوجة ثانية لمدرار تدعى سحقي - ينظر: ابن الصغير: المصدر السابق، ص 46.

5- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 128، ص 131.

6- نفسه، ص 128، ص 129.

أما فيما يخص علاقة تيهرة مع الأندلس، فقد كانت مرحلة متكاملة، ذات سمات خاصة تتلاءم مع خطوات التاريخ بالنسبة للإسلام في الغرب، حيث كانت علاقة ثقافية في غاية الأهمية، مثل حالة تواجد شخصين أندلسيين في مجلس الشورى، المكون من ستة أعضاء، و هما مسعود الأندلسي، و الثاني عثمان بن مزوان الأندلسي¹.

و لعل ما يدل على عمق العلاقة الثقافية المزدهرة بين تيهرة و الأندلس، و التي اتسمت بالتأثير و التأثير سماح الأمويين بتواجد المذهب الإباضي، إلا أن تأثيره كان محدودا، فيذكر أن قرية بلقين في المرية عرفت شيئا من الإباضية² كما تسرب المذهب الحنفي مع بعض أفكار المعتزلة إلى الأندلس عبر تيهرة نتيجة رحلة العلماء الحنفية إلى هناك و قد أكد ذلك المقديسي الذي يذكر مناظرة بين الأحناف و المالكية أمام أمير قرطبة³.

إن التأثير و التأثير في العلاقات بين تيهرة و الأندلس يظهر في كون الرستميين أفادوا كثيرا الإمارة الأندلسية، فقد اعتبرت تيهرة بمثابة الوسيط الثقافي بين المشرق و الأندلس⁴ في الإطلاع على التيارات الثقافية و الفكرية في المشرق من خلال المؤلفات و المخطوطات، و من جهة أخرى فإن الثراء المعرفي الذي ميز الأندلس، بازدهار العلوم بمختلف أنواعها نتيجة اتصال علمائها وفقهائها بالمشرق قد أفاد الرستميين الذين عملوا على نقل هذه العلوم إلى تيهرة.

ثانيا- العلاقات الثقافية مع السودان:

لقد خلفت العلاقات التجارية الواسعة بين السودان الغربي و الدولة الرستمية، أثارا عميقة الأصول و الفروع و لعل حملة العلم و رواه، الذين قطنوا بلاد السودان، أمثال الشيخ عبد الحميد الفزاني و كذلك أبي يحيى أبي القاسم الفرستائي الذي قتل أبوه، و هو في معركة مانوا 283هـ،

1- ماريبا نخسوس فيغيرا: المرجع السابق، ص 74.

2- محمد عين الحريري: المرجع السابق، ص 221، و قد كشف ابن القوطية عن وجود الخوارج في الأندلس، ينظر، ابن القوطية: المصدر السابق، ص 71.

3- المقديسي: المصدر السابق، ص 272.

4- محمد عليبي: المرجع السابق، ص 73.

حيث كانت له رحلة إلى بلاد السودان، و التقى فيها بملكها، فدعاه إلى دخول الإسلام، و بعد أخذ و رد قال أبو يحيى " ما زلت أذكره بنعم الله و آلائه، حتى أسلم و أحسن إسلامه، و أسمت من بعده رعيته، ما دام الناس على دين ملوكهم¹ و قد بقيت هذه العلاقة حتى بعد سقوط دولتهم تيهرة. لعل ما يبرز أيضا هذا التمازج الرسمي السوداني تلك الهندسات التي كانت في المساجد السودانية و التي كانت متشابهة مع الهندسات الإباضية، كالمحراب المستطيل الشكل و المئذنة، ذات الشكل المستطيل المخروطي.²

و من بين الآثار الثقافية التي تركتها هذه العلاقة الثنائية، تعريب جزء كبير من تلك المناطق و نتجت نظرا للاحتكاك الدائم و المستمر بالإباضية، عن طريق التجارة و منه كانت هذه العلاقة واسعة، و لا يمكن إجمالها كليا.

ثالثا - العلاقات الثقافية مع المشرق:

كان الأئمة أنفسهم يبحثون ببعثات إلى المشرق، فيرجعون مزودين بالعلوم و أنفس الكتب، مثلما قام به عبد الوهاب كما ذكرنا سابقا، كما قام الإمام أبو اليقظان برحلة إلى الحج و سجن ببغداد³ بالإضافة إلى بكر بن حماد الشاعر الذي رحل إلى المشرق، سنة 217هـ، ودخل البصرة وبغداد، و كانت له علاقات بعلماء بلده⁴ و من الذين لهم رحلة إلى المشرق عبد العزيز بن الأوز، فقد رحل إلى البصرة و بغداد ليس بنية الحج، و إنما طلبا في العلم، ولعل هناك آخرون أمثال نفث بن نصر النفوسي⁵ الذي ارتحل إلى بغداد⁶ هو الذي استنسخ ديوان جابر بن زيد الأزدي، و قد

1- الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص 328.

2- إبراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص 390.

3- للمزيد أكثر عن قصة سجن أبي اليقظان، ينظر، ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 55-56، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص 289.

4- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 153، ص 154.

5- سماه الإمام أفصح بالنفث، لأنه كان ينقد شيخه و ينفث عنه أخبار باطلة، و اسمه الحقيقي - فرج - ينظر، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 85.

6- ابن الصغير: المصدر نفسه، ص 59.

زار تيهرة، و جبل نفوسة، عدد كبير من المشاركة أمثال العالم الخرساني أبو عاتم بشر بن غاتم، الذي استنسخ له مدونته عمروس النفوسي¹ و لعل ما أبرز تلك العلاقة بين الدولة الرسمية وبلاد المشرق زيارة اليعقوبي المؤرخ و الجغرافي العربي، إذ زارها و نقل مشاهداته في كتيبه " التاريخ و البلدان". و نذكر أهم المناطق و طرقها و منافذها².

و اعتبرها مركزا استراتيجيا من وجهة نظر عسكرية و هو الذي حمل الأمير عبد القادر على الإقامة فيها في العصور الحديثة³.

و لعل العديد من المشاركة توجهوا إلى تيهرة هروبا، من بطش العباسيين، و قبضتهم فنشطت حركة الهجرة إلى العاصمة تيهرة، رغبة في العيش في كنف الدولة و بالتالي حدث الامتزاج الثقافي بين المشرق و المغرب و تجسدت هذه العلاقات الثقافية في شكل مقالات و كتب و رسائل و جوابات بين الطرفين⁴. و لم تنقطع صلة حوار المشرق بالمغرب و استمرت بشكل دائم⁵ فكانوا كلما نزلت نازلة بهم لم يترددوا في إرسال الكتب إلى علماء المشرق، يستفتوهم فيها مثلما كان يفعل علماء القيروان للإمام مالك بن أنس بالمدينة أو أبو يوسف القاضي ببغداد، و لعل من بين الكتب التي وصلت إلى المغرب كتب محبوب بن الرحيل وابنه في الفقه و الكلام و العقائد و الأخبار، و كانت تعرف عنه نفوسة " بسيرة ابن محبوب إلى أهل المغرب"، و هو في سبعين جزء و لم تصل إلى المغرب إلا الجزء السادس فقط⁶.

و مما يدل على ثراء الرصيد المعرفي، و كثرة كتب أهل المشرق بالدولة الرسمية يقول الإمام أفلح: " عليكم بدراسة كتب الدعوة و لاسيما كتاب أبي سفيان⁷ و كذلك تلك المناظرات

1- الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص 223.

2 اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 195، ص 198.

3- ماريا حسوس فيغيرا: المرجع السابق، ص 76.

4- مهنا السعدي: الموقع الإلكتروني السابق.

5- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 219.

6- نفسه، ص 220.

7- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 58.

الفقهية و الكلامية"¹.

و ختام القول أن العلاقة بين المشرق و المغرب لعبت دورا كبيرا في تغذية الفكر الإسلامي بالمغرب، كما أسهمت العلاقات الثقافية التي ربطت تيهرة بغيرها من الدول كالقيروان وسجلمانة و الأندلس و السودان في إثراء ذلك الفكر النير المتوقد لهذه الدولة، و إعطاء صورة مشعة للأئمة الرستميين، و دورهم في تفعيل الحركة العلمية و الفكرية.

1- أبو زكرياء المصلي السابق، ص 149-164.

الخلاصة

ابنه أبو بكر (240هـ، 241هـ) و الذي لم يرث قوة جده، ولم يحظ من حسن سياسة أبيه
 فعرفت فترته فترة ريب و شكوك، و دخلت بهذا الدولة الرسمية متعطفا خطيرا من الضعف
 والتدهور، لولا تدخل الإمام الخامس " أبي اليقطان بن أفلح"، (241هـ، 281هـ)، الذي أنقذ
 الدولة من الانهيار و سيرها بحكمة و عقلانية، وهذا ما استمر عليه أبو حام (281هـ،
 294هـ)، حتى قتله أسرتة و هو أول إمام يموت قتلا في هذه الدولة، ليتبايع فيما بعد الحكم
 آخرون منهم يعقوب بن أفلح و اليقطان بن أبي اليقطان.

و ظل أتباع هذه الدولة يتصارعون و يختلفون حتى انقرضت الدولة الرسمية
 (296هـ/909م) في عهد اليقطان بن أبي اليقطان على يد - أبي عبيد الله الشيعي -.

لاحظنا أيضا أن الظروف الطبيعية و المناخية ساهمت بشكل كبير في الاستيطان البشري
 هذه المدينة خاصة في القرنين الثاني و الثالث الهجريين، و تجلت هذه الظروف في الوسط الطبيعي
 الملائم و توفر المراعي و الزراعة و المياه.

فكانت الحياة الاجتماعية في مدينة تيهرت متبلورة في الطبقات الاجتماعية و في نوعية
 الحياة الاجتماعية، حيث كان السكان يختلفون في أنماط معيشتهم، فقد كانوا بدوا و حضرا و يبدووا
 أن القبائل التي كانت متركز غالبا حول التجمعات الحضرية، مثلما كان الشأن بالنسبة لتيهert
 فكانت تحيط بها مجموعة من القبائل الزناتية، و بالتالي كانت تمثل تلك العلاقة بين البدو و الحضري.

و الملاحظ أن المجتمع البدوي يمتاز بمحافظته على القلم فيسوده النظام القبلي، يسيطر
 عليهم النزعة القبلية، و بالتالي فالمجتمع القبلي يكاد يكون متجانس التركيب، فلا تكاد الفوارق
 الاجتماعية تظهر على عكس المجتمع الحضري، فالفوارق الاجتماعية واضحة للعيان و البعد
 الاجتماعي واسع بين قمة الهرم و قاعدته بين أصحاب الثراء و القصور و بين الفقراء و المحرومين.

و لقد اهتم أئمة تيهert بالجانب الاقتصادي لدولتهم، فاهتموا بالزراعة و ذلك لتوفر
 مجموعة من العوامل كالموقع و التربة و التطور الاجتماعي و توفر الأمن و غيرها، فكانت تكثر
 فيها البساتين و زراعة الحبوب و الكتان و السمسم و مختلف الفواكه، فكانت تدر أرباحا طائلة،

و كانت تكثر بها الأنهار و أقام الرستميون خزانات و أحواض للماء كبيرة، محكمة التصميم، ليحافظوا على الماء أيام الجفاف، بل أنهم أوصلوا الماء إلى البيوت عن طريق الأنابيب ومد القنوات. و قد قامت علاقة جدلية بين الإنتاج الفلاحي و تربية المواشي و كانت الظروف مواتية لنجاح و اتساع تربيتها منها الازدهار الزراعي و طبيعة البلاد لمراعيتها و طبيعة المجتمع القبلي، حيث أن هذه الأخيرة تهتم بتربية المواشي بل هي تعتبره أموالا عوض النقود، فكانوا يربون الغنم والبقر و الجمال و الخيول و النحل و غيرها.

و كانت تجارتها رائجة تصدر منها إلى الدول المجاورة، فكانوا يستغلونها في إنتاج الصوف و العسل و السمن، حتى أن بعضهم كان يمتلك منها آلاف الماشية أمثال ابن زلغين و ابن جرجي وغيرهم.

كما كان الاهتمام بالحرف أثر واضح المعالم، حيث وجدت في تيهرت العديد من الحرف كالنجارة و الحدادة و الخياطة و الدباغة و الطحن و صناعة السيوف و الأسلحة، و كذا الفخار والتحف و العطور و الخشب المنحوت و صناعات أخرى للذهب و الفضة، حيث أنها كانت تضرب منها الدراهم و الدينانير، فكانت لتيهت عملتها الخاصة التي كشف عنها الأثريون فيما بعد، ضف إلى عدة مهن أخرى لا تستطيع ذكرها ككل.

إن هذا الازدهار الحرفي قد تولد عنه نشاط تجاري سواء داخلي أو خارجي، فقد كان الاهتمام واضحا بالتجارة، فأنشأت الأسواق في مختلف الجهات، و كانت رائجة بشتى أنواع البضائع و المؤن و التي كان بها محتسب يراقب أسعار بعض السلع، و يمنع الاحتكار و يراقب الموازين و المكييل، وقد ازدهرت التجارة الداخلية، و ما دل على ذلك اتساع نطاق الحركة التجارية فشملت مختلف الجهات، و سارت القوافل إلى الكثير من الدول كالأندلس و بلاد السودان و غيرها من الدول في المشرق و المغرب، فكانت القوافل التجارية تخرج من تيهرت محملة بشتى أنواع البضائع و المؤن، إلى هذه الدول و تعود كذلك محملة بالبضائع التي تنتج في تلك البلاد، و كانت تجارة الذهب و بيع الرقيق رائجة في ذلك الوقت، و لتيهت نشاط كبير فيها، ووصل النشاط التجاري في هذه المدينة إلى حد أنه كان يوحد بها التخصص في الأسواق، فكان

بها سوق النحاس و سوق الأسلحة، و سوق الصاغة، و سوق الأقمشة، و غيرها من الأسواق، كما ساعد على ازدياد النشاط التجاري بها وجود نظم متطورة في التعامل التجاري مثل الصيارفة بالإضافة إلى بناء الفنادق و القصوريات.

و قد قام الأئمة الرستمين بإنشاء بيوت الأموال في مدن الدولة الرستمية و بيت مال مركزي في العاصمة تيهرت مع دار للزكاة.

أما دور الأموال فكانت مصادرهما الجزية و خراج الأراضي، و الضرائب و الرسوم التي تؤخذ على القوافل التجارية و التجار الحرفيين و أهل الذمة و غيرهم، و كانت تسخر في أجور الموظفين و في بناء المساجد و الطرقات و الأسواق و مصالح المسلمين.

و مما لا شك فيه أن الحياة الاجتماعية كانت لها علاقة مباشرة بالحياة العلمية، وقد سلف الذكر أن الأئمة أنفسهم اهتموا بالجانب العلمي و الفكري اهتماما كبيرا و لا أدل على ذلك من أن الشروط الأساسية في " إمام الدولة " حتى يتم انتخابه، أن يكون عالما بأمور الشريعة و السياسة والحكم، فاهتم الأئمة بإنشاء المؤسسات التعليمية كالكتاتيب و كذلك لإقامة الحلقات في المساجد سواء في التفسير أو الحديث أو اللغة و غيرها من العلوم، و كانوا يساهمون في التعليم بأنفسهم، ولا يتكبرون في ذلك كالإمام عبد الوهاب، الذي قضى سبع سنوات يعلم الناس أمور الصلاة في جبل نفوسة، أو الإمام أفلح، الذي كان يعقد الحلقات و كذلك اهتم الأئمة بإنشاء المكتبات العلمية الزاخرة لمختلف فنون العلم و الآثار، ومن مكناتها المشهورة مكتبة المعصومة، التي كانت تحوي آلاف من المجلدات و الكتب في علوم الشريعة من تفسير وحديث و فقه و توحيد، و كتب في الطب و الرياضيات و الهندسة و الفلك و التاريخ و اللغة وغيرها من العلوم المختلفة، كانت في مجملها جامعة لمختلف المذاهب الإسلامية.

و قد واكبت هذه النهضة بحال التأليف، فقد قدم أئمتها و علماؤها للأمة الكثير من المؤلفات في مختلف فنون العلم سواء الدينية أو الدنيوية، و كان أئمة تيهرت، و في مقدمتهم الإمام عبد الرحمن الذي ألف كتابا في التفسير و كتابا جمع فيه خطبه، و كذا الإمام عبد الوهاب الذي

ترك كتابا يعرف "بمسائل نفوسة الجبل"، و الإمام أفلح الذي ترك العديد من المؤلفات والرسائل العلمية والفكرية.

كذلك لم تهمل تيهرت العلوم العقلية كعلم الكلام وغيره، فقد كانت تجري بين العلماء في مختلف المذاهب الإسلامية و التيارات الفكرية و المناظرات و ذلك لتعدد أتباع المذاهب الإسلامية كالإباضية و المعتزلة و الصفرية و الحنفية و الشيعية وغيرهم.

و لعل الاهتمام تعدى إلى الأدب العربي و ما احتواه من شعر و نشر، فأما الشعر فقد كان لهم فيه نصيب و لكن ليس كالنثر، و من الشعراء، الإمام أفلح بن عبد الوهاب وشاعر تيهرت "بكر بن حماد الزناتي".

و قد كان للمرأة دور بارز في الحركة الثقافية، فوجدت بها العديد من العلمات والمصلحات أمثال أخت الإمام أفلح و أخت الشيخ عمروس، اللتين كانتا من علمات الدولة الرستمية، و لم يقتصر العلم على الطبقة الثرية، بل تعدى العلم و طلبه إلى الإماء.

أما عن العلاقات الثقافية لمدينة تيهرت، فقد كانت لها علاقات مع بلدان المغرب والأندلس و مع بلاد السودان، فكانت بينهم مراسلات و لقاءات غدت الفكر و ساهمت في عمليتي التأثير والتأثر.

بالإضافة إلى هذا، حاولنا توضيح الإشكال القائم حول بناء المدينة و موقعها، و ذلك بالوصول إلى أن المدينة إنتاج إسلامي حديث و لا علاقة له بالمواقع الرومانية القديمة، و كذا إشكالية التسمية التي رأينا فيها التضارب و الاختلافات، جعلتنا نتبنى بعض الآراء دون غيرها بسبب الدراسات القليلة في هذا المجال.

أما الجانب العمراني، فبسبب البقايا القليلة و معطيات و نتائج الحفريات المحدودة تمكنا من الوصول إلى حدود افتراضية للمدينة و قليل من تقنيات و أشكال البناء التي وجدت في تيهرت، لهذا يبقى المسلك الوحيد لإزالة الغموض عن عمران و حضارة هذه المدينة هو اللجوء إلى حفريات منظمة تكون بمثابة كتاب مفتوح يخرج المدينة من صمتها و يعرف بحضارتها.

و من بين الملاحظات و المظاهر البارزة التي نستنتجها نذكر:

1. أن تيهرت الرسمية عاشت فترة طويلة في استقرار سياسي و اقتصادي ساعد أئمتها على سلوك سياسة التعايش السلمي، و احترام مبدأ الحرية و الرأي و العدل و المساواة بين الرعية، وبالتالي الارتباط بكل المذاهب رغم اختلافها مع المذهب الإباضي و المحافظة على حسن الجوار.
 2. لم تدخل هذه المدينة في حروب مع جيرانها، مما ساعدها على إقامة علاقات طيبة مع جيرانها كسجلماسة، و بلاد السودان و غيرها، و هذا لا يعني أن جميع علاقاتها الخارجية كانت حسنة باستمرار بل كانت تتخللها علاقات عداء مثل خلافها مع الأقاليم و غيرها.
 3. إن الطابع المذهبي كان الميزة الأساسية في النهضة الفكرية عند الرستميين، فقد حظي المذهب الإباضي بقبول أهل المغرب، فاعتنقه عدد كبير من القبائل البربرية و تمسكوا بمبادئه، لا بل دافعوا عنها في أحلك الظروف، و لأنه أقرب إلى المذاهب السنية من حيث اعتزال مبادئه السياسية و المذهبية، مما جعله يستمر و يتعايش مع المذهب المالكي إلى يومنا هذا.
 4. ارتبطت النهضة الفكرية بمدينة تيهرت التي احتضنت كل الفئات و كانت مقصدا لفقهاء و العلماء من كل الأمصار، كما أن التنافس العلمي الذي عرفته الدولة الرستمية ساهمت فيه عدة عوامل على رأسها سياسة الأئمة في تشجيع العلم و تعريب البربر و بالتالي إنتاج فكري ضخم في كل المجالات العلمية.
 5. إن التسامح الديني كان هو القاعدة التي يبنى عليها أي حوار، مما جعل الاختلاف المذهبي يؤدي إلى تلاقي الأفكار و ينميها و بالتالي التطور الفكري و الثقافي.
 6. مساهمة المغرب الأوسط في ترسيخ مبادئ الحضارة الإسلامية في إطار الانجازات الضخمة للرستميين على المستويين التاريخي و الحضاري مما حدد موقع و مكانة المغرب الإسلامي بشكل عام.
- و يحمل القول أن تيهرت عاصمة الرستميين، هذه المدينة العريقة التي قدمت الشيء الكثير للدولة الإسلامية حيث ألها شكلت إرثا حضاريا راقيا، و بعدا تاريخيا بارزا ترك أثره على مر الأجيال و قدمت إنجازات ضخمة للأمة الإسلامية، إلا أن الحاجة إلى إسكان الجزائريين و هذا واجب السلطات الجزائرية و من حق الجزائريين أدى إلى استغلال جانب (حيز) من المنطقة الأثرية لبناء القرية الفلاحية "ناقدت" و ذلك سنة 1976 مع العلم أنها تدخل في إطار الألف قرية

فلاحية لبرنامج الحكومة في السبعينيات. إن هذا الخطأ في اختيار موقع القرية أثر و يؤثر سلبا على تاريخ المنطقة من جهة و تجاهل البعض لمدى أهمية تاريخ و حضارة الجزائر من جهة أخرى، فإننا هنا لا ننكر الفائدة من أهمية الإسكان في الجزائر و لا أهمية المشروع في حد ذاته و لكننا نتأسف لوجود هذه القرية على أنقاض أول دولة إسلامية مستقلة بالمغرب و هذا يكفي للإعتزاز بها.

هذه إذن مدينة تيهرت الرسمية الإسلامية و أهم جوانبها التاريخية و الحضارية، و هذه محاولة متواضعة للإسهام في الكشف عن هذه الحضارة و معالمها، و فتح باب البحث عن جوانب أخرى منها، فقد كان بودنا أن نقدم بحثا أكثر إثراء و تعمقا، خاصة في الجوانب الحضارية غير أن نقص المعطيات و الدراسات في هذا المجال حال دون ذلك.

الملاحق

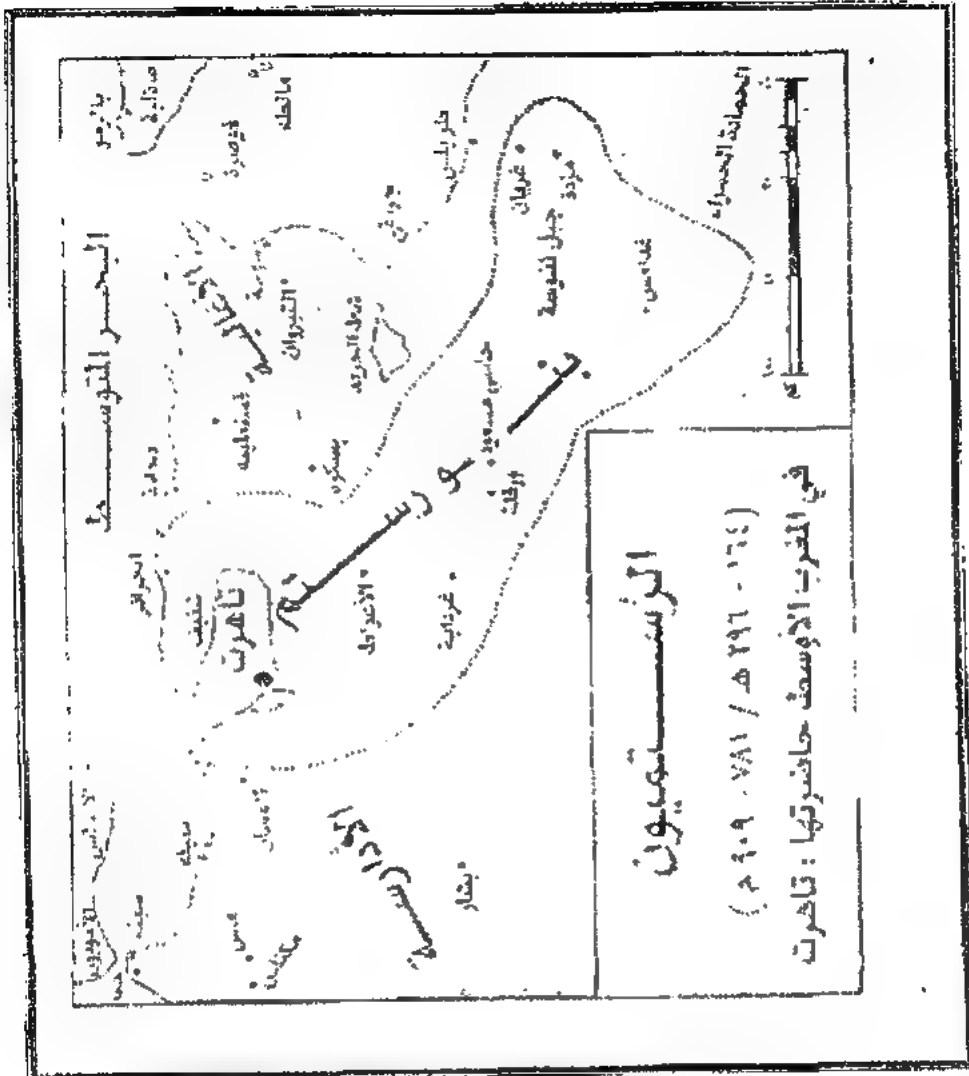
الملحق 1



الدول المستقلة ببلاد المغرب - القرن 3هـ

عن ابراهيم مجاز: الدولة الرستمية: المرجع السابق، ص 106، محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص 169.

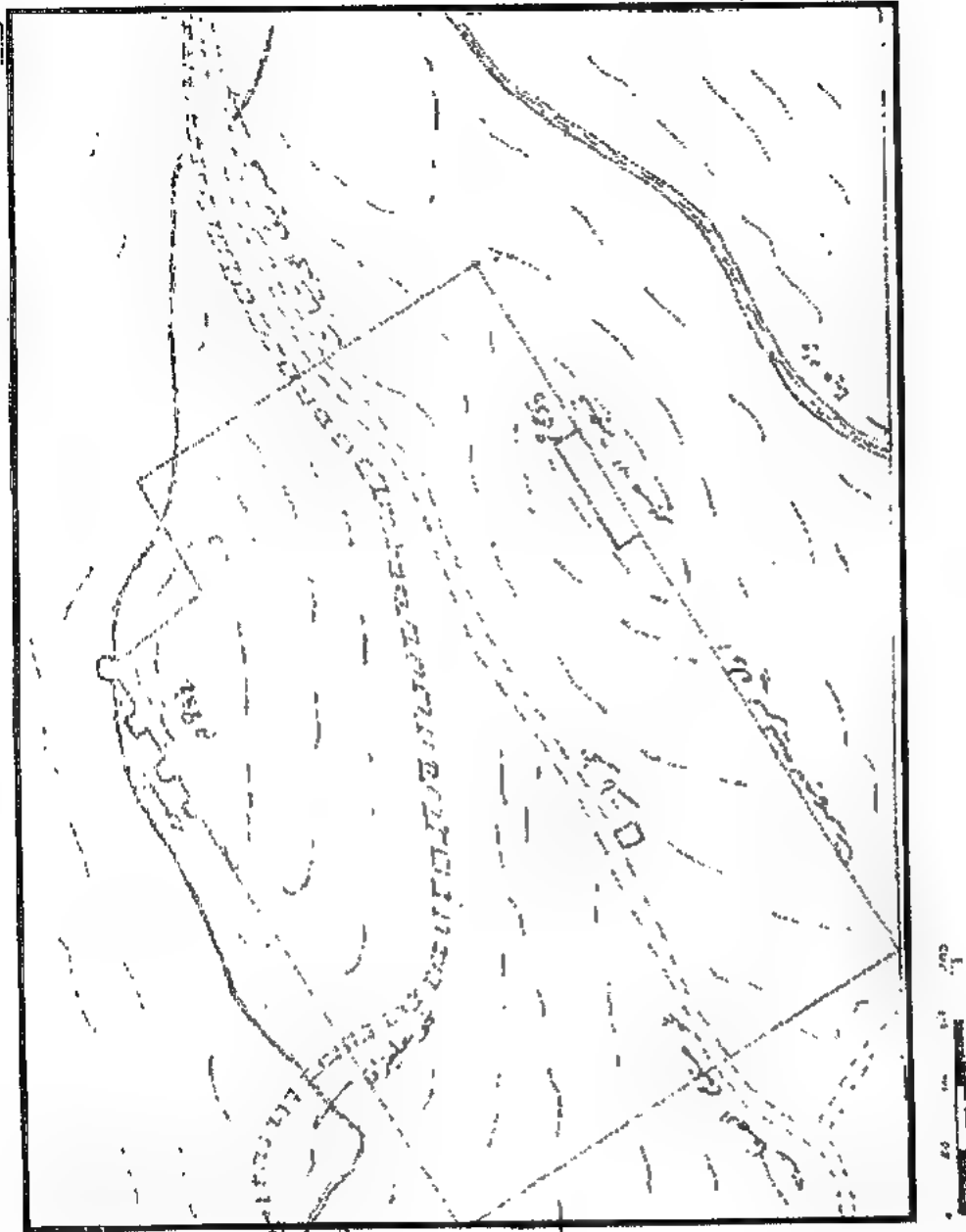
الملحق 2



الحدود السياسية للدولة العثمانية

عن شوقي أبو حليل: أطلس التاريخ الإسلامي، دار الفكر المعاصر، لبنان، ص 150.

الملحق 3

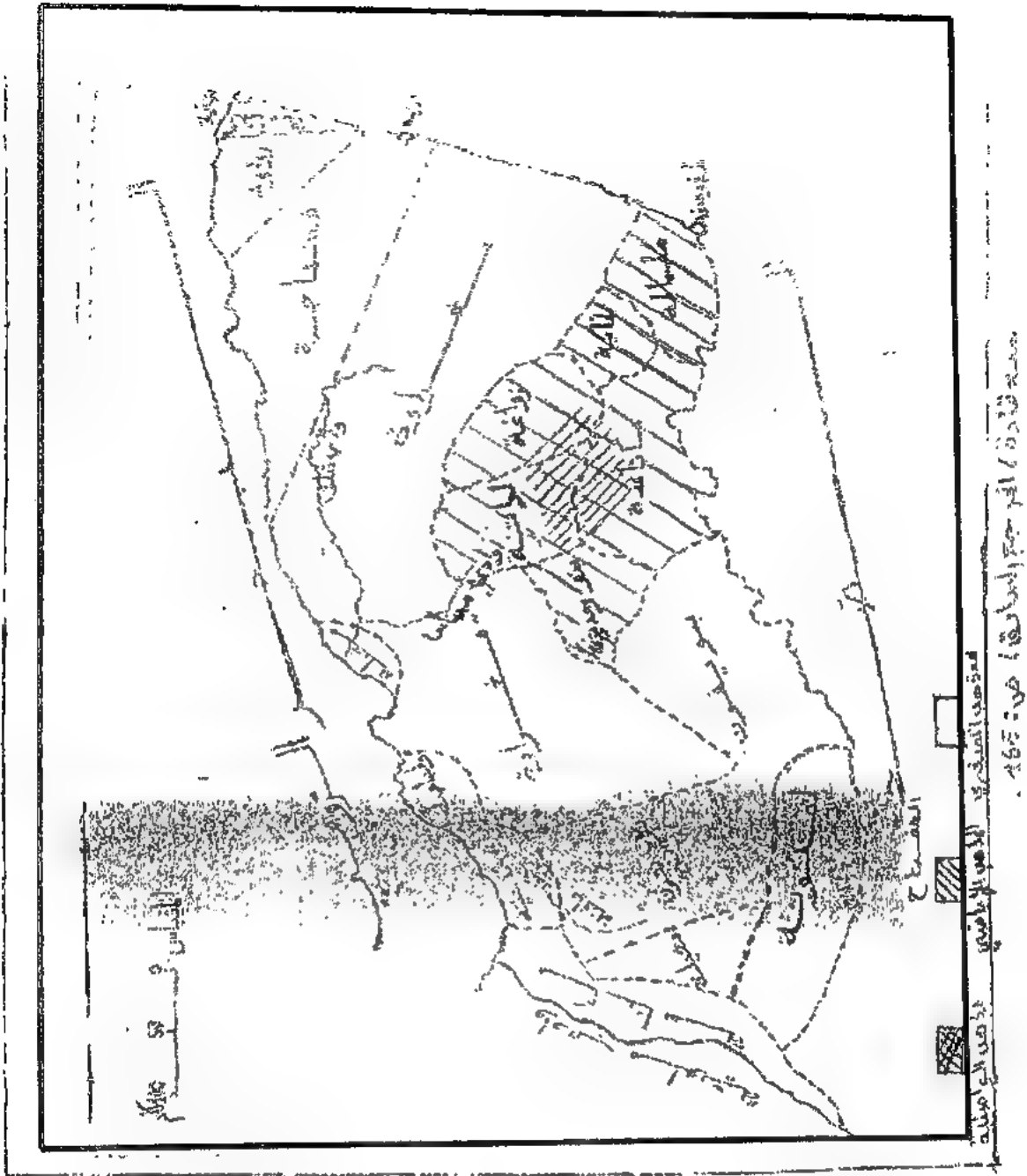


تخطيط افتراضي لحدود المدينة

G.Marcais et L.Dessus, op.cit, p29.

(بتصرف)

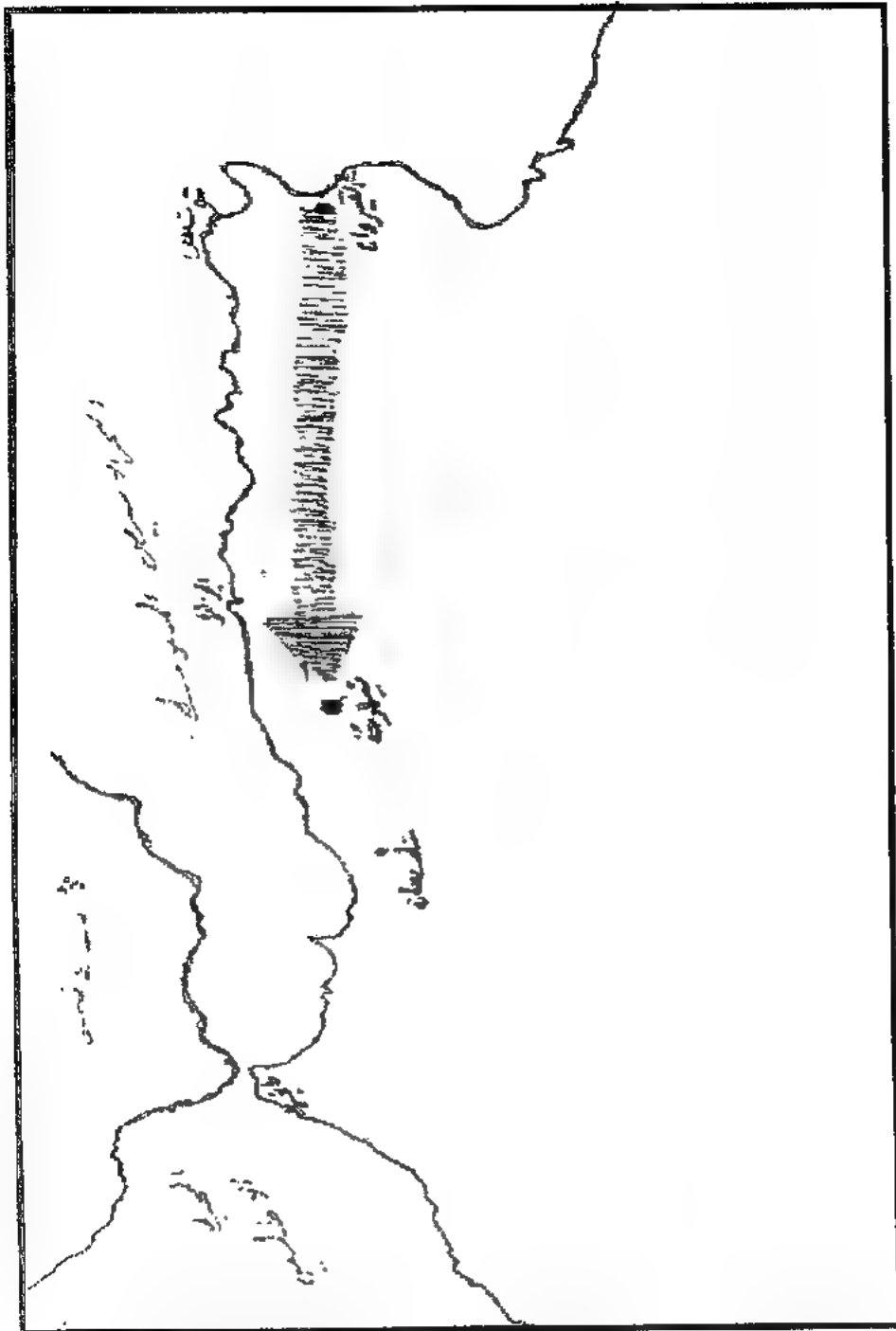
الملحق 4



المذاهب في المغرب الأوسط
في النصف الأول من القرن 2هـ/8م

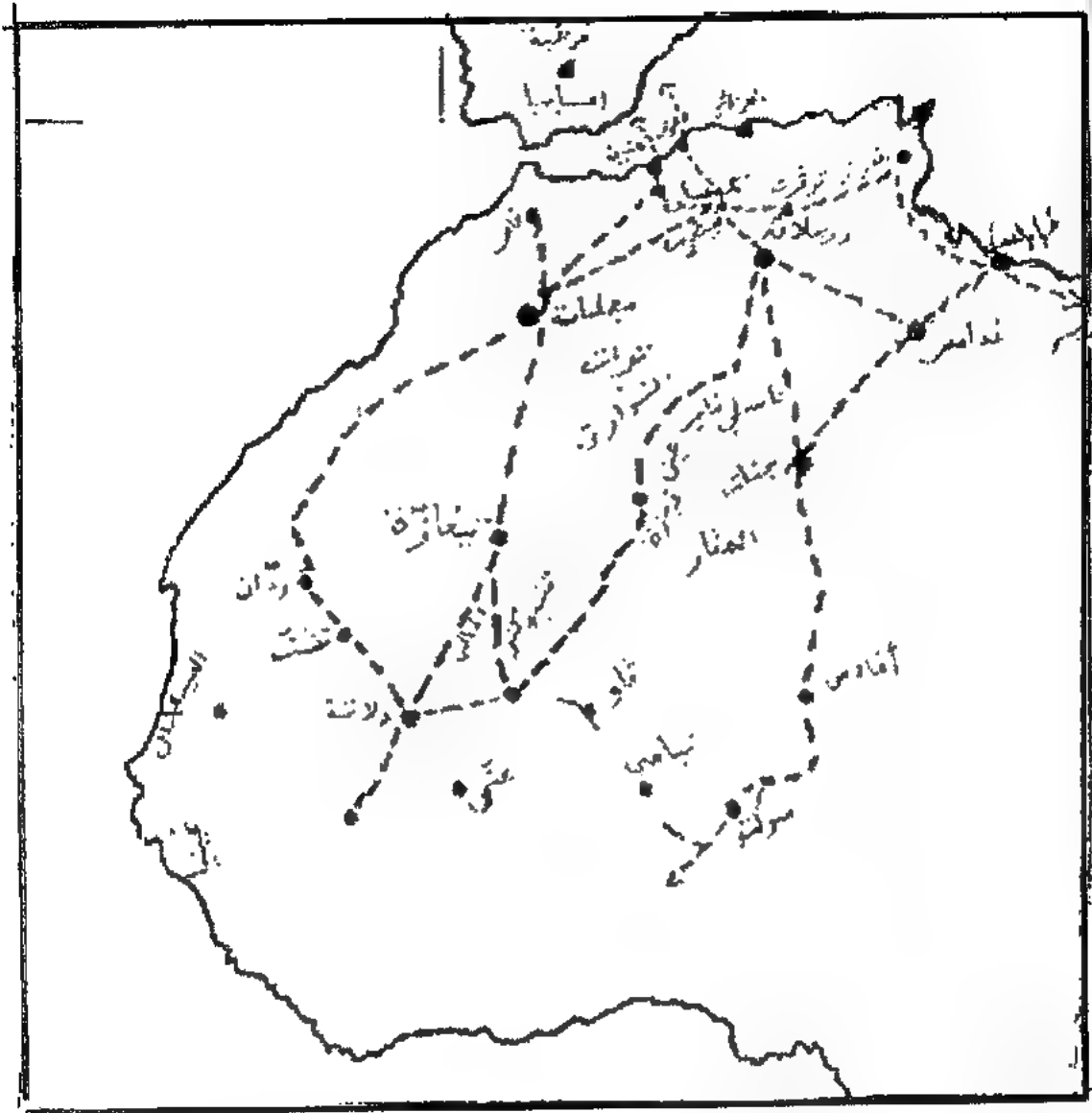
عن قادة سح: المرجع السابق، ص165.

الملحق 5



اتجاه عبد الرحمن بن رستم من القيروان إلى تيهت

الملحق 6

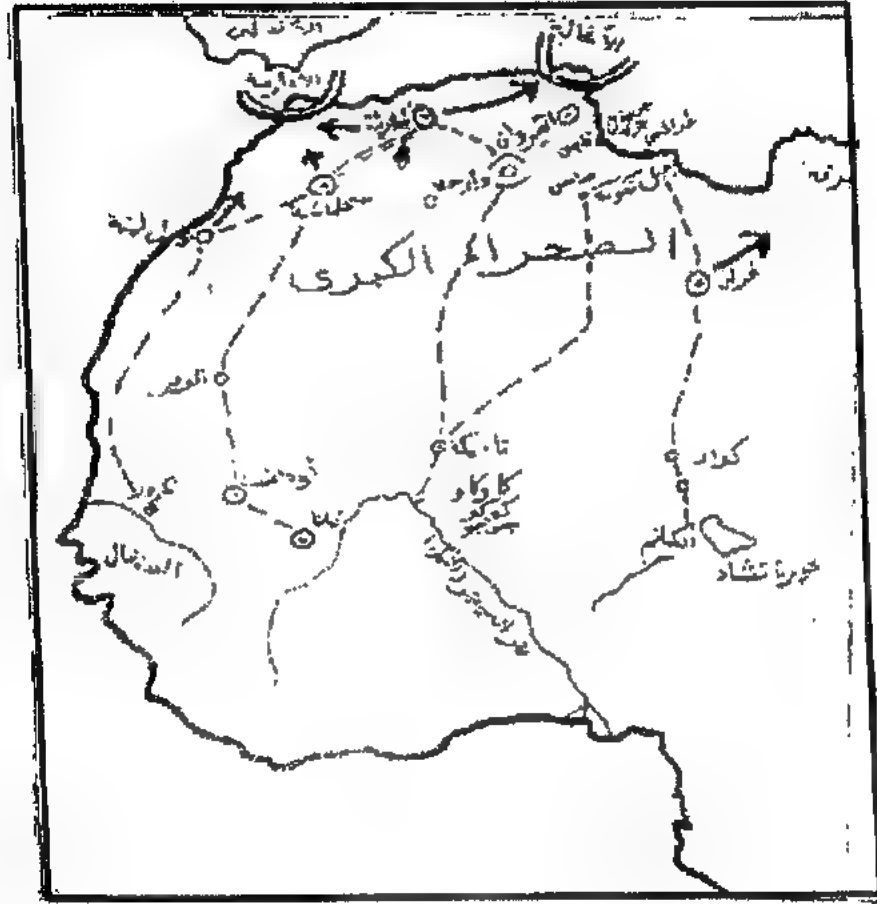


الطرق التجارية الرابطة بين الدولة الرستمية و جيرانها

عن محمد عمرو الطمار: المرجع السابق، ص 95

الملحق 7

التجارة الخارجية للخوارج



----- توغل تجارة الخوارج نحو الصحراء الكبرى و السودان
 —————> توغل تجارة الخوارج نحو الساحل

عن ابراهيم بن حازم: النبوة الرسمية، المرجع السابق، ص 255.

الملحق 8



فلوس إياضية

عن ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 183.

الملحق 9

الأئمة الرستميون

(144 - 296 هـ / 761 - 762 - 908 - 909 م)

بسبب الاختلافات العديدة بين المصادر و المراجع، نحاول من خلال هذا الجدول جرد هذه الاختلافات بتخصيص قسم لها و نرمز بالحروف لكل مصدر مختلف عن غيره.

اسم الإمام	تاريخ الإمامة	تاريخ الوفاة	المصادر و المراجع
عبد الرحمن بن رستم	144 هـ - 761 م	168 هـ - 784 م	خ ، Ch
	160 هـ - 776 م	168 هـ - 784 م	ك ، ص ، ب
	162 هـ - 779 م	— —	أ
	160 هـ - 776 م	171 هـ - 787 م	ج
عبد الوهاب بن عبد الرحمن	168 هـ - 784 م	208 هـ - 823 م	ر ، Ch
	171 هـ - 787 م	190 هـ - 805 م	ج
	171 هـ - 787 م	211 هـ - 826 م	د
		188 هـ - 804 م	ع
		180 هـ - 796 م	ك
أفلح بن عبد الوهاب	180 هـ - 796 م	230 هـ - 844 م	ك
	211 هـ - 826 م	240 هـ - 854 م	د
	190 هـ - 805 م	240 هـ - 854 م	ج
	208 هـ - 824 م	250 هـ - 864 م	ر
أبو بكر بن أفلح	240 هـ - 854 م	241 هـ - 855 م	ج
	250 هـ - 864 م	254 هـ - 868 م	ر
	230 هـ - 844 م	241 هـ - 865 م	ك
	240 هـ - 854 م	241 هـ - 855 م	د

ج	281هـ - 894م	241هـ - 855م	أبو اليقظان بن أفصح
ر	281هـ - 894م	254هـ - 868م	
ك	281هـ - 894م	241هـ - 855م	
د	281هـ - 894م	241هـ - 855م	
ج ، Ch	282هـ - 895م	281هـ - 894م	أبو حاتم
ر	294هـ - 907م	281هـ - 894م	بن أبي اليقظان
ك	294هـ - 907م	281هـ - 894م	
د	294هـ - 907م	281هـ - 894م	
إتفاق جميع المراجع	296هـ - 909م	294هـ - 906م	اليقظان بن أبي اليقظان

ص- ابن الصغير: كتاب أحبار الأئمة الرسميين، ص36.

ب- سليمان الباروني: كتاب الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية، ج2، ص99.

أ- أبو ركرياء: كتاب السير و أخبار الأئمة، ص85.

ع- ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص127.

ك- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرسمية، ص- ص 63- 69.

ر- رشيد بورويبة: تاريخ الجزائر، ص89.

ج- محمد الجليلي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ص178.

خ- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ص.

د- محمد علي دبور: تاريخ المغرب الكبير، ط1، ج3، ص- ص 523- 609.

Ch- Chikh Bekri : Le royaume rostemide, op.cit, p64.

الملحق 11

رسالة الإمام أفلح إلى الرعية ينصحهم بالتقوى و الصلاح

(بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم، من أفلح بن عبد الوهاب إلى من بلغه كتابنا هذا من مسلمين، أما بعد، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام وأكرمنا بمحمد عليه الصلاة و السلام و أبقانا بعد تناسخ الأمم، حتى أخرجنا في الأمة المكرمة التي جعلها أمة وسطا شاهدة لنبئها بالتبليغ و مصدقة لجميع الأنبياء، و شاهدة على جميع الأمم بالبلاغ من الأنبياء...فعليكم معشر المسلمين بتقوى الله العظيم و القيام له بحقه فيما وافق هواكم أو خالفه و تقربوا إلى الله بالقيم بطاعته، و طلب مرضاته لتنالوا بذلك ما وعد به من جزيل الثواب و كرم المآب...و اعلموا أن الله قد أوجب عليكم أن تقوموا لله بالعدل في عباده و بلاده، و لا تأخذكم لومة لائم...ثم أحذركم أهل البدع، الذين لم يعرفوا حقا فيتبعوه، و لن يلقوا أهل العلم فيقتبسوا منهم الدين، عاشوا مع أهل الجهل فخلا بهم الشيطان...فعليكم معشر المسلمين باتباع الآثار والعمل بما عمل به أسلافكم المتقدمون قبلكم، فقد سنوا لكم الهدى، ففي اتباعهم كل رشد و في مخالفتهم كل غي، و الرشد خير من الغي...).

الملحق 12

رسالة الإمام أفلح إلى بعض العمال

من أفلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد، سلام عليك و إني أحمد الله الذي لا إله إلا هو
وأسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده و رسوله صلى الله عليه و سلم و على آله.

(أما بعد) ألبسك الله عافيته فإني أذكرك عظمة الله لا تنساها و فكر في صغير خلقتك و في عظيم
ما خلقه الله و ما جعله من النكال و العذاب لابن آدم و ما عاقب به من فاز برحمته من عظيم خلقه
للسموات و الأرض و الجبال و الشجر، و أذكرك ما أعده الله لابن آدم من الكرامة التي تكل
الألسن عن وصفها فلو تكن كرامة تطلب إلا النجاة من جهنم...و أن الدواء في هذا هو الاستغانة
إلى الله في العصمة فمن أراد به الإحسان عصمه و جعله من أوليائه الذين قال لإبليس فيهم: **إِنْ**
عبادي ليس لك عليهم سلطان **﴿﴾** فاطلب الله و ارغب إليه في العصمة و التوفيق...إلى أن قال: وأما
ما ذكرته من أن أجعل لك سيلا و أطلق يدك و أن الحاضر يرى ما لا يراه الغائب فلعلمي إنه
لكذلك و لكن ليس هذا إنما هي أسهم جعلها الله و أوقفها و هي وسخ أموال الناس و ليس لنا
فيها قضاء و لا زيادة و لا نقصان و لا أمر و لا نهي إلا على قدر الإجهاد، فاتق الله و اجتهد
جهدك في توفير الحقوق و توجيهها إلينا، على هذا مضى من كان قبلك...

الملحق 13

خطبة عقبة أمام تيهرت

قام عقبة في الناس خطيباً فحمد الله تعالى و أثني عليه و قال:

"أيها الناس إن أشرافكم و خياركم الذين رضي الله عنهم و أنزل فيهم كتابه، بايعوا رسول الله صلى الله عليه و سلم - بيعة الرضوان - على من كفر بالله إلى يوم القيامة و هم أشرافكم و السابقون منكم إلى البيعة باعوا أنفسهم من رب العالمين بجمته بيعة رابحة، و أنتنحى اليوم في دار غربة و إنما بايعتم رب العالمين و قد نظر إليكم في مكانكم هذا، و لم تبلغوا هذه البلاد إلا طلباً لرضاه و إعزازاً لدينه، فأبشروا فكلما كثر العدو كان أخزى لهم و أذل، إن شاء الله تعالى و ربكم عز و جل لا يسلمكم فالتقوهم بقلوب صادقة فإن الله عز و جل جعلكم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، فقاتلوا عدوكم على بركة الله و عونته و الله لا يرد بأسه عن القوم المجرمين".

عن محمد بن رمضان شاورش و الغوثي بن حمدان: المرجع السابق، ص 14.

الملحق 14

نموذج من الكتابة البربرية

النص البربري:

"أغرتمزيد ايم آيصيل تجحد ويتممتان ولا آدغ ويتلالن مك تصريط آن أزن آتوشنين ابو يعجدن
تقريد ان يوشن يتصلا الشغل اذ يدغن احاتين آنغاز تسفار آنجين و رنتت تصكيد الشغل اذ
يدفار سمطين آتلسط ملسان ديد نين ورتزطيط تلطن أسد أمان ضقنين آد أم زنن دمج الميزان أم
تقيراطين".

النص بالعربية:

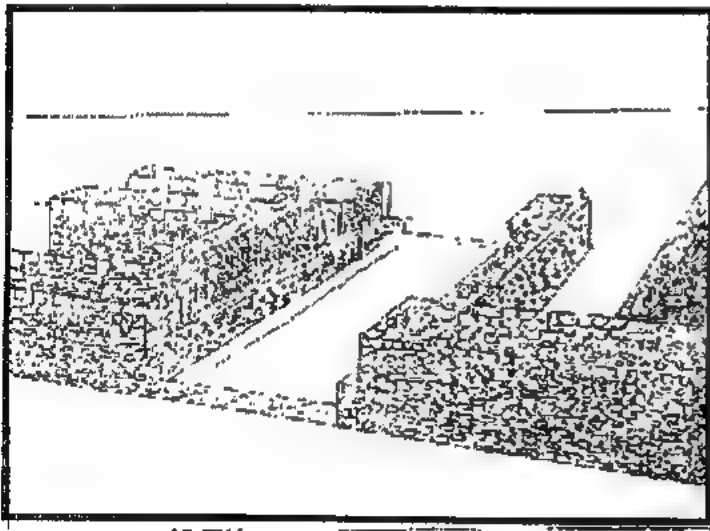
"أمضي مسجداك يا اصل و دعي من يموت و من يولد لو رايت الثواب الذي يتلقى من يزور
مسجد الله للصلاة لا تشتغلي بالاحجار الذي ! يغترها ! تدخل ! البيوت العاليات لم تنبها إلا
تشتغلين ! بالسبرات و البرد تلبسي ثيابا رقاقا لم تنسجيهن تبكين اليوم ماء حارا يوزن لك في
الميزان كالقراريط".

المعنى بالفرنسية:

- « Va à la mosquée, o Asil, laisses ceux qui meurent aussi bien que
ceux qui naissent; si tu voyais les récompenses qui sont données à
celui qui visite la mosquée de Dieu pour y prier, tu ne t'occuperais
pas assurément, des pierres qui l'entourent. Tu entreras dans de
grandes demeures que tu n'a pas construites; ne t'inquiètes pas des
fraîches matinées et du froid, tu reveteras des habits fins que tu n'as
pas tissée. Tu pleure aujourd'hui une eau chaude (des larmes
chaudes) qui te seront pesées dans la balance comme des Kirats ! »

عن صالح باحية: المرجع السابق، ص- ص 161 162.

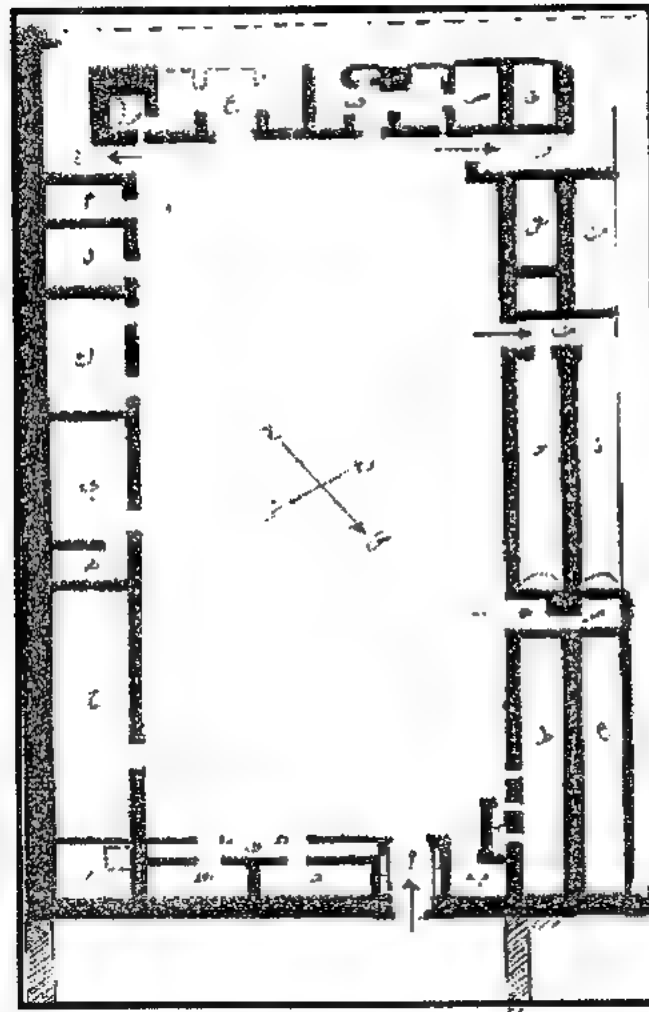
الملحق 15



المدخل الرئيسي للقصة

G.Marcais et L.Dessus, op.cit, p- p 42- 53.

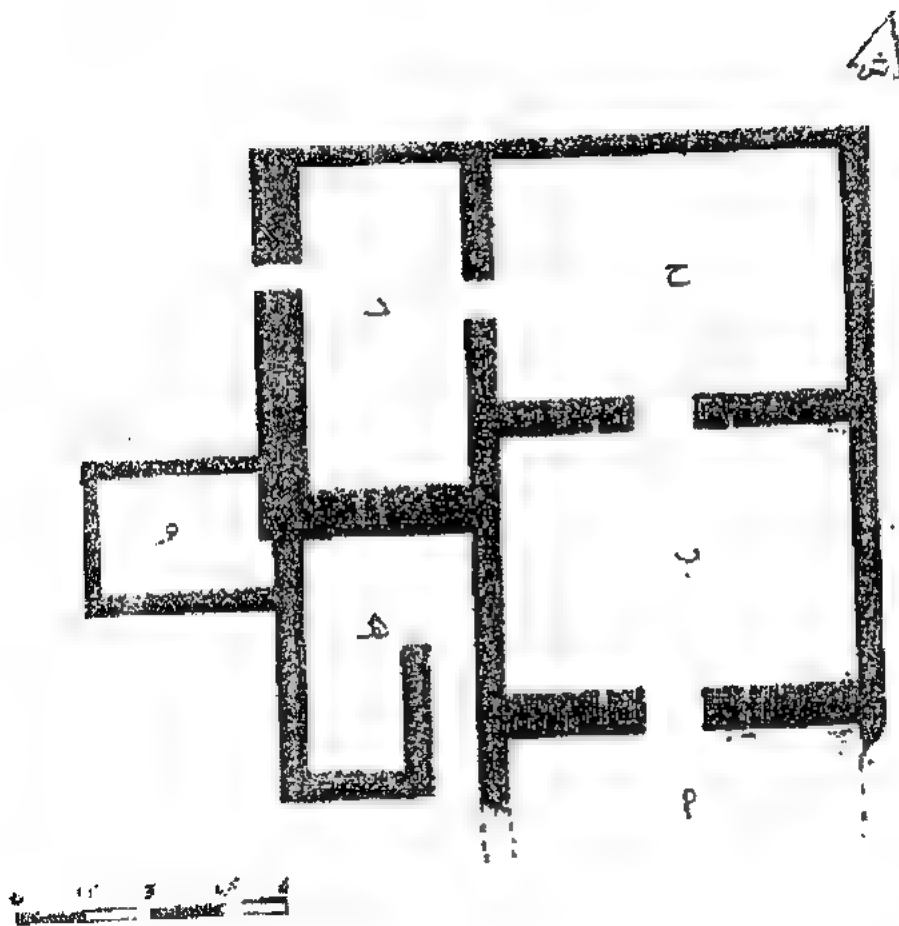
الملحق 16



قصة الجهة الجنوبية

CH.Bekri : Le royaume, op.cit, p125, G.Marcais et L.Dessus, op.cit, p- p 42- 53.

الملحق 17



خزانات المياه

المبيليم غرافيا

المصادر و المراجع

أولاً: المصادر

* القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم)

1. ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني ت 1110هـ/1698م): المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط3، 1957.
2. ابن أبي الضياف (ابن عمر ت 1291هـ/1845م): إنحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، الدار التونسية للنشر و التوزيع، تونس، 1976.
3. ابن أبي الفداء (إسماعيل ابن علي): المختصر في أخبار البشر، تعليق محمود دهب، ج1، مشورات محمد علي ييوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
4. ابن أبي زرع (علي بن عبد الله أو عبد الحليم بن صالح ت 726هـ/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط 1972.
5. ابن أبي شيبه : المصنف في الأحاديث و الآثار، طبع الدار السلفية، ط1، بومباي، الهند، 1403هـ.
6. ابن أبي عذاري المراكشي (أبو الحسن أحمد كان حيا سنة 712هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق ح.س. كولان و ل. ليفي بروفيسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، الطبعة 2، 1980.
7. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري ت 630هـ): الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة و النشر، ج3 ج4، ج5، ج6، ج10، بيروت، 1979.
8. (—، —): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق الشيخ خليل مؤمنون شبيها، ج1، ج2، ج3، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، بيروت، 1997.
9. ابن الجوزي (هال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي): صفوة الصفوة، المجلد الثاني، دار الجيل، ط1، بيروت، 1992.
10. (—، —): تلبس إبليس، تحقيق محمود مهدي اسطنبولي، 1976.
11. ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني ت 776هـ/1374م): تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق و تعليق، أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.
12. (—، —): كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق كمال شباينة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2003.
13. ابن الصغير (كان حيا في القرن 3هـ) : أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق و تعليق محمد الناصر و إبراهيم بحار، ديوان المطبوعات الحميلة، 1986.
14. ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ت 327هـ/977م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1957.

15. ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي ت770هـ/1368م): تحفة انظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تقديم محمد سويدي، الجزائر، 1989.
16. ابن تيمية: مجموع الفتاوى، دار الفصاء بالمصورة، مكتبة العبيدات، الرياض، ح3، ط1، 1418هـ/1998م.
17. ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت852هـ): هدى الساري في مقدمة فتح الباري، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة، د.ت.
18. (—، —): فتح الباري، ج2، المطبعة السلفية، ط2، القاهرة، د.ت.
19. (—، —): لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، بيروت، 1390هـ.
20. (—، —): الإصابة في تمييز الصحابة، دراسة و تحقيق و تعليق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.
21. ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد ت456هـ/1063م): الفصل في الملل و الأهواء و النحل، الجزء2، المطبعة الأدبية، مصر، 1320هـ.
22. (—، —): جمهرة أنساب العرب، جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي برفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1948، ص315.
23. ابن حوقل (ت367هـ/977م): صورة الأرض، دار صادر بيروت، 1928.
24. ابن خردادبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت في حدود300هـ): المسالك و الممالك، بريل ليدن، 1989.
25. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت808هـ/1405م): كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخمر في أيام العرب و المعجم و البربر و من عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد الأول و الثاني، دار ابن حزم للطباعة و النشر، ط1، بيروت، 2003.
26. (—، —): المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2007.
27. ابن خلكان (أبو العباس أحمد إبراهيم ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970.
28. ابن سعد محمد: الطبقات الكبرى، دار صادر للطباعة و النشر، 1958، ج7.
29. ابن سعيد المغربي (علي بن موسى ت685هـ/1274م): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت، 1980.
30. (—، —): المغرب في حلي المغرب، تحقيق و نشر شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1953.
31. ابن طباطبا (محمد بن علي المعروف بابن الطقطقة): الفحري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت.
32. ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله ت257هـ/881م): فتوح افريقية و الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964.
33. (—، —): فتوح مصر و المغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1961.

34. ابن فرحون (برهان الدين ابراهيم بن علي ت799هـ/1403م): الدساح للذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق برهان الدين ابراهيم، مطبعة المحامين، مصر، 1351هـ.
35. ابن قنفذ القسنطيني (أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ت810هـ/1407م): كتاب الوفيات، تحقيق عادل بويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة، دار النشر، بيروت، 1982.
36. ابن كثير الدمشقي (ت774هـ/1372م): تفسير القرآن العظيم، المجلد 3 و 4، دار الكتب العلمية، محمد علي بيصون، ط2، بيروت، 2006.
37. (—، —): البداية و النهاية، دار الريام، ط1، 1988.
38. ابن مخلوف (محمد ابن محمد): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1949.
39. ابن منظور الإفريقي المصري (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): ابن منظور: لسان العرب، المجلد1، 2، 3، 4، دار صادر للطباعة و النشر، ط1، بيروت، د.ت.
40. أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، الجزء1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.
41. أبو الحسن الملقب: التبيه و الرد على أهل الأهواء و البدع، مكتبة المنى، بغداد، 1968.
42. أبو العرب بن تميم (محمد بن أحمد القيرواني ت333هـ/944م): طبقات علماء إفريقية، تحقيق محمد بن أسد الخشني: دار الكتاب، بيروت.
43. أبو حنيفة النعمان (ابن محمد بن حيون ت363هـ/973م): رسالة افتتاح الدولة، تحقيق و داد القاضي، دار الثقافة، بيروت، 1970.
44. أبو زكرياء (يحيى بن أبي بكر ت471هـ): سير الأئمة و أخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979.
45. أبو عبد الله (محمد بن سحنون التوخي): كتاب آداب المعلمين، تقديم و تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، ط2، الرغبة، الجزائر، 1981.
46. أبو عبد الله (محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن الربيع محمد القيسي الغرناطي): تحفة الألباب، مخطوط.
47. أحمد بابا التمبكتي (أبو العباس أحمد بن محمد ت1036هـ/1624م): بل الإبتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة.
48. أحمد بن أبي راس الناصر: عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، تقديم و تحقيق محمد غالم، ج1، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية، وهران، د.ت.
49. أحمد بن زكريا التلمساني: عاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق محمد أو إدري مشان، المجلد الأول، ط1، دار التراث، دار ابن حزم، الجزائر، 2005.
50. الإدريسي (محمد بن عبد الله الحمودي السبكي ت560هـ/1164م): المغرب العربي، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، حققه و نقله إلى الفرنسية، محمد بلحاج صادق، المؤسسة العامة للنشر والإشهار، حيدرة، الجزائر، 1983.

51. الإصطخري (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي ت بعد 340هـ/951م): المسالك و الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، دار القلم، القاهرة، 1381هـ/1961م.
52. الإمام البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل) : صحيح البخاري، ج2، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مية، 1992.
53. (—، —): فضائل الصحابة من فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق خالد عبد الفتاح شبل، الشركة العلمية للكتاب، بيروت، ط1، 1990.
54. الإمام مسلم : صحيح مسلم، ج2، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط2، بيروت، 1972.
55. البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت487هـ/1094م): المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، شر ديسولان، باريس 1965.
56. البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى): فتوح البلدان، دار و مكتبة الهلال، بيروت، 1988.
57. اليبليقي (أبو بكر بن علي الصنهاجي): أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق و تعليق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1974.
58. حسن الوزان (بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي ت956هـ/1549م): وصف افريقية، ج2، ط2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت 1983.
59. الحموي (ياقوت شهاب الدين أحمد أبو عبد الله محمد ت626هـ/1228م): معجم البلدان، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5، ج9، دار صادر بيروت، 1995.
60. الحميري (محمد بن عبد النعم): الروض المطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، ط1، بيروت، 1990.
61. الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري) : معالم الإيمان في معرفة أصل القيروان، ج1، تحقيق، محمد ماضور، و محمد الأحمد أبو النور، مكتبة الخانجي، مصر، المكتبة العتيقة.
62. الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد ت670هـ) : طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق و طبع ابراهيم طلابي، مطبعة البعث، فسنطينة، الجزائر، 1974.
63. الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود): الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر و مراجعة جمال الدين الشمال، دار المسيرة، بيروت، د.ت.
64. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت748هـ/1347م): ميزان الاعتدال، تحقيق علي محمد البحراوي، دار المعرفة، بيروت، ج1.
65. الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية و المغرب من أواسط القرن الأول الهجري إلى أواخر القرن الثاني الهجري، تحقيق وتقديم المسجي الكعي، توفيق السقطي، تونس، 1968.
66. الزمخشري (أبو القاسم) : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
67. السلاوي (أحمد بن خالد الناصري ت1315هـ/1867): الإمتصفا في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب بالمغرب، الدار البيضاء، 1954 - 1956.

68. الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد بن عيد الواحد ت928هـ): كتاب سير المشايخ، طبعة حجرية، قسطنطينية، ج1، ح2.
69. الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد): الملل و النحل، المجلد1، تحقيق محمد سيد كيلاي، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، 1980.
70. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الأمم و الملوك، الجزء6، مكتبة خياط، بيروت، د.ت.
71. عبد الواحد المراكشي (أبو محمد بن علي التميمي ت647هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب أثناء صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ/2006م.
72. الفيروز (أبادي محمد الدين محمد بن يعقوب ت817هـ): بصائر ذوي التمييز لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، ج1، المكتبة العلمية.
73. القلصادي (علي بن محمد القرشي الأندلسي ت891هـ/1486م): رحلة القلصادي، دراسة و تحقيق محمد أبو الأحقان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1978.
74. القلقشندي (أحمد بن علي ت821هـ/1418م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط3، بيروت، 1991.
75. (—، —): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، القاهرة 1963.
76. مؤلف مجهول (كاتب مراكشي من القرن6هـ/12م): الإنبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958.
77. مؤلف مجهول: الحلال الموشية في ذكر أخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار و عبد القادر زمانة، الدار البيضاء 1979.
78. المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد ت في القرن5هـ/11م): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم، ج2، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
79. المبرود (أبو العباس محمد بن يزيد): الكامل، ج3، دار تحفة، مصر، د.ت.
80. محمد بن العربي: أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البحراوي، ج2، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1957.
81. محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1958.
82. المسعودي: مروج الذهب و معادن الجواهر، تحقيق مصطفى السيد بن أبي ليلى، ج2، المكتبة التوفيقية، د.ت.
83. المقديسي (شمس الدين أبو عبد الله): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، دار صادر بيروت، 1909.
84. المقرئ (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ت1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأنثوس الرطيب، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ط2، بيروت، 1998.
85. النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق): الفهرست، ضبط و شرح يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.
86. النسائي: خصائص من أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، تحقيق، أحمد مبرين البلوشي، مكتبة الحلال، الكويت، 1986.

87. النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت 732هـ/1331م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 22، تحقيق و تعليق مصطفى أبو صيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ت.
88. هود بن محكم الهواري: تفسير كتاب الله العزيز 4 أجزاء تحقيق شريفي بلحاج، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت.
89. اليعقوبي (أحمد بن جعفر بن وهب بن واضح): البلدان، منشورات محمد علي بيضون، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
90. (—، —): تاريخ اليعقوبي، م 2، دار صادر بيروت، د.ت.

ثانياً، المراجع

1 - المراجع العربية:

1. ابراهيم بحاز بكير: الدولة الرسمية (160-296هـ/777-909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية، ط 2، جمعية التراث، القنطرة، غرداية، 1993.
2. (—، —): شخصيات تاريخية، عبد الرحمن بن رستم مؤسس أول دولة إسلامية مستقلة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
3. أبو الأعلى المودودي: الحضارة الإسلامية، أسسها و مبادئها، دار الأنصار، القاهرة، د.ت.
4. أبو الفضل ابراهيم: دار النهضة، مصر للطبع و النشر، د.ت.
5. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)، ج 1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
6. إحسان حقي: تونس العربية، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
7. إحسان عباس: تاريخ ليبيا، دار ليبيا للنشر و التوزيع، بن غازي، ليبيا، ط 1، 1967.
8. أحمد ابراهيم العدوي: بلاد الجزائر، تكوينها الإسلامي و العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970.
9. أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 11، 1979.
10. (—، —): ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 2.
11. أحمد بن النعمان: هذه هي الثقافة، شركة دار الأمة، الجزائر، 1996.
12. أحمد حسن محمود و منى حسن محمود: تاريخ المغرب و الأندلس، من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة 1999.
13. أحمد شليبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، للدولة الأموية و الحركات الثورية و الفكرية خلالها، ج 2، مكتبة النهضة الإسلامية.
14. أحمد علي عبد اللطيف: الإمبراطورية الرومانية، طبعت بمكتب كريدته إخوان، 1976.
15. أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام و التعليم في رأي القاسمي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955.
16. أحمد فكري: عوامل دراسات في الآثار الإسلامية، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، القاهرة 1979.
17. أحمد مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية في عصري الموحد و المرينيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.

44. سليمان الخطيب : أسس مفهوم الحصار في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ.
45. سليمان داود بن يوسف: الخوارج هم أنصار الإمام عبي، ج1، مكتبة البعث للطباعة و النشر، قسنطينة، 1983.
46. سليمان عشراوي: الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية و المحدثات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، 2002.
47. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية و عمرانية و أثرية، ج2، دار النهضة.
48. شكيب أرسلان: الخلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، م1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
49. شهاب الدين عبد الرحمن: إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك، ب.ط، المكتبة الثقافية، د.ت.
50. الشيخ قاسم بن أحمد بلحاج : الظروف السياسية لشأء المرفقة الإياضية، المطبعة العربية، غرداية، 1998.
51. صالح باجيجة: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، الطبعة الأولى، الجامعة التونسية، الرينونة للشرعية و أصول الدين، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع، تونس 1976.
52. صالح بلعيد: في المسألة الأمازيغية، دار هوم، الجزائر، 1999.
53. الصغير بن عمار: الفكر العلمي عند بن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، الجزائر، 1984.
54. طه حسين: فلسفة بن خلدون الإجتماعية، نقله إلى العربية محمد عبد الله عان، مطبعة الإعتبار بمصر، ط1، 1925.
55. طه عبد الواحد ذنون: دراسات في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ط1، ليبيا، 2004.
56. عباس بدر محمد : قبة الصخرة، ضمن كتاب دراسات في الآثار الإعلامية، مطبعة القاهرة، 1979.
57. عبد الرحمن بدوي: شهنشاه، دار القلم، الكويت، 1982، ص34.
58. (—، —): التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين، وكالة المطبوعات دار القلم، الكويت بيروت، ط4، 1980.
59. عبد الرحمن علي الحجي: أضواء على الحضارة و التراث، شركة الشهاب للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت.
60. عبد العزيز التعلالي: تاريخ شمال إفريقيا، تحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم و مراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
61. عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1982.
62. (—، —): نمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية و ثقافية)، ج1 و 2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الرعاية، الجزائر، 2002.
63. عبد الله شريط: الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2، الجزائر، 1981.
64. عبده عبد الله كامل: الأمويون و آثارهم المعمارية، مطبعة القاهرة، 2003.
65. عثمان الكعاك: موحز في التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم أبو القاسم سعد الله، محمد البشير التستيني، بصر الدين سعيدوني، إبراهيم بحاز، ط1، دار العرب الإسلامي، بيروت، 2003.
66. عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982.
67. عطا الله دهينة: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية لدولة بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984.

68. غفيف البهتسي : العماره و المعاصرة، دار اشرق للنشر، دمشق، 2005.
69. علي الوردي: مطلق بن خلدون في حصارته و شخصيته، مطبعة جامعة الدول العربية - معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1992.
70. علي جفال : الخوارج، تاريخهم و أدهم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1990.
71. علي عائض ناصر: عقيدة أهل السنة و اجماعة في الصحابة الكرام، ج3، مكتبة الرشد، ط1، 1999.
72. علي محمد الصلابي: فكر الخوارج و الشيعة في ميزان أهل السنة و الجماعة، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، ط1، الفسطاط، 2005.
73. علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج2، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ت.
74. عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، ما قبل التاريخ إلى 1962، مراجعة عبد العزيز بو شعيرات، ج1، دار المعرفة، ناب الواد، الجزائر.
75. عمر رضا كحالة: دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، 1973.
76. فروحات الجعيري : البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج1، نشر جمعية التراث، القرارة، 1987.
77. فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، القاهرة، 1980.
78. فيصل شكري: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1981.
79. (—، —): حركة الفتح الإسلامي في القرن 1، دار العلم للملايين، بيروت.
80. مالك بن نبي : تأملات، دار الفكر للطباعة و النشر، ط5، دمشق، سوريا، 1991.
81. (—، —): فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
82. مبارك ميلي : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.
83. محمد أبو القاسم: العادة الإسلامية الثابتة، دار المسيرة، لبنان، ط1، 1979.
84. محمد أحمد حسونة: أثر العوامل الجغرافية في الفتح الإسلامي، مكتبة تحفة مصر بالقاهرة، 1960.
85. محمد الفاضل بن عاشور: محاضرات المغربيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت.
86. محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبد التاريخ، ج1، دحلب للنشر، الجزائر، د.ت.
87. محمد بن رمضان شاوش و الغوني بن حمدان: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر من الفتح العربي إلى عصرنا، ج1، حي داود بريكسي للإشهار، الكيفان، ط1، تلمسان 2001.
88. محمد بن عبد الكريم الجزائري: الثقافة و مآسي رحلتها، شركة الشهاب، الجزائر، د.ت.
89. محمد بن عميرة: دور رناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
90. محمد حمزة اسماعيل الحداد : الحمل في الآثار و الحصار الإسلامية، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006.
91. محمد سراج: مدخل لدراسة تاريخ الفقه، د.ط، 1955.
92. محمد عبد الحكيم: ظاهرة العلو في الدين في العصر الحديث، ط1، 1991.
93. محمد غفت الشرقاوي: فلسفة الحضارة الإسلامية، دار النهضة، بيروت، ط2، 1981.
94. محمد علي ديبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، 1963.

95. محمد عمارة : أبو الأعمى المودودي و الصحوة الإسلامية، دار الشروق، ط1، 1987.
96. محمد عمرو الطمار: الروابط التنافسية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983.
97. (—، —): تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1984.
98. محمد عوض خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، د.ت.
99. محمد عيسى الخوري: الدولة الرسمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس، دار القلم للنشر و التوزيع، الكويت، ط3، 1987.
100. محمد لعروسي المطوي: السلطة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي، دار العرب الإسلامي، بيروت 1986.
101. محمد هيشور : سنن القرآن في قيام الحضارات و سقوطها، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، سنة 1991.
102. محمود أحمد حسن: تاريخ المغرب و الأندلس، دار الفكر العربي، د.ت.
103. محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي في المغرب العربي، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1966.
104. موسى سلامة : الصراع في الوجود، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
105. موسى لقبال و آخرون: الجزائر في العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
106. موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها و تطورها، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر، 1971.
107. (—، —): تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومة للنشر و التوزيع، ط4، الجزائر، 2001.
108. (—، —): المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى نهاية ثورات الخوارج سياسة و نظم، المؤسسة الوطنية للكتاب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.
109. ناصر العقل: الخوارج، دار الوطن، الرياض، ط1، 1995.
110. نصر الله سعيديون: تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح حتى سقوط غرناطة 20-640هـ/788-1492م، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
111. نكولا زيادة: الجغرافيا و الرحلات عند العرب، مكتبة المنرس و دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، بيروت، 1962.
112. وديع أبو زيدون: تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط الخلافة في قرطبة، دار الأهلية للنشر و التوزيع، ط1، بيروت، 2005.
113. يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج1 (الجزائر القديمة و الوسيطة)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، وهران، الجزائر، 1995.

2 - المراجع المعربة:

1. أ.هـ. جونسون : فلسفة واتهميد في الحضارة، ترجمة عبد الرحمن ياغي، نشر بالإشتراك مع مؤسسة فرد كلين للطباعة
2. آرشيبالد: القوى البحرية والتجارية في البحر الأبيض المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مطبعة مصر، القاهرة، د.ت.

3. أرنولد توينبي : مختصر دراسة التاريخ، ترجمة محمد فؤاد شبيل، ج1، طبعة الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية.
4. أرفالد شبنجلر : تدهور الحضارة العربية، ترجمة أحمد الشيباني، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1964.
5. ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.
6. دوزي: تاريخ مسلمي إسبانيا، ترجمة حسن حبشي، ج1، الحروب الأهلية، دار المعارف، 1963.
7. ستانلي لين بول: الدول الإسلامية، تصحيح، بارتوود و خليل أدهم، نقه من التركية إلى العربية محمد صبحي فرزات.
8. شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ج2، (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى 1830. تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة، اندار التونسية للنشر، ط2، تونس، 1983.
9. فان برشم، مارجريت، واورى، سولانج: القدس الإسلامية في أعمال ماكس برشم، ترجمة عطى الله ذهبية و احري، دمشق، 1994.
10. كارل ماركس: إنجلترا، ليين : المادة التاريخية، دار الفارابي، بيروت، 1975.
11. مالك ابن نبي: مشكاة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر لطباعة و النشر، دمشق، 1984.
12. (—، —): شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سوريا، 1976.
13. (—، —): ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سوريا 1962.
14. محمد الطائي: الدولة الأغلبية، 184 - 296هـ/800 - 909م، التاريخ السياسي، ترجمة المنحي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985.
15. موريس لومبار: الإسلام في مجله الأول (القرن 2 - 5هـ/8 - 11م)، ترجمة و تعليق سماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1979.
16. هارترت : الحب و الحضارة، ترجمة مطاع صفدي، دار الآداب، بيروت، 1975.
17. ول وايرل ديورنت : قصة الحضارة، المجلد1، ترجمة محمد بدرار، ط1، دار الجليل، بيروت، 1988.

3 - الأطروحات و الرسائل الجامعية:

1. حبيب خنقار: عمارة المساجد في منطقة تيارت، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2007 - 2008.
2. عبد الرحمن بلاغ: قبيلة مكناسة البربرية و دورها المذهبي و السياسي في بلاد المغرب من القرن 2 إلى 4هـ (8 - 10م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، المركز الجامعي بشار، 2006 - 2007م.
3. فريد داودي: الأصوات اللغوية في اللهجات البربرية القبائلية نموذجاً، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2000 - 2001.
4. لخضر عبدلي: الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان (633 - 962هـ/1236 - 1554م)، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004 - 2005.
5. مبخوث بودواية: العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2005.

6. محمد علي: الإشعاع الفكري في عهد الأغلبية و الرستميين خلال القرنين 2-3هـ/8-9م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة تلمسان، 2007 2008.
7. معروف بلحاج: العمارة الدينية الإباضية بوادي ميزاب، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2002.

4 - الدوريات و المجلات و الملتقيات:

1. ابراهيم فخار: دور الرستميين في وحدة مغرب الشعوب، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، المجلد 4، ورجلان، م6 إلى 15 فبراير، 1977.
2. إحسان عباس: المجتمع التاهري في عهد الرستميين، الملتقى الحادي عشر لفكر الإسلامي، المجلد 1، 1977.
3. أحمد الطاهر الراوي: شخصيات إسلامية، عبد الرحمن بن رستم، روضة الجندي، العدد 1، مؤسسة الإتصال و الإعلام.
4. حبيب الجناحي: تاهرت عاصمة الدولة الرستمية، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية عدد 40-43، تونس 1975.
5. حسين مؤنس: المساجد، سلسلة عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، يناير، 1981، ص 83.
6. خالد بلعربي: العلاقات الثقافية بين تيهرت و مراكز الفكر في المغرب الإسلامي حتى القرن 5هـ/11م، مجلة الفضاء المغاري، العدد 2، خاص بالملتقى الوطني الثاني، محور الدراسات الأدبية و النقدية في المغرب العربي، تلمسان، 2004.
7. رشيد بورويبة: الفن الرستمي، تاهرت و سدراتة، مجلة الأصالة، العدد 41، جافى 1977.
8. رشيد زواوي: التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 1، 1993.
9. سلفادور غومث نوغاليس: الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر و الأندلس من خلال الإباضية، العدد 46، رجب 1977، الملتقى الفكري الحادي عشر للفكر الإسلامي، ورجلان.
10. عبيد بوداود: ثورات الحركة الخارجية الصغرية في المغرب الإسلامي و تداعياتها، مجلة المواقف، عدد خاص، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطيمولي، معسكر، أفريل 2008.
11. العربي بوجلال: الأمازيغية و الشخصية الوطنية، في جريدة الخبر، العدد 2049، أوت 1997، الجزائر.
12. ماريا خيسوس فيغيرا: محمد بن عبد الرحمن بن رستم في قرطبة، مجلة الأصالة، العدد 41، الملتقى الحادي عشر لفكر الإسلامي، 1977.
13. محمد بلقراود: الحركة الإباضية في تيهرت و سدراتة، مجلة الأصالة، العدد 41، 1977.
14. محمد فؤاد شبل: مهج تويني التاريخي، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، سلسلة الثقافة، العدد 209، 968.
15. معروف بلحاج: الإنتاج الفكري في عهد الدولة الرستمية، مجلة الفضاء المغاري، العدد 2، مجلة دورية يصدرها مخبر الدراسات الأدبية و النقدية، و أعلامها في المغرب العربي، كلية أبو بكر بلقايد، تلمسان، أفريل 2004.
16. موسى لقبال: من قصايا التاريخ الرستمي الكبرى، مكتبة المعصومة بتاهرت هل أحرق؟ أم نقلت عيوها إلى سدراتة؟، في حوار بني ورجلان؟ مجلة الأصالة، العدد 44، 1977.
17. و داد القاضي: ابن الصغير، مجلة الأصالة، الملتقى 11 لفكر الإسلامي بوارجلان، العدد 45، فسطية، 1977.

5 - المعاجم و الموسوعات:

1. جمعية التراث: أعلام الإباضية منذ القرن 1هـ إلى العصر الحاضر، مجلد1- 2- 3، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1999.
2. ر.بودون و ف.بوريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حديد، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1986.
3. علي كبريت : موسوعة التراث الشعبي لتيارت و تيسمسيلت، ج1، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
4. مجموعة من اللغويين: المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم، 1989.

6 - المواقع الإلكترونية:

1. الموقع: www.univ-tiaret.org 2004/2005
2. بلحاج بن عدون قشار: موقعة مانوا و ما رافقها من أحداث www.ibadhiyah.net
3. مهنا السعدي: الدولة الرستمية دولة جهلها التاريخ، على موقع www.FRWLA.com ، نظر يوم، 11 02- 10:45، 2006.
4. <http://fr.wikipedia.org/wiki/civili>

7 - المراجع بالفرنسية:

- 1- Abdalla Laroui :l'Histoire du magreb(un essai de synthese)tome1,petite collection maspero.
- 2-Abdurrahman Badawi:Histoire de la philosophie en Islam,librairie philosophique.
- 3- Amar Dhina: Grands tournants de l'histoire de l'Islam de La Barbar a l'attaque d'Alger par Charles Quint , 2^{eme} edition , societe national d'edition et de diffusion , Alger , 1982.
- 4- Andre negre, :la fin de l'etat rostumide, revus d'histoire et de civilisation du magureb, faculte des lettres d'Alger, 1967.
- 5-Brahim Zerrouki : L'imama de tahert Paris,1976,p104 Payot, paris, p264.
- 6- Brahim Fekar : Les institution Ibadites Magrebines Au Moyen- age, Actes 3^{eme} cingres D'Histoire et de la Civilisation du Maghreb, Oran, 26-27 Novembre 1983.
- 7- Chikh Bekri : Le royaume rostemide, Le premier etat Algerien , edition, ENAG, Alger, 2005.
- 8-(_____,_____) :Le kharijisme berbere, annales de l'institut d'etudes Orientales, Universite d'Alger, tome XV, Alger, 1957.

- 9- Dangel.G : L'imama Ibadite de tahert (781-909) these de doctora 3^{eme} ciècle universite des science humaines starsbourg 1977.
- 10- Dominique Sourdel : reflexims sur la diffusion de la madrasa en orient du 11^{eme} et 12^{eme} siècle in l'enseignement en islam et on orient en moyen age, Colloques internationaux de la Napoule, paris 1977.
- 11-Dominique sourdel et Jamine sourdel : La civilisation de l'Islam classique, les edition Arthand, paris, 1983.
- 12- Emile Felix Gautier:le passe de l'afrique du nord:les siecles obscurs,edition payot, paris,1964.
- 13-Ernest Mercier : histoire de L'afrique septentrionale (berbèris) depuis les temps les plus recules jusqu a la conquete Française, T1, Ed Ernest leroux, 1888.
- 14-Fournel(H):les berberes,etudes sur conquete de l'afrique du nord par les arabes,paris,1927.
- 15-Funéraire berbères de la région de frenda O.P.U.1983.
- 16-G.pascal : Nouvelle Encyclopédie Bordas, T.2,Ed, Bordas, paris, 1985.
- 17- George Marcais :L'architecture Musulmane d'occident , Paris, 1955.
- 18- (_____) :la berberie Musulmane et l'orient au moyen age, Paris, 1946.
- 19- George Marcais et Dessus Lamar : Tahert Tagdamt, Revue Africaine, tome xI , 9^{eme} année, Alger, 1946.
- 20-Henri Laoust: Les schismes dans l'islam, edition payot, paris, 1965.
- 21- Levi. Provençal : Histoire d'Espagne Musulmane, Ed. G.p, Maisonneuve, Paris, 1950, T.Lewicki.
- 22- Louis Gardet : Les hommes de L'islam, edition hachette, 1971.
- 23-M.Fabre : note sur la ville romain de tiaret, société géographique d'archéologie la province d'oran, fondée en 1878, tome22, 1902.
- 24-Mas.latrie : traités de prix et de commerce et document divers concernant arabes de l'Afrique septrionale au moyen age, les relations chretiens avec les paris 1872.
- 25-P.Cadenat : recherche à Tihert Tagdemt, Bulletin d'archeologie Algerienne, T. vII, 1977- 1979.
- 26-Pellegrin .A : Essai Sur Les Noms des Lieux D'Algerie, place de la sorbonne, paris, 1972.
- 27- Robert Conevin: histoire de l'afrique de,tome1desorigines au XVI siecle,nouvelle edition.
- 28- Robert Mamtran : L'expansion Musulmane VII-XI siecle , presses universitaires de France , 1^{ere} edition.
- 29-Tribuzi.s et autres : Les places fortes de L'Algerie médiévale, centre de recherche en architecture et en urbanisme, Alger, 1978- 1979.
- 30- Wiliam Didier :Recherches sur quelques grande Mosques du M'zab et du sahel central, Etude realisee dans le cadre d'un D.E.A en Etudes Islamiques, Institut D'histoire de l'art et archeologie, paris, IV – Sorbonn, Annee Academique 1990- 1991.

فهرس المحتويات

الفصل التمهيدي، مفاهيم و مصطلحات عامة

- 1 - مفهوم الحضارة.....2
- 2 - مفهوم العمران.....11
- 3 - مفهوم العمارة.....15
- 4 - مفهوم الثقافة.....20
- 5 - مفهوم الفكر.....23
- 6 - مفهوم الخوارج.....26

الفصل الأول، الأوضاع السياسية للمغرب الإسلامي خلال 2-3 هـ/8-9 هـ

وقياء الدولة الرسمية

- المبحث الأول: أحوال و أوضاع المغرب الأوسط العامة قبل قيام الدولة الرسمية.....38
- أولا - الجغرافيا الطبيعية للمغرب الأوسط.....38
- ثانيا - الأوضاع السياسية بالمغرب و انتشار المذاهب الخارجية.....44
- المبحث الثاني: تأسيس و نشأة الدولة الرسمية.....53
- أولا - نسبها و ظروف قيامها.....53
- ثانيا - الإمتداد الجغرافي و الحدود السياسية للدولة الرسمية.....60
- ثالثا - تأسيس الدولة الرسمية و جهود عبد الرحمن بن رستم في توطيد دعائمها.....64
- المبحث الثالث: توطد دعائم الحكم في الدولة الرسمية و تطورها السياسي.....70
- أولا - مراحل الحكم و الإمامة بعد عبد الرحمن بن رستم.....70
- ثانيا - نظام الحكم و طبيعته.....82

87.....	ثالثا - العلاقات الخارجية للدولة الرسمية.
107.....	المبحث الرابع: انهيار و سقوط الدولة الرسمية.
107.....	أولا - أسباب ضعف الدولة الرسمية.
113.....	ثانيا - نهاية الدولة الرسمية.

الفصل الثاني: الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بتيهروت

124.....	المبحث الأول: الحياة الاجتماعية في تيهروت.
125.....	أولا - عناصر و بنية المجتمع التيهوتي.
133.....	ثانيا - فئات و شرائح المجتمع.
142.....	ثالثا - الأحوال العامة للمجتمع التيهوتي.
148.....	المبحث الثاني: الأنشطة الاقتصادية المتداولة.
148.....	أولا - الزراعة و ازدهارها.
153.....	ثانيا - الرعي و نظمه.
156.....	ثالثا - الحرف و ازدهارها.
160.....	المبحث الثالث: الموارد المالية.
161.....	أولا - أنواع الموارد المالية.
164.....	ثانيا - نظام الجباية.
165.....	ثالثا - نظام النفقات.
167.....	المبحث الرابع: التجارة الداخلية و مبادلات تيهروت الخارجية.
167.....	أولا - التجارة الداخلية.
170.....	ثانيا - التجارة الخارجية و مبادلات تيهروت التجارية.
177.....	ثالثا - نظام المبادلات التجارية.

الفصل الثالث: المظاهر العمرانية و الفكرية في تيهروت الرسمية

181.....	المبحث الأول: خطط المدينة و تطورها.
----------	-------------------------------------

181.....	أولا - تطور مدينة تيهرت قبل العهد الرستمي
186.....	ثانيا - أصل التسمية و معانيها
188.....	ثالثا - بناء مدينة تيهرت
192.....	رابعا - أهمية موقع تيهرت و أسباب اختياره
196.....	المبحث الثاني: البنية العمرانية لمدينة تيهرت
196.....	أولا - العمارة الدينية
200.....	ثانيا - العمارة المدنية
212.....	ثالثا - العمارة الحربية
216.....	المبحث الثالث: الحياة الدينية و الفكرية في تيهرت
216.....	أولا - المذهب الإباضي و آراؤه الفكرية
227.....	ثانيا - عوامل ازدهار الحركة العلمية و الفكرية بتيهرت
249.....	ثالثا - المؤسسات التعليمية و العلوم المتداصلة
294.....	رابعا - المرأة و دورها في الحياة العلمية و الفكرية
304.....	خاتمة
312.....	الملاحق
331.....	المصادر و المراجع
344.....	فهرس المحتويات